

المجلد الثامن عشر

(١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م)



مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م



مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الثامن عشر

(١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م)





مطبعة المجمع العلمي العراقي

١٣٨٩ هـ — ١٩٦٩ م



تحية وتبريك

بمناسبة العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية

في دمشق

احتفلت دمشق بالعيد الذهبي لمجمعها العتيد ـ مجمع اللغة العربية ـ، وذلك بمرور خمسين عاماً على تأسيسه ، وشاركتها في احتفالها به مجامع اللغة في كل من القاهرة وبغداد . وجاء الاحتفال مناسبة رائعة لتعبير المجمعيين عما يستشعرونه من قدسيته ، ومن سبقه الى خدمة الفصحى ، ومن ريادته في اكتشاف المجاهل . كما كان الاحتفال فرصة للتنويه بجهود الأعلام الذين بادروا الى وضع أسسه ، وتشييد صرحه ، واعلاء بنائه وكلمته .

واذا كان مجمع دمشق وجوداً قائماً في سورية ، وكياناً مؤسساً بجهود أبنائها ، فان الامة العربية ـ حيث تكون ـ مدينة لوجوده الممتد على ساحتها العريضة من المحيط الى الخليج وان المعنيين بشؤون العربية مشاركون في جني ثماره ومتابعة أطواره وآثاره حينما يبحثون ويدرسون . لهذا فان عيد دمشق بذكرى ميلاد وليدها قبل خمسين عاماً يكون بالنسبة لمجمعنا وبقية المجامع العربية عيد البنين بميلاد الأب البر الكريم .

إن المجمع العلمي العراقي يبارك هذا العيد ويحييه ، ويشارك في الاحتفاء بـه بعاطفة واشجة ، يذكيها وينيرها ادراك عميق لوحدة المسؤلية والوسيلة والغاية .

ولئن كان الاحتفال بعيد مجمع دمشق رائعاً حقاً بالمناسبة التي دعت الى انعقاده ، وبما ألقى فيه من كلمات وقصائد فان أمراً اكرم شأناً واجل خطراً تم خلال انعقاده. ذلك ما بادرت

اليه رئاسة مجمع دمشق من دعوة ممثلي مجمعي القاهرة وبغداد لحضور جلسة من جلساته ، تعبيراً عن وحدة المجامع اللغوية العربية ، بمشاركتهم جميعاً في مناقشة قضايا لغوية ، واستصدار قرارات بشأنها ، أعقب ذلك حوار في السبل التي يمكن بها ان توحد جهود المجامع الثلاثة في التخطيط والتنسيق والتنفيذ . وقد كشف الحوار عن رغبة في توحيد الجهود ، وإمكانية ميسرة لبلوغها ،وضرورة ملحة لتنفيذها ، ولم يبق الا العزم ومواصلة الخطى على الطريق .

تحية لمجمع دمشق، ورضوان من الله للسالفين من أعضائه ، وتمنيات طيبة الى القوامين على شؤونه ، في دعاء خالص أن يبلغوا ما يرضاه الله ويرضونه لامتهم وللغتهم .

المجلة

في سبيل التنسيق بين المجامع اللغوية

مقتبسة من خطبة رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق

الدكتور حسني سبح بمناسبة عيد المجمع الذهبي

واذا كان لم يئن الأوان لصهر المجامع العربية في مجمع واحد لدولة عربية موحدة تمتد من الخليج الى المحيط فلا أقل من أن نعمد ـ في أضعف الايمان ـ الى تمكين الاتحاد بين المجامع وتنسيق العمل بينها وبين المؤسسات والهيئات المماثلة في صورة اليكم خطوطها الكبرى .

١ — أن تتفرغ فئة من العلماء بشؤون اللغة وما يتصل بها من ترجمة المسميات والمصطلحات في كل قطر عربي ، ويكون اختيار هذه الفئة بعيداً عن كل اعتبار غير الاعتبار العلمي ، ويضمن لها وسائل العمل وكرامة العيش وبحبوحة المخصصات ، ويوكل اليها اداء ما يطلبه منها اتحاد المجامع .

٢ — ان تتوزع الاعمال بين المجامع والمؤسسات المماثلة دفعاً للازدواج والتكرار وتوفيراً للجهود .

٣ — ان تلتقي المجامع مرتين في السنة على الاقل لمناقشة ما انتهت اليه اللجان المتفرعة واقراره .

٤ — ان يكون للدول العربية تشريع خاص يجعل اتقان العربية شرطاً في نوال الدرجات الجامعية العلمية والتعليمية .

٥ — هذا ويخجلني أن اذكر مطلباً هو من نافلة القول ، ذلك ان نعود بالغيرة على العربية عملاً وتشريعاً الى ما قبل خمسين سنة ، ومحاربة التشكيك بها أو ازدرائها أو تجاوزها في كل دوائر الدولة ومؤسسات الاعلام والدعاية والدواوين وفى الاذاعة والصحافة والاذاعة المرئية فى اللافتات والعناوين والاسماء وما اليها .

مناسبة كريمة

كلمة الدكتور عبدالرزاق محي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي وممثله في العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية في دمشق ، وقد القاها في الخامس من تشرين الثاني عام ١٩٦٩ .

في هذه المناسبة العلمية الرائعة ـ مناسبة الاحتفال بمرور خمسين عاماً على قيام المجمع العلمي العربي ـ مجمع اللغة العربيه في دمشق ـ تتزاحم على الذهن شخوص فكر وجهود رجال، ما ادرى كيف افرق بينها لاعطي للفكر مقدارها ، وللرجال حظوظها من العمل على تحقيق تلك الافكار .

الافكار ذاتها لولا مبدعوها لن يتم لها ظهور ، والرجال ذاتهم لولا افكارهم لن يكون لهم وجود متميز ، فهي بهم تولد ، وهم بها يعرفون ويتميزون .

الامة الناطقة بالضاد يتجاوز تعدادها عشرات الملايين في كل عصر ، ولكن الذين فكّروا فيها ـ حين عبّروا بها ـ لايتجاوزون المئين . وهى بهؤلاء تستمد النماء والقدرة على البقاء ، وهم بمقدار ما تنمو صالحة للبقاء ، او قادرة عليه يستمدون البقاء والطاقة على امتداد ذكراهم في الحياة .

ولامر ما نعت أعضاء المجامع بالخالدين ، إيماءاً الى خلدهم بخلود اللغة والفكر ، وذلك لارتباطهم العضوي باللغة والافكار .

« والشام » منذ القديم كانت رافد هذه اللغة من عهود الغساسنة ، مأثورة في قصيدة

« للنابغة » أو مقطوعة « لحسان»، او نقيضة « لجرير » ، او خمرية « للاخطل » او خطبة لخليفة او رسالة لوال او امير ،ثم عادت احدى رواضع هذه اللغة يوم بدأت الرواية فالجمع فالتـأليف .

وكان لما الّـف أبناؤها ، وجمعوا ، وأنشأوا الاثر الخطير في حياة العربية .

استمرت« الشام »مع التاريخ رافدة تمد اللغة بنتاج أبنائها الاصيل ، ومسترفدة لنتاج الاقطار العربية الاخرى ، ترويه وتجمعه وتصنفه ، وتعود به كتاباً جامعاً ، وبحثاً قيما نافعاً وهي في حالتي العطاء والاخذ تضرب أحسن الامثلة لخدمة العربية .

وظلت « الشام » على مدى التاريخ مرتاداً للشاعر العربي ، يجد فيها ما يجود به قريحته ، ويرهف حسّه ، ويكسبه من طيبها وصفائها طيباً وصفاء وتجلياً ، وكانت كذلك للباحث العربي يلقى فيفضل خيراتها ، وأروقة جوامعها ، وخزائن كتبها ، واعلامشيوخها ما يكفل مؤنته ، ويشبع رغبته ، وما يعود به واحداً من ابنائها الاعلام الاثيرين .

حين يضطر ابنها إلى الهجرة عنها مراغماً او راغباً ، يحمل معـه من روحها ونزوعهـا العربي ما يكون مصدر اشعاع في دار هجرته ، فلم تفتأ أن تتحول نقلة الجسم الى نقلةالروح واللسان والفـكر . كل ذلك لاصالة في نفسه ، واعـتزاز بروحه ولسانه العربيين ، ولم يمض طويل وقت حتى نرى آثار هجرته في طلابه وفي مريديه ، وفي وعي الامة التي هاجر اليها بوجه عام .

يوم دخلت الامة العربية في طور سباتها العميق ، وأغفى أبناؤها على صمت الفـكر وخفوتالحس، واستعجام اللسان ، كانت الشام تتململ ضيقا بالمهاد الذيشدّت اليه،وتجفو جنوبها المضطجع الذي مدّت عليه ، وتحلم باليقظة كلّما لاح بارق نهضة ، وأومضت طلائع فجر .

حين لاحت بشائر نهضة لغوية وفـكرية في مصر في اواخر القرن الماضي وأوائل هذا القرن ، نفر أبناء من « الشام » اليها يشاركون في اسباب دعمها وتقويتها ، يعينونها بكل

ما أوتوا من فضل وطاقة ، ويستعينون بها في كل ما اوتيت من بسطة وحول ، وكان لتلك الهجرة الأثر الواضح فيما بلغتــه النهضة اللغوية والفـكرية في مصر وفي الاقطـار العربية الاخرى .

حين اوشك ليل الظلمة ان ينحسر جانب منه عن الاقطار العربية ، هبّت الشام تحسر بقية جوانبه ، وتلملم أطراف مضاربه ، وتنفخ ببوق العربيـــة لتبعث الامة من مرقدها وتعيد اليها يقظتها وحسها ولسانها العربي المبين .

حين نبتت فيها نابتة حكم عربي، بعد لم ترسخ جذوراً، ولم تورق فروعاً ، بادر ابناء الشام الى الفصحى يمهدون طريقها الى الاقلام والالسنة والدواوين باقامة مجمعها اللغوي العتيد ، ولقد وفى هذا المجمع الامانة في ظروف لو قدر لغيره ان يمرّ بها ما كان يقوى على البقاء بله الوفاء .

وكانت جهود أعضائه الاوائل ـ رحمهم الله ، وكتب ما قـدموا وآثارهم ـ بما أصّلوا وفرّعـوا ، واستنبطوا واستدركوا ، من بعض اسباب ما تشهد من حركة لغـوية في كل الاقطار العربية .

هذه المناسبة تقتضينا حميد الذكرى لاولئك الاعلام المجاهدين الذين نذروا أنفسهم لارساء هذا الصرح العتيد ، أول ما بدأت الدولة العربية تبني نفسها في الشام ، في ادراك واع الى الترابط الوثيق بين قيام دولة وبعث لغة . وهو تقدير على حتميّته كان قد خفي على كثير من المسؤلين أوان ذاك .

لقد وقف الرئيس الراحل (محمد كرد علي) ورصفاؤه المؤسسون في العقد الاول من عمر المجمع يعمل باصرار ارتدت امامه المعـوقات والمثبّطات ، ولقد كان بعض تلك يبدو معقولا مبرّراً لولا اصرار تلك الفئة المجـاهدة على تفنيد تلك الذرائع ومصادرتها بذرائع اقوى ، وابلغ حسماً عند مواجهة الآراء .

واذا كان المجمع العلمي العربي قد أدى بوفاء مهمتـه في تلك الظروف المستعصية فهو

جدير الآن بأن يؤدي دوراً جديداً في حياة اللغة يتجاوز ما أدّاه في تلك الظروف . انه يعيش الآن عهداً اطوع مواتاة ، واقوى استجابة الى خدمة اللغة والفكر . ان الوعي العربي هنا ليهيء له ، او يجب ان يهيء له كل الوسائل التي تعينه على مواصلة عمله بنشاط وجدية تجيء في مقدمة ما يمارسه هذا القطر العربي من نشاط في مختلف شؤون الحياة .

ان مجمع اللغة العربية هنا بما يتحلى به اعضاؤه الاعلام الافاضل من مزايا ، ثم بما يزخر به هذا القطر من كفايات ادبية وعلمية لجدير بأن يتسع لا كثر مما اتسع له حتى الآن .

ان الظروف الثقافية التي تعيش فيها الامة العربية لتستدعي مجامعها في ان تكون بمستوى حاجات هذه الامة وتطلعاتها ، ولن تكون كذلك ما دامت تعيش الكفاف ، وتحيا الجفاف . ـ ورجائي بل اقول ويقيني ـ في ان سورية العربية ستكون لمجمعها العتيد في طليعة اقطارنا رعاية وإيثاراً ، بخاصة وهي تلتزم العربية لغة علم وفن وتبشر بذلك وتدعو له بقية الاقطار .

(لقد شبّ عمرو عن الطوق) وتجاوزت مهمات المجامع اللغوية حدودها الاولى . كان من اهم مهماتها ان تبرىء لغة الدواوين والصحف مما علق بها من خطأ او دخيل ، وان تجود الاساليب وتنفي عنها الصنعة والتكلف ، وقد بلغت العربية المستعملة نصيباً يكبر هذه الحاجة ويرتفع عنها .

كان من مهماتها مواجهة ما سمي بالدعوات التجديدية التي ظهر لها دعاة ومشايعون كالدعوة الى احلال العامية محل الفصحى ، بادعاء انها اقرب الى نفوس المواطنين ، وادق في التعبير عما في تلك النفوس ، وكدعوى عجز العربية عن استيعاب ما جدّ في شؤون الحياة ، وتخلفها في الميدان الحضاري ، لذلك فهي جديرة بالاغفال ، او جديرة بقبول الدخيل قبولا يتسع لان تطغى الكلمات الدخيلة على العربية الاصيلة .

وكدعوى الضيق باعراب أواخر الكلم ، وعجز المتحدث والكاتب عن ان يفي مستلزماتها الا بجهد كبير .

وكدعوى ضرورة ان يستبدل بالرسم العربي رسم آخر نظراً الى صعوبة ضبط المرسوم بهذه الحروف .

تلك وسواها قضايا واجهت رجال الفكر الحريصين على الحفاظ على هذه اللغة ، ورجال المجامع بخاصة واجهوها بما كسر من حدتها ، وضعف من حجتها ، وماتت اوكادت ان تموت الى غير رجعة .

. ان مما يناصر المجمعين اللغوين هذا الوعي العربي المؤمن بوحدة هذه الامة لساناً وفكراً ومصيراً ، وهذا النضج العلمي الذي آتته جامعاتنا العربية وبخاصة جامعة دمشق .

لقد اوشك رجال العلم على اختلاف مناحيه ومدارسه ان يؤمنوا بقدرة هذه اللغة على البقاء والوفاء ، وشارك كثير منهم مشاركة جادة وقيمة في عضوية المجامع اللغوية بما وضعوا او تواضعوا عليه من مصطلحات .

وعاد اكثر من جامعة يولى العربية مكاناً في تدريس العلوم ، والمكان الاول في تدريس العلوم الانسانية . ومع اننا ما نزال في بداية الطريق ، وامامنا اشواط بعيدة في هذا المضمار الا اننا وضعنا خطواتنا على الطريق السويّ ، وتخلصنا من نزعة الخوف والتهيّب من ان نسير عليه . وقد كان الخوف هو الذي اسلمنا الى العجز ، واتهام لغتنا بالقصور .

ان المجامع اللغوية كانت تبدو لجمهرة الرجال العلميين وكأنها مؤسسات تعمل لتبعث الحياة في موات أكبر الظن الا تعود له حياة ، وكانت المجامع ذاتها تعمل بأمل ضعيف في قدرتها على إحياء هذا الكائن حياة فاعلة ومنفعلة ، وغالب ما كانت ترجوه المحافظة على ما فيه من رمق حياة .

اما الآن فقد اختلفت النظرة ايما اختلاف ، فجمهرة العلماء ينظرون الى مجامع اللغة في رجاء موثق بجدواها ، وبضرورة قيامها على ما يواجهون من مشاكل التعبير ، وهذا الاتحاد العلمي العربي المنعقد في دمشق الان خير شاهد على ذلك فقد رأيناه يوزع جهده بين فكرة اهتدى اليها ، ولفظة موائمة تصلح وعاء لما اهتدى اليه . والهيئات الفنية

والمؤسسات الشعبية في العراق ترجع الى المجمع العلمي العراقي تستعين به على الوفاء بحاجتها اللغوية ، وتستفتيه فيما تصالحت عليه من مواضعات ، ولعل الامر أوضح من ذلك في « مصر » .

هـذا الوعي العام الذي انتشر في اقطار العربية ليهيء للمجامع اللغوية ظروف عمل موائمة ماكانت تتهيأ قبل عقود من السنين .

ويجيء في مقدمة المهيئات للقدرة على مواجهة هذه الظروف ، وعلى الانتفاع بالطاقات اللغوية في رأيي عدة امور :

في طليعتها توثيق الروابط بين الجامعات والمجامع توثيقاً تحـدده الصلة العضوية بين الفكرة والعبارة ، والمفهوم والمنطق .

يتلو ذلك توثيق الروابط بين المجامع والمجتمعات ، توثيقاً تحدده طبيعة الصلة العضوية بين اللغة والمتحدثين بها ، فاللغـة تراد لهم ، ويحسن ان تنتزع منهم ماكانت استعمالاتهم سليمة موافقـة لاصول العربية ، ويجب ان توائم مشاربهم واذواقهم متى اردنا لها صفة القبول ويسر الذيوع .

ثم توثيق الروابط بين المجامع اللغوية توثيقاً تحدده ايضاً طبيعة الصلة العضوية ، وهي صلة لو اغفلت ولم تعط نصيبها من الاحكام لم يعد اي مبرر لتعددها ، بل يكون تعددها وتكاثرها ضرراً على العربية ، وسبباً من اسباب البلبلة والضياع .

مما عيبت به العربية في القديم كثرة الالفاظ المترادفة على معنى واحد ، وكثر الالفاظ المشتركة بين معاني مختلفة ، يصل الخلاف بينها الى حدود التضادّ ، بحيث يكون اللفظ للشيء وضدّه ولنقيضه احياناً .

هذه الظاهرة اللغوية ستكرر حين تتعدد المجامع اللغوية ، وحين ينفرد كل منها بعرف واصطلاح ، وسيقال يوماً عن لغتنا : هذه لغة لشامية ، وتلك عراقية ، وتلك مصرية وهكذا الى ان ننسب لـكل الاقطار العربية .

ولقد كنا ننقسم بطوناً وافخاذاً وقبائل ، فانقسمت لغتنا ، واصبحنا ـ والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، ننقسم اقطاراً قاربنا بها عدد القبائل والبطون والافخاذ ، فاذا أردنا لمجامعنا اللغوية ان تتعدد تعدد هذه الاقطار فالضياع كل الضياع لهذه اللغة .

نحن نعيش الترادف والاشتراك والتضاد والتناقض احياناً في حياتنا السياسية فجدير بالمجامع اللغوية ان تلغي ذلك في حياتنا اللغوية .

لست بسبيل ان اضع صورة كاملة للتخطيط والتنسيق ، ولكني اومىء الى ضرورة التنسيق ، تاركا وضع صورته الكاملة الى المجامع الثلاثة منوهاً بأن المجمع العلمي العراقي يهمّه ويسرّه ان يتم التناسق في اطراد نبلغ به مرحلة التوحيد .

واخيراً في رأيي الخاص ان يكون هناك مجمع لغوي واحد ، تمتد له في الاقطار العربية المؤهلة لذلك وحدات ، يرتبط بها وترتبط به ارتباطاً وثيقاً فيما يطلب منها او تنجزه من اعمال ، ثم يكون لها مؤتمر دوري واحد فيما تستصدر من مقررات وتخطط له من انجازات .

استأنف أيها السادة تهنئة للقطر العربي السوري بأعياده العلمية، وللشعب العربي في كل مكان تهنئة مثلها بأعياد سورية العزيزة ، وتحيـة تقدير الى القوّامين على ادارتها وابلاغها هذا المستوى العالي من التخطيط والتنسيق .

وانتم يا سادتي رئيس المجمع واعضاءه الاعلام اقدم لكم باسم اعضاء المجمع العلمي العراقي وباسمي اطيب التمنيات واصدق الدعوات .

بسم الله الرحمن الرحيم

مع البيروني في كتاب الصيدنة

الدكتور فاضل الطائي

نبذة عامة عن حياته :

هو الاستاذ أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، ولد في ذي الحجة عام ٣٦٢ ه (أيلول ٩٧٣ م) ، بضاحية من ضواحي خوارزم [١] . ويذكر ابن أبي اصيبعه أنه منسوب الى بيرون [٢] وهي مدينة في السند ، وتقع الآن في مقاطعة باكستان الغربية ، ويشير ياقوت الرومي [٣] أنه لقب بالبيروني لأن بيرون بالفارسية معناها (خارج البلد) وذلك لأن مقامه في خوارزم كان قليلا ، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم ، اذ عندما طالت غيبتـه عن خوارزم صار غريباً عنهم ، هذا وأن المصادر المتوفرة لدينا تؤيد ما ذهب اليه ياقوت الرومي والأرجح أنه ولد في ضاحية من مقاطعة خوارزم ، وقد لقبه بعضهم بالخوارزمي [٤] بل أن أول من لقبه بهذا اللقب الاخير هو ياقوت الرومي ونقله عنـه بعض المؤرخين ، وهذا ما يؤسف له لأن العلماء المحدثين يستعملون اسم الخوارزمي على الرغم من أن ذلك يسبب الالتباس [٥] .

والبيروني مؤلف عربي شهير ، وتختلف المصادر في اصله فمنهم من اعتبره فارسياً [٦] ، وادعى الاتراك بأنه تركي الأصل [٧] وربما كان غير ذلك . ومن المؤسف أن سارتن اعتبره

شعوبياً ذا نزعة متطرفة ضد العرب ، ولم نجـــد مصدراً آخر يؤيد ما ذهب اليه سارتن بل لدينا ما ينقض ذلك . ففي مقدمة كتاب الصيدنة [٨] للبيروني نفسه حيث يقول نصاً « وكم احتشد طوائف من التوابع في لباس الدولة جلاليب العجمة فلم يتفق لهم في المراد سوق ، وما دام الآذانُ يقرع آذانهم كل يوم خمس مرات وتقام الصلوات بالقرآن العربي المبين خلف الأئمة صفاً صفا وحبل الاسلام غير منفصم وحصنه غير متثلم » .

والى لسان العرب نقلت العلوم من اقطار العالم وسرت محاسن اللغة منها في الشرايين والاوردة . وان كانت كل امة تستحلي لغتها التي الفتها واعتادتها واستعملتها في مآربها مع إلافها واشكالها . واقيس هذا بنفسي وهي مطبوعة على لغة لو خلد بها علم لاستغرب استغراب البعير على الميزاب والزرافة في الكراب ، ثم منتقلة الى العربية والفارسية فأنا في كل واحدة دخيلٌ ولها متكلف والهجو بالعربية أحب اليّ من المدح بالفارسية . » يتضح من هذا النص أن البيروني دخيلٌ على اللغة العربية والفارسية ، اضافة الى أنه غير متعصب ضد العرب ، وأغلب الظن أن لغته الاصلية هي اللغة الخوارزمية .

ويذكر سارتن أن البيروني سائحٌ وفيلسوفورياضي وفلكي ويصفه بأنه موسوعي « انسكلوبيدي » وواحد من أعظم علماء الاسلام ، والكل يعتبره من أعظم العلماء في كل العصور والازمان ، واتصف بطابع التسامح ، والحب للحقيقة ، والشجاعة الفكرية فما ماثله أحد في القرون الوسطى .

وكان البيروني ذا حظوة عند الملوك والامراء [٩] وذكر ياقوت الرومي قصة طريفة له مع خوارزمشاه [*] مفادها أن خوارزمشاه دخل يوماً القصر على ظهر دابة ، فأمر باستدعاء البيروني من مكانه فأبطا بالوصول فتصور خوارزمشاه الامر على غير حقيقته وهمّ بالنزول عن ظهر الدابة فسبقه أبو الريحان الى البروز وناشده الله أن لا يفعل فتمثل خوارزمشاه بالبيت الآتي :

(*) خوارزمشاه : هو ابو العباس المأمون الثاني (ملك خوارزم) .

العلم من أشرف الولايات يأتيه كل الورى ولا يأتي

ثم قال لولا الطقوس الدنيوية لما استدعيتك فالعلم يعلو ولا يعلى .

وبعد مقتل خوارزمشاه آلت مملكته الى السلطان محمود الغازي [10] الذي وسع ملكه من لاهور الى اصبهان وسمرقند وجعل « غزنة » عاصمةً لمملكته . وقد أخذ محمود الغازي عدداً كبيراً من العلماء المبرزين الى عاصمة ملكه ومن بينهم البيروني . ومن الجدير بالذكر بأن محمودَ الغازي هو محمودُ الغزنوى بن سبكتكين والذي تولى العرش بعد وفاة ابيه سنة ٩٩٧ م ، وكان يحس بنوع خاص من التعظيم والاجلال لخليفة بغداد ، وقد منحه خليفة بغداد لقب « يمين الدولة وأمين الملّة » كما حصل على لقب « الغازي » عام ١٠٠١ م عندما اتسعت مملكتُه وكثرت فتوحاته ، ولقبُ الغازي من أوائل الالقاب في الاسلام [11] .

أقام البيروني مدة طويلة في البلدان التي تكوّن افغانستان الحالية ، ثم مكث في الهند زمناً طويلا لا سيما في الجزء الذي فتحه السلطان محمود الغزنوي مكللا بالظفر . وهناك كتب كتاباً جديراً بالاعجاب عن شبه الجزيرة الهندية الكبيرة وهو كتاب « تاريخ الهند » ويعتبر هذا الكتاب مرجعاً رئيساً للتعرف على العلوم العربية أو الوقوف على علوم وأحوال الهند ، اضافة الى ما احتواه الكتاب من معلومات قيمة في التاريخ والجغرافية والمجتمع الهندي وتقاليده .

وكان البيروني ملما بعدد كبير من الفروع العلمية كالرياضيات والفلك وعلوم النجوم ، كما ألّف كتباً في الطبيعيات وفي الصيدلة وفي الكيمياء وفي الطب ، وعلم الاحجار [12] ، ويقول ابن العبري [13] بأن مصنفات البيروني كثيرة متقنة ومحكمة غاية الاحكام ثم يستطرد قائلا « وبالجملة لم يكن في نظرائه في زمانه وبعده الى هذه الغاية احذق منه بعلم الفلك ولا أعرف بدقيقهِ وجليلهِ » .

ومن الادلة القاطعة على تعمقه في علم الفلك ومعرفة دوران الارض واختلاف الليل

والنهار أورد ما يذكره ياقوت الحموي [١٤] عنه نصاً « وعندما كان في صحبة السلطان الماضي والد السلطان مسعود جاء رسول من أقصى بلاد الترك وحـــدث بين يديه بما شاهده فيما وراء البحر نحو القطب الجنوبي من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الارض بحيث يَطُـل النهار ، فتسارع (اي السلطان الماضي) على عادته في التزمت في الدين الى نسبة الرجل الى الالحاد والقرمطة على براءة اولئك القوم من هذه الآفات حتى قال أبو نصر بن مشكان ان هذا الرجل لا يذكر عن رأي يرتأيه ولـكن عن مشاهـــدة وتلا قوله تعالى (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) ، فسأل أبا الريحان عنه فأخذ يصف له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الاقناع الا أنه لم يفلح في اقناعه وانقطع الحديث بينه وبين السلطان ، ولـكنه تمكن من اقناع ابنه مسعود بعض الاقناع عندما ألّف كتابه في اعتبار مقدار الليل والنهار ، واستطاع أبو الريحان من اقناع السلطان الشهيد مودود بهذه الحقيقة العلمية نظراً لمهارة الثاني باللغة العربية الامر الذي حدا بالسلطان ان يجزل احسان أبي الريحان » .

وكان البيروني يكتب باللغة العربية على وجه العموم ، ولـكنه ألّف بعض الـكتب باللغة الفارسية ويجيد اللغة السنسكريتية حيث ترجم كتابين من مؤلفات « فراهميرا » وهو فلـكي هنـــدي عاش في القرن السادس الميلادي [١٥] . وتشير المصادر أنه اجاد في شبابه اللغتين العربية والفارسية اضافة الى لغته الاصلية الخوارزمية ثم اضاف اليها فيما بعـــد اللغات السنسكريتية واليونانية والسريانية [١٦] . وكانت معرفته بهذه اللغات خيرَ عون له في دراساته العلمية والرجوع الى نصوص المراجع العلمية دون ترجماتها متجنباً بذلك الاخطاء المحتملة التي قد يقع فيها المترجمون لا سيما غير المتخصصين منهم في المواضيع التي كلفوا بترجمتها .

لم يقتصر البيروني في شبابه على الحياة العلمية والانصراف لهـا كلياً ، بل اشترك في الحياة السياسية في خوارزم وانضم الى انصار خوارزمشاه أبي العباس ، ولما اغتيل الاخير

نتيجة لنضاله ضد العائلة الملكية التي كان يرأسها مأمون بن محمد عام ٣٨٥ هـ ، اضطر البيروني الى الهجرة خارج حدود وطنه متوجهاً الى جرجان في الجنوب الشرقي لبحر قزوين حيث أقام فيها نحواً من خمسة عشر عاماً في ظل السلطان ابو الحسن قابوس بن وشمجير شمس المعالي وكتب أول مؤلفاته « الآثار الباقية عن القرون الخالية » الذي قام بتحقيقه المستشرق السوفيتي ميكائيل رسيله .

وقد التقى بابن سينا في بلاط قابوس وكانت بينهما رسائل الا أن علاقتهما لم تكن متينة ولكن علاقة البيروني بالطبيب الفلكي النصراني أبو سهل عيسى المسيحي الذي عاش في البلاط نفسه كانت قوية الصلة [١٧] . ولقب البيروني لغزارة علمه بالاستاذ ، وهو لقب له مدلوله ومعناه آنذاك ، كما لقب ابن سينا من قبل بالشيخ الرئيس .

وفي عام ٤٠٠ هـ عاد البيروني الى خوارزم واتصل بالبلاط ، ولعب دوراً هاماً كبيراً هناك لاسيما في مجلس العلوم في الجرجانية ، اضافة الى اسهامه بالسياسة وشؤونها ، الامر الذي آل الى انخفاض انتاجه العلمي ، ومكث هناك حتى عام ٤٠٧ هـ (١٠١٧ م) حيث غزا السلطان الغزنوي محمود بن سبكتكين خوارزم واحتلها كما أشرنا سابقاً .

وبالرغم من اهتمام السلطان محمود الغزنوي بجلب العلماء الى عاصمة ملكه غزنة ، فقد كان طاغية متعصباً متزمتاً لايحب التجديد ولا مجال للحرية الفكرية في عهده وذكرت بعض المصادر ان العلماء عنده قد عاشوا عيشة لايحسدون عليها حيث حددت اقامتهم وقيدت حرياتهم ، ولم يتمكن البيروني من ممارسة اعماله العلمية أو ان يكتب شيئاً من مؤلفاته . ولما مات السلطان محمود الغزنوي خلفه ابنه مسعود الغزنوي وكان الاخير محباً للعلماء والعلم فقرب البيروني والحقه بالبلاط واستعان به في الامور العلمية واحاطه بالرعاية والتقدير ، فوجد البيروني في هذه الظروف مجالاً واسعاً للانصراف للعلم والتأليف وهكذا انتهى من مؤلفه الشهير في علم الفلك « القانون المسعودي في الحياة والنجوم » واهداه الى السلطان مسعود الغزنوي ، فأعجب السلطان بالمؤلف فأجاز البيروني بحمل فيل من نقده

الفضي فرده الاخير الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه [١٨] .

وعند ما غزا السلطان مسعود الغزنوي شمال الهند اصطحب البيروني معه فأقام الاخير في الهند مدة ليست بالقصيرة [١٩] وكتب كتابه النفيس « تاريخ الهند » وبعد وفاة السلطان مسعود الغزنوي خلفه ابنه السلطان مودود الغزنوي (١٠٤٠ ـ ١٠٤٨ م) [٢٠] . وكان الأخير محباً للعلم واهله ، متضلعاً باللغة العربية كما اسلفنا ، الامر الذي حدا بـه الى رعاية البيروني والعناية بـه وكتب له كتاباً يعتبر من احسن الكتب في وصف الاحجار الكريمة والمركبات الكيمياوية وهو « كتاب الجماهر في معرفة الجواهر » وفي سنة وفاته خلاف . فمنهم من قال انه توفي في ٣ رجب عام ٤٤ هـ (١٠٤٨ م) ومنهم من ذكر بانه كان حياً يرزق عام ٤٤١ هـ (١٠٥٠ م) [٢٠] وهذه الرواية ارجح من الاولى . لانه قد جاوز الثمانين من عمره ، كما اشار البيروني نفسه في كتابه الصيدنة .

وكان البيروني ذا فكر وقاد ، وذكاء مفرط ، اضافة الى شغفه بالعمل العلمي والانكباب عليه بالرغم من يسر حاله ، واجلال مقامه عند الملوك والسلاطين ، فذكر ياقوت الرومي في هذا الصدد [٢١] (ما نصه « وقيل انه لما صنف القانون المسعودي اجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضي فرده الى الخزانة بعذر الاستغناء عنه وكان مع الفسحة في التعمير وجلال الحال في عامة الامور مكباً على تحصيل العلوم منصباً الى تصنيف الكتب ، يفتح ابوابها ويحفظ شواكلها واقرابها ولا يكاد يفارق يده القلم وعينه النظر وقلبه الفكر الا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لاعداد ما تمس اليه الحاجة من المعاش والرياش » .

ويشير المصدر نفسه الى حب البيروني للمعرفة والزيادة منها حيث قال « حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي عن الفقيه ابي الحسن علي بن عيسى الولواجي قال « دخلت على ابي الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج نفسُه وضاق صدره فقال لي في تلك الحال كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة ، فقلت اشفاقاً عليه : أفي هذه الحالة ، قال لي يا هذا اودع الدنيا وأنا عالم بهذه المسألة ألا يكون خيراً من ان اخليها وانا

جاهل بها فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد وخرجت من عنده ، وانا في الطريق فسمعت الصراخ » .

وكان البيروني ينظم الشعر وقد اورد ياقوت الحموي قصائد عديدة من شعر البيروني ومنه ما كان بذيئاً . و « يقول عنه » كان البيروني حسن الحاضرة ، طيب المعشر ، خليعاً في الفاظه عفيفاً في افعاله لم يأت بمثله الزمان علماً وفهماً ، وكان يقول شعراً ان لم يكن في في الطبقة العليا فانه من مثله حسن » .

مؤلفاته :

لم يدع البيروني باباً من أبواب العلم والمعرفة الا وطرقها ، ولا شاردة من شوارد التاريخ والاجتماع الا وأوثقها ، فأبدع ابداع العالم فيما توصل اليه من الحقائق العلمية باسلوب علمي متين ، وتضلع بالعديد من اللغات الحية آنذاك لاستقاء معلوماته من مناهلها الاصلية دون تحريف في الترجمة متعمد أو تشويه دون قصد ، فألم بما كتبه سلفه من مختلف شعوب العالم ، كما أنه استفاد كثيراً من رحلاته العديدة وتنقله بين بيئات متباينة . فأمعن النظر فيما قرأ ، وتحسس كل بيئة ومجتمع مرّ به أو مكث فيه مما اتاح له الفرصة للوقوف على شتى الطرائق للوصول الى الحقائق العلمية وتأييد بعضها ونقض البعض الآخر . وهكذا تمكن من كتابة عدد كبير من الكتب في مختلف ضروب المعرفة . فألف في الجغرافية والفلك والهندسة ، والمثلثات واعطى صورة واضحة عن تثليث الزوايا ومشاكل مشابهة لا تحل بواسطة المسطرة أو الدائرة فقط [٢٢] وبحث بحثاً مستفيضاً في تصميم مضبوط لخطوط الطول والعرض ، ودوران الارض حول محورها ، والجاذبية الارضية وتعيين الاوزان النوعية لعدد من المعادن والاحجار [*] تعييناً دقيقاً لا يختلف الا بنسبة ضئيلة جداً عما وجدت في الوقت الحاضر [٢٣] ، وحاول المقارنة بين سرعة الضوء وسرعة الصوت وأوضح

(*) سنتناول بحث الوزن النوعي في بحث آخر عن البيروني يتعلق بكتابه الموسوم (الجماهر في معرفة الجواهر) .

الفرق الكبير بين سرعتيها وكتب عن الآبار الارتوازية والينابيع المتدفقة معللاً اسبابها مستخدماً قاعدة الأواني المستطرقة ، ولم يفته البحث في علم النبات لاسيا الاوراق التويجية وكان أميناً فيما يكتب ويشير الى المصادر التي يستقي منها ، فاعتمد على التراث اليوناني والتراث الهندي اضافة الى التراث العربي ، وكان يناقش كل ما يقرأ نقاشاً علميا فيصحح ما اعتلّ، وينقل مايصلح وقد قال نفسه « لم اسلك فيه من تقدمني من افاضل المجتهدين .. وانما فعلت ما هو واجب على كل انسان ان يعمله في صناعته من تقبل اجتهاد من تقدموه بالمنّة وتصحيح خلل ان اعثر عليه بلا حشمة ... وقرنت بكل عمل في كل باب من علله وذكرت ما توليت [٢٤] عمله » .

ويذكر ابن ابي اصيبعه [٢٥] أن لأبي الريحان من الكتب كتاب الجماهر في معرفة الجواهر وقد الفه لمودود بن مسعود بن محمود الغزنوي ، وكتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ، وكتاب الصيدنة ، وكتاب مقاليد الهيئة ، وكتاب تسطيح الكرة ، وكتاب العمل بالاصطرلاب ، وكتاب القانون المسعودي ، وكتاب التفهيم في صناعة التنجيم ، ومقالة في تلافي عوارض الزلة في كتاب دلائل القبلة ، ورسالة في تهذيب الاقوال ومقالة في استعمال الاصطرلاب الكرى ، وكتاب الاظلال . وقد فات ابن أبي اصيبعه عدد كبير من الكتب لا سيما كتابه المشهور (تاريخ الهند) ، وتشير المصادر الى أن البيروني قد ألّف نحواً من مائة وثمانين كتاباً ، نشر هو بنفسه مائة وثلاثة منها وذلك في مؤلفه « رسالة في فهرس كتب محمد بن زكريا الرازي » الذي نشره ماكس كراوزه [٢٦] ، عام ١٩٣٦ ، اضافة الى مؤلفاته التي أتمها بعد أن كتب الفهرس . فنشر بعضها وهو على قيد الحياة ، كما نشر بعض العلماء كتباً للبيروني بعد وفاته ولعل من أبرز الذين اعتنوا بكتب البيروني ونشروها بعد مماته هم صديقه الطبيب أبو سهل عيسى بن يحيى المسيحي ، وأبو نصر منصور بن علي ابن عراق ، وأبو علي الحسن بن علي الجبلي . وقد ضاع عدد كبير من مؤلفات البيروني وتبذل دائرة المعارف العثمانية في الهند جهوداً محمودة لاحياء تراث البيروني الغزير بشتى

ضروب العلم والمعرفة . وعلى كل ، ليس هذا المجال لتعداد جميع مؤلفات البيروني واحصائها اذ أن ذلك متوفر في عدد كبير من المصادر الرئيسة ، ومن الجدير بالذكر أن بعض المؤلفين المحدثين [٢٧] قد صنفوا للبيروني كتابه « تاريخ الهند » بكتابين احدهما « تاريخ الهند » والثاني « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة [٢٨] واشار الدوميلي في كتابه العلم عند العرب بأن ادور سخاو قد نشر نص كتاب تأريخ الهند في جزئين وطبعت طبعة جديدة منـــه في لندن عام ١٩١٠ م ويقول ينبغي أن يـكون العنوان الدقيق لهذا الـكتاب « تحقيق ما للهند من مقوله ، مقبولة في العقل او مرزولة » [٢٩] وبعبارة اخرى ان كتاب « تاريخ الهند » هو كتاب « تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة» نفسه . غير ان البحث سينصب على ماله من معرفة في علم الـكيمياء قدمها في كتابه « الصيدنة » وهو من كتبه النفيسة في هذا الباب ، كما سأعود عليه في مجال آخر ، لألتقي به في كتابه « الجماهر في معرفة الجواهر » الـكتاب الذي يبرز فيه ما للبيروني من اطلاع واسع وتجارب فنية في علمي الـكيمياء والطبيعة .

كتاب الصيدنة :

لقد حصلت على المخطوطة من مكتبة المخطوطات في المتحف العراقي ، وصورها المجمع العلمي العراقي ، وتقع مخطوطة كتاب الصيدنة في سبع وعشرين واربعمائة صفحة ، وكتبها ابراهيم بن محمد بن ابراهيم التبريزي المعروف بغضنفر وكان ذلك في اواخر سنة ٦٧٨ هـ . ويذكر الناسخ أنه كان على ظهر الورقة الاولى من النسخة التي نسخ عنها نسخته بخط الشيخ الامام الفاضل ظهير الحق ابي المحـامد محمد بن مسعود بن محمد الزكي الغزنوي ما صورتـه « النسخ الموجودة كلهـــا منقولة من السواد وكان السواد بخطي الشيخين رحمها الله وهما الشيخ أحمد النهشعي والاسـتاذ ابو ريحان البيروني ومتن السواد بخط الشيخ أحمد لذكر أدوية مشهورة موجودة في الـكتب كلهـا وحواشيه بخط الاستاذ (البيروني) مقرمطـاً مشوشاً على سطور مختلفة الاوضـاع وحروف منقوصة لشرح تلك الادوية ولذكر ادوية

غريبة وشرحها بالاسامي المختلفة والمعاني المتفاوتة فلذلك جاءت النسخ كلها مختلفة الكلمات بالزيادة والنقصان والتصحيف والتحريف والترتيب والتبويب الا نسخة نقلتها وقابلت هذه النسخة بها بعون الله وتوفيقه تداولت الايام بالنوبة لمحمد بن مسعود بن محمد الزكي في سنة تسع واربعين وخمسمائة فتصفحه وكان كاتبه مصحفاً فصحح المقابلة وكان بعض الكلمات في السواد مقطوعة الباقي لتقويس الكتابة فلذلك جاءت بتراء « فيستطرد ويقول » انتهى كلام الامام محمد الغزنوي فيما حكاه من حال هذا الكتاب وكانت الحواشي المكتوبة في هذه النسخة كلها ايضاً بخطه رضي الله عنه » .

[illegible]

[illegible] وهذا انما

[illegible] قشرة [illegible] فيه النعناع

[illegible] انه [illegible] رطوبة [illegible] باليد

والقيء [illegible] عند الشيخ [illegible]

شبيه [illegible] الفرس [illegible] في ابتداء كونه اخضر ثم

يحمر. وقشره [illegible] ابيض [illegible] رطوبة بائنة

مرة وبلغماً اذا شرب منه عشرون حبة [illegible] واذا شرب [illegible]

العرق [illegible] ولذلك ينبغي ان يشرب مع الدقيق او السويق او في

[illegible] وهو

[illegible] قياروس فانه ينبغي [illegible]

[illegible] (الاراق) في مواضع كثيرة [illegible]

[illegible] الحبة [illegible] شريفة جليلة القدر

ذكرها [illegible]

دائه [illegible] هذه الحبة [illegible].

(ترمس) هو اسم [illegible] عند الروم، راجع ما كتبناه في هذه الكلمة.

تيل. هو [illegible] باليونانية [illegible] بالعربية [illegible] النجيل

[illegible] ابو حنيفة

النجيل [illegible] كورق البر [illegible] ونباته [illegible] الارض [illegible]

[illegible] كالابرة [illegible] له عقد كثيرة [illegible]

[illegible]

[illegible] وقيل النجيل نبت [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible].

يستهل البيروني كتابه الصيدنة بعد مقدمة قصيرة بخمسة فصول قصار ، خص الفصل الاول بالتعريف اللغوي لكلمة صيدنة وصيدناني ، ويذكر أن هذه الكلمة عربت من لفظة « جنـدل » الهندية ، ويقول أن ولوع الهنـد بالصندل يفوق ولوعهم بسائر اهضام العطر وافواه الطيب ويسمونه « جنـدن » و« جندل » وكان باعة الصندل من العطارين الذين يجيـدون مزج العطور والادوية ويقال لمفردهم جنـدناني ، وقد اعتاد العرب قلب حرف (ج) الاعجمية الى حرف الصاد واورد أمثلة عديدة لذلك كالصين مثلاً وهـكذا اصبحت لفظة (الجندنة) صيدنة ويطلق على من يمتهن هذه المهنة صندناني ، ولو أن البيروني نفسه يفضـل كلمة الصيدلاني على الصيـدناني حيث يقول في الصفحة الرابعة من المخطوطة « الصيدنـة اعرف من الصيدلة والصيدلاني اعرف من الصيدناني وهو المحترف بجمع الادوية على احمد صورها واختيـار الاجود من انواعها مفردة ومركبة على افضل التراكيب التي خلدها مبرزوا أهل الطب وهذه أولى مراتب صناعة الطب اذا كان الترقي فيها من سفلاها الى العليا ... الخ » .

وضمن الفصل الثاني الادوية والعقاقير ويذكر أن كلمة العقاقير قد جاءت من اللغة السريانية حيث أن الجرثومة والارومة تسمى في السريانية عُقـارا ، وصنف البيروني العقاقير الى ثلاثة أنواع ، الادوية والاغذية والسموم ، منها ما هو مفرد وآخر مركب فقد يكون العقـار دواءا غذائيا ، او دواءاً سميا ولا يحسن تركيبها الا الطبيب البارع المجرب الذي يستطيع تخفيف وطأة السم على الجسم ، بمزجه مزجاً صحيحاً مع الدواء ليحصل الجسم على الفـائدة المطلوبة ، وقد اشاد بحذق اطباء السموم في الهند حيث يصرف طبيب السم كل همتـه الى هذا الفرع من الطب ، كما يختص الكحال والجراح والفصاد كل في مجال عمله ، واعترف البيروني بأنه لم يشهد طبيباً من المعروفين بالمداوين بالسموم الا أنه قرأ في كتب كثيرة عن دلائلهم واحوالهم في كتب احكام الهند النجومية اسوة باحـوال الدهاقين والجنديين والتجار .

ويتطرق البيروني بالفصل الثالث الى تعريف الصيدنة فيقول « هي معرفة العقاقير المفردة باجناسها وانواعها وصورها المختارة لها وخلط المركبات من الادوية بكنه نسخها المدونة أو بحسب ما يريد المريد المؤتمن المصلح فان الذي يعلوها في الرتبة هو معرفة قوى الادوية المفردة وخواصها ولو كان لما حصل منه بطول التجربة وتسليط القياس عليه « ثم يشير على الصيدلاني بالتعرف على ما كتبه « ديستوريدس » وما أضاف وجدد « جالينوس » ويحث الصيدلاني على الاطلاع على ما جمعه كل من الاطباء المحدثين ـ على حد قوله ـ امثال يحيي بن ماسويه ، وما سرجويه ومحمد بن زكريا ـ ويقصد به الرازي ـ وابى زيد الارّجاني.

ويشترط البيروني في الصيدلاني الناجح ان يجيد امرين احدهما الحذف والآخر التبديل وقد اوضح الحذف بأنه نقصان عقار واحد من الدواء المركب ، وهو يوصي الطبيب ان يصف الدواء الذي ينقصه عقار واحد اذا لم يتوفر لديه ذلك العقار ويعتمد في ذلك على فعل العقاقير الاخرى التي يحتويها الدواء ، فيقول ان عوز الطبيب الى عقار واحد في دواء مجرب يجب ان لا يحول دون اعطائه للمريض ويحرمه الانتفاع منه ، ويمثل لذلك بأن اليد التي ينقصها اصبع واحد تتمكن من المسك والقيام بالاعمال الاخرى ، كما أن الرجل الاعرج يستطيع قطع المسافات ولو استغرق في ذلك وقتا أطول مما يتطلبه الرجل السليم ، وهكذا يقول بأن فائدة الدواء الناقص ليست كفائدة الدواء التام ولكنها على كل حال فائدة . اذ لابد لبقية العقاقير من فعل مفيد في ازالة علة المريض . أما التبديل فهو أصعب من الحذف اذ يتضمن نقصان مركب بكامله او بعض عقاقيره ، فاذا كانت مكونات المركب غير متوفرة ولكن مماثلاتها التي يكون فعلها اقل من المكونات الاصلية بين يدي الصيدلي فعليه ان يركب الدواء من المثيلات في النوع بالرغم من رداءة نوعها اذا ما قورنت بالمكونات الاصلية . فيقول البيروني في هذا الباب ما نصه « اما الذي يختلف في النوع فهو أن الاشياء تختلف في معادنها ومنابتها بسبب التُربِ والماء والهواء وتتباين بالنيقة من جهة جانيها ومستنبطها ومقتنيها فتجود في بعض البقاع وتردؤ في بعض وللجيد منها الى رديئه

نسبة ما في المشاكله ولا يبلغ تباعد ما بينهما الى المضادة فانعدم جيده كان ذلك الردىء اولى ان يبدل به وأحق ان يستعمل ولا يحذف اصلا » .

ثم يستطرد البيروني فيطلب من الصيدلاني تغيير نسب مكـونات الدواء حسب قـوة كل عقار بمفرده على ان يراعي في ذلك الحفاظ على مشاكلة الدواء الاصلي من حيث القوة ، ويقول في هذا « ولا يبعد ابدال الاجزاء بعضها ببعض من اصل وساق وغصون واوراق وزهر وقشور وثمار وبذور وعصارات وصموغ والبان » .

وقد يضطر الصيدلاني الى تبديل عقار أو دواء مركب بآخر يغايره في الجنس وليس في النوع وهذا التبديل يحتاج الى معرفة اكيدة وخبرة طويلة وتجارب عديدة اذ لا ينفرد العقار في فعل واحد في الجسم بل ان منها ما يؤثر في اكثر من فعـل واحـد قد يفيد في موضع ويجلب الضر في مواضع اخرى ، وعلى من يقوم بهذه العملية ان يكون ملماً الماماً شاملا بالادوية والعقاقير وفعل كل منها في جميع مواضع الجسم . ويقول البيروني عن هذا التبديل بأنه ما زال في مراحله الاولى وغير متكامل ، فيشير على الاطبـاء ان ينهضوا بهذا الفرع من الصيدنة عن طريق التضلع بالعلم والتجربة ليكون باستطاعـة الصيدلاني الامين تقديمه للمرضى . ثم يثني في آخر الفصل على اطباء اليونان وما قدموه من فضل وعلم في هذا المضمار وخص قسما منهم بالذكر والمديح .

وفي الفصل الرابـع ذكر البيروني مآثر اللغة العربية وجمالها وسعتها كما اسلفت ، ويذم الفارسية ويعتبرها غير صالحة لـكتابة العلوم فيقول « وسيعرف مصداق قولي من تأمل كتابَ علم قد نقل الى الفارسى كيف ذهب رونقه وكسف باله واسود وجهه وزال الانتفاع به ، اذ لا تصلح هذه اللغة الا للاخبار الـكسروية والاسمار الليلة » .

وتـكلم في الفصل الخامس عن ولعه في العلوم والمعرفة وطرائق الحصول عليها من منابعها الرئيسية والتثبت منها ، وامتدح من يجيد لغـات عـديدة ، ويقول عن نفسه انه يعرف العقاقير والادوية في اكثر اللغات المعروفة فهو يجيد العربية والفارسية والسريانية

واليونانية والتركية وعدد من اللغات الهندية وهنا يأخذ على اللغة العربية بعض المآخذ كالتشابه الموجود بين بعض حروفها ، والنقاط التي قد تغير الكلم ان لم تثبت في مواضعها، وعلامات الاعراب التي يؤدي عدم كتابتها في بعض الاحيان الى اختلاف كبير في المعنى مما يربك القارىء ويحول دون فهمه المعرفة فيها كاملا . ويورد البيروني مثلا يوضح فيه اهمية معرفة الدواء في جميع اللغات التي كتبت بها الصيدنة فيقول « واتذكر أن احد امراء خوارزم اعتل وانفذ اليه من نيسابور نسخةدواء لعلته وعرضت على الصيادنة فلم يهتد لعقار واحد فيها الا واحد منهم ذكر انه عنده فاشترى منه بخمس مائة درهم صرف خمسة عشر واخرج اليهم أصل السوس فاستنكروه وقال ما بعثكم الا ما حملتموه من الاسم دون الجسم » ... ويورد كيف قام بتأليف كتابه الصيدنة معتمداً في ذلك على مصادر عديدة ويخص منها كتابي الرازي في الصيدنة ، اضافة الى ما اجتمع لديه من معرفة عن مشاهدة ودراسة ، وينهي الفصل بشرح طريقة ترتيب الادوية والعقاقير فيقول « وقد نحوت في الترتيب حروف المعجم دون حروف الجمل لأنها بين الجمهور اشهر . ثم جعلت المعتبر في كل باب اعراب الحرف الاول من الاسم فلا يتقدم مكسوره على مفتوحه ولا مضمومه على مجروره وولاء حروف المعجم في الحرف الثاني من الاسم قصداً مني في تسهيل وجود المطلوب وما كان من بزر أو حب أوحجر يضاف الى اسم ، ولم ينفك عنه كبزر قطونا كان الاعتبار فيه بالبزر دون قطونا وان ذكر وحده مستغنياً عن البزر كان الاعتبار به أولى» . هذا وقد انتهى من المقدمة والفصول الخمس القصار باثنين وعشرين صفحة .

وقد صنف المواد تصنيفاً مشابها لما سجله الرازي [٣٠] وذكر اغلب المواد التي اوردها الرازي في كتابي سر الاسرار والحاوي واشار الى المصدرين نفسيهما ، واعتمد في ذكر الادوية النباتية والنباتات الطبية على أبي حنيفة الدينوري وجعله المصدر الرئيس وذكره في كتاب الصيدنة مرات عديدة ، واعتمد في الكتابة عن الحيوان ومنتجاته والاحجار والاملاح ، والمعادن والاصباغ على مصادر كثيرة لعدد كبير من المؤلفين كالجاحظ

وجالينوس وحنين وارسطو وثابت بن قره وابن ما سويه واورباسيس فيقيديس وابن دريد والاهوازي وابن معاذ والدمشقي وابي الخير وابن ماسه وابي جريج والكندي وابي نصير النيسابوري وغيرهم [٣١] .

وحين يكتب البيروني عن مادة من المواد يذكر اسمها بلغات عديدة ثم يبدأ بوصفها ان شهدها بنفسه ، او يشير الى المصادر التي استقى معلوماته منها وقد يذكر مصادر عديدة في شرح مادة واحدة ، ويوجز احياناً في شرح المواد التي لا يعرفها معرفة جيدة ولم تتوفر لديه مصادر عديدة عنها ، كما ويختصر في الكتابة عن المواد المألوفة واليك بعض النماذج .

ففي الصفحة الاربعين من المخطوط يقول عن الاراك « شجر معروف يستاك بقضبانه ، وثمره البريرة ، واذا كان غضاً فهو المرْد قال أبوحنيفة للاراك ثلاث ثمرات الكباث ضخام يكاد ان يشبه التين ، والمَرد ألين وا كثر رطوبة على لون الكباث ، والبرير كالجوز الصغار الا أن الحيوان والناس والسوائم يأكل جميعها وفيها حراقة على اللسان . وقال ابن الاعرابي : البرير والكباث جنسان فالبرير أعظم حباً وأصغر عنقوداً واعظمه يملأ الكف ويفوق الحمّص في المقدار وله عجم صغير صلب . والكباث فويق حب الكزبرة وكلاهما يبدو اخضر ثم يحمر ويحلو وفيه حراقة ، ويسود ويزداد حلاوة وليس للكباث عجم ، وعنقوده يملأ الكفين . وقال الاصمعي المرد هو الغض منه والكباث هو المدرك والبرير يجمعها .

وقال غيره : الكباث الذي لم يدرك والمرد النضيج وعلى تضاد هذه التفاسير فانها تخالف تصوير ابى حنيفة اياها فيوجب التساوى بين الانواع الثلاثة المذكورة وانها لا تختلف إلا بتغاير الاحوال الطارئة عليها بين النشوء والادراك » .

يلاحظ من هذا النص ان البيروني قد أورد ما كتب عن الأراك وينقل رأى كل مؤلف بأمانة واخلاص لاظهار التباين بين الاراء ثم يثبت رأيه الخاص في نهاية الحقل .

جميع قرنان [illegible] قابض، ولكن الأكثر فيه لا محالة القبض، والله أعلم [illegible]
منه حامضا ومنه حلوا ومنه قابضا، فيجب [illegible] [illegible]
كل نوع بحسب الطعم الغالب عليه. حب الرمان [illegible] قبضا من
عصارته واشد [illegible]، وقشوره [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] (وحس) الرمان الحلو ليس [illegible]
الطعم. والحامض [illegible] للمعدة [illegible] [illegible] الدم. (ابن
[illegible]) الحلو والحامض انما [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] البلغم
والمرة [illegible] [illegible] المعدة، واكثر ما يؤخذ منه [illegible] عشرة
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] فان هذا يقارب [illegible]
([illegible]) واما الحلو [illegible] [illegible] [illegible] الطعام عن
فم المعدة اذا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] واما الحامض [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الكبد
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] من
[illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
صاحب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
([illegible]) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
(ومما [illegible]) [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

وحين يكتب البيروني عن الاربيان الحيوان البحري المعروف والذي تسميه العامـة (بالروبيان) نقلا عن الفارسية يقول فيه معتمداً على مشاهداته دون اللجوء الى مصدر آخر « الاربيان هو حيوان بحري كثير الارجل دقاقهـا شبيهة بعروق البصل ، ذو ذنب قصير وجلد رقيق كالقشرة عديم الدم يسمونه جراد البحر ويستطاب طعمه ويحمل الى البلدان لذلك ولمعونتـه على الباه واذا اصطيد كان على طوله وهو قـدر اصبع ، ومتى رش بماء الملح انقبض واستدار ومات . وحينئذ يوضع ببراني الزجاج كالاطراق ويأكله النصارى في أيام صومهم .

وقد يذكر البيروني بعض المواد باللغة الفارسية او غيرها اذا عم ذلك الاسم بين الناس ثم يورد الاسم باللغة العربية والسريانية وغيرها ففي الصفحة الثالثة والاربعين عند ما يتكلم عن كلمة « آزادْ دَرَ ّخت » يقول « هذا هو اسمه بالفارسية واما بالعربيـة فالسيسبانة وذكرها بن الحجاج في شعره » ويورد الابيـات اللازمة من الشعر ثم يستطرد ذاكراً المصادر فيقول « وقال بشير بن عبد الوهـاب : بالفارسية آزاد درخت وبالسندية زلم وبالعربية علقم » ثم يبدأ بشرح النبات نفسه معتمداً في ذلك على مصادر عديدة ويعدد انواعه وما كان ساماً منه وخص هذه الكلمة وحدها بثلاث صفحات .

ثم يتكلم عن الاسرنج المعروف الآن باوكسيد الرصاص الاحمر « $Pb_3 O_4$ » وكيف تؤثر النار فيه ، اضافة الى فعل الكبريت المنصهر ، أو بخاره في الاوكسيد ويصف طرائق هذه التجارب وتغير لون الاسرنج في كل تجربة .

ويوجز كثيراً في وصف المواد المعروفة لدى عامة الناس واليك بعض النماذج :

بُلْسُن : وقال فيه انه العدس وهذا ايضاً مشهور وخاصة عند أهل مكة .

خزامي : خيرى البر ويسمى بالسجزية كل نامه .

جوز هندي : هو النارجيل .

حجر البلور : افروسالينوس ، زبد القمر ينفع من الصرع .

حجر فرعون : الرسائلي ، بدله حجر الفضة .

حجر الدم : حجر أحمر اذا حك به الانف قطع الرعاف في الحال وهو يميل الى البياض ، وبهذه المناسبة اقول إن هذا الحجر قد اسماه الرازي « بالساذنج » وهو اوكسيد الحديديك « Fe_2O_3 » ولونه أحمر غامق يقرب من لون الدم المتخثر حديثاً (٣٢) .

حديد : قال (بولس) بدله صدأه المسمى زعفراناً وخبثه او قشوره المسمى (توبالا) .

خل : بالرومية اوكسوس وبالسريانية خلا ، وبالفارسية سك .

العذرة : بالسريانية (زبلاد بنيناش) .

العمرّد : قيل هو الكرفس .

الفضة : بالرومية « ارجوريبا » وبالسريانيه « سيما » وبالعربية اللجين .

وفي الكتاب عدد لنباتات أو حيوانات واحجار يكتفي البيروني بالاشارة اليها اشارة قصيرة يقصر المجال عن الاحاطة بها ، ولكنه يطنب في تفسير المواد الاخرى ويذكر ما تيسر لديه من المصادر ، وأورد في هــذا المجال بعض الامثال على ذلك ففي الصفحة تسعين ومائتين يصف حب الغار كما يأتي :

حب الغار : بالروميةارقو نيدوس بشر ، بالفارسية «دهمست » وبالسندية « شنكر » حب في قدّ اللوبيا أبيض الى الصفرة محدد الرأس دهين متفلّق . الارجاني : يقال لحبه « حب الدهمست » شكله شكل البندق الصغار عليه قشور دقاق اذا غمزت عليه انفلق فلقتين صلبتين اسوديضرب الى الصفرة طيب الرح ، عطر دهين . الرازي يشبه لب الفندق عليه قشور سود وباقي القصة على ما وصفها الارجاني وزاد : اذا كسرته تدبق اليد منه الحاوي : يقال لورقه « دهمست » . أبو حنيفة : هو شجر عظام له ورق الملول من ورق الخلاف وثمر اصغر من البندق اسود القشر له لب يقع في الادوية ، وورقه طيب يقع في العطر وثمره هو « الدهمست » وهو عجمي واهل الشام يلثمون خوابي الشراب به لطيبه

ويزعمون أنه يدفع الآفات عنه ويسمونه الرند ارباسيس : ذا فني قليني الارجاني : بدل ورقه « التمام » اليابس ، ابن ماسويه دهن الغار بدله مرتين حب الغار ومرة فستق .

واوردت المثال السابق لكثرة ما أورد البيروني من مصادر عن الغار واختلاف بعضها عن البعض الآخر ، ثم يأتي على ذكر الكمأة ويفرد لها ثلاث صفحات ويصفها وصفاً دقيقاً فيقول إنها توجد من غير زرع ، ومعناها بيضة الارض وبيضة البلد وماؤها شفاء للعين ويعدد أنواعها ، ويشير الى النبات الذي ينبت بقربها فيهتدى اليها بواسطته .

ويتكلم البيروني عن النورة ويعدد اسماءها في مختلف اللغات ويقول إن بعضهم يسميها الكلس وسميت بالنورة لأنها تنير البدن وتبيضه ثم يتكلم عن النوشاذر ويصف طريقة تكوينه لا سيما الطريقة التي ذكرها الهنود من أنها تتكون من الدمن والتي تتعفن، وفي هذا كثير من الصحة اذ أن المواد العضويه تتفسخ ويتولد غاز الامونيا (غاز النشاذر) نتيجة لذلك فاذا ما كان الغاز رطباً وعلى اتصال بغاز ثاني اوكسيد الكاربون تتكون كاربونات الامونيوم وهى ملح من املاح النشاذر ، ثم يضيف حقيقة كيمياوية اخرى بقوله « النوشاذر يبرد الماء وان جعل ماؤه في ثلج جمّده » ومن الجدير بالذكر ان املاح الامونيا هى من الاملاح القليلة المعروفة بامتصاص الحرارة عند ذوبانها في الماء وبذلك يكون المحلول بارداً .

وتمكن البيروني من التمييز بين الاصباغ النباتية التي تذوب في الماء وتلك التي لا تذوب في الماء بل تذوب في المواد العضوية كالزيوت ويذكر تحت كلمة واشـه : وسمي عروق الصباغين وبالسجزية « ينجوشك » وهو عروق تلتف ولا تحمر الماء وان طبخ فيه وانما يحمر الدهن فيستعمل في القناديل » .

وأورد البيروني طريقة لتحضير الزنجار كاربونات النحاس القاعدية وقال إنها تستعمل دواء للعين وذكر طريقة للتمييز بين هذه المادة وكبريتات النحاس وقال إن الاولى تتحول الى مادة حمراء غامقة عند تسخينها تسخيناً شديداً ويشير بذلك الى الحقيقة الكيمياوية

ومنه يجلب النوشادر شعر أو

شعرين ثم يجتمع اهل البلد ويأخذونه حول الغار

ويقسمونه بعد خمس السلطان، ويعمل الكلبوثيون من شعر

الناس نوشادراً، وسمعت بعض الهند يقول إن الدخن

التي تجتمع على أبواب قراهم لاحطاب ربما يقع فيها نار

فتأخذ في الاحتراق زماناً الى ان تطفى وتخمد، فاذا بحث فتش

، يوجد فيه النوشادر الكائن قبل النوشادر بعد الماء،

وان جعل ماؤه في ملح جمزة ابن ماسويه بدله مثلبه

ملح جزد.

النيلوفر . أبو حنيفة هو الجرجير عشبة

تطول في الماء لها وردة حمراء وورقها عريض والناس

يأكلونها .

نيلوفر . بالسريانية "نيلوفا" واصله

نيل نيلوفل وبالفارسية "نيلوفر" وقيل "نيلوبرك" قيل

النيلوفر والجيري وورد الشمس ويسمى ورد المجوس والمرشتك

يدور مع الشمس ونيلوفر في الليل مثل الشمعة يرى احمر

خمرياً وبارض الهند لا يكون منه غير الاحمر والابيض،

ويسمونه يدم، ديسقوريدس الاصفر الزهر الابيض الاصل

اقوى من الاسود الاصل، وبخوارزم يكون ابيض منتن الرائحة

وأصفر قيل أنه الأجود والأصفر لا يكون على هيئة النيلوفر

بل يشابه الخيري الأصفر بصفرة أوراق ورده. وقال

الخوزي أصل النيلوفر الهندي في التنويم فوقه كقوة البنج وبح

هذا قياس لا يصح فإن الهند يتخذون من أصله القلايا

ويأكلونها ويتنقلون بجزره ولا يضرهم ذلك. والبنج

بعد ما قاله

قال ديسقوريدس.

نيفيا. ينبت في الآجام والمياه القائمة

فيظهر على وجهها ومنه ما يكون داخل الماء زهره أبيض

كالسوسن ووسطه زعفراني.

نبال. من عُقد مغوز ولا شكوك إلى الحمد

هو موز يزرع النيل ويجلب في البحر من السواحل الشرقية

ويسمى أجوده دانجيك وبنواحي كلود ولوماوز وأجوده

من لامغان وهو شائع لا يتسوس على الأيام ولا يفسد

النيل هو العظلم وهو حشيشة الوسمة شجرة من اليمن

تنبت محركة ويهدم خضرتها وعصارتها إذا جفت والنيل

والسندوس ومنه قيل للكساء الأخضر سندس وعلى

كثرته بأرض العرب لا يتخذونه ولكن بالهند لقوة ذلك

ويخلط به طبيخ القوة ثم يجمد وقبول القوة من عند ما

فليس هذا قوة. وقال بعض الأعراب العظلم هو الوسمة

المعروفة من ان كاربونات النحاس تتجزأ بالتسخين الى اوكسيد النحاس وثاني اوكسيد الكاربون ، اما كبريتات النحاس فلا تتجزأ تحت هذه الظروف بل تفقد ماء تبلورها جزئياً أو كلياً حسب درجة الحرارة ولكنها لا تلبث ان تعود الى ماكانت عليه عند تعرضها للهواء وذلك لامتصاص بخار الماء الموجود في الجو ، وتستعيد لونها الازرق المخضر .

وفي مكان آخر يتطرق البيروني الى ذكر الطباشير « كبريتات الكالسيوم اللا مائية » ويصفه وصفاً دقيقاً وفق ما ذكرته المصادر .

واشار البيروني الى كلمة الزئبق في نهاية الوصف «واحجاره حمر تنشق في الكور فيسيل الزئبق منها » . وبهذه المناسبة اود ان اقول بأن هذه الطريقة لتحضير الزئبق هي التي استخدمها لافوازيه العالم الفرنسي الشهير في نهاية القرن الثامن عشر في تحضير الاوكسجين ودراسة خواصه فقوض نظرية الفلوجستون وفتح باب علم الكيمياء الحديث لذلك سمي حقاً بأبي الكيمياء الحديثة . اذ يتحول أوكسيد الزئبق الاحمر الى زئبق يسيل كما ذكر البيروني . وغاز الاوكسجين الذي يتصاعد عند التجزؤ . وهكذا تمكن لافوازيه من جمع الغاز واجراء التجارب عليه ولو اهتدى البيروني الى وجود الغاز المتصاعد الى جانب سيلان الزئبق لقدم علم الكيمياء قروناً عديدة .

وختاماً اقول بأن البيروني قد اورد في كتابه الصيدنة معرفة لا بأس بها في علم الكيمياء وبعض الطرائق الكيمياوية كالتصعيد والتسامي والتقطير والتشميع والترشيح اضافة الى تحضير عدد من المركبات الكيمياوية ونسب الى نفسه ما قام به فعلا من التجارب وذكر المصادر التي استقى منها ونقلها بأمانة كما اشار الى ذلك في مستهل كتابه . واذا لم يكن الكتاب زاخراً في الامور الكيمياوية فذلك أمر طبيعي اذ جعل البيروني هذا

أفضل الزيت ما كان معتصراً من الزيتون النّجّ، وهو المسمّى
الانفاق، قابض دابغ للمعدة صالح للمجذومين وخاصة
إن غسل، فأما المعتصر من النضيج فحارّ، وذكر فيه ذنب الفارة
وفي الجبال الافغانية زيتون بري صغير الحب يلعونه
في الدهن ويسمونه "شولني" والمولتانيون يسمونه "كوه"
والزيت المنقّى المطيب تطبخ الرياحين فيه، والقَضْب هو
منقى
القتّ عند أهل مكة، والسليط الزيت، قال النابغة:

مضيء كضوء السراج السليط
لم يجعل الله فيه نحاسا

أي دخاناً، وقيل السليط دهن السمسم، وقيل
السليط دهن السراج كيف ما كان، قال (عبد الله بن
صالح بن علي) الزيتونة تبقى ثلاثة آلاف سنة، وذكر
(أبو الخير) أيضاً عند ذكر زيتون الماء: الزيتون المربّب
الزيتون المكبوس في الخل، والأبيض المكبوس في الملح
وهو الزيتون الماء ما رُبّب بالملح والماء، أسه الذهبي ومنه
الأبيض غير المستحصف، وقيل الرطوبة السائلة من خشب الزيتون
الملتهب تبرئ الجرب والقوباء، وقال صاحب اليافرنة
العتم هو الزيتون البري، بولس: بدل الزيت العتيق مثله من الحديث
مغلي بشحم خنزير عتيق، وزيتون الانفاق هو المعصور.

ص ١٢٧

من الفج (بولس) بدل صمغه عصارة الطراثيث (أو ربما حب) شجرة الزيتون الاول (؟) وديسقوريدس الزبد يقوم مقام الزيت في دفع السموم .

زيتر . يعرفه اهل الشام بهذا الاسم وهو حيوان يضر في الزيتون .

زئبق . بالسريانية «زيبوغ» وبالهندية «بارج» ، وبالفارسية «سيماب» (جالينوس) ليس لي به تجربة ومن الاشياء ما نضر بالانسان وان قل «كدودة الصنوبر والعنوب» والزئبق «دواب السموم والقيطر وعنب الثعلب القاتلين» والزئبق يسمى «الذارع» واحجارة تحرق تشوى في الكور فيسيل الزئبق منها .

الزئبق اللاوي هو الليبوس .

حرف السين

سادج . حكى الخشكي (؟) أنه عند كند بيره (الرازي) يتوهم انه ورق الناردين الهندي لشبه رائحته إياه وذلك غلط فان الفوة والاسارون والوج تشبه رائحتها رائحة الناردين ، والسادج يجلب من ارض الهند يجتنى من اماكن حمئة ويظهر على وجه الماء بمنزلة عدس الماء ، ليس له

الكتاب للصيدنة حسب وجاءت الطرائق الكيمياوية فيه عرضاً رغم اهميتها من حيث المعرفة العلمية . الا أنه برز في الكيمياء في كتابه الموسوم « الجماهر في معرفة الجواهر » وسيكون لي موعد مع البيروني في هذا الكتاب في المستقبل القريب ان اراد الله .

الاثنين اليوم الثامن من شهر ذي الحجة عام ١٣٨٨ هـ الموافق الخامس والعشرين من شباط عام ١٩٦٩ م .

الدكتور فاضل الطائي

المصادر

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الرابع ص ٣٩٧

٢ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء ، لابن ابي اصيبعة ، تحقيق الدكتور نزار رضا ، مكتبة الحياة ص ٤٥٩ .

٣ ـ كتاب ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ، المعروف بمعجم الادباء أو طبقات الادباء لياقوت الرومي ، تحقيق د . س . مرجليوت . الجزء السادس ، الطبعة الثانية ص ٣٠٨ مطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٣٠ .

٤ ـ الاعلام ، لخير الدين الزركلي ، الجزء السادس ، الطبعة الثانية ص ٢٠٥ .

٥ ـ دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الرابع ص ٣٩٩ .

٦ ـ مقدمة في تاريخ العلم ، سارتن ، الجزء الاول ص ٧٠٧ ـ ٧٠٩ .

Introduction to the Histcry of Science, Vol. l. p. 707-709, by George Sarton.

٧ ـ العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي ، الدوميلي ، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى ومراجعة الدكتور حسين فوزي ، دار القلم ص ١٩١ .

٨ ـ كتاب الصيدنه لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني ـ مخطوط ـ مكتبة المخطوطات للمتحف العراقي ١٩١١ . ص ١٧ ـ ١٩ .

٩ ـ معجم الأدباء أو طبقات الادباء ، ياقوت الرومي ، تحقيق مرجليوت . ج٦ ، ط ٢ ، ص ٣٠٩ .

١٠ ـ العلم عند العرب ـ الدوميلي ـ دار القلم ص ١٩١ .

١١ ـ العلم عند العرب ـ الدوميلي ـ دار القلم ص ١٩٠ .

١٢ ـ مقدمة في تأريخ العلوم ـ جورج سارتن (فياللغة الانكليزية) الجزء الاولص٧١٨.

١٣ ـ تأريخ مختصر الدول ، لابن العبري ، المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٠ ، ص ٣٢٤ـ٣٢٥ .

١٤ ـ ارشاد الاريب الى معرفة الاديب ـ ياقوت الرومي (الحموي) تحقيق مرجليوت ج ٦ ط ٢ ص ٣١٠ .

١٥ ـ العلم عند العرب ـ الدوميلي ـ دار القلم ص ١٨٩ .

١٦ ـ البيروني ـ تأليف الدكتور محمجمال فندي والدكتورامام ابراهيم احمد ـ دارالكاتب العربي للطباعة والنشر ١٩٦٨ .

١٧ ـ العلم عند العرب ـ الدوميلي ، دار القلم ص ١٩١ .

١٨ ـ معجم الادباء او طبقات الادباء ـ ياقوت الحموي ، تحقيق مرجليوت ، ج ٦ ، ط ٢ ص ٣٠٩ .

١٩ ـ الاعلام ، خير الدين الزركلي ، الجزء السادس ، الطبعة الثانية ، ص ٢٠٥ .

٢٠ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ المجلد الرابع ، ص ٣٩٩ .

(٢٠) ـ البيروني ـ (راجع المصدر ١٧ ، ص ٢٧) .

٢١ ـ معجم الادباء أو طبقات الادباء ـ ياقوت الرومي ج ٦ ، ط ٢ ، ص ٣٠٩ .

٢٢ ـ مقدمة في تأريخ العلم ـ جورج سارتون . الجزء الاول ، ص ٧٠٩ .

٢٣ ـ العلم عند العرب ـ الدوميلي ـ دار القلم ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

٢٤ ـ منشورات المؤتمر العلمي العربي الخامس (ببغداد ٢٧ ـ ٣١ مارت سنة ١٩٦١ ، قدري طوقان ، ص ٥٨) .

٢٥ ـ عيون الانباء في طبقات الاطباء لأبن أبي اصيبعة ، تحقيق الدكتور نزار رضا ، مكتبة الحياة ، ص ٤٥٩ .

٢٦ ـ البيروني ـ راجع مصدر (١٦) ، ص ٢٨ .
٢٧ ـ منشورات المؤتمر العلمي العربي الخامس الذي عقد في بغداد بين ٢٧ ـ ٣١ مارت ، قدري طوقان ، ص ٥٤ .
٢٨ ـ البيروني ـ راجع مصدر (١٦) ، ص ٢٩ .
٢٩ ـ العلم عند العرب ـ الدوميلي ، ص ١٩١ ـ ١٩٢ .
٣٠ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد السادس عشر ، ص ١١٨ ـ ١٢١ ، عام ١٩٦٨ .
٣١ ـ كتاب الصيدنة لأبي ريحان البيروني (مخطوط) ، مكتبة المخطوطات للمتحف العراقي رقم ١٩١١ .
٣٢ ـ راجع المصدر (٣٠) ، ص ١٢٠

تتمة واستدراك على مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية

الدكتور مصطفى جواد

وصل إليّ المجلد الرابع عشر من مجلة مجمعنا العلمي العراقي في الاسبوع الأول من آذار هذه السنة ، فطالعته على شدة مرضي المعضل وسرني ما رأيت فيه من مقالات مفيدات ولا سيما المقالة البارعة « مصادر دراسة خطط بغداد في العصور العباسية » من مباحث الزميل الدكتور الفاضل صالح أحمد آل علي، فانها جمة الفوائد ، وقد حدتني على أن اسطر ما يكون تتمة لها واستدراكاً ، وأحسب الزميل الفاضل ينشرح صدره وترتاح نفسه لكل فائدة جديدة ،كما هو عادة العلماء والفضلاء ، فأقول :

١ — نقل الدكتور الفاضل في الصفحة ١٥ من المجلد المذكور آنفاً أن أبا سعد السمعاني « ذيل على كتاب الخطيب البغدادي وان العماد الاصفهاني ذيل على كتاب السمعاني [١] ، وأن محب الدين محمد ابن النجار البغدادي ذيل أيضاً على كتاب الخطيب ، وأن تقي الدين محمد بن رافع المتوفى بحسب نقله سنة ٦٧٤ هـ ذيل على تاريخ ابن النجار ، وذيل على كتاب ابن النجار ايضاً أبو بكر المارستاني ، وأن ابن الساعي ذيل على تاريخ المارستاني ، وأن ابن الدبيثي ذيل على تاريخ السمعاني ، وأن ابن القطيعي ذيل على كتاب ابن الدبيثي » .

استخلص الزميل ذلك مما ذكره حاجي خليفة في مادة « تاريخ بغداد » في كتابه كشف

(١) ذكر حاجي خليفة في مادة « تاريخ بغداد » انه سماه « السيل على الذيل » وأنه في ثلاث مجلدات .

الظنون ، وفي كلام مؤلف الكشف خطأ ظاهر ينبغي تبيانه لئلا يبقى مزلّة للباحثين في تواريخ بغداد ، وهو أن أبا بكر المارستاني ويسمى أيضاً ابن المارستانية ألف تاريخه قبل تأليف ابن الدبيثي لتاريخه ، وقبل تاريخ ابن النجار فلا يصح كونه ألف ذيلاً على تاريخ ابن النجار ، قال ابن الساعي في وفيات سنة ٥٩٩ : « أبو بكر عبيد الله بن علي بن نصر بن حُمرة المعروف بابن المارستانية ، شيخ طلب علم الحديث واشتغل به وجدّ فيه واتّسم به وجمع وصنف ورسم كتاباً سماه (ديوان الاسلام) » ذكر في خطبته انه قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً ، فطوّل في ذلك تطويلاً يضيق العمر عنه ، لاجرم لم يتمّ [1]... » . وذكر ابن أبي اصيبعة انه « عمل تاريخاً لمدينة السلام سماه (ديوان الاسلام الاعظم) وكتب منه كثيراً ولم يتمه [2] » . وقال أبو شامة في ترجمته : « وصنف كتاباً سماه ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ، قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً إلا انه لم يشتهر [3] » ودافع عنه .

وقال ابن الدبيثي : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمرة (بالحاء المهملة والراء غير المعجمة) أبو بكر بن أبي الفرج المعروف بابن المارستاني ، أحد من طلب الحديث وسمعه وجمع الكتب المصنفات فيه واتسم بمعرفته ، وادعى الحفظ له وسعة الرواية (والنقل عمن لم يدركه) ولا سمع منه ، فأطلق ألسن الناس في جرحه وتكذيبه وإساءة القول في حقه ، من أهل هذه الصناعة والعلماء بها وانتسب الى أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ مع معرفة الناس به وبأبيه وبعدهما عن نسب مشهور ، غير خدمة المارستان ، فكان أبواه يخدمان بالمارستان ، وتعرف أمه بالمارستانية واليها نسب ، وأما أبوه فكان يعرف بفرج احد حواشي المارستان والقوام به . لايعرف بكنيته ولا يعرف بغير ذلك ، فغيّر ابنه هذا اسمه وكنّاه بأبي الفرج وسماه علياً ، ولعل قائلاً لو قال لأبيه : أتعرف أبا الفرج علي

(١) الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير « ج ٩ ص ١١٢ طبعة كاتب هذه السطور وتحقيقه » .

(٢) عيون الأنباء في طبقات الاطباء « ١ : ٣٠٣ » .

(٣) ذيل كتاب الروضتين « ص ٣٤ طبعة السيد عزة العطار » .

ابن نصر التيمي ؟ كما كان ابنه عبيد الله هذا يدّعي[1] لما عرف ذلك الشخص وهو نفسه . ومن العجائب أن عبيد الله هذا روى في شيء من تأليفاته في عدة مواضع عن أبيه هذا ويقول : أخبرني والدي أبو الفرج علي بن نصر ... ويذكر حديثاً وأبوه معروف ، كان عامياً غير معروف بطلب الحديث ولا بسماعه ولا يفهم الرواية ولا كان من أهلها ... وجمع مسوّدة كتاب سماه (ديوان الاسلام الأعظم) في تاريخ بغداد فكتب منه كثيراً ولم يتممه ولا بيضه ، ووقفت منه على شيء وقد ضمنه من غرائب الشيوخ له والروايات غير قليل ولو ظهر هذا الكتاب وتم لكان من اكبر الشواهد على تخرصه[2] ... » .

وقال الصلاح الصفدي : « عبيد الله بن علي بن نصر بن حمزة بن علي بن عبيد الله أبو بكر بن أبي الفرج التيمي المعروف بابن المارستانية ، هكذا كان يذكر نسبه ويوصله الى أبي بكر الصديق . قال محب الدين ابن النجار : ورأيت المشايخ الثقات من أصحاب الحديث وغيرهم ينكرون نسبه هذا ويقولون إن أباه وامه كانا يخدمان المرضى بالمارستان ... وادعى لأبيه سماعاً من أبي بكر محمد بن عبد الباقي وسمّعه منه ، وذلك باطل .. وجمع مجموعات من التواريخ واخبار الناس من غير طرقها من نظر فيها ظهر له من كذبه وخثه وتهوره ما كان مخفياً عنه ... قال ياقوت : وعُني بجمع تاريخ بغداد ، أزرى فيه على الخطيب وسماه (كتاب ديوان الاسلام الاعظم) قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً في كل كتاب اسماء توافق انسابها وطول في ذلك ، وله كتاب الحوادث ولم يتم وكتاب في الصفات ... وقد بالغ ابن الدبيثي في الطعن عليه وزاد في غلوه فيه والله اعلم بحقيقة الحال[3] » . وقال ابن النجار : « وقرأ كثيراً على المتأخرين وعلى مشايخنا وكتب بخطه وحصل الأصول ولم يقنع بذلك حتى ادعى السماع ممن لم يدركه وألحق طباقاً على الكتب بخطوط مجهولة تشهد بكذبه

(١) سقطت هذه الكلمة مني في النقل وقد وضعتها استرجاحاً ولعل الاصل « كما كان يسميه » ما أدري .

(٢) ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي« جزء خزانة كنبرج للصور في المجمع العلمي العراقي ، و٢٦» .

(٣) الوافي بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ و ٣٠٠ » .

وتزويره ... سمعت ابا الحسن بن القطيعي يقول : سمعت ابا الفرج بن الجوزي يقول : قال لي ابو بكر ابن المارستانية. مولدي في سنة إحدى واربعين وخمسمائة . بلغنا انه توفي في موضع يعرف بجرخ بند وكان راجعاً من تفليس قاصداً للأمير ابي بكر في ليلة الأحد غرة ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ودفن في ذلك الموضع [1] »

وذكره ابن الفوطي في الملقبين بفخر الدين إلا ان اسمه ولقبه سقطا من الجزء المخزون في المكتبة الظاهرية بدمشق ، فعرفتها من سيرته الباقية في كتاب ابن الفوطي ، قال : « ذكره شيخنا تاج الدين علي بن أنجب في تاريخه وقال : كان فقيهاً محدثاً مؤرخاً مفسراً وجمع وصنف ورسم كتاباً سماه (ديوان الاسلام) ذكر في خطبته انه قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً وطول تطويلاً يضيق العمر عنه ، لاجرم لم يتم [2] ... » . وقال زكي الدين المنذري المصري : « وذكر أنه سمع من أقوام لم يدركهم [3] » .

وذكره الذهبي في تاريخه الكبير ونقل من كتب عدة عن شيوخ ثقات أخبار تزويره وتدليسه ونهيهم عن الرواية عنه ، منها » قال ابن نقطة : حدثني علي بن احمد الزيدي أن ابن المارستانية استعار منه (مغازي الأموي) فردّها وقد طبق عليها السماع على كل جزء ، ولم يسمعها [4] » ، يعني انه كتب اسمه بين السامعين لها على أحد رواتها الاثبات مع أنه لم يسمعها .

وذكر ابن رجب نقلاً من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي أنه « صنف كتاباً سماه ديوان الاسلام في تاريخ دار السلام ، قسمه ثلاثمائة وستين كتاباً إلا انه لم يشتهر » . ونقل من تاريخ ابن القادسي أن له تاريخ مدينة السلام على وضع كتاب الخطيب وهو

---

(١) التاريخ المجدد لمدينة السلام « جزء المجمع العلمي المصور ، و ١٠٠ » .

(٢) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ القسم ٢ ص ٢٢٦ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « الجزء المصور في المجمع العلمي و ٤٠٦ » ،

(٤) تاريخ الاسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ و ١١٨ ، ١١٩ » .

كتاب نفيس، وقد ذكر فيه اقواما ، ذكر أنهم لايعرفون وقد عظمهم هو ووصفهم[1] » .
وقد انتصر له ابن رجب بسبب المذهب . واختصر اقواله ابن العماد في شذرات الذهب ٤ : ٣٤٠ » .

وفذلكة القول ان ابن المارستانية لم يؤلف ذيلاً على تاريخ ابن النجار وان تاريخه لم يتم ولم يخرج ، الا قسم منه ، وهو عرضة للطعن والشك . وقد مضى إزراء ابن النجار عليه .

وأما تاريخ ابن القطيعي فلم يكن ذيلاً على تاريخ ابن الدبيثي ، لأنهما كانا متعاصرين وانما كان ذيلاً على تاريخ السمعاني الذي هو ذيل على تاريخ الخطيب ، قال ابن رجب « محمد ابن احمد بن عمر بن الحسين بن خلف البغدادي القطيعي الأزجي المؤرخ أبو الحسن بن ابي العباس ، وقد سبق ذكر أبيه [2] . ولد في رجب سنة ست واربعين وخمسمائة ، وبكّر به والده واسمعه ... ثم طلب هو بنفسه وسمع من جماعة بعد هؤلاء وقرأ على الشيوخ وكتب بخطه ورحل ... وجمع تاريخاً في نحو خمسة أسفار ذيل به على تاريخ ابي سعد بن السمعاني ، سماه (درّة الاكليل في تتمة التذييل) رأيت أكثره بخطه وقد نقلت منه في هذا الكتاب كثيراً وفيه فوائد جمة مع أوهام واغلاط ، وقد بالغ ابن النجار في الحط على تاريخه هذا مع انه اخذ عنه واستفاد منه ونقل منه في تاريخه اشياء كثيرة ، بل نقله كله ، وقال : لم يكن محققاً فيما ينقله ويقوله ، وكان لُحَنَةً ، قليل المعرفة بأسماء الرجال ... ولما عمّر المستنصر مدرسته المعروفة به جعل القطيعي شيخ دار الحديث بها وكان ابن النجار بها مفيداً للطلبة وهذا من جملة الأسباب التي أوجبت تحامله عليه ... قال ابن النجار : توفي ليلة السبت لأربع خلون من ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وستمائة وصلي عليه من الغد

(١) ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٤٤٣ ، ٤٤٦ طبعة مطبعة السنة » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة « ١ : ٣٠١ » .

بعدة مواضع ودفن بباب حرب - رح - [1] ... » . وقال زكي الدين المنذري في وفيات سنة ٦٣٤ : « وجمع تاريخاً للبغداديين وحـدث وهو آخر من حدث ببغداد بصحيح البخاري كاملاً عن أبي الوقت سماعاً وتفرّد بالرواية عن غير واحد وهومنسوب الى قطيعة باب الأزج [2] المعروفة بقطيعة العجم [3] ... » .

وقال الصفدي : « وكان قد ذيل على كتاب التاريخ الذي عمله أبو سعد ابن السمعاني وأذهب عمره فيه ، قال ابن النجار : وطالعتـه فرأيت فيه من الغلط والوهم والتصحيف والتحريف كثيراً أوقفته على وجه الصواب فيه فلم يفهمه وقد نقلت عنه اشياء ونسبتها اليه ، ولا يطمئن قلبي اليها والعهدة عليه فيما قاله ، فانه لم يكن محققاً فيما ينقله ويقوله - عفا الله عنا وعنه [4] - » . ونقل هذا الكلام شمس الدين الذهبي ثم نقـله من كتابه ابن حجر العسقلاني ، ثم قال نقلاً من تاريخ ابن النجار : « سمعت عبد العزيز بن دُلف [5] يقول غير مرة : سمعت الوزير أبا المظفر [عبيد الله] بن يونس يقول لأبي الحسن القطيعي : ويلك عمرك تقرأ الحديث ولا تحسن أن تقرأ حديثاً واحداً صحيحاً » .

وترجم له ابن العماد في الشذرات مرتين الأولى باسم « أبي الحسن احمد بن محمـد » وهو خطأ واختصر كلام ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة على عادتـه في تراجم الحنابلة ، قال : « وجمع تاريخاً في نحو خمسـة اسفار ذيل به على تاريخ ابن السمعاني سماه (درة الاكليل في تتمة التذييل) وفيه فوائد جمة مع اوهام [6] » . ثم ترجم له في الصفحة ١٦٨ بايجاز بالاضافـة [7] الى الترجمة الاولى وقال : « ضعفـه ابن النجار لعدم إتقانه وكثرة اوهامه [8] » .

---

(١) ذيل طبقات الحنابلة « ٢ : ٢١٢ ، ٢١٣ » .
(٢) هي أرض مقبرة الغزالي الحالية بشرقي بغداد وما حولها .
(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالاسكندرية ١٩٨٢ د ج ٢ ص ١٩٤ »
(٤) الوافي بالوفيات « ٢ : ١٣٠ » .
(٥) في لسان الميزان « ٥ : ٤٧ » داق وهو تصحيف .
(٦) الشذرات « ٥ : ١٦٢ » .
(٧) أي بالنسبة لا بمعنى « زيادة على » .
(٨) الشذرات « ٥ : ١٦٨ » .

وقال أبو زكريا يحيى بن أبي بكر العامري الحرضي في حوادث سنة ٦٣٤ : « وفيها توفي أبو الحسن المؤرخ وهو محمد بن أحمد البغدادي المحدث ، أخذ الوعظ عن ابن الجوزي وهو آخر من حدث بالبخاري سماعاً عن أبي الوقت السجزي وضعفه ابن النجار [1] » .
وترجم له ابن الدبيثي وان لم يذكر وفاته لأن تاريخه في نشرته الثانية انتهى بسنة ٦٢١ قال : « محمد بن أحمد بن عمر بن الحسين بن خلف القطيعي أبو الحسن منسوب الى قطيعة باب الازج وتعرف بقطيعة العجم ، بكّر به والده وأسمعه في صغره ... وجمع تاريخاً لبغداد لم أقف عليه . سمعت منه اكثر صحيح البخاري وشيئاً عن أبي بكر الزاغوني [2] » ، وأما كون تقي الدين بن رافع قد توفي سنة ٦٧٤ هـ فليس بصواب لان وفاته كانت في سنة ٧٧٤ هـ [3] وهذا من السهو في النقل أو السرعة في الكتابة .

٢ — وجاء في الصفحة « ٢٠ » من المجلة في المقالة المذكورة ذكر الحسن بن محمد السكوني ومراجع ترجمته وقد فات الدكتور الفاضل ذكر لسان الميزان « ٢ : ٢٥١ » ففيه ترجمة له على وجه الجرح بالبداهة ، فالرجل قد تناوله لسان الميزان .

٣ — وجاء في الصفحة ٢٣ « أما إسماعيل بن علي الخطبي (٢٦٩ ــ ٣٥٠) فقد ترجم له [الخطيب] في الجزء السادس [4] (ص٢ ــ ٥) وذكر انه « صنف تاريخاً كبيراً على السنين ، وقد ذكر ابن النديم هذا الكتاب (ص ٢٤٢) ويبدو ان النقل جاء من هذا الكتاب » . قلت : وترجم له ياقوت الحموي في معجم الادباء ووقع في تاريخ وفاته فيه تصحيف فصارت سنة ٢٦٩ . وذكره أبو سعد السمعاني في « الخطبي » من الأنساب [5] وأبو الفرج بن الجوزي في المنتظم « ٧ : ٥ » وكلا الاخيرين اختصر كلام الخطيب ،

---

(١) غربال الزمان في وفيات الأعيان « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٣ و ١٨١ .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب المذكورة ٥٩٢١ و ٢٠ » .

(٣) الدرر الكامنة « ٣ : ٤٤٠ » .

(٤) الصواب « ج ٦ س ٣٠٥ ، ٣٠٦ » .

(٥) الأنساب في مادة « الخطبي » .

والحق يقال ، ومن المهم في هـذا الأمر ان جزءاً من كتاب « مختصر تاريخ الخلفاء » للخطبي المذكور محفوظ في دار كتب كوبنهاكن بالدانيمارك وترقيمه بين الكتب العربية « ٨٥ » واخرى في ايطالية . وقد جاء في الفهرست للتي بكوبنهاكن ما هذا نصه :

الجزء الأول من كتاب مختصر تاريخ الخلفاء ، تأليف أبي محمد اسماعيل بن علي بن اسماعيل الخطبي ، رواية أبي القاسم عبيد الله بن عثمان بن يحيى ابن جنيقا عنه ، رواية أبي الحسين محمد بن أحمد بن محمد ابن علي الآبنوسي عنه ، رواية أبي غالب أحمد بن الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء عنه ، رواية أبي العز عبد المغيث [1] بن زهير بن زهير الحربي عنه ، قرأه عليّ بحق سماعي على الشيخ أبي غالب أحمد بن الحسن بن البناء : الشيخ الجليل العالم أبو محمد إبراهيم ابن الشيخ الجليل الفقيه أبي الحسن علي بن محمد بن المبارك ابن بكروس ـ بلّغه الله محابّه ـ وكتب عبد المغيث بن زهير بن زهير ـ عفا الله عنه ـ قرأ الكتاب وأجزت له أن يروي عني جميع ما تجوز روايته من سائر العلوم وما أجاز لي أشياخي على الشرط المعروف بين أهل العلم في ذلك . الحمـد لله وصلواته على سيدنا محمد وآله أبداً ، والكتاب من نسخته : أربعة أجزاء وهي في الأصل جزءان ... قال المؤلف : هذا كتاب مختصر من كتاب تاريخ الخلفاء وتاريخ أوقاتهم ومُدَدهم وأعمارهم وأنسابهم وصفاتهم ، مجرّداً دون سيرهم وأخبارهم وأعوانهم فان ذلك في الكتاب الكبير مرسوم ، وأسقطته ها هنا ليقرب تناوله ، ويسهل حفظه ، وقـد ذكرت في آخره ولاة العهود الذين لم يلوا الأمر ومن يجري مجراهم ممّن رشح للأمر ولم يبلغه باب من طهر من الطالبيّين وبويع له بالخلافة في دولة العباسيين » .

ومن الأمور المستغربة أن هذا الجزء الذي هو من أقدم ما ألّف في التاريخ لم يصوّره

(١) من الرواة المشهورين المذكورين في أعيان الحنابلة ، توفي سنة ٥٨٣ كما جاء في حوادث هـذه السنة من كامل ابن الاثير قال مؤلفه : وصنف كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب وقد رد عليه أبو الفرج بن الجوزي وكان بينهما عداوة » . قلت : والرد موجود محفوظ في عدد من خزائن الكتب وعنوانه « الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد » .

العرب إلى الآن ، وقد وقفتُ على وصفه بالاتفاق ـ أعني بالصدفة ـ فأرجو ممن وُكلت اليهم أمور الثقافة العربية والتراث الاسلامي أن يسعَوا تصويره وطبعه وإن كان مختصراً من تاريخه الكبير .

٤ — وأما ما يستدرك على الدكتور الفاضل من الكتب التي تناولت خطط بغداد فـ « خلاصة الذهب المسبوك » المختصر من سير الملوك ، تأليف عبد الرحمن الاربلي المعروف بسبط قنيتو المتوفى سنة ٧١٧ فقد ذكر أولاً صلاح موضع بغداد للبناء والسكنى ، واستطرد الى ذكر الأقاليم وأن إقليم بغداد وهو الرابع صفوة الارض ووسطها وأن العراق مركز العلم ثم ذكر ارتياد المنصور موضعاً لمدينةٍ جديدة ، وأسطورة مقلاص المشهورة ، وموضع بغداد الاقتصادي وموضعها الحربي وحشره الصناع والفعلة وأهل الهندسة وأمره باختطاط المدينة وحفر الأساس بحسب الطالع وضرب اللبن وطبخ الآجرّ ومحاولته نقض القصر الأبيض الكسروي بالمدائن وإعراضه عن ذلك وذكر سور المدينة وخندقها ومساحتها ومقدار النفقة عليها وما في أسواقها من اللبن ، وذكر أبوابها الأربعة وما بينهنّ من المسافات وما على كل منها من مجلس ودرج وقبة وقواد الأبواب وحُرّاسها وأبراج السور والقبة الخضراء التي في قصره : قصر الذهب ، ثم تطرق الى ذكر حمامات بغداد ومساجدها ، ومدح بغداد بالشعر [1] . وأكثر ما ينقل هذا المؤلف إنما هو من تاريخ ابن الساعي .

ومنها كتاب « النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة » فقد ذكر ابن تغري بردي ارتياد المنصور موضعاً لمدينته الجديدة واسطورة مقلاص وجمع الصناع والفعلة والمهندسين والحكماء والعلماء ورسم المدينة وما كانت عليه قبل البناء ومساحة المدينة والمادة التي بنيت بها وأبوابها وبروجها وسورَيها والجامع والقصر وقبته الخضراء ، وذرع بغداد عن الصولي عن أحمد بن ابي طاهر طيفور وعن غيره ، وعن ابن أبي طاهر حماماتها ومساجدها

(١) خلاصة الذهب المسبوك « ص ٧٢ ـ ٧٧ طبعة مكتبة المثنى » .

وحماماتها أيضاً عن هلال ابن الصابي ، وبغداد الجديدة ، نقل ذلك كله عن الذهبي [١] ولا أجد بأساً في ذكر مسالك الاصطخري فقد ذكر إنشاء المنصور لبغداد بالجانب الغربي وإقطاعه القطائع ومعسكر المهدي بالرصافة وزيادة عمران بغداد وانتقال الخلافة ـ يعني دارها ـ الى الجانب الشرقي ونشوء حريم دار الخلافة وقصورها وبساتينها وامتداد ذلك الى نهر بين من الشرق والى الشماسية من الشمال ، وما يحاذيها من الجانب الغربي كالحربية الى الجنوب حتى الكرخ ، وذكر جانب الطاق والرصافة وموضع السوق الأعظم وقصر الرشيد بقرب جامع الرصافة ، وجوامع بغداد الثلاثة جامع المنصور وجامع المهدي وجامع دار الخلافة ، واتصال عمارة بغداد بكلواذا ، وذكر جسري بغداد ، وعمارة الكرخ وكونها مركز التجارة والأنهار والبساتين بالجانب الشرقي وسقي النهروان وتامرّا بفروعه ذلك الجانب ، وعدم ارتفاع ماء دجلة إليه إلا بالدواليب وذكر الجانب الغربي والأنهار التي تتخلله من فروع الفرات الرواضع كنهر عيسى والصراة [٢] . وهذا من المباحث الضرورية لمعرفة تطور الخطط البغدادية الذي أراده الدكتور الفاضل ، واعتدّه لازما لمعرفة أدوار الخطط وأطوارها .

هذا ما أردت تبيانه وأختم كلامي بتكرار شكري للدكتور الزميل المحقق صالح على تعريضه بالكتابات غير العلميـة في الخطط والحضارة ، وتجديبه لنتائجها المسيئة الى التاريخ العلمي الحديث ، كأن يتحدث الكاتب على لسان رحّالة في القرن الثاني للهجرة فيصف البصرة سنة ١٥٦ ويستشهد بشعر ابن أبي عيينة من أهل القرن الثالث للهجرة [٣] ويصف قصر الأحنف بن قيس من أهل القرن الأول للهجرة وهو في القرن الثاني منها ، أو البيضاء دار عبيد الله بن زياد وهو في القرن الثاني أيضا [٤] ، ويجعل كلواذا قبل المدائن

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة « ١ : ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ » ،

(٢) مسالك الممالك ، للاصطخري « ص ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ » .

(٣) حضارة الاسلام في دار السلام « ص ٧ » .

(٤) المرجع المذكور « ص ٧ أيضاً » .

للمصعد من البصرة إلى بغداد ويسمي « المأصر » أي سلسلة الكرك « الماطر [1] » ، ويُلبسُ أبا جعفر المنصور من أهل القرن الثاني ملبس الخليفة الناصر لدين الله في القرن السادس [2] ، ويصف خطيب القرن الثاني بوصف خطيب القرن السادس [3] ، وينسب إلى السيدة زبيدة زوج الرشيد أنّها أمرت بصنع بساط من الديباج جمع صورة كل حيوان من جميع الأجناس وصورة كل طائر من الذهب وأعينها من يواقيت وجواهر ، يقال إنها أنفقت عليه نحواً من ألف ألف دينار (كذا) » ويقول في الحاشية محيلاً على المستطرف مرجعه ١ : ٩٨ إن أم المستعين هي التي صنعته [4] ، فيقال له إن كانت تلك صوراً فكيف تكون الأطيار من ذهب والعيون من يواقيت وجواهر ؟! ولنحسب أن صُور الأطيار نُسِجَت من خيوط ذَهَب فما بال العُيون اليواقيت والجواهر ؟

والصحيح أنَّ أم المستعين عملت « قلاّية » [5] ، ذكر أبو هلال العسكري في كتاب الأوائل عن أحمد بن حمدون أن أم الخليفة المستعين أحمد بن محمد بن المعتصم عملت قلاّية لم يبق شيء حسن إلا جعلته فيها وأنفقت عليها مائـــة ألف دينار وثلاثين ألف دينار ، وسألته أن يقف عليها ، قال أحمد بن حمدون فقال لي المستعين ولأترجّة الهاشمي : اذهبا فانظرا إليها وصفاها . فمضينا فرأيناها ، فما رأينا في الدنيا شيئاً حسناً إلا وقد عمل فيها ، ومددت أنا يدي إلى غزال من ذهب مُلِيء عنبراً وعيناه حبتا جوهر وعليه سرج ولجام وركاب من ذهب فاخذته ووضعته في كمي [6] ... » إلى آخر الخبر الطريف ، فصارت القلية عند مؤلف المستطرف « بساطا » . وجاء مؤرخ الحضارة فنقل الخبر على علته وخروجه عن حدود الامكان والواقع . ووصف هذا المؤرخ أهل بغداد في القرن الثاني بأوصاف

---

(١) المذكور « ص ١٩ » .

(٢) المذكور « ص ٢٣ » .

(٣) « ص ٢٤ » .

(٤) « ص ٩٥ » .

(٥) القلاية كالقلية وهي الصومعة ،

(٦) أوائل أبي هلال العسكري « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٨٦ و ١٠٠ » وانما وضعه في كه لأن الجيب الذي نعرفه لم يكن معروفاً أيامئذ .

أهلها في القرن السادس أيام الفتوة والفخر والعدل والاستسعاد [1] ، وما أحسن قول الدكتور الفاضل : « ثم إن التكوين الاجتماعي والاقتصادي لأية مدينة يتبدل بمرور الزمن ويرافقه تبدل الخطط [2] » ثم قوله : « فاذا كانت لدراسة خطط بغـــداد أهمية كبيرة فان على الباحث الاهتمام بالتطور التاريخي لهذه الخطط وتحديد أماكنها وخططها في زمن معين لأن الخطط تتطور فتتسع أو تضيق أو تتبدل فيها مواضع الأسواق ومراكز اللهو أو السكن ، فلا بد لهذه الدراسة من تحديد زمن المصدر أو الكتاب الذي يصف خطط المدينة وبيان أن وصف الخطط في ذلك المصدر ينطبق على زمان المؤلف وتمييز ذلك عما نقله ممن سبقه [3] » .

فكثير من الباحثين يجهلون هذه الحقائق ويعدون الخطط ثابتة لا تتغير ويَعتقدون الزمان واحداً لا يتبدّل ، مثال ذلك أن كثيراً من الناس ما يزالون يعدون شرقي بغداد « الرصافة » وكانت من محال الحنابلة ، وغربي بغـــداد « الكرخ » وكان من محال الشيعة ،مع أنهما كانتا محلتين مُسوّرتين محدودتين بعيدتين عن الموضعين اللذين يذكرونهما لهما .

مصطفى جواد

---

(١) حضارة الاسلام « ص ٩٧ » .

(٢) مجلة المجمع العلمي العراقي « ص ٤ »

(٣) المرجع المذكور « ص ٦ » .

نظام الفعلية في العربية

بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي

أشار علماء الساميات الى ان مجموعة اللغات السامية شديدة الاهتمام بالفعل ، وأن « الفعلية » من خصائصها ، وأن الفعل يشغل فيها مكانة كبرى بناءً وصرفاً ونحواً واستعمالاً . ولعل هذه المسألة أشد وضوحاً وبروزاً في العربية منها في أخواتها الساميات، فقد توسعت العربية في مسألة الفعلية توسعاً لانجده في جميع اللغات السامية الباقية منها والمندثرة .

وقد بدا لي ان اجعل الفعل موضوعاً لهذه المقالة فاتخير منه موادّ لم يعرض لها الأقدمون ، أو أنهم ذكروا فيها شيئاً لايتصل بحقيقتها فلم يهتدوا الى الوجه الصحيح اما لنقص في أدواتهم واما لبعدهم عن الاسلوب العلمي الذي يقوم على المقارنة اللغوية في بحث المسائل اللغوية السامية .

ومن هذه المواد الفعلية « ليس » ، ولمسألة « ليس » باب في النحو لا يهتدى فيه الدارس الى شيء من حقيقتها نحواً ولغة . فهي من أدوات النفي وهي تتطلب معمولين مبتدأ وخبراً .

وبسبب العمل وهو عدم الاكتفاء بالمرفوع أو قل ان هذا المرفوع مفتقر الى ما أسموه بـ « الخبر المنصوب » . أقول بسبب من هذا ضموا مواد مختلفة في دلالاتها الى بعضها وجعلوا من تلك الأشتات المتنافرة باباً واحداً أسموه بـ « النواسخ » .

ولعل من الغريب ان يحشر بين هذه المواد الدالة على الإيجاب مادة « ليس » وهي على النقيض من هذه المجموعة ، فهي من المسائل التي ينبغي ان تكون في مبحث النفي .

ويبدو ان الأولين كانوا في تردد بسبب من هذه المسألة فقد كانت عندهم مترددة بين الحرفية والفعلية ، فذهب الجمهور الى أنها فعل ، وذهب الفارسي ـ في أحد قوليه ـ وابو بكر بن شقير ـ في أحد قوليه ـ الى أنها حرف [١] . ان هؤلاء كانوا على حق في ترددهم في حمل هذه المادة على سائر الأفعال التي اشبهت « كان » في العمل .

ويحسن بنا في بحث هذه المادة ان نطالب بابعادها من المكان حيث وضعها النحاة وجعلها في باب المواد التي تنفي ، هذا من حيث وظيفتها في الكلام ، أما من حيث بناؤها وأصلها التاريخي فشيء آخر يبعدها عن الالحاق بهذا الشتيت من الأفعال التي « تعمل عمل كان » [٢] . يرى الخليل بن احمد أنها مركبة من « لا ايس » فطرحت الهمزه والزمت اللام بالياء [٣] . وهو قول الفراء ايضاً والدليل على ذلك قول العرب « أئتني به من حيث أيس وليس أي من حيث هو ولا هو » [٤].

أما غير الخليل من البصريين فقد ذكر بخلافه ، فذهب ابن السراج الى أنها حرف بمنزلة « ما » والى هذا ذهب أبو علي الفارسي وابن شقير وغيرهم [٥] .

أما القول لفعليتها فهو كثير ، قال ابن سيده : « ليس : كلمة نفي وهي فعل ماض أصلها « ليس » بكسر الياء » [٦] .

وذهب ابن هشام الى أنها فعل لا يتصرف ، وزنه « فَعِل » بكسر العين ، ثم التزم

---

(١) شرح ابن عقيل « نشر محمد محيي الدين عبدالحميد » القاهرة ١٩٣١ ج ١ ص ١٣٧

(٢) انظر « دراسات في اللغة » ص ٥٥

(٣) لسان العرب ، مادة « ليس » .

(٤) الزبيدي ، تاج العروس ، مادة ليس » .

(٥) ابن هشام ، المغنى ٣٢٧/١ (حرف اللام) .

(٦) لسان العرب ، مادة ليس

تخفيفه ، وقال : « ولم نقدره « فعـل » بالفتح لأنه لا يخفف ولا « فعُل » بالضم ، لانه لم يوجد في يائي العين » [1] .

وقول العرب « ائتني به من حيث أيس وليس » مفيد في هذا الباب ، ذلك ان «أيس» يعني الوجود و « ليس » يعني العدم .

والنظر في اللغات السامية يدل على هذا ، فالمادة « يش» في اللغة العبرانية تفيد الوجود . ولعل « شيء » في العربية تذهب الى ما تذهب إليه نظيرتها العبرية . ومثل هـذه المادة « ايث » في الآرامية وكل هذا يفيد الوجود . وقد ركبت هذه المادة مع « لا » فجاء من هذا المركب ما يصلح ان يكون نفي الوجود . والى مثل هذا ذهب بركشتراسر المستشرق الألماني في محاضراته الموسومة بـ « التطور النحوي » [2] .

ولو رجعنا الى العربية وقصرنا عليها البحث دون النظر في اللغات السامية لوجدنا فيها ما يؤيد القـــول بتركيب « ليس » من « لا » و أيس » . فقولهم « أيس » للدلالة على الوجود يقابله في العربية مادة « شيء » ولعلها مقلوبة كلمة « ايش » السامية التي وجدت في العبرانية في هذا المعنى ، وقد تحجرت في العربية في جمـل معدودة مفيدة في كتب اللغـة بقولهم « ايس » . فـكأن « ليس » « لا أيس » أي أنهـــا من « لا ايش » ومعناهـا « لا شيء » ثم قوي التركيب على طريقة النحت فصارت « ليس » [3] .

وقد حفلت العربية بطائفة من الافعال كان لابد على المعنيّ بالصرف واللغة ان يعرض

---

(١) ابن هشام ، المغنى ١/٢٢٧

(٢) بركشترامر ، التطور النحوي ص ١١١

(٣) ولابد للباحث في « ليس » ان يعرض لـ « لات » وهي من أدوات النفي التي الحقها النحويون بـ « ليس » للتشابه بالعمل .

وقد علل النحويون التاء في هذه المادة فقال بعضهم : انها للتأنيث ، وقال آخرون : انها للمبالغة . ولا نخرج من كلا القولين بفائدة ، فهي ليست للتأنيث لأنها متحركة . كما انها ليست للمبالغـة لان فـكرة المبالغة غير حاصلة فيها . ولم يفطنوا الى تركيبها ، كما لم يفطنوا الى تركيب « ليس » فان « لات » مركبة من « لا ايث » فصارت في العربية « لا ايت » ثم تحولت الى « لات » .

لها باحثاً ومحققاً ومؤرخاً ولكنها مرت في المطولات اللغوية دون ان تأخــذ من عناية اللغويين الاقدمين ما تستحق من الدرس . ومن هذه المواد الفعل « هراق » .

ليس الفعل « هراقَ » من أبنية الافعال المعروفـة ، وعلى هـذا فلابد ان يكون أصله « أراق » ، والنظر في كتب اللغة المطولة يدل على هذا الابدال الغريب . وهذا الابدال قد عرض لهذا الفعل في لغة عربية قديمة فجاء في شعر المتقدمين والجاهليين ، ممـا يدل على ان الهاء المبدلة من الهمزة في هذه الكلمة لغة من اللغات الخاصة وان لم نفد ذلك من كتب اللغة ، كما أن الزيادة بالهمزة في اول الفعل على هذا النحو حاصلة في العبرانية ولغات سامية أخرى .

قال الازهري : هراقت السماء ماءها وهي تَهريق والماء مُهرَاق ، الهـاء في ذلك كلـه متحركة لإنهـا ليست بأصلية انمـا هي بدل من همزة أراق قال : وهرقتُ مثل « أَرقت » والأصل « أرقت » [1] .

ويبدو ان من هـذا الابدال احرفـاً قليلة هي : هَرَحتُ الدابة وأرحتها ، وهَنَرتُ النار وأَنرتُها . ولابد ان نشير الى أنهم توهموا أصالة الهاء فقالوا : أهرَقتُها فزادوا همزة في أول الفعل مرةً اخرى ، وقولهم « مُهرَاق » و « مُهرَاقة » من باب توهم أصالة الهـاء فكأنها غير مبدلة . انشد ابن برّي :

رب كأس هرقتهـا ابنَ لؤيٍّ حذر الموت لم تكن مُهرَاقه

وقال النابغة :

.. .. وما هُريقَ على الانصاب من جدِ

وقد حكى سيبويه « اهراق الماء يُهرقه إهراقاً » كما حكى « أهراقَ يُهريق » ، ومن ذلك قول كثير :

فأصبحت كالمهريق فضلة مائه لضـاحي سرابٍ بالملا يترقرق

---

(١) لسان العرب (هرق)

وقد جاء المصدر لهذا الفعل باثبات الهاء في قول ذي الرمة :

فلما دنت إهراقة الماء أنصتت لأعزلةٍ عنها وفي النفس أن أثني

وهكـذا فان أصول هذا الفعل قامت على زيادة الهمزة في الاول ، ثم ابدلت الهاء من الهمزة ، ثم توهمت هذه الهاء من أصول الـكلمة ، ثم خُرِم من الفعل شيء من أصوله هو عين الـكلمة فصار « هرق » .

ولعل هذا الذي جرى لهذا الفعل من التغير ما جر إليه الاستعمال اللغوي في مسيرته الطويلة .

ومن هذه الأفعال التي رغبت ان اقف عليها الفعل « تقى » .

وهو فعل جاء على زنة « قضى يقضي » فقيل : تقى يتقي ، ومنه الأمر « تقِ » قال الشعبي :

تَقِ الله لا تنظر إليهن يا فتى وما خلتنى في الحج ملتمساً وصلا

وهذا الفعل قد حصل من توهم أصالة التاء في « اتّقى » المزيد على بناء « افتعل » ثم خرم على هذا النحو فصار « تقى يتقى » . وكأن الواو غير موجودة في بنائه في الأصل .

ومن هذه الافعال الفعل « خَنْشَى » وهو بناء غريب نقل من الاسمية فيقال : «خنثاه يخنثه اذا صيره كالخُنْثىَ . وهو من باب صوغ الفعل من الاسم لضرورة خاصة او للتوسع الذي جرت عليه العربية باهتمامها بالفعلية الغالبة . وهذا في قول المتنبي :

خَنْثىَ الفحول من الكماة بصبغه ما يلبسون من الحديد معصفرا

ولعل مثل « خنثى » هذا الفعل النادر « سلقى » بمعنى ألقاه على قفاه . ويبدو لي انه مأخوذ من « استلقى » بطريقة من الخرم والخزل على النحو الذي ورد .

وورود هذه النوادر في العربية دليل على قدم العربية في صوغ الافعال ومجيئها خارجة على الابنية الشهيرة المعروفة .

ولابد ان نلحق بهذه المواد بقية مما أطلق عليه الافعال الجامدة وهي من النوادر التي لم يقف عليها اللغويون وقفة طويلة .

ومن هذه الجوامد الفعل « قلّ » بصيغة الماضي المفيد للنفي المحض فقد ذكروا من أمثلة ذلك قولهم : « قلّ رجلٌ يفعل ذلك ، « وقلّ رجلان يفعلان ذلك » والمراد النفي أي « ما رجل يفعل ذلك . . . » [1] .

واكثر ما تستعمل « قلّ » للنفي متلوة بـ « ما » الزائدة . قال سيبويه [2] : يقال : « قلّ رجلٌ » و « أقلّ رجل يقول ذلك إلا زيد » اي : ما رجل يقول إلا هو .

ومن استعمالها متلوة بـ « ما » الزائدة قول الشاعر :

قلما يبرح اللبيب الى ما يورث المجد داعياً أو مجيبا

اي لا يزال داعياً . وفي هذه الحالة جاء متلوّ « قلما » فعلاً وقد أفرغت « قلّ » عن فعليّها فليست مقتضية فاعلاً .

وقد يليها الاسم في ضرورة الشعر كقول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلما وصال على طول الصدود يدوم

وقد تستعمل « قلما » لإفادة الفعل القليل كما جاء في « كليات ابى البقاء » [3] . ومما يدلنا على افادة النفي المحض في استعمال قلما وقوعها في اسلوب الاستثناء للنفي أي انها بمنزلة « ما » النافية كقولهم : « قلما يفعل هذا إلا كريم » ، اي : « لا يفعل هذا إلا كريم » .

وفي قوله تعالى : « قليلاً ما يؤمنون » أي « فهم لا يؤمنون » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : « إنه كان يقل اللغو » أي لا يلغو .

ونظير « قلما » في تفرغها من الفعلية وما تقتضيه من الوجه النحوى استعمالهم « طالما ، وكَثُر ما ، وقَصُرَ ما ، وشدّ ما » فان لهذه الافعال أصولاً فعلية ولكنها

---

(١) السيوطي ما همل الهوامع .

(٢) القاموس المحيط « قل » .

(٣) انظر كليات أبي البقاء العكبري في الموضوع .

حين تليت بهذه الزيادة تفرغت إلى اشياء أخرى وانصرفت في معانٍ جديدة وهي كلها لا تقتضي الفاعل النحوي الذي يسند اليه الفعل في العربية .

ومن هذه المواد الفعلية استعمالهم « سُقِـط في يده » بالبناء للمجهول ، والمعنى ندم وتحيّـر وأخطأ . قال تعالى : « ولما سقط في أيديهم » .

وقد ذهبوا الى ان هذا الاستعمال مما اختصت به لغة الذكر العزيز فلم يؤثر عن العرب هذا الاستعمال المجازي الذي يرمي الى هذه الخصوصية المعنوية .

ومن هذه الافعال النادرة استعمالهم « هدّ » في قولهم : « هذا رجل هدّك من رجل أي « حسبك من رجل » وقيل معناه « اثقلك وصف محاسنه » . وفيه لغتان منهم من يجريه مجرى المصدر فلا يؤنثه ولا يثنيه ولا يجمعه ، ومنهم من يجعله فعلاً فيثنى ويجمع [1] .

قال الزمخشري [2] : « هذا رجل هـدّك من رجل » اذا وصف بجلد وشدة أي غلبك وكسرك . وهو يثني ويجمع ويذكر ويؤنث . تقول : هذا رجل هدّك من رجل ، وهذه امرأة هدّتك من امرأة ، وهكذا في التثنية والجمع . . .

ويقال : لَهَـدَّ الرجل » للمدح بمعنى « نِعمَ » وذلك اذا نعت بالجلد والشدة فيقال : « لَهَـدَّ الرجل » للتعجب اي : « ما اجلده وما أشده » .

وفي الحديث : « ان ابا لهب قال : لهدّ ما سحركم صاحبكم » والمراد بذلك التعجب اي : لنعم ما سحركم » [3] .

والى مثل هذا ذهب ابن الأثير في « النهاية » ، فقال : ان معناه التعجب . قال : « لهـــدّ » كلمة يتعجب بها فيقال : لَهَـدَّ الرجل أي : ما أجلده ، وجاء مثل ذلك في « اللسان » و التاج » .

---

(١) انظر اللسان (هدد) .

(٢) انظر اساس البلاغة (هدد) .

(٣) الزمخشري الفائق (خ) .

ومن هـــذه الافعال الفعل « كذب » في قولهم « كذبك الحج » أي : ليكذبك الحج أي لينشطك ويبعثك على فعله فهو مفيد للحمل على الشيء والاغراء به والحث عليه فالمراد هو الانشاء لا الخبر .

وقد تنوقل هذا الاستعمال وفهم منه هذا الفهم في الاغراء والحديث والحمل على عمل ما هو حسن وقد جرى مجري الامثال ، وقالوا : « كذبك الصيد » أي امكنك فارمه . والأصل كذب فيما اراك وخدعك ولم يصدقك فلا تصدقه فيما اراك بل عليك به والزمه . قال ابن السكيت : تقول للرجل إذا أمرته وأغريته : كذب عليك كذا وكذا أي عليك به وهي كلمة نادرة .

وجاء في « الصحاح » : هي كلمة نادرة جاءت على غير قياس . وعن ابن شميل « كذبك الحج » أي امكنك فحج » و « كذبك الصيد » أي امكنك فارمه » (١)

ولعل من هذا قول الاخطل :

كذبتك عينك أم رأيت بواسط ... غلس الظلام من الرباب خيالا

وقالوا : « كذب نفســـه وكذبته نفسه » اذا غرّها أو غرّته ، وحدّثها وحدّثته بالاماني البعيدة . ومنه قيل للنفس : « الكذوب » ، قال الشاعر :

. . . . حتى اذا ما صدقته كُذُبه

والكُذُب جمع كذوب اي نفوســـه كناية عن تفرق رأيه وانتشاره ، وقالوا في نقيض ذلك : « صدقته نفسه » أي ثبطته واضعفت عزيمته قال :

فاقبل يجري على قـــدره ... فلما دنا صـــدقته الكذوب

وقال لبيد :

واكذب النفس اذا حدثتها ... ان صدق النفس يزري بالأمل

اي لا تثبطها وقوّها .

---

(١) تاج العروس « كذب »

ومن استعمال « كذب » في هذا المعنى قول عنترة :

كـذب العتيقُ وماء شنٍ باردٍ ان كنت سائلتي غبوقاً فاذهبي

وقالوا : إن « مضر » تنصب العتيق بعد كذب على الاغراء ، واليمن ترفعه وقد ذكره الرضي الاسترابادي في شرح الكافية في مبحث اسماء الأفعال شاهداً على ان « كذب » في الأصل فعل وقد صار اسم فعل بمعنى الزم [1] .

ومن ذلك قول اعرابي وقد نظر إلى ناقة فقال : « كذب عليك البزر والنوى » أي عليك بهما والزمهما . وفي حديث عمر ان عمرو بن معد يكرب شكا اليه النقرس فقال : كذب عليك الظهائر أي عليك بالمشي في الظهائر ، والظهائر جمع ظهيرة وهي ما ظهر من الارض وارتفع ، وفي حديث آخر ان عمرو بن معد يكرب اشتكى اليه المعص فقال : « كذب عليك العسل » يريد العسلان وهو مشي الذئب ، أي عليك بسرعة المشي ، والمعص بالعين في عصب الرجل . ومنه حديث علي (ع) : « كذبتك الحارقة » أي عليك بمثلها ، والحارقة المرأة التي تغلبها شهوتها [2] .

وأنا اختم هذه الالمامة العجلى بالاشارة الى ان العربية التي أفادت من الفعلية كثيراً فاشتقت الافعال من مواد مختلفة فيها الجامد والمعنوي لهي من اللغات السامية المتطورة التي غلبت على أخواتهـا واحتوت على كل خصيصة من خصائص اللغة السامية الاولى وذلك لانها لغة كتب لها ان تظل قائمة عبر القرون الطويلة وبذلك اشتملت على اوابد القديم وطلائع ما يجد فيها وهي تتخطى القرون .

ابراهيم السامرائي

(١٨) انظر شرح الكافية (باب اسم الفعل) .

(١٩) انظر التاج (كذب) .

الطنافس الوبرية في العصر الاسلامي

الدكتور محمد عبد العزيز مرزوق

تعد الطنافس او الابسطة ذات الخمل [1] من اروع الصفحات في سجل الفن الاسلامي التي تبرز عبقرية الفنان المسلم واصالته في الصناعة والفن .

وللطنفسة في بغداد اسم انفردت به عن باقي بلاد العالم الاسلامي هو « الزولية » ، وهذه الكلمة التي سمعتها لأول مرة منذ اكثر من اربع سنوات عند ما جئت الى هذا البلد الحبيب ، قد استرعت انتباهي فرحت اسأل اهل الذكر من أهل البلد عن اصلها ومصدرها ، فقيل لي انها كلمة فارسية ولكنني اعلم ان الفرس يطلقون كلمة اخرى على الطنافس هي « قالى » ، [2] وذهبت الى الدكتور حسين محفوظ استاذ اللغة الفارسية في كلية الآداب بجامعة بغداد استوضح هذا الذي اغلق عليّ فقال لي ان هذه الكلمة فارسية ولكنها تعني « اللف » او « الطي » والطنفسة تطوى او تلف عادة عند عدم استعمالها او حملها من مكان الى مكان ، ومن هنا شاع استعمال هذه الكلمة للدلالة على الطنفسة نفسها . وتشاء الصدفة يوماً ان تقع عيني في معجم ياقوت تحت كلمة القطيفة على هذا النص : « القُطَيّفة تصغير القطيفة وهو كساء له خمل يفترشه الناس ، وهو الذي يسمى اليوم « زولية »

---

(١) تعرف بالانجليزية باسم Pile Carpets .

(٢) في ملحق دائرة المعارف الاسلامية (الطبعة القديمة) مقال قيم عن الطنافس الايرانية تحت عنوان « قالى » .

و « محفورة » [1] . وهذا يعني ان كلمة « زولية » قد شاع استعمالها في بغداد للدلالة على الطنفسة منذ القرن السابع الهجري .

ولقد تنبه مؤرخو الفن من الاوربيين الى اهمية الطنافس الاسلامية من الناحية الفنية عند ما رأوها في كنائسهم وفي قصور ملوكهم [2] وفي متاحفهم . فأقبلوا على دراستها منذ اواخر القرن التاسع عشر ، وقد كان لطنافس ايران في هذه الدراسة مكان الصدارة نظراً لما امتازت بـه من تنوع في الزخارف ، وتناسق في الالوان ، ودقة في الصناعة وسنقصر كلامنا في هذا البحث على هذه الطنافس اما طنافس تركيا وطنافس الهند وطنافس القاهرة وغير هذه من الطنافس الاسلامية فسوف نتناوله بالبحث في مقال آخر .

وقـد انعكس اهتمام مؤرخي الفن على تجـار الطنـافس في ايران فاندفعوا الى جمع ما وصلت اليه ايديهم من الطنافس القديمة من القرى ومن المدن : من القصور والمساجد ، ومن الاضرحة والمنـازل . وبعثوا بهذا الذي جمعوه الى اسواق اسطنبول التي اصبحت مركزاً هاماً لتجارة الطنافس الشرقية لاسيما القديمة منها . وكان يحضر اليها التجار الاجانب من انجليز وفرنسيين ، وايطاليين والمان وامريكان لشراء ما في اسواقها من طنافس شرقية قديمة يحملونها الى بلادهم حيث يبيعونها الى المتاحف الأثرية والى الهواة ، وهـكذا حفلت متاحف اوربا وامريكا بأروع أمثلة الطنافس الشرقية القديمة بينما خلت منها متاحفنا في الشرق الا القليل الذي تقل اهميته الأثرية عما في المتاحف الغربية .

والأبسطة ـ ونعني بها كل ما يبسط على الارض ـ قد عرفها اجـدادنا منذ أقدم العصور ، عرفوها بدافع الحاجة اليها لـكي تقيهم برودة الشتاء ، وتحول بينهم وبين خشونة

---

(١) معجم ياقوت ج ٤ ص ١٤٤ .

(٢) كانت الطنافس الشرقية من اقيم الهدايا التي يقدمها ملوك الشرق الى ملوك الغرب وامرائه . وكان الشاه عباس الاول من اولئك الملوك الذين اكثروا من اهـداء الطنافس الايرانية الى من صادقهم من ملوك اوربا وفي اللوحة الاولى المنشورة مع هذا البحث نرى سفير الشاه عباس وهو يعرض على دوج البندقية ما حمله معه من طنافس على سبيل الهدية .

الأرض وصلابتها ، واغلب الظن انها لم تكن تختلف كثيراً في طريقة صنعها ، او موادها الخام عن المنسوجات الأخرى التي عرفها الاقدمون ، الا فيما يتعلق بالحصير فقدكان ينسج من نبات البردي ، ومن سعف النخل ، ومن الحلفاء ومن السمار بينما نسج الكليم من خيوط الصوف ، ومن خيوط القطن ، ومن خيوط الكتان ، شأنه شأن المنسوجات الاخرى . وصور الآثار القديمة تبين هذه الأبسطة ، وكتب الأدب القديم حافلة بالاشارات اليها [1] .

ولكن الحصير والكليم ليسا من الطنافس اي من الأبسطة ذات الخمل التي هي موضوع بحثنا هذا ، فهل كانت الطنافس ايضاً من هذه الأبسطة التي عرفها الأقدمون ؟ سؤال لانستطيع ان نجيب عليه اجابة جامعة مانعة ، فليس من المستبعد انها كانت معروفة عند اجدادنا القدامى ولكن كتابهم لم يصفوها الوصف الذي يميزها عن غيرها من الابسطة بل اطلقوا عليها كلمة الابسطة التي تشير كما ذكرنا - الى كل ما يفرش على الأرض سواء كان له خمل او لم يكن . وليس من المستبعد ايضاً انها كانت معروفة في بعض الاماكن

(١) من اوضح الصور لصناعة الابسطة في مصر الفرعونية هو ما نراه في الكتابين الآتيين :

Newberry, Beni Hassn, Pl. XXIX, Al Bersha Vol. I Pl. XXVI.
Davies, Five Theban Tombs, Pl. XXXVII.

ولقد عرف العراق القديم كيف يعطي العالم احسن انواع الأبسطة فمقبرة قورش — ملك الفرس — كانت مفروشة ببساط بابلي جميل وفي متحف اللوفر احجار من العصر الآشوري عثر عليها في خرسباد عليها صور تمثل البساط القديم وزخرفته تشبه ما نراه اليوم في الطنافس الكردية وايران في عصورها السابقة على الاسلام بل وعلى الميلاد عرفت نسج الأبسطة الجميلة ، فالكاتب اليوناني اثنيوس يشير الى الأبسطة الايرانية الجميلة التي كانت مفروشة في قصور البطالمة بالاسكندرية Athenaeus, The Deipnosphist; IV, 147, V, 196 B, C, F., 197 B., 198 C.

والشاعر ثيوكرتيس يصف الطنافس الايرانية بانها اجمل من النوم الهنيء :

Theocritus, Idylls, XV P. 78 ff.

وراجع ايضاً ما كتبه زاره في هذا الصدد في كتابه :

Sarre, Die Kunst des Alten Persien, Berlin, 1923 Pl. 109

ومجهولة في اماكن اخرى والواقع ان تاريخ الطنافس الشرقيـة عامة لا تزال به حتى اليوم نقاط غامضة تفتقر الى الايضاح ، ولـكن السبيل الى ذلك جد عسير ، بل يكاد يـكون مستحيلاً ، فلسنا ندري على وجه اليقين أين اهتدى الانسان الى ابتـكارها ، ولسنا نعرف على التأكيد كيف ابتـكرها ، ولسنا واثقين من الزمن الذي ظهر فيه هذا الابتكار لأول مرة . ومعظم معلوماتنا في هذا الصدد انما تقوم على الاستنتاج والترجيح .

ومؤرخو الفن الذين بحثوا في هذا الميدان انما يرجحون ان المـكان الذي اهتدى فيه الانسان الى عمل الطنافس هو المنطقة الممتدة من بلاد الصين شرقاً حتى آسـيا الصغرى غرباً [1] .

اما كيف اهتدى سكان تلك المناطق الواسـعة الى عمل الطنافس فيرجح الباحثـون ان القبائل الرحل التي كانت تتنقل بأغنامها وجمالها سعياً وراء الـكلأ في تلك الاراضي الشاسعة ، هم أول من اهتدى الى ابتكار صناعـة الطنافس . ويعللون هذا الاهتداء بأن حياة هـذه القبائل غير المستقرة ، وحاجتهم الماسة الى ما يقيهم من البرد القارص المنبعث من الارض لاسيما في الليل وفي فصل الشتاء ، ثم طبيعة هذه الحياة التي تحمل الانسان على التخفيف ، قدر المستطاع ، من الأمتعة قد دفعت بهذه القبائل الى فراء حيواناتهم يفرشونها تحتهم حتى توفر لهم الدفء المطلوب . ولـكن الحصول على هـذه الفراء كان يتطلب منهم التضحية بحيواناتهم — وهى رأس مالهم في الحياة — والاكثار من ذبحها في سبيل الحصول على فرائها فيه خسارة كبيرة عليهم ، ومن هنـا اتجهوا الى محاولة الاستفـادة بالصوف دون الفراء ، فـكانوا يحلقون اصواف هـذه الحيوانات كلما طالت [2] ، ويستعملونها في عمل ما يشبه

---

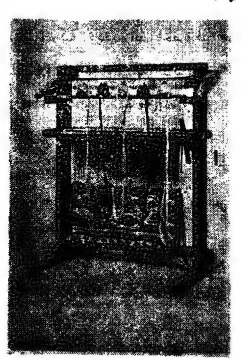
(١) راجع ماكتبه ريجل والمراجع التي يشير اليها :

Riegl (A.) Altorientalische Teppiche Leipzig, 1891 P. 44

(٢) يمر الصوف بعد جزه بمراحل عدة حتى يصبح صالحاً للعمل ، فيغسل بالماء ، ويضرب بين حجرين حتى تزول منه المواد الدهنية العالقـة به ، ويجفف في الشمس والهواء ، ويمشط ثم يغزل بعضه باليد أو العجلة ليتحول الى خيوط ويبقى البعض الآخر على حاله لـكي يستخدم في عمل الخمل .

الفراء الأصلية في المظهر وذلك بواسطة آلة ساذجة لا تعقيد فيها، تتفق مع حياتهم البسيطه .

وهذه الآلة الساذجة هي النول اليدوي شكل(١) الذي لا يزال يستعمل حتى اليوم في عمل الطنافس اليدوية ، وهو يتكون من عارضتين من الخشب متوازيتان ومثبتتان بين قطعتين من الخشب رأسيتين ، وتمتد بين هاتين العارضتين مجموعة من الخيوط المثبتة تعرف بخيوط السدى ، وتحت العارضة العليا توجد اسطوانة من الخشب تربط بها الأطراف العلوية لهذه الخيوط ، وتحت العارضة السفلى اسطوانة اخرى من الخشب كذلك تلف حولها الاطراف السفلية لتلك الخيوط ، ويحدد طول كل من العارضتين عرض الطنفسة ، اما طولها فأمره متروك لرغبة الناسج ، فهو حر في ان يزيد أو يقلل من هذا الطول حسب الظروف التي تتحكم في عمله .



شكل (١)

ويبدأ نسج الطنفسة بأن تعقد حول خيوط السدى خصل الصوف واذا ما انتهى الناسج من عمل العقد حول جميع خيوط السدى التي امامه في اتجاه افقي ، ثبت هذه العقد في مكانها ، بواسطة الضرب عليها ثم الشد فوقها بخيط او أكثر يمر بها فوق العقد فتجري افقية وتسير محاذية لعارضتي النول وتسمى هذه الخيوط الافقية باللحمة وهكذا تتكون الطنفسة من خيوط السدى الطولية ، وخيوط اللحمة الافقية وهذه جميعاً تكوّن رقعة الطنفسة ثم من خصل الصوف التي تعقد حول خيوط السدى وهذه تكوّن الخمل [١] (اللوحة الثانية) .

وقد تبين لمؤرخي الفن عند دراستهم لطنافس الشرق من الناحية الصناعية ان العقد المستعملة في هذه الطنافس الأثرية ثلاثة : عقد تلف فيها خصلة الصوف حول خيطين متجاورين من خيوط السدى بحيث تجمع بينهما من اعلى ثم يدور طرفاها وراء هذين الخيطين ثم يجتمعان فينفذان بينهما صاعدين معا متلامسين الى وجه الطنفسة وقد كانت هذه العقدة شائعة بين القبائل التركية . وعقدة تلف الخصلة فيها حول خيط واحد من خيوط السدى وتحتضن الخيط المجاور له ، وفي هذا الالتفاف والاحتضان ينتهي طرفاها الى وجه الطنفسة ، وقد شاعت هذه العقدة بين الايرانيين ، وعقدة ثالثة شاعت في الاندلس وفيها تلتف الخصلة حول خيط واحد من خيوط السدى ثم يخرج طرفاها الى سطح الطنفسة بعد أن يمر احدهما فوق الآخر [٢] .

---

(١) للاستاذ الدكتور احمد زكي – مدير جامعة القاهرة سابقاً ورئيس تحرير مجلة « العربي » التي تصدر في الكويت حالياً ، بحث قيم في صناعة الابسطة نشر تحت عنوان : « الابسطة والسجاجيد » في العدد الخاص الذي اصدرته عن ايران مجلة الثقافة التي كانت تصدر في القاهرة في ١١ – ٨ – ١٩٣٩ .

(٢) هناك فارق كبير بين هذا الخمل المعمول بالطريقة المشروحة هنا وبين خمل آخر نجده في الطنافس الميكانيكية او نجده في المنشفة (الخولى) التي نجفف بها اجسامنا بعد الاستحمام ، ففي هاتين الحالتين لا تستعمل خصل من الصوف بل يستعمل خيط من القطن او الصوف او الحرير يمتد على عرض الرقعة ويسير في موازاة خيوط السدى ويكون في سيره انشوطات متصلة . وهذه الانشوطات قد تقطع رءوسها بالمقص فتبدو اطراف الخيط المصنوعة على هيئة خمل كما هو الحال في الطنافس الميكانيكية ، وقد تترك رءوس هذه الانشوطات من غير تقطيع كما هو الحال في المناشف (الخواليات) .

وهكذا ظهرت أول طنفسة في الوجود : خيوط رأسية معقود حولها خصل من الصوف مثبتة في مكانها بواسطة خيوط عرضية ، ولم تكن في صورتها البدائية هذه اكثر من فراء صناعي [1] ، ولا تزال في ريف العراق الى اليوم تنسج طنافس يدوية اقرب ما تكون الى فراء الحيوانات منها الى الطنافس بصورتها المألوفه لدينا ، ويطلق على مثل هذه الطنافس الريفية اسم « غليجة » .

تُرى متى اهتدى الانسان الى هذا الابتكار ؟ وكم من الزمن انقضى بين انتقاله من استعمال الفراء الطبيعية الى استعمال تلك الفراء الصناعية ؟ الله وحده هو الذي يعلم ، فلا تزال الاجابة على هذين السؤالين في طي الغيب ، ويكاد يكون من المستحيل معرفتها ، ذلك لأن هذه الصناعة قد نشأت ـ اغلب الظن ـ على ايدي القبائل الرحل التي لا تعرف التدوين ، وقد انتقلت اسرار صناعتها شفوياً من جيل الى جيل ، ثم انقطعت الصلة بين الاجيال القديمة والاجيال التي لحقت بها لسبب من الاسباب ، وكل ما نستطيع ان نقرره ان بعض هذه القبائل الرحل قد القت عصا التسيار في مكان ما ، واستبدلت حياة الترحل بحياة الاستقرار ، وعاشت في القرى والمدن ، واصبحت صناعة الطنافس التي كانت تزاولها تحت الخيام صناعة منزلية يقوم بها الامهات والبنات والاولاد ، ثم اتسع نطاقها فانشئت لها مصانع خاصة في المدن يعمل فيها الرجال ، وهكذا اخذت تتطور عبر الزمن حتى اختفت سذاجتها الاولى في التلوين وفي الزخرفة لتحل محلها صورة رائعة للطنافس .

اما التلوين فلم يعد الأمر قاصراً فيه على استعمال الصوف بالوانه الطبيعية ، بل أخذ الاقدمون يصبغونه بالوان جديدة هي الاحمر والازرق والاصفر ، واتخذوا هذه الصبغات من النباتات : من الجذور ومن الاوراق ومن الثمار ، كما اتخذوها من الحشرات . فاللون

---

(١) Erdmann (K.), Oriental Carpets, English Translation by Charles Grant Ellis, Universe Books, Newyork 1962., P.15.

الاحمر - على سبيل المثال - أخذوه من نبات الفوة كما اخذوه من حشرة القرمز . واللون الاصفر أخذوه من جذور شجر الكركم ومن زهرة نبات الزعفران ، ومن العفص ومن الحناء استخرجوا اللون القهوائي ، ومن نبات النيلة أخذوا اللون الازرق . وقد كانوا يعالجون هذه المواد المختلفة بالتخمير أو الغلي ، وكانت طريقة تركيبها من الاسرار التي يحرصون على عدم اذاعتها الا للمقربين اليهم من صبيانهم وابنائهم حتى يأمنوا منافسة أهل حرفتهم .

وهكذا نجح الاقدمون في ان يوسعوا من دائرة الالوان الطبيعية للصوف باستخدام هذه الصبغات ، وقد ازدادت هذه الدائرة اتساعاً عندما اهتدوا الى الوان جديدة حصلوا عليها بتغطيس الصوف في الصبغات سالفة الذكر ثم اعادة تغطيسه في لون آخر غير اللون الاول الذي صبغ به فيصبح له لون جديد غير اللونين اللذين عولج بهما [1] .

ولقد عمل نساج الطنافس في العصور الوسطى على تثبيت هذه الالوان الطبيعية باستخدام قشر الرمان والليمون والتمر هندي [2] .

واما الزخرفة فقد مرت هى الاخرى بخطوات مختلفة حتى وصلت الى تلك الصورة

---

(١) لم تعد الالوان الطبيعية تستعمل في صبغ خصل الصوف او الحرير المستعملة في صناعة الطنافس الا نادراً ، اذ اتجه صناع الطنافس في العصر الحديث الى استخدام الصبغات الكيميائية التي بدأت تستعمل منذ سنة ١٨٦٠ م ، ودخلت مادة الانيلين في تركيب هذه الصبغات ، واقبل عليها الصناع لرخص ثمنها وسهولة استعمالها ، وكان من اثر ذلك ان انحطت صناعة الطنافس في العصر الحديث عما كانت عليه في العصور الوسطى ، ذلك لان الالوان الكيميائية ليس لها ثبات الاصباغ الطبيعية وهي الى ذلك ، تؤذي الصوف وتجعله سريع التآكل . ولقد تنبه اولو الامر في البلاد المعنية بعمل الطنافس الى هذه الاضرار ، وكانت ايران اول من ادرك ذلك فاصدرت قانوناً في سنة ١٩٠٣ م يحرم استعمال الصبغات الكيميائية ، ولكن ترى الى اي مدى استجاب الفرس لذلك القانون ؟؟ والى اي مدى لم يستهوهم انخفاض اثمان هذه الصبغات الحديثة اذا ما قيس بالتكاليف الباهظة المادية وغير المادية في تحضير الصبغات الطبيعية ! !

(٢) تقوم عملية تثبيت الالوان في العصور الحديثة على استخدام بعض المواد المعدنية مثل الشبه وسلفات النحاس وقد تستعمل في بعض الاحيان المواد النباتية التي استخدمها الاقدمون مع هذه المواد المعدنية .

الجميلة التي نشاهدها في الطنافس الشرقية عامة . فقد بدأ الاتجاه الى الزخرفة : باستعمال خصل من الصوف مختلفة الالوان في عمل الخمل فاكتسبت الطنفسة بذلك شيئاً من الجمال الفني لم يكن لها عندما كان الأمر قاصراً على استعمال خصل من لون واحد . ثم استخدمت في عمل بعض العناصر البسيطة من الاشكال الهندسية ، وقد رؤي من الضروري ان تجعل هذه الخصل قصيرة حتى تسمح لتلك العناصر الزخرفية بالظهور على سطح الطنفسة . ثم سار التطور الزخرفي في طريقه قُدماً فتعقدت الاشكال الهندسية عن ذي قبل ، ثم اخذت الزخارف النباتية البسيطة في الظهور ، ثم تعقدت هذه ايضاً فرسمت الازهار والاشجار ثم تضاعف هذا التقدم فرسمت الزخرفة المعروفة باسم « الارابسك » او زخرفة التوريق كما ينبغي ان تسمى [1] .

واذا كانت بداية زخرفة الطنافس قد قامت على ايدي النساج انفسهم وهم كما رأينا من القبائل الرحل او سكان القرى ، وقد ترجمت في بساطتها عن سذاجة هؤلاء النساج ، فان نهاية المطاف في هذه الزخرفة او قمة تطورها جاءت على ايدي اناس عملهم في الحياة هو الفن

(١) لما كان هذا النوع من الزخرف قد لعب دوراً هاماً في الطنافس فقد رأيت من الواجب علي ان اخصه بهذه الكلمة الموجزة لكي يكون القارىء على بينة منه فقد اطلق مؤرخو الفن من الاوربيين كلمة ارابسك " Arabesque " على نوع من الزخرف اختص به الفن الاسلامي دون غيره من الفنون ومن هنا وصفت الارابسك بانها لغة الفن الاسلامي كما توصف الصور الادمية بانها لغة الفنون الاوربيه . ولعل اخص ما يميز هذا الزخرف ان العناصر النباتية والحيوانية فيه بعيدة في رسمها عن الطبيعية مما حمل بعض الناس على الظن بان هذا البعد عن الطبيعة في الرسم انما هو ناتج عن ضعف في قوة الملاحظة عند الفنان المسلم او عن عجز في مقدرته على الرسم . وهذا في الحقيقة ظن خاطىء مبعثه الجهل باهداف الفن الاسلامي وعدم القدرة على فهم الفكرة الكامنة وراء اتجاهات الفنان المسلم في الرسم ، ان لهذا الفنان اتجاه جديد آمن به ، اتجاه لم يعرفه الفنانون قبله ، وبدأ يدركه بعده بعض فناني العصر الحديث ذلك ان الفن لم يعد لخدمة الدين – كما كان الحال قبل الاسلام – ولكنه ينبغي ان يكون في خدمة الانسان في هذه الدنيا . ان رسالة الفن ان يخفف عنا بعض متاعب الحياة فيكون لنا مهرباً نلجأ اليه كلما اثقلت كاهلنا اعباء السعي وراء لقمة العيش فينقلنا بالوانه وزخارفه واشكاله الى عالم السحر والجمال ، الى عالم =

من رسم وتصوير او بعبارة اخرى جاءت على ايدي الفنانين عندما عنى الملوك والامراء والاغنياء بالطنافس ، واقاموا لها المناسج الخاصة في قصورهم او تحت رعايتهم خارج القصور ، ووفروا لنساجها احسن انواع المواد الخام واغلاها ، ثم عهدوا الى الفنانين النابهين في عصرهم بعمل الخرائط لها ورسم العناصر الزخرفية التي تملأ هذه الخرائط حتى اصبحت الطنافس قطعاً من الفن رائعة يعتز الملوك بحيازتها لتزين قصورهم ويفخرون باهدائها الى ملوك وامراء الدول الاخرى (اللوحة الاولى) . وهكذا تطورت الطنافس من سلعة تصنع لما وراءها من فائدة الى تحفة فنية فيها ما يشيع الغبطة في النفس ، وفيها ما يثير التفكير والتأمل في الذهن ، وفيها ما يغري الانسان بحيازتها استدامة لما تبعثه فيه من نشوة وانشراح .

* * *

هذه كلمة كان لا بد منها لكي ندرك نشأة هذا الفرع الهام من فروع الفن الاسلامي الذي تبلورت فيه عبقرية الفنان المسلم باجمل صورها واروع مظاهرها ، والذي يكاد يكون

= ننسى بين يديه همومنا ، ونستمتع تحت سمائه بالهدوء والغبطة والانشراح . ومن هنا اندفع الفنان المسلم وراء خياله وهو يرسم « الارابسك » فلم يعن بالنقل عن الطبيعة نقلا صادقاً ولكنه اخذ يعبث بالعناصر الطبيعية ويحور فيها الا انه لم يخرج في عبثه هذا عن مبادىء التوازن والتقابل والتماثل وهما من الاسس الرئيسية التي يقوم عليها فن الزخرفة فخرجت الارابسك من بين يديه رائعة تشدنا الى الوقوف عندها كلما وقع النظر عليها . وللاستاذ الفرنسي ماسنيون بحث يتعرض فيه للارابسك وفلسفتها :

Massignon, Les methodes de Realisation artistique des peuple de L'islam, Syria, Vol, I.

وهناك بحث آخر بالانجليزية للمستشرق السويدي « لام » في هذا الموضوع ايضاً نشر في الجزء الثالث من مجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة Lamm, The Spirit of Muslim Art.

ولكاتب هذا البحث كتيب في هذا الموضوع نشر في القاهرة سنة ١٩٤٢ بعنوان « الاسلام والفنون الجميلة » باللغتين العربية والانجليزية معاً .

ما كتب فيه اكثر مما كتب في اي نوع آخر من فروع هذا الفن [١] ونأخذ الآن في استعراض الطنافس اليدوية الايرانية في العصر الاسلامي .

وطبيعي ان نقدم لهـــذا الاستعراض بكلمة موجزة عن التاريخ الفني لايران في ظل الاسلام ، وهذا التاريخ اذا نحن وقفنا فيه عند نهاية الدولة الصفوية امتد لاكثر من الف عام (٦٤١ ـ ١٧٣٥ م) ، تقلبت فيه ايران في ادوار مختلفة نجملها في اربعـــة : الدور السابق على الفتح السلجوقي ، والدور السلجوقي ، والدور المغولي ، واخيراً الدور الصفوي .

اما الدور الاول فقد ضاعت طنافسه وبليت فيما ضاع وبلى من تراث الاقدمين فاصبحنا لا نعرف عنها الا ما جاء في بعض المراجع التاريخية عن بعض الامثلة التي اتيح لها ان تحيي في بطون الكتب . واذا نحن رجعنا الى هذه المصادر المكتوبة لنستعين بما فيها على دراستنا وجدنا انفسنا عاجزين عن ان نخرج من نصوصها بوصف جامع مانع . ولا ينبغي ان نلوم المؤرخين القدامى على هذا القصور فهم لم يكونوا من المتخصصين في صناعة الطنافس ولم يكونوا خبراء فنيين في هذه الناحية ولم يخطر ببالهم انه سوف يأتي يوم يحتاج فيه احفادهم الى التدقيق في الوصف لاستخلاص بعض الجوانب في حضارتهم المادية ، ولم يفطنوا الى ما ينبغي ان يثبتوه في كتبهم حتى يساعدوا مؤرخي الفن في ابحاثهم ، فجاء وصفهم غير كامل . على انهم عنوا بالناحية الزخرفية باعتبارها ابرز النواحي اما الناحية الصناعية فقد اهملوها ومن هنـــا اصبح لزاماً علينا الا نطلق كلمة « طنافس » على هذه الابسطة وانما نشير اليها بالاسم العام الذي تستوي عنده ذوات الخمل بغيرها مما يفرش على الارض .

ولعل أول بساط يساعدنا وصفه في المراجع العربية على تصور شكل البساط في هذا العصر السابق على السلجوقي هو ذلك الذي تردد اسمه على ألسنة العرب والايرانيين على

---

(١) يبلغ عدد الابحاث التي كتبت في هذا الموضوع حتى سنة ١٩٦٠ ، ٨٦٣ بحثاً كما ذكر كرزول في كتابه : Creswell, (K. A. C.) A Bibliography of the Architecture, Arts and Crafts of Islam, Col. 1139-1204, Cairo , 1961.

السواء في اوائل ذلك العصر ، وذاعت شهرته في كل العصور ، وهو في الحقيقة بساط ساساني الاصل ، ولد في العصر الساساني وعاصر آخر ملوكها ثم كتب عليه الفناء على ايدي العرب في المدينة المنورة ، فهو بهذا الوصف يكاد يكون خارجاً عن دائرة بحثنا ، ولكن الواقع اننا لا نستطيع اغفاله لأن له دوراً هاماً في الطنافس الاسلامية لا نزال نلمسه حتى اليوم .

عرف هذا البساط عند الفرس باسم « بهار كسرى » وعرف عند العرب باسم القطيف [1] ، وقد كان على حد وصف الطبري [2] له مربع الشكل مساحته ستين ذراعاً في ستين ، وكان منسوجاً من الحرير على قضبان من الذهب ، وكان محلى بالاحجار الكريمة اما زخارفه فقوامها طرق كالانهار ، وفي حافاته ما يشبه الارض المزروعة والارض المبقلة بالنبات في الربيع . وقد كان يفرش في ايام الشتاء اذا ذهبت الرياحين ويصبح الجلوس في الحدائق غير مستحب ، فاذا اراد كسرى ورجال بلاطه ان يشربوا ، شربوا عليه فكأنهم في رياض ، ومن هنا جاءت تسميته عند الفرس بربيع كسرى . وقد كان ثقيل الوزن فلم يستطع الفرس ان يحملوه معهم عند هروبهم من وجه العرب فتركوه حيث كان ، واخذه العرب ضمن غنائم الحرب . وفي اللوحة السابعة التي تمثل طنفسة ايرانية من القرن السابع عشر الميلادي ما يقرب صورة هذا البساط الى اذهاننا .

ولقد وجد سعد بن ابي وقاص ـ وهو يقسم هذه الغنائم ـ انه ليس من اليسير قسمة هذا البساط العظيم ، فجمع المسلمين وقال لهم : « ان الله ملأ ايديكم ، وقد عسر قسم هذا البساط ، ولا يقوى على شرائه احد ، فهل لكم في ان تطيب انفسنا فنبعث به الى عمر

---

(١) كلمة « القطيف » تبعث في الواقع على التساؤل : هل تعني ان هذا البساط كان من ذوات الخمل وذلك تمشياً مع قول ياقوت في معجمه (ص٣ من هذا البحث) واذا كان الامر كذلك فهل كان هذا الخمل من نوع الخمل الذي نجده في مناشفنا التي نستعملها اليوم والذي وصفته في هامش ص٨ (رقم٢) من هذا البحث ام هو من نوع الخمل الذي نراه في الطنافس المعروضة في متاحفنا وعندئذ تبطل نظرية الاصل السلجوقي للطنافس وتصبح ايران اول من عرفت صناعة الطنافس قبل الاسلام ؟ ؟ ؟ اسئلة لا نملك لها جواباً فقد ضاع هذا القطيف ولا سبيل الى استرجاعه ،

(٢) تاريخ الطبري حوادث سنة ١٦ هـ .

فيضعه حيث يرى؟ » . ووافق المسلمون، وارسل البساط الى المدينة، ولما رآه عمر بن الخطاب جمع الناس واستشارهم في أمره بعد أن اخبرهم خبره ، فتركوا له الأمر يفصل فيه بما يراه ، وملكت الحيرة عمر ، ولاحظ ذلك علي بن ابي طالب ـ كرم الله وجهه ـ فقال له : « لم تجعل علمك جهلا ، ويقينك شكا ، انه ليس لك من الدنيا الا ما أعطيت فأمضيت ، او لبست فابليت ، او أكلت فأفنيت » فقال : « لقد صدقتني ونصحتني ، وقام الى البساط فقطعه بين الناس .

تُرى هل أحسن عمر ام اساء بتصرفه هذا ؟ لقد سمعت بعض الاجانب يأخذون على على عمر هذا التصرف ، واغلب ظني انهم نظروا الى المسألة بعين العصر الذي نعيش فيه الآن ، ووزنوا عمل عمر بموازيننا الحالية وهذا ليس من الانصاف في شيء ، ولكي نحكم بالعدل والقسطاس المستقيم على تصرف عمر ينبغي ان نأخذ في اعتبارنا الظروف التي كانت تحيط به وقت قيامه بهذا العمل ، فقد كان يبني الدولة الاسلامية ، ويعني اول ما يعني بعظائم الامور ، وعصور تأسيس الدول في كل حقب التاريخ كانت عصور تقشف وانصراف عن الفن ، ومن هنا كان من الظلم ان نزن اعمال اسلافنا بنفس الموازين التي نزن بها اعمالنا ، فالمفاهيم تتطور ، وما كان مقبولا في عصر قد يكون مرفوضاً في عصر آخر .

واذا كان البساط سالف الذكر من العصر الساساني فان هناك بساط من العصر الاسلامي نجد وصفه في كتاب مروج الذهب للمسعودي عند كلامه على خلافة المنتصر (١) ويزيدنا هذا الوصف ايضاحاً عما كانت عليه الطنافس الايرانية في هذا العصر السابق على السلجوقي . يقول المسعودي ما ملخصه ان هذا البساط كان عند الخليفة العباسي المتوكل على الله ، وانه كان مفروشاً في قاعة العرش في قصر هذا الخليفة في مدينة سامراء ، وكان فيه دارات فيها صور اشخاص ، وتحت كل صورة كتابة باللغة الفارسية تفسرها ، وان من بين هذه الصور واحدة تمثل الملك الساساني شيرويه وواحدة تمثل الخليفة

(١) المسعودي : مروج الذهب ـ ج ٤ ص ١٣٠ ـ نشر محمد محي الدين عبد الحميد ـ طبعة القاهرة.

الاموي يزيد بن الوليد بن عبد الملك .

وهذا الوصف الذي صور به الطبري « بهار كسرى » والوصف الذي صور به المسعودي بساط المتوكل ينطبقان كل الانطباق على كثير من الطنافس التي وصلت الينا من ايران من العصر الصفوي وما بعده ، اي بعد اكثر من الف عام مما يدل على ان التطور في زخرفة الطنافس بطيء ، والتقاليد الزخرفية في هذا المجال تعيش زمناً طويلا ، يرثها الابن عن ابيه ثم يورثها هذا بدوره الى ابنائه واحفاده وهكذا .

* * *

والدور الثاني من ادوار التاريخ الفني لايران في عصرها الاسلامي هو دور السلاجقة، وهو مثل الدور السابق لم تصل الينا منه امثلة من الطنافس ، بل ولم يصادفنا وصف لبعضها في المراجع التاريخية يساعدنا على تكوين صورة ذهنية لها ، ولكن هذا لن يمنعنا من ان نحاول ان نتعرف عليها عن طريق الاستنتاج والترجيح .

ولن نقف طويلا عند اصل السلاجقة ، او عند تفاصيل حياتهم قبل ان يبرزوا على مسرح التاريخ الاسلامي ، انما يكفينا ان نقول انهم عشائر تركية كانت نازلة في اواسط اسيا ، تتنقل بين ارجائها سعيا وراء الكلأ والعشب ، ثم دفعت بهم ظروف العيش الى الاغارة على جيرانهم ، فاستولوا على معظم شرق العالم الاسلامي : على ايران والعراق والشام والاناضول ، ووحدوا بينها فترة من الزمن هي فترة حكامهم العظام ، ثم انقسمت دولتهم العظيمة الى دويلات نخص منها بالعناية دولة الروم السلاجقة التي كانت تحكم في الاناضول لصلتها الوثيقة بموضوعنا .

والرأي الذي يؤمن به الآن كثيرون من مؤرخي الفن ـ ونحن منهم ـ هو ان لهؤلاء السلاجقة فضل ادخال صناعة الطنافس الى الشرق الادنى

وهذا الرأي قد بني على اسانيد من اهمها ما كشفت عنه الحفائر الاثرية في طرفان

بالتركستان الشرقيـة على ايدي البعثة الالمانيـة [1] من قطع صغيرة من الطنافس نسبت الى المدة الواقعة بين القرنين الثالث والسادس بعد الميلاد . وتدل طريقة صناعة هذه القطع على انها من الطنافس وتـكشف زخرفتها وطريقة تلوينها على انها مرت ـ اغلب الظن ـ بمراحل مختلفة من التطور فهي في الحقيقة ليست اقدم مثال للطنافس ولـكنها من غير شك اقدم ماوصل الينا منها [2] ، فابتـكار الانسان لها ، او بعبارة اخرى انتقاله من استعمال الفراء الطبيعية الى الفراء الصناعية لابد انه سابق في وجوده على هذه القطع بمدة طويلة . واذا تذكرنا ان هذه المنطقة التي كشفت فيها هذه القطع تقع ضمن المناطق التي كان ينزل فيها السلاجقة وهم بعد قبائل شتى يتنقلون في ارجائها قبل ان يصبحوا أمة ناضجـة ـ سهل علينا ان نتصور انهم هم الذين ابتـكروا صناعة الطنافس ، ومما يؤيد هذا التصور ويزيدنا ايمانا بهذا الرأي ما كشف عنه مؤرخو الفن في مدينة قونية ، في مسجد عـلاء الدين قيقباد احد سلاطين السلاجقة من قطع من الطنافس اكبر حجما ، واوضح رسماً ، واظهر لونا من قطع طرفان سالفة الذكر ، وهي تتفق معها في طريقة الصنع تماما .

هذه القطع التي كانت مفروشة في ذلك المسجد معروضة الآن في متحف الفن الاسلامي

---

(1) Stein (sir Aurel) , Innermost Asia , Oxford , 1928 , vol. 1 P. 227 232, 248.

(2) في سنة ١٩٤٩ كشفت الحفائر الاثرية في مدينة Pazyryk بجبال الطاى عن قبر ظل مدفونا تحت الثلوج نحوا من الفي عام ـ عن طنفسة صغيرة مربعة الشكل مساحتها ٣٦ قدماً بها زخارف مختلفة من فرسان وحيوانات وازهار قد رسمت في اشرطة متوازية وقد نسبت الى القرنين الخامس والرابع ق.م وقد احدث اكتشافها ضجة بين المشتغلين بتاريخ الطنافس وظنوا لاول وهلة ان فيها الدليل المادي على ان صناعة الطنافس اقدم من السلاجقة بكثير وانها عريقة في القدم . ولـكن سرعان ما تبين ـ بعد الفحص التـكنولوجي ان الخمل هنا ليس نتيجة استعمال خصل الصوف ولـكنه نتيجة لطريقة الانشوطات التي اشرنا اليها في هامش ص ٨ من هذا البحث وبذلك انهارت النظرية الجديدة وعاد الرأي القديم الى سابق قوته .
راجع عن قطعة بازيرك : Barett (R. D.) The world's oldest Persian Carpet New discoveries from the Scythian tombs of Pazyryk, Illustrated London News , 1953 , 1955.

بمدينة اسطنبول وقد أرجعها الباحثون الى القرن السابع الهجري او الثالث عشر الميلادي على اساس انها معاصرة لبناء هذا المسجد الذي شيد في سنة ٦١٦ هـ (١٢١٩ م) ومع هذا البحث صورة قطعة واحدة منها نراها في اللوحة الثالثة .

ونخرج من دراسة طنافس مسجد علاء الدين في قونية بنتيجتين لهما اهميتها في دراسة الطنافس اليدوية الاسلامية عامة نجملهما فيما يلي :

اولا – لم تعد صناعة الطنافس قاصرة على الخيام ، والاكواخ في القرى ، يقوم بها الامهات والزوجات والاولاد والبنات على انوال صغيرة تتفق في حجمها مع مساحة خيامهم واكواخهم ، بل اصبحت صناعة منظمة لها مصانع في المدن فيها انوال كبيرة تتسع لنسج الطنافس الكبيرة مثل تلك التي وجدت في مسجد علاء الدين ولديها امكانيات عظيمة في المواد الخام اللازمة للنسج وللصبغ ، وفيها صناع محترفون ، يكسبون معاشهم من نسجها ، وليس من المستبعد ايضاً ان يكون هناك رسامون متخصصون يمدون النساج بالخرائط والزخارف .

ثانياً – ان الروح الهندسية هي المسيطرة في رسم الزخارف سواء في متن الطنفسة او في حاشيتها [1] . ففي المتن قد رسم النساج الزخارف النباتية بخطوط مستقيمة وفي الحاشية استعمل الخط الكوفي المربع في ملء فراغها . وسيطرة الخطوط الهندسية في الزخرفة ليست في الواقع من غير سبب فطريقة نسج الطنافس يسهل معها استعمال الخطوط المستقيمة افقية كانت أو رأسية او مائلة والكوفي المربع هو انسب الخطوط لهذه الروح الهندسية ولسنا ندري هل كانت الحاشية تزخرف بكلمات ذات معنى في اول الامر ثم اصبحت بتوالي

---

(١) متن الطنفسة هو ما يعبر عنه في الكتب الانجليزية باسم field وحاشية الطنفسة هي ما يعبر عنها باسم border وقد استعملت هذين اللفظين لاول مرة في دراسة الطنافس وارجو ان لا يجد فيها رجال اللغة العربية ما يتعا مع اصول اللغة .

الزمن مجرد خطوط افقية وخطوط رأسية يتصل بعضها ببعض وينتج عن اتصالها ما يشبه الكتابة وما هو من الكتابة في شيء ؟

* * *

وبين قطع حفائر بعثة طرفان ، وقطع مسجد علاء الدين [1] فترة من الزمن تقدر بثمانية قرون او سبعة قرون على الاقل تنقلت في خلالها صناعة الطنافس في درجات مختلفة من التطور في البلاد التي كان يحكمها السلاجقة العظام ومن جاء بعدهم من سلاطينهم الصغار في عصر الدويلات . وليس هناك من شك في ان طنافس مسجد علاء الدين ليست أقدم ما انتجه السلاجقة بعد ان تركوا حياة التنقل واستقروا في المدن والعواصم بل هناك طنافس سلجوقية مفقودة تسبق في وجودها هذه الطنافس، من بينها الطنافس السلجوقية الايرانية التي لم يصل الينا منها مثالا واحداً نقف منه على صورتها التي كانت عليها . على ان احد الرحالة الاوربيين الذي زار ايران ثم زار الاناضول في القرن الثالث عشر الميلادي (١٢٧١ م) يقول في رحلته ان الاناضول تنتج احسن الطنافس في العالم ، ونستخلص من هذا القول ان طنافس ايران في هذه الفترة كانت اقل جمالا من طنافس الاناضول التي تتمثل لنا في قطع مسجد علاء الدين .

ولكن ان صح كلام هذا الرحالة فاين ذهبت مهارة الفرس في عمل الابسطة التي ظهرت في « بهار كسرى » وفي بساط المتوكل ؟ ؟

تُرى هل كانت تلك الابسطة من نوع الا كلمة التي يسهل معها عمل تلك الزخارف الجميلة التى اشار اليها المؤرخون وعند ما ظهرت طريقة عمل الطنافس في العصر السلجوقي وكانت جديدة عليهم تعذر عليهم في اول الامر عمل مثل تلك الزخارف المعقدة بواسطة خصل الصوف ، ورسموا بدلا منها زخارف بسيطة فبدت طنافسهم اقل جمالا من طنافس الاناضول كما قرر الرحالة الايطالي .

---

(١) راجع عن هذه القطع : Erdmann , op. cit. p . 15 , 17 .

ام ان الفرس قد حذقوا صناعة الطنافس بعد ان تعلموها من السلاجقة وكانت لديهم طنافس جميلة مثل بهار كسرى وبساط المتوكل ولكن الرحالة الايطالي لم يرها لسبب لا نعرفه ، ورأى فقط الطنافس الايرانية ذات الزخارف البسيطة واتخذها اساساً لحكمه ؟

في اعتقادي ان الفرس كانت عندهم في العصر السلجوقي طنافس لا تقل عن طنافس الاناضول في ذلك العصر جمالا ان لم تفق عليها،ولكنها للاسف ضاعت مع الزمن ، وهذه العقيدة ليست في الحقيقة من غير سبب فان صور طنافس ايران في العصر المغولي ، وامثلة طنافس ايران في العصر الصفوي تدل دلالة واضحة على ان وراءها ماضي عريق في هذه الصناعة . واذا كانوا قد تأثروا بالاتجاه السلجوقي نحو العناصر الهندسية فاستخدموها في طنافسهم في العصر المغولي كما يتجلي لنا هذا من صور هذه الطنافس في المخطوطات الايرانية الا انهم عادوا الى العناصر النباتية والحيوانية التى احبوها طوال تاريخهم قبل الاسلام وبعده . اما حكم هذا الرحالة الايطالي فلا يمكن ان نقيم له وزنا ثقيلا فهو سائح عابر لم يتحر كل ما كانت تنتجه ايران من طنافس في ذلك العصر بل حكم على اساس ماوقع تحت نظره منها فجاء حكمه مشوباً بالنقص .

* * *

ويأتي الدور الثالث من ادوار التاريخ الفني لايران في عصرها الاسلامي والمغول هم المسيطرون على البلاد [1] . وهذا الدور مثل الدورين الاول والثاني من هذا التاريخ الفني لم يصل الينا منه شيء من الطنافس الايرانية ولكن ذلك لم يمنع من ان نكون عنها صورة اشد وضوحاً من الصورة الذهنية التي تخيلنا بها طنافس العصر السلجوقي والعصر السابق عليه . وذلك بفضل دخول عنصر جديد في دراسة الطنافس هي محاولة التعرف على انواعها وتأريخها من خلال صورها في رسوم المصورين ولوحاتهم في

(١) اعتبرنا العصر التيموري جزءا من العصر المغولي فتيمور ليس الا واحدا من هؤلاء المغول وقد خالفنا بذلك بعض الكتب التي تعتبر العصر التيموري منفصلا عن العصر المغولي .

في الشرق وفي الغرب . فلقد اتجه فريق من مؤرخي الفن الى دراسة الصور الاوربية والصور الاسلامية في المخطوطات التي بها رسوم لطنافس وذلك في اواخر القرن التاسع عشر وكان الباحث الالماني لسنج اول من وجه النظر الى ذلك بكتابه الذي نشر في برلين سنة ١٨٧٧ (١) ومنذ ذلك التاريخ والابحاث تتوالى في هذه الناحية ، وآخر ما ظهر منها - على قدر ما وصل اليه علمي - هو كتاب اردمان الذي صدر في سنة ١٩٦٢ (٢) وفي الحق ان فن التصوير في الشرق وفي الغرب قد ساهم بنصيب وفير في سبيل تيسير دراسة الطنافس الأثرية عامة ، ففي المخطوطات الايرانية ، وفي بعض لوحات بعض المصورين الاوربيين نرى رسوما للطنافس الشرقية ، رسمها المصورون الشرقيون او الغربيون في صورهم اولوحاتهم بقصد ابراز معالم البيئة التي يصورونها ومحاولة منهم لجعل الصورة او اللوحة اقرب الى تمثيل الواقع . وهذه الطنافس المصورة بعضها مفقود غير معروف اطلاقا مثل تلك الطنفسة التي استطاعت ان تتعرف عليها باحثة المانية (٣) ، ومثل الطنافس المغولية الايرانية التي سنتعرض لها بالدراسة بعد قليل . وبعضها موجود وعاونتنا بعض اللوحات الاوربية على تحديد مصدره (٤) .

ولعل خير ما يوضح طريقة هذه الدراسة هي ان نعرض هنا مثالاً لها من مقال قيم للسيدة برجز كتبته عن الطنافس التيمورية فقد حاولت ان تحدد معالم احدى الطنافس

---

(1) Lessing, Altorientalische Teppiche nach Bildern und Originales des XV und XVI Jahrhunderts, Berlin, 1877.

(2) Erdmann (K.), Europa und der Orientteppiche Berlin, 1962.

(3) Scheunemann (B), Eine unbekante Teppichgattung, Kunst des Orients, vol III, 1959 p. 78.

(٤) لقد استطعنا بفضل بعض لوحات المصورين الهولنديين: فان ديك ، وروبنز ،وبل، ان نتعرف على طنافس هراة التي اشتهرت باسم طنافس اصفهان - انظر ص ٣٧ و٣٨ من هذا البحث .

المغولية المرسومة في واحدة من صور مخطوطة المنظومات الخمسة للشاعر نظامي الكنجوي[1] الموجودة في المتحف البريطاني بلندن والتي ترجع الى القرن الخامس عشر (اللوحة الرابعة) وذلك بأن نقلت رسم الطنفسة الوسطى في تلك الصورة وحددت معالمها فبدت مستقلة في وجودها كما يظهر ذلك في اللوحة الخامسة .

على اننا ينبغي الا ننسى ونحن نعتمد على هذه الصور واللوحات في دراستنا للطنافس انه ليس من المستبعد ان يكون راسم الطنفسة قد استوحى خياله في هذا الرسم ولم يلتزم جانب الدقة والصدق في رسمه التفاصيل ، والراجح من مشاهدة صور المخطوطات الايرانية التي بها رسوم للطنافس ان الفنان قد حرص على ألا يخرج في رسمه عن التخطيط الرئيسي للطنفسة التي يرسمها . اما الالوان فمن الصعب ان نعرف ان كان الفنان قد التزم جانب الصدق في نقلها أم انه هذب في هذه الالوان بما يتفق مع ذوقه ولكنه ـ في معظم الاحيان ـ كان أميناً في اثبات الالوان . ومن هنا نرى ان هذه الوسيلة من وسائل الدراسة ينبغي ان نأخذها بشيء من الحذر ، وان ننظر اليها على انها ليست اكثر من قرينة تساعدنا على تصور الحقيقة ولكنها لايمكن أن تسمو الى مرتبة الدليل القوي .

ونحن اذا استعرضنا صور الطنافس في المخطوطات الايرانية التي ترجع الى القرن الرابع عشر الميلادي والنصف الاول من القرن الخامس عشر لاحظنا ان الزخارف الهندسية كانت لها مكان الصدارة ، ففي المتن نجد الاشكال الهندسية من نجوم ومثمنات ومسدسات ومخمسات ، وفي الحاشية نجد ما يشبه الكتابة الكوفية المربعة وما هي من الكتابة في

(١) تتضمن هذه القصائد الخمسة قصة مجنون ليلى وقصة الصور السبع وقصة خسرو وشيرين وكنز الاسرار ومغامرات الاسكندر ـ والصورة المنشورة هنا تمثل وليمة في الهواء الطلق وقد فرش على الارض اربع طنافس ، اخترت منها السيدة بزجز الطنفسة الوسطى ورسمتها على حدة من اجل ابراز معالمها انظر :

Briggs (A.) , Timurid Carpets, ARS Islamica Vol VII, 1940 and VoI, XI-XII, 1946 .

شيء وهي في ذلك تشبه طنافس مسجد علاء الدين [١] .

اما في مخطوطات النصف الثاني من القرن الخامس عشر فنلمس اتجاهاً جديداً في صور الطنافس اذ حلت محل الاشكال الهندسية المتعددة في متن الطنفسة صرة كبيرة تتوسط المتن Medallion ، مملوءة بالزخارف النباتية من ازهار واشجار واوراق وفروع . اما الحاشية فنلاحظ انه قد حل فيها محل شبه الكتابة الكوفية المربعة – فروع نباتية متموجة تخرج منها الاوراق والازهار تارة على اليمين وطوراً على اليسار .

ولا يملك الانسان امام هذا التغيير الا ان يتساءل تُرى كيف حدث هذا ؟ لقد عرفنا من قبل ان نساج الطنافس محافظون الى ابعد حد ، ولا يخرجون عن الطريق الذي ورثوه وساروا على نهجه قروناً عدة الا بدافع قوى يقسرهم على هذا التغيير ، فما هو هذا الدافع ؟ اغلب الظن ان هذا التغيير جاء نتيجة للثورة الفنية العارمة التي قامت في ايران في اواخر العصر المغولي الذي نتحدث عنه ، أو بعبارة اخرى في الفترة التيمورية ، اذ ملّ الناس تلك الطنافس ذات الزخارف الهندسية التي ذاعت مع دخول السلاجقة الى ايران ، وتاقت نفوسهم الى لون جديد من الطنافس يزدان بالازهار التي يحبونها ، ويتمثل فيها الربيع بوروده المختلفة الالوان ، وغصونه المحملة بالاوراق ، وطيوره الجاثمة بين الافنان . واذا تذكرنا انه كان يعيش في هذه الفترة ملك عظيم هو بيسنقر مرزا الذي عنى بفنون الكتاب عناية عظيمة فأسس لها في عاصمته « هراة » اكاديمية كان يعمل فيها عدد من الخطاطين والمصورين [٢] والمزوقين والمجلدين – اذا تذكرنا ذلك سهل علينا ان نتصور ان جماعة من هؤلاء الفنانين قد انفعلوا برغبة الناس في التغيير فنزلوا الى ميدان الطنافس يحاولون تطوير زخرفتها ، واستوحوا في عملهم « فنون الكتاب » التي كانت في اوج ازدهارها ، وكانت النتيجة هي

---

(١) راجع ص ١٧ من هذا البحث .

(٢) كان يعمل في هذه الاكاديمية للمصور « روح الله ميرك نقاش » استاذ بهزاد اشهر من انجبتهم ايران في عصرها الاسلامي في فن التصوير ،

الصورة الجديدة للطنفسة التي اصبحت في زخرفتها اشبه ما تكون بغلاف كتاب كبير تتوسطه صرة كبيرة ويدور حوله شريط مزين بزخارف نباتية ، ومنثور في كل ارجاء هذا السطح صنوف شتى من العناصر النباتية والحيوانية .

والآن نختار صور بعض المخطوطات الايرانية لنتعرف فيها على طنافس العصر المغولي ونحاول ان نستشف منها اسلوب الزخرفة فيها . ففي صورة من صور مخطوطة للشاهنامة مؤرخة في سنة ٨٣٣ هـ (١٤٤٠ م) [١] وموجودة في متحف گلستان بمدينة طهران نرى رسم طنفسة كبيرة تزدان في متنها بأشكال سداسية مملوءة بزخارف نباتية اما الحاشية ففيها زخرفة تشبه الكتابة الكوفية المربعة . ففي صورة هذه الطنفسة نرى امتزاج العناصر الهندسية بالعناصر النباتية كما نلاحظ استمرار الزخرفة السلجوقية في الحاشية الأمر الذي يحملنا على ان نرجعها الى اوائل العصر المغولي .

والصورة الثانية التي اخترناها للتعرف على طنافس العصر المغولي موجودة في مخطوطة « بستان » للشاعر الايراني « ســعدى » وهي مؤرخة في سنة ٨٩٣ هـ (١٤٨٨ م) وموجودةفي دار الكتب المصرية بالقاهرة[٢] وفيها نرى طنفسة مفروشة تحت رجل وامرأة وفي حاشية الطنفسة نشاهد فرعاً نباتياً متموجاً يتصل بهمن جانبيه ازهار مختلفة وهذا يعني

---

(١) يمكن ان نرى هذه الصورة في اطلس الفنون الاسلامية للمرحوم الدكتور زكي محمد حسن تحت رقم ٨٣١ مكرر وتمثل احدى قصص الشاهنامة التي جرت حوادثها بين رستم واسفنديار ، ونراهما في الصورة جالسين فوق الطنفسة يتصافحان قبل المبارزة التي جرت بينها وانتهت بقتل اسفنديار . وسبب المبارزة هو ان اسفنديار استدعى رستم واجلسه على يساره ،بدلا من ان يجلسه على يمينه فشعر رستم بانه اهين في كرامته وغضب وبارز اسفنديار .

(٢) هذه الصورة موجودة في اطلس الفنون الاسلامية سالف الذكر تحت رقم (٨٣٧ م) وهي تمثل منظراً من قصة يوسف الصديق حين حاولت امرأة العزيز اغراءه فأمرت بتزين جدران حجرتها بصور تمثلها بين ذراعي يوسف في اوضاع تثير فيه الشبق حتى يستجيب لما تريد . ثم احتالت عليه ليذهب معها الى غرفتها واخذت تخترق الابواب واحداً وراء الآخر حتى انتهت الى حجرتها ذات الصور ، وتطلع يوسف الى الجدران وما عليها من صور وصبت نفسه ، وهمّ بها لو لا ان رأى برهان ربه فولى مدبراً وجرت خلفه تحاول منعه من الخروج .

ان تطوراً واضحاً قد طرأ على زخرفة الحاشية اذ حل محل شبه الكتابة الكوفية المربعة تلك الزخرفة النباتية . اما متن الطنفسة فيزدان بصرة واحدة كبيرة مملوءة بالزخارف النباتية وهذا يعني كذلك ان تطوراً واضحاً قد طرأ على زخرفة المتن واصبحنا الآن امام صورة جديدة للطنافس الايرانية لم تكن موجودة من قبل .

والصورة الثالثة يبدو فيه رسم الطنفسة المغولية بشكل واضح جلي فالمتن بصرته الكبيرة والحاشية بزخارفها النباتية وهي من نفس المخطوط سالف الذكر ونراها مع هذا البحث في اللوحة السادسة [1] ولعل اهم ما يسترعي النظر في زخارفها ظهور عنصر جديد وارد من بلاد الصين يسمى في كتب الفن بالسحب الصينية (تشى تشى)(شكل٢) وظهور هذا العنصر الصيني وغيره من العناصر الصينية الاخرى التي وجدت طريقها الى المنتجات الفنية انما يفسره ارتباط ايران بالصين في هذا العصر ارتباطاً وثيقاً .



(شكل ٢)

* * *

والدور الاخير من ادوار التاريخ الفني لايران هو دور العصر الصفوي ، وهو اغنى هذه الأدوار جميعاً في الطنافس الأثرية ، بل ان جميع الطنافس المعروفة في متاحف اوربا

(١) تمثل هذه الصورة احد مجالس الطرب والشراب التي كانت مألوفة في ذلك العصر ، ونشاهد فوق الطنفسة الى اليمين شخصاً يبدو عليه انه افرط في الشراب فالت رأسه اما الشخص الجالس الى اليسار فهو السلطان حسين ميرزا بيقرا احد سلاطين هراة (١٤٦٨ ـ ١٥٠٦ م) الذي كتب له هذا المخطوط .

وامريكا ومتاحف الشرق ، والطنافس التي يعتز بحيازتها هواة الفن [١] انما ترجع الى هذا العصر وما بعده .

والواقع ان كثرة هذه الطنافس تثير امام الباحث كثيراً من الصعاب في سبيل دراستها من الناحية الفنية ومحاولة تأريخها تاريخاً دقيقاً ، وتحديد موطنها من بلاد ايران الشاسعة . وان الانسان ليحس كيف تخبط الباحثون في هذه الدراسة منذ بدأت العناية بالطنافس باعتبارها انتاج فني جدير بالاهتمام . فقد نزل الى ميدان هذه الدراسة تجار الطنافس واخذوا يدلسون على المشترين بأن ينسبوا الى بعض البلاد التي اشتهرت بنسج الطنافس الجيدة انواعاً لم تعرفها انوال تلك البلاد ، رغبة منهم في الكسب المادي الباهظ التى ضحوا في سبيله بالحقيقة التى كان يمكن ان يستفيد بها مؤرخو الفن . ونزل الى هذا الميدان كذلك الهواة الذين انساق بعضهم وراء اقوال مثل اولئك التجار رغبة في رفع شأن مجموعاتهم . وساهم في هذا الميدان ايضاً بعض من اصحاب المعلومات الضحلة الذين يأخذون بظواهر الامور ولا يتعمقون في البحث وراء الأصول . ولقد ترتب على ذلك كله ان حفلت الدراسات الاولى للطنافس الشرقية الأثرية بالكثير من الاخطاء . ولعله مما يستلفت النظر في بعض الكتب التى تصدت الى تأريخ الطنافس على اساس علمي سليم [٢] عبارات تثير التساؤل مثل :

---

(١) من اشهر هواة جمع الطنافس الشرقية في الوقت الحاضر في امريكا المستر مكلان في نيويورك الذي لديه مجموعة من انفس المجموعات وأنمها إذ تنتظم امثلة كثيرة من الطنافس الشرقية في العالم وقد نشرها اخيراً في مجلد ضخم يتضمن صورها بألوانها الحقيقية وهذا الكتاب هو :

Jozseph V. Mcmullan : Islamic Carpets, Near Eastern Art Research Center Inc., Newyork 1965.

(٢) نذكر على سبيل المثال لا الحصر كتاب :

Bode-Kuhnel, Antique Rugs from The Near East, English translation by Charles Grant Ellis, Braunschweig, Berlin ; 1958.

The So-called Polish Carpets., The So-called Isphahan Carpets etc [1].

والواقع ان هذه العبارة التى تتصدر فصولاً مختلفة في بعض الكتب القيمة التى تدور حول تاريخ الطنافس ، انما تعني انهذا النوع اشتهر باسم نسب اليه على أسس واهية ، ودراسة غير عميقة او مشوبة بالغرض ثم اعاد الباحثون المخلصون النظر فيه وخرجوا من دراستهم برأي جديد ، مدعم بالاسانيد حاولوا ان يصححوا على اساسه هذا الخطأ . وسوف يصادفنا بعد قليل أمثلة من ذلك توضح ما نقصد اليه .

وهكذا نرى كيف سارت دراسة الطنافس الاسلامية في اول امرها ، ولكنها لم تلبث ان استقام عودها وظهر فيها باحثون كرسوا حياتهم لابراز اهمية هذه الناحية من الحضارة الاسلامية ، وتوفروا على دراستها دراسة تتسم بالعمق والاصالة ، يضيق المقام هنا عن ذكرهم جميعاً ولكنني لا استطيع ان اغفل ذكر اثنين منهم كانا لهما الفضل كل الفضل في تمهيد الطريق للدراسة الصحيحة للطنافس الاثرية ، وفي وضع المعالم على جانبي هذا الطريق لكي يهتدي بها من يجيء بعدهما ممن يعني بهذه الناحية وهما كونل واردمان ـ طيب الله ثراهما ـ ولقد تتلمذت على اولهما وزاملت الثاني في القاهرة وبرلين ـ قبل الحرب العالمية الثانية ـ وامتدت صداقتى بهما عشرات السنين استفدت فيها بأبحاثهما ، واستنرت بالكثير من آرائهما المنشورة وغير المنشورة ، واضفت الى ذلك كله خبرتي الشخصية في هذا المجال مدة تزيد على ثلاثين عاماً قضيتها في البحث بشقيه العلمي والعملي ، وقمت فيها بتدريس الفنون الزخرفية الاسلامية ومن بينها الطنافس في جامعات الاسكندرية والقاهرة وفينا وبغداد . وخرجت من ذلك كله بالسطور القليلة التالية التى ارجو مخلصاً أن اكون قد مهدت بها

---

(١) هناك عبارات اخرى كثيرة من هذا القبيل لاتتصل بالطنافس الايرانية ولكنها تتصل بالطنافس التركية والقوقازية مثل : The So - Called Damascus Carpets , The So - Called Holbein Carpets, The So - Called Dragon Carpets.

لقراء العربية سبيل مواصلة الدرس في هذه الناحية القيمة من نواحي الحضـــارة المادية لاجدادنا من المسلمين .

ولعل اولما تتجه اليه العناية فيهذه الدراسة هو العامل الجغرافي ، فليس من شك في انصناعة الطنافس فيالعصور الوسطى قد تأثرت بالبيئة الجغرافية ، فالتضاريسوما فيها من مراعي لها ابعد الاثر في طبيعة الصوف الذي نحصل عليه من حيوانات هـذه المراعي ، فقد يكون صوفاً ناعماً يأتينا من الحيوانات التي ترعى في المرتفعات ، أو قد يكون صوفاً خشناً تمدنا به الحيوانات التي ترعى في المنخفضات . وطبيعة المياه الجارية فيالبيئة وما تحمله من املاح تتفاعل مع الاصباغ ، وتوفر النباتات والحيوانات التي تستخدم في عمل الالوان

واذا نحن استعرضنا بلاد ايران من الناحية الجغرافية رأينا ان اهم المناطق التي توفرت فيها العوامل المساعدة على قيام صناعة الطنافس اربعة : منطقة الشمال الغربي حول مدينة تبريز ، ووسط البلاد حول مدينتي قاشان واصفهان ، والمنطقة الجنوبية حول كرمان ، والمنطقة الشرقية حول مدينة هراة ، وسنحاول في السطور القادمة ان نحدد اهم انواع الطنافس التي خرجت من انوال هذه المناطق .

اما المنطقة الشمالية الغربية الواقعة حول تبريز فقد اشتهرت بانتاج ثلاثة انواع من الطنافس تتفق في المواد الخام المصنوعـــة منها ، وفي العقدة المتبعة في نسجها ، ولـكنها تختلف في التصميم الزخرفي الذي يســـودها ، وهي تعرف في كتب تاريخ الفن باسم « الطنافس الحديقية » و « الطنافس الصرّية » و « طنافس الارابسك » .

والنوع الاول يذكرنا ببهار كسرى الذي اسلفنا الاشارة اليه [1] اذ يقوم تصميمه الزخرفي على رسم حديقة فيها احواض الازهار ، وقنوات يجري فيها الماء وقـــد تسبح الاسماك ، وطيور جاثمة بين اغصان الورد . وفي اللوحة السابعة المنشورة مع هـذا البحث ما يغني عن الاطالة في الوصف .

---

(١) ص ١٢ — ١٥ من هذا البحث .

وظهور هذا التصميم الزخرفي في هذا العصر هو مظهر من مظاهر احياء الحضارة الساسانية التي حرص الفرس ، طوال تاريخهم الاسلامي ، على بعثها واحيائها من جديد [١] ولسنا ندري في الحقيقة هل استمر هذا التصميم الساساني خلال العصر السلجوقي والعصر المغولي ام لم يستمر، وهل احتفظ به نساجو الطنافس في القرى دون المدن حيث كان السائد هو الفن الذي احضره السلاجقة معهم والذي يتمثل في الزخارف الهندسية ، وعند ما قامت الدولة الصفوية ـ وهي اول دولة وطنية حكمت ايران باكملها بعد الساسانيين وجد هذا التصميم الساساني مجالا للظهور ؟ اسئلة نضعها بين يدي الباحثين في هـــذا المجال لعلهم يجيبون عليها في يوم من الايام .

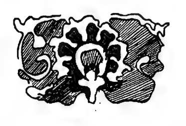
والنوع الثاني لن نقف عنده طويلا فقد رأيناه مصوراً في المخطوطات الايرانية التي ترجع الى العصر المغولي اي انه في الواقع استمرار لما ظهر في اواخر العصر المغولي او العصر التيموري كما يسمى احياناً [٢] ، وقد استمد اسمه من الصرة التي تتوسطه ، ويختلف شكل الصرة من طنفســة الى اخرى ، وتتعدد صورها حتى ليكاد يخطئها الحصر ، ولعل اكثر اشكالها شيوعاً ماكان مستديراً او بيضاوياً او معيناً ، وهي ترسم احياناً بخطوط لا عوج فيها واحياناً باقواس متصلة صغيرة او كبيرة او صغيرة وكبيرة معاً . والعناصر

---

(١) ما كاد الفرس يستفيقون من هول صدمة الغزو العربي لبلادهم حتى اخذوا يعملون على استرجاع استقلالهم السياسي وعلى احياء ثقافتهم الايرانية ، ولم يثنهم عن المضي في تحقيق هذين الهدفين ما اصاب ابو مسلم الخراساني على يدي المنصور ، وما اصاب البرامكة على يدي الرشيد ، ولعل اول خطوة لنجاحهم جاءت ايام المأمون عندما منح طاهر بن الحسين مقاطعة خراسان فاستقل بها سياسياً ، والخطوة الثانية وقعت عندما حاول يعقوب بن الليث الصفار اعادة بناء المدائن واحياء مجدها القديم ، وعندما حث بطريق غيرمباشر علىاحياء اللغة الفارسية . اما الخطوة الثالثة فتتجلى في محاولة السامانيين والبويهيين ربط نسبهم بالفرس القدماء وفي كتابة الفردوسي للشاهنامة وفيما قام به محمود الغزنوي من تصوير فصول من التاريخ الساساني على جدران قصره ،

(٢) ص ٢٠ من هذا البحث .

الرئيسية للزخرفة تلعب دوراً هاماً في تجميل هـذا النوع ، فهناك امثلة منه تقتصر زخارفها على العناصر النباتية ، وهناك امثلة تجمع بين الزخارف النباتية والزخارف الحيوانية ، وهناك امثلة تنظر اليها فكأنك تشاهد لوحة فنية تمثل منظراً متكامل الاجزاء من مناظر الطبيعة بما فيها من جبال واحراش وانهار ، وحيوانات تسعى بين احضان هذه الطبيعة ، وفرسان خرجوا على ظهور جيادهم لكي يمارسوا متعة الصيد ، فاذا الوحوش تفر هنا وهناك ، واذا منها من تصيبه السهام وهو يعدو فراراً ، ومنها من يعاجله الفارس بسيفه فيخر صريعاً . ولعل اقدم مثال لطنافس الصيد ـ كما تسمى احياناً ـ بل ولجميع الطنافس الايرانية عامة هو الطنفسة التي يفخر بحيازتها متحف بولدي بتزولي ـ احد متاحف مدينة ميلان في ايطاليا (اللوحة الثامنة) ـ والتي كانت اغلب الظن مفروشة في احد القصور الايرانية في عصر الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٢ ـ ١٥٢٤ م) ومتنها ذو لون ازرق قاتم ، تجري فوقه الفروع النباتية الدقيقة ذات الالوان المختلفة وبوسطه صرة كبيرة . وفيه منظر الصيد الذي يموج بالحركة والحياة . والحاشية قوامها اشرطة ثلاثة ، اوسطها اوسعها وفيه نوع الزخرفة النخيلية (البالمت)(شكل٣) مع الفروع النباتية الدقيقة المحملة بالاوراق



(شكل ٣)

والورود . وجمال هذه الطنفسة وجمال غيرها من الطنافس المنشورة صورتها في هذا البحث لايتجلى لنا بصورته الجذابة الا اذا شاهدناها حيث هي او شاهدنا لها لوحات ملونة، حينئذ ننفعل بها ونؤمن عن يقين بسمو الفن الاسلامي وروعته وبحذق الفنان المسلم وعبقريته ،

ومهارة الصانع ودقته . ولقد اجتمعت في هذه الطنفسة فنون النظر الجميلة مع فن الشعر اذ زينت بابيات من الشعر الايراني نذكر منها ما ترجمته : « انها (اي الطنفسة) حديقة ملأى بالسوسن والورد ولذا اتخذها البلبل مسكناً » .

ومما يرفع من قيمة هذه التحفة من زاوية تاريخ الفن انها تضمنت تاريخ نسجها وهو سنة ٩٢٩ هـ (١٥٢٢ م) واسم ناسجها « غياث الدين جامي » .

واذا كانت هذه الطنفسة المؤرخة ـ والامثلة المؤرخة في الطنافس نادرة جداً ـ تعطينا فكرة واضحة عن طنافس القصور في العصر الصفوي ، فان هناك طنفسة اخرى ، مؤرخة كذلك تعطينا فكرة واضحة عن طنافس المساجد في ذلك العصر هي المعروفة « بطنفسة اردبيل » ، وقبل ان نتحدث عنها ينبغي ان نشير أن ثمة فارق واضح بين طنافس القصور وطنافس المساجد ففي الاولى نرى حرية الفنان في اختيار الزخارف وفي الثانية نرى حرصه على ان يزخرف الطنافس بما لا شك في اتفاقه مع اتجاهات الدين الاسلامي او بعبارة اخرى بتلك الزخارف التى حببها الاسلام الى الفنانين وهي الزخارف النباتية والزخارف الهندسية (اي التي ليس فيها روح) أخذاً من الحديث النبوي الذي رواه البخاري بسنده عن سعيد بن ابي الحسن [1] .

وطنفسة اردبيل (اللوحة التاسعة) قد استمدت اسمها من مدينة اردبيل بايران ، وقد كانت في الاصل في مسجد الشيخ صفي الدين بتلك المدينة مع اخت لها شبيهة بها تماماً وقد وجدتا طريقها الى لندن بطريقة ما ، وهناك استخدمت احداهما في اصلاح ما بلى من الاخرى واكمال ما نقص من اجزائها .

---

(١) في كتاب البيوع من صحيح البخاري (ب ١٠٤) حديث جاء فيه « كنت عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ اتاه رجل فقال : يا ابن عباس اني انسان انما أعيش من صنعة يدي ، واني اصنع هذه التصاوير فقال ابن عباس لا احدثك الا ما سمعت رسول صلى الله عليه وسلم يقول : سمعته يقول : من صور صورة فان الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ ابداً . فربا الرجل ربوة واصفر وجهه فقال (ابن عباس) ويحك ! ان ابيت الا ان تصنع فعليك بهذا الشجر وكل ما ليس فيه روح » .

ويعتز متحف فيكتوريا والبرت بحيازته للطنفسة الكاملة منها ، اما الاخرى فقـد وجدت سبيلها الى امريكا في متحف لوس انجلوس [1] . ونكتفي هنا بدراسة الطنفسة الاولى التي تعجز الالفاظ عن وصفها وصفاً صادقاً دقيقاً ، وكل ما يمكن ان نشير اليه هو ان المتن فيها ذو لون ازرق قاتم وانه يزدان في وسطه بصرة نجمية الشكل لها ستة عشر رأساً وهي مملوءة بزخرفة الارابسك وبالسحب الصينية (شكل ٢) وارضها تختلف في لونها عن لون المتن اذ هي صفراء بينما المتن ـ كما ذكرنا ـ ازرق . ويتدلى من اسفل هذه الصرة مصباح من مصابيح المساجد (او مشكاة كما تسمى خطأ) ، ويتصل بها من اعلى مصباح آخر شبيه بالمصباح الاول، ويمتلىء سطح المتن بالفروع النباتية والازهار والوريدات المختلفة الالوان وفي الزوايا الاربعة له نجد زخرفة شبيهة بزخرفة الصرة او بعبارة اخرى نجد ربع الصرة مرسوماً في كل ركن من أركان المتن ، اما الحاشية فقوامها ثلاثة اشرطة اوسعها في الوسط وفيه مناطق [2] مختلفة الاشكال مملوءة بالزخارف النباتية . والى جانب هذا الجمال الفني يوجد جمال من نوع آخر يزيد في روعة هذه الطنفسة ، هو جمال الشعر الفارسي المأخوذ من ديوان حافظ الشيرازي والذي نختار منه ما ترجمته : « اللهم لا ملجأ لي في دنياي الا عتبتك ، ولا حمى لرأسي الا عند هذا الباب » . وترتفع قيمة هذه الطنفسة من ناحية الدراسة اذا عرفنا انها تتضمن تاريخ نسجها واسم ناسجها ، اذ نقرأ بها هذه العبارة : « صنعة خادم الاعتاب مقصود القاشاني سنة ٩٤٦ » (١٥٣٩ م) .

ونسبة الناسج الى قاشان ينبغي ان نأخذها بحذر شديد اذ ليس من الضروري ان يكون هذا الناسج نفسه من قاشان بل ربما كانت اسرته من تلك المدينة اما هو فقد نشأ في مدينة اخرى . واغلب الظن ان هذه الطنفسة قد نسجت في تبريز ـ عاصمة الصفويين ـ وليس في قاشان وذلك على اساس ان الحمل هنا من الصوف وليس من الحرير [3] .

---

(١) انظر كتاب ماكلان ، وكتاب بوده وكونل ، المشار اليهما في هامش ص ٢٦ من هذا البحث.

(٢) هذه ترجمة لكلمة Cartouches الانجليزية .

(٣) اشتهرت قاشان باستعمال الحمل الحريري (انظر ص ٣٤ من البحث) .

والنوع الثالث الذي يخرج من انوال منطقة تبريز هو المعروف باسم «طنافس الارابسك» ومن هذا الاسم ندرك بسهولة ان الزخرفة الغالبة عليها هي ذلك النوع من الزخرف الذي اشرنا اليه من قبل [1] (شكل ٤) . ويستلفت النظر في زخارف الطنافس التي من هذا



(شكل ٤)

النوع تكرار الواحدة الزخرفية تكراراً لا نهاية له ، وهذا التكرار اللا نهائي انما يترجم عن احدى خصائص الفن الاسلامي ، وينم بصورة واضحة عن فلسفة الفنان المسلم ، فهذا الفنان لا يطيق الفراغ ويهرب منه [2] ، وهو عندما يكرر الوحدة الزخرفية انما يقصد الى ان لا يستقر في بؤرة الشعور منها شيء حتى يحمي نفسه من الغرور الذي يتملك الفنان ويجعله يظن انه قادر على ان يخلق مثل ما يخلق الله سبحانه وتعالى ، ان هدف الفنان المسلم في الحقيقة هو تجميل الحياة لا تخليدها ، وهو في ذلك يختلف عن زميله الاوربي الذي كان يهدف بفنه في العصور الوسطى الى التخليد اكثر مما يهدف الى التجميل . ولعل من اجمل امثلة هذا النوع القطعة المصورة فى اللوحة العاشرة المعروضة في متحف برلين والتي ترجع الى النصف الثاني من القرن السادس عشر .

وفي المنطقة الوسطى من ايران حيث تقوم مدينتي قاشان واصفهان ازدهرت صناعة

(١) انظر ص ١١ و١٢ من هذا البحث .

(٢) تعبر كتب تاريخ الفن عن هذه الظاهرة بعبارة Horor Vacui

الطنافس ازدهاراً عظيما . اما قاشان فقد عرفت بمنسوجاتها الحريرية ، وبالطنافس ذات الخمل الحريري ايضاً ، ولعل مبعث ذلك هو توفر الحرير بسبب البيئة المناسبة لديدان القز التي تمدنا بهذه المادة الجميلة .

واستخدام الحرير في عمل خمل الطنافس فتح صفحة جديدة في هذه الصناعة واكسب الطنافس جمالا فنياً لم يكن لها من قبل ، فليس هناك من شك في ان الخمل الحريري اجمل في مظهره من الخمل المصنوع من الصوف ، فلمسه ناعم ، واذا سقط عليه الضوء تألقت اصباغه وبدت في درجات مختلفة من الالوان ، والعقد الحريرية التي تحدث الخمل تكون عادة اصغر من عقد الصوف وهذا من شأنه ان يجعل الرسم ادق والالوان اكثر . ولكننا لاينبغي ان ننسى ان الطنافس ذات الخمل الحريري لا تقوى على مرور الزمن وكثرة الاستعمال مثل الطنافس الصوفية التي تمتاز بليونة لا تتوفر في الطنافس الحريرية والخمل فيها له قابلية اكثر من قابلية الحرير في التشرب بالاصباغ والاحتفاظ بها مدة اطول . ومن هنا استعملت الطنافس الحريرية لكي تعلق على الجدران او تفرش على الموائد وقل استعمالها غطاء للارض ولعل اروع طنفسة حريرية وصلت الينا هي تلك التي يفخر بحيازتها متحف الفنون الزخرفية في مدينة فينا والتي تعد اقدم طنفسة من هذا النوع (اللوحة الحادية عشر) وهي تذكرنا بطنفسة الصيد في ميلان التي اشرنا اليها من قبل [1] ولكن شتان بين جمال هذه وجمال تلك ، فطنفسة ميلان من الصوف بينما طنفسة فينا هذه من الحرير اما الزخرف فواحد في الطنفستين وهو يمثل منظراً من مناظر الصيد والمتن في هذه الطنفسة لونه احمر وتتوسطه صرة كبيرة لونها اخضر وتبدو الحيوانات والفرسان هنا وهناك في الوان رائعة وحركات منسقة تكاد توحي للانسان بانه امام منظر طبيعي حقيقي لا امام صورة من رسم فنان ماهر. وفي زوايا المتن نرى التنين والعنقاء قد فغر كل منها فاهه للاخر

(١) انظر ص ٩٢ من هذا البحث واللوحة الثامنة

اما الحاشية التي تتكون من ثلاثة اشرطة اوسعها في الوسط فنرى فيها صوراً آدمية مجنحة يصفها مؤرخو الفن الاوربيون بانها تمثل الجن او تمثل الملائكة قد رسمت وسط ازهار وفروع نباتية . وفي الحق ان دقة التصوير في هذه الطنفسة ، وتناسق الوانهـــا وشيوع الحركة والحياة في اجزائها المختلفة لتحمل على الظن بان الذي اعد رسمها لابد ان يكون من كبـار المصورين الايرانيين ، وليس من المستبعد قط ان يكون هو المصور « سلطان محمد » اشهر مصوري بلاط الشاه طهاسب . واذا صح هذا الفرض فان تاريخ هذه الطنفسة يقع حوالي منتصف القرن السادس عشر الميلادي لأن هذا المصور مات حـوالي سنة ١٥٥٥ م ولعـله مما يؤيد هذا التاريخ هو ما نشاهده في عمامات الفرسان المرسومين في هذه الطنفسة من عصى بارزة فقد كان هذا الزي في العمامات شائعاً في ذلك الوقت .

ترى كيف وصلت هذه الطنفسة الرائعة الى فينا ؟ لقـــد كانت في الاصل بين كنوز اباطرة النمسا من اسرة هابسبرج ، ويقال أنها أهديت الى احد افراد هذه الاسرة من قيصر روسيا بطرس الاكبر ، اما كيف وصلت الى بطرس الاكبر فأمر لا يزال يكتنفه الغموض حتى اليوم [1] .

ولا تقل شهرة « اصبهان » في عمل الطنافس عن « قاشان » ان لم تزد عليها ، الامر الذي حمل تجار الطنافس على نسبة منتجات انوال اخرى من الطنافس اليها بغير سبب الا الرغبة في الاستفادة من شهرة هذه المدينة وما يترتب على هذه النسبة المفتعلة من كسب مادي .

ومن احسن ما اخرجته انوال اصفهان من الطنافس ذلك النوع المعروف باسم « الطنافس البولندية » والواقع انه لم ينسج في بولندة بل نسج في ايران في مدينة اصبهان في عصر الشاه عباس ، ومن هنا كان « اردمان » على حق عند ما رأى ان يسميه « طنافس الشـاه عباس » لأنه ظهر في عصر هذا الشاه ونسج في عاصمته اصفهان ، وانتشر في ايامه انتشاراً

---

(١) راجع كتاب :

Sarre (F.) & Trendwald (H.), Altorientalische Teppiche, Leipzig 1926 - 1928, Vol 2 .

عظيما، واهدى منه عدد كبير الى ملوك اوربا وامرائها ، (اللوحة الاولى) ولذلك كان ما وصل الينا منه عدد لا يستهان به موزع بين المتاحف الأثرية في اوربا وامريكا وفي مشهد الامام علي ـ كرم الله وجهه ـ في النجف الاشرف جزء من طنفسة من هذا النوع .

ولعل اخص ما يميز هذه الطنافس هو الوانها الهادئة التي يغلب عليها اللون الذهبي[1] اما الزخارف فتقوم ، اكثر ما تقوم ، على العناصر النباتية . ويتوسط المتن عادة « صرة» وفي الزوايا الاربعة اجزاء من هذه الصرة ، والسحب الصينية تظهر في هذا النوع في صورها المختلفة ، والحاشية من ثلاثة اشرطة الاوسط منها هو اوسعها وفيه نرى فروعا نباتية متموجة وازهار قد نسقت في رسمها تنسيقاً ابعدها عن الطبيعة ، والواقع اننا نلمس في زخارف هذا النوع بصفة عامة ذوقا اقرب الى الذوق الاوربي منه الى الذوق الشرقي يضاف الى هذا ظهور رنوك اوشعارات بعض الاسر الاوربية عليه الامر الذي من اجله نسب الى بولنده. ولكن هل تقوم هذه النسبة على اسس علمية صحيحة ؟ لقد اجاب على هذا السؤال العالم الالماني بوده الذي توفر على دراسة هذا النوع وبيّن انه انما نسج في ايران (اصفهان) لكي يصدر الى اوربا ومن هنا روعي في زخارفه ان تتجه الى الذوق الاوربي ، وقد كانت بعض الاسر الحاكمة في اوربا توصي بعمل هذه الطنافس في ايران لحسابها وتطلب رسم شعارها عليها ، وقد اشارت الى ذلك المراجع البولندية[2] .

ويلاحظ على هذه الطنافس من حيث الصناعة انها اقل متانة من غيرها من الطنافس الايرانية وهي منسوجة بخمل من الحرير وقد تدخل في نسجها خيوط الذهب والفضة ومن

---

(١) هناك لوحة ملونة من هذا النوع يمكن ان نراها في كتاب :

Erdmann (K.), Europa und der Orientteppiche , Berlin 1962 , p . q6 pl , 45.

(٢) راجع في هذا الصدد بحثاً للمؤلف البولندي مانوكوفسكي :

Mankowski (T.) , Some Documents from Polish Sources Relating to Carpet making in the Time of Shah Abbas 1., in Pope, Survey of Persian Art, III. P. 2431-36.

هنا كانت تعلق على الجدران او تغطى بها الموائد ومن اروع امثلتها واحدة من الحرير ترجع الى بداية القرن السابع عشر معروضة في متحف برلين نرى صورتها في اللوحة الثانية عشر .

والمنطقة الثالثة التي لعبت دوراً واضحاً في انتاج الطنافس في ايران هي الواقعة الى الشرق في خراسان حول مدينة هراة التي كانت يوماً ما عاصمة للتيموريين خلال القرن الخامس عشر كما ذكرنا من قبل . ولقد وصفت طنافس هراة في القرن السابع عشر بأنها من اجمل الطنافس الايرانية واحسنها على حد قول احد الرحالة الاوربيين الذي زار ايران في سنة ١٦٣٧ ، الا انه قد لحق بطنافس هذه المنطقة ظلم بيّن عند ما اختفى مصدرها الحقيقي ليحل محله اسم « اصفهان » . ذلك انه عند ما تنبه الغربيون الى اهمية الطنافس الشرقية باعتبارها قطع فنية جديرة بالدرس ، وبدأت العناية بجمعها في القرن التاسع عشر اطلق التجار الذين ساهموا في هذا الجمع اسم « اصفهان » على طنافس هراة واغفلوا الحقيقة سعياً وراء الكسب المادي ، وهكذا شاعت هذه التسمية الخاطئة ، ولولا دخول عنصر جديد في دراسة الطنافس الشرقية هو الاستعانة بما هو مصور منها في لوحات المصورين الاوربيين توصلا الى معرفة تاريخها ومصدرها [1] لظلت هذه التسمية الخاطئة عالقة بهذا النوع الى اليوم ، ذلك انه لوحظ في بعض لوحات بعض المصورين الهولنديين مثل روبنز (اللوحة الثالثة عشر) وفان ديك ، وبُل (اللوحة الرابعة عشر) وجود صور تمثل نوعاً من الطنافس له طابع خاص يختلف عن الطنافس الشرقية الاخرى التي ظهرت لها صور في بعض لوحات مصوري عصر النهضة في ايطاليا والمانيا من امثال هولبين ورفايلودى جاربو وغيرهما ـ طنافس امتازت ارضيتها في المتن والحاشية بلونها الاحمر الوردي وزخارفها التي تقوم على المراوح النخيلية الكبيرة الحجم (شكل ٣) كما تقوم على الاوراق النباتية الطويلة المقوسة التي اشبه ما تكون بريشة الطائر ، وامتازت كذلك باستعمال بعض زخارف المتن في تزيين الحاشية ،

---

(١) انظر ص ٢٠ وما بعدها من هذا البحث .

وقد تظهر في زخارفها صور بعض الحيوانات اما منفردة او يفترس احدها الآخر كما تظهر كذلك بعض السحب الصينية (شكل ٢) . ولقد وجد مؤرخوالفن في هذه الخصائص ما يفردها عن طنافس اصفهان ورأوا فيها دليلاً آخر يؤيد استقلالها عن طنافس تلك المدينة ذلك انه حتى القرن التاسع عشر كانت هراة تنتج طنافس شبيهة بتلك الطنافس المصورة في لوحات المصورين الهولنديين مما يقطع بأن « هراة » كانت لها شخصيتها القوية في نسج الطنافس . ويضاف الى هذا كله ان العلاقات التجارية بين هراة وهولندة في العصور الوسطى كانت نشطة لا سيما في تجارة الطنافس وقد كان في امستردام مركز لتجار الطنافس من الارمن الايرانيين الذين كانوا يستوردونها من هراة . وهكذا كان لاعمال بعض المصورين الاوربين فضل كبير في التعرف على نوع من الطنافس ظلمه جشع التجار . وفي اللوحة (الخامسة عشر) صورة تمثل اقدم طنفسة من هذا النوع اذ ترجع الى القرن السادس عشر وهي معروضة في متحف الفنون الزخرفية في فينا [١] وهي تمتاز بلونها الاحمر الفاتح (او الوردي) في المتن حيث نرى الزخارف الحيوانية والسحب الصينية (شكل ٢) والبالمت الكبيرة (شكل ٣) والورود الصغيرة قد توزعت على سطح المتن في تناسق بديع ، اما الحاشية فقوامها ثلاثة اشرطة ، الاوسط اوسعها مساحة ، وارضيته باللون الاخضر وتطغى عليه الفروع المتموجة والازهار الصغيرة والبالمت .

ولقد لعبت طنافس هراة دوراً كبيراً في طنافس الهند ، فقد اتخذها نساج الطنافس هناك نموذجاً لهم نسجوا على منواله في التلوين والزخرفة .

وننتقل الآن الى جنوب ايران حيث اقليم كرمان ، وهنا نجد انفسنا امام طراز جديد يعد من اجمل طنافس ايران واشدها جاذبية ، طراز يختلف عن كل ما سبق ان رأيناه في تبريز

(١) في كتاب اردمان المذكور بعد لوحة ملونة من طنافس هراة تعطي فكرة واضحة عن هذا النوع :
Erdmann (K.) Oriental Carpets, op . cit . Pl. V.

اوقاشان او أصفهـان أو هراة فهي تمتاز عن طنافس هذه المناطق بأمور اربعة : بالحجم ، وبالرسم ، وبالتلوين ، وبالحاشية .

اما الحجم فتغلب عليه الاسـتطالة التي تتباعد فيها النسبة بين الطول والعرض بدرجة ملحوظة . واما التلوين فنلاحظ ان الالوان المستعملة تمتاز بعمقها وقوتها بدرجة لا نراها في الطنافس الايرانية الاخرى . واما الحاشية فضيقة المساحة ضيقاً واضحاً اذا ما قورنت بالحواشي في الطنافس الاخرى . واما الرسم فيجري فوق الطنفسة في اتجاه مائل غير رأسي بعكس الطنافس الاخرى حيث تتفرع الزخرفة من نقطة في الوسط قد تـكون صغيرة غير ملحوظة كما هو واضح في طنافس هراة ، وقد تـكون صرة كبيرة تشغل حيزاً واضحاً من المتن مثل طنافس تبريز وقاشان واصفهان حيث يكتفي الفنان ـ ومن ورائه النساج ـ برسم زخرفة تمثل ربع المتن فقط ثم يتكرر هذا الربع ليملأ متن الطنفسة. اما في طنافس كرمان فنجد ان المتن كله مغطى بما يشبه تعريشة العنب او المعنيات المتجاورة التى تتـكون اضلاعها من اوراق نباتية رمحية الشكل ، وهـذه التعريشات والمعينات قد لا تـكون واضحة بصورة جلية ولـكن لا تخطئها عين الخبير ، وهكذا يكون متن الطنفسة اشبه بحقل من الورود ذات الالوان المختلفة ، وكثيراً ما يرسـم في هذا المتن مزهرية صغيرة لا تتوسطه وانما تـكون في احـد جوانبه ، ومن هذه المزهرية استمد هذا النوع الاسم المعروف به في كتب تاريخ الفن وهو « طنافس المزهريـة » . ومن اروع امثلته واحدة ـ ضاعت خلال الحرب العالمية الثانية مع ما ضاع من تحف قيمة كانت في متحف برلين ـ ولـكننا نستطيع ان نرى صورتها في اللوحة السادسة عشر .

وقد استلفت نظر مؤرخي الفن في بعض هذه الطنافس استعمال الاشـكال الهندسية لاسيما المعنيات وهي من خصائص طنافس القوقاز ، وقد حاولوا تعليل هذه الظاهرة بهجرة بعض القبائل الرحل من القوقاز واستقرارها في هذا الجزء من ايران ومن هنا امتزجت الروح القوقازية في الزخرفة التى تتمثل في الزخارف الهندسية ، مع الروح الايرانية التى

تتمثل في الازهار والاغصان والاوراق ، وهو تعليل له ما يبرره ولكنه في الحقيقة غير حاسم لان الاشكال الهندسية كانت معروفة لدى الايرانيين من قبل ، والمعروف ان اختيار عنصر زخرفي امر ينبع من هوى الفنان وتتحكم فيه ميوله واتجاهاته .

وعلى انوال كرمان ايضاً كانت تنسج في العصور الوسطى « الطنافس الشجرية » اخذاً من الزخرف الذي يزين متن الطنفسة ففيه نرى الاشجار والشجيرات المزهرة تتكرر في خطوط متوازية تمتد على عرض الطنفسة امتداداً لا نهاية له مما يذكرنا بطنافس الارابسك التي اشتهرت بها منطقة تبريز واشرنا اليها من قبل [1] .

* * *

وسجاجيد الصلاة من الطنافس كان لها شأن عظيم في صناعة الطنافس عامة لاتصالها بالناحية الدينية مما جعل الفنانين والنساج في جميع بقاع العالم الاسلامي يبذلون اقصى جهدهم في تجميلها وتزيينها . وقد كان لايران دور واضح في هذه الناحية فابدعت منها قطعاً غاية في الجمال الفني نذكر منها على سبيل المثال تلك السجادة التي يفخر بحيازتها متحف الفن الاسلامي بالقاهرة والتي تزدان بصورة محراب تحف به كتابات نسخية وكوفية وفارسية وفيها زخارف نباتية رائعة ونراها في اللوحة السابعة عشر . وفي مشهد الامام علي بالنجف الاشرف سجادة من نوع يطلق عليه اسم « سجادة الصف » او السجادة العائلية نرى صورة لها في اللوحة الثامنة عشر وهي عادة تزدان بصورة تمثل عدة محاريب متجاورة . وهي ليست في حالة جيدة من الحفظ ولكن قيمتها الاثرية عظيمة نظراً لندرة هذا النوع في الطنافس الايرانية .

* * *

وهكذا دخلت صناعة الطنافس ايران على يد السلاجقة وقد بدأت في أول امرها سلعة ضرورية تنسج بطريقة بدائية في الزخرفة وفي التلوين ، ثم انتهت الى ان اصبحت

---

(١) انظر ص ١١ و١٢ و ٣٣ من هذا البحث .

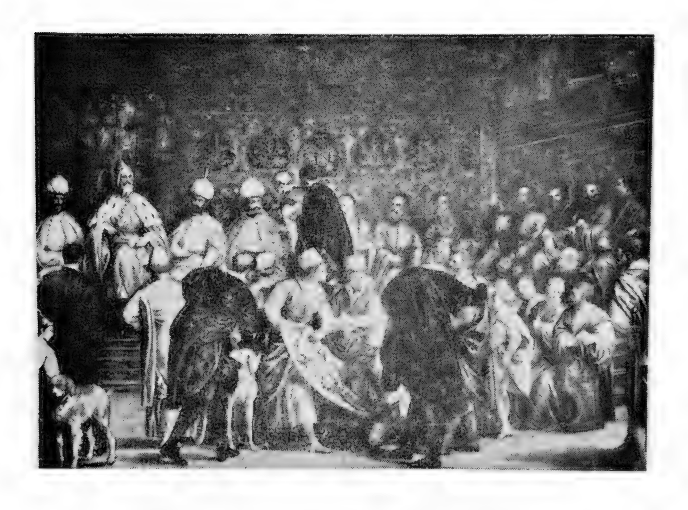
تحفة فنية تملأ اقطار العين بجمالها ، تحفة يحق لنا معشر المسلمين ان نباهي بها اهل الغرب الذين يفخرون علينا باللوحات الفنية الرائعة التي خلفها لهم اسلافهم من اعلام المصورين في عصر النهضة الاوربية .

واذا كانت اللوحة الفنية تتحدث بالوانها الى عيوننا ، وتتحدث بفكرتها وتصميمها الى عقولنا فان طنافس ايران - بل الطنافس الاسلامية جميعاً - لتضيف الى متعة النظر والعقل متعة اللمس كذلك ، فهي تحفة فنية بكل ما يحمله هذا التعبير من معنى : فيها الفكرة الكامنة ، وفيها التوازن والانسجام ، وفيها التنوع بين الالوان ، وفيها اليد الصناع الماهرة .

ولقد كانت صناعتها في ايران اكثر الصناعات انتشاراً ، وأدقها تمثيلا لعبقرية الفنان المسلم في العصور الوسطى ، ولكن يحزننا اليوم اننا لا نعرف عن ابطال هذه الصناعة شيئاً فقد ابى المؤرخون ان يخلدوا اسماءهم كما خلدوا اسماء الخطاطين مثلا ، وكل ما نعرفه عن هؤلاء الابطال المجهولين بضعة اسماء نقرأها على طنافسهم ولا نخرج منها بشيء عن حياتهم .

وبعد فان هذه الصفحة المشرقة من الفن الاسلامي قد كتب عليها ان تطوى بعد أن تضامنت الآلات الميكانيكية ، والاصواف المصبوغة بالصبغات الكيمياوية ، والحرائر الصناعية التي ابتكرها الانسان في عصرنا الحديث - تضامنت معاً على القضاء على روعة تلك الصناعة فضاعت الى الابد وثائق اثبتت عبقرية الفنان المسلم في الصناعة وفي الفن .

بغداد   محمد عبد العزيز مرزوق



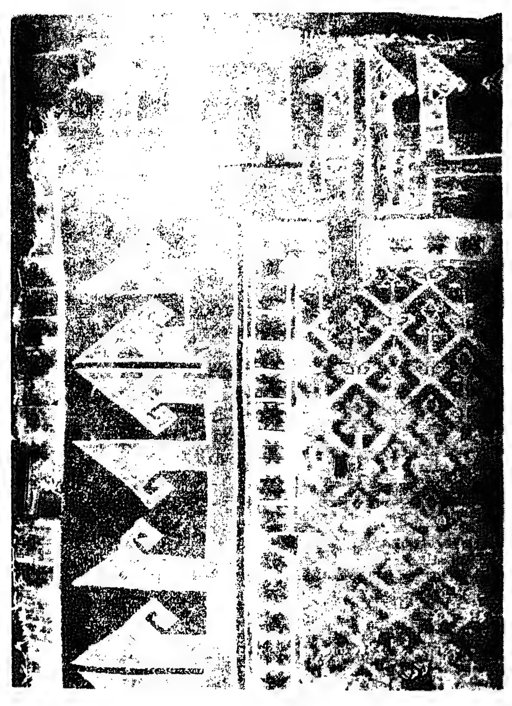
اللوحة الاولى :

السفير الايراني فتحي بك يعرض على دوق البندقية هدية من الطنافس الايرانية بعث بها الشاه عباس



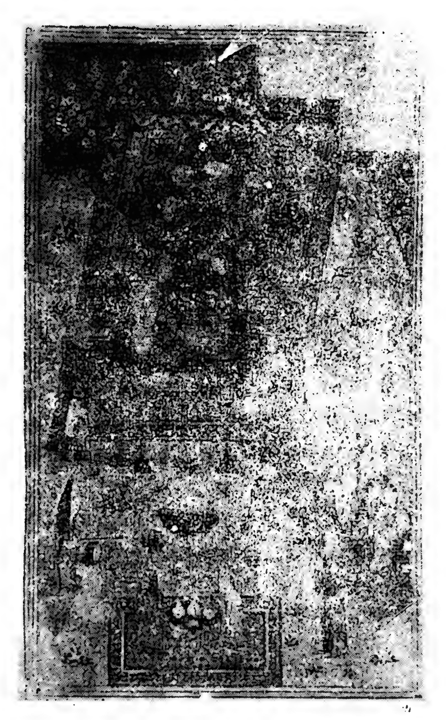
اللوحة الثانية :

نساج الطنافس امام النول



اللوحة الثالثة : واحدة من قطع الطنافس التي كانت مفروشة في مسجد علاء الدين

بقونية بالمتحف الاسلامي في اسطنبول

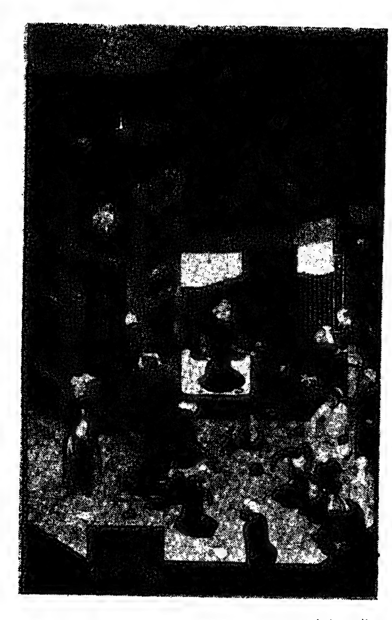


اللوحة الرابعة : احدى صور مخطوطة للمنظومات الخمسة للشاعر نظامي بالمتحف البريطاني



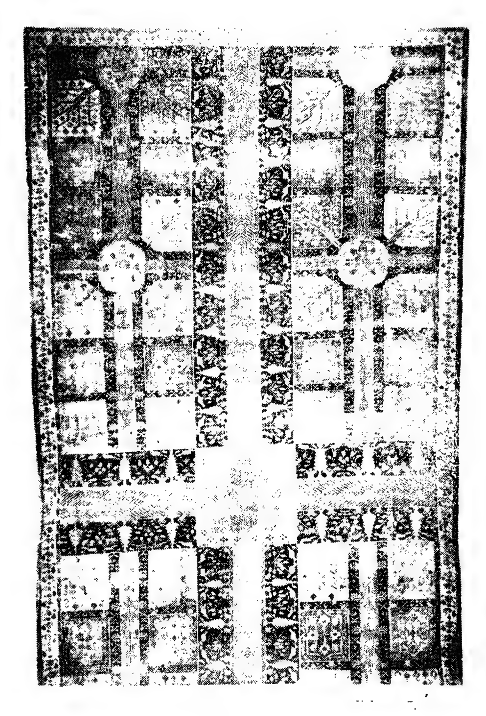
اللوح الخامسة : رسم لطنفسة مغولية من عمل السيدة برجز

نقلا عن مجلة ارس اسلاميكا

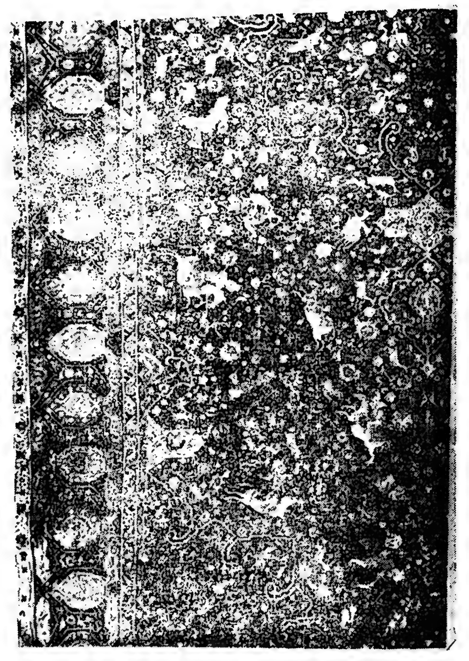


اللوحة السادسة :

صورة من مخطوطة « بستان » للشاعر سعدي
بدار الكتب المصرية بالقاهرة

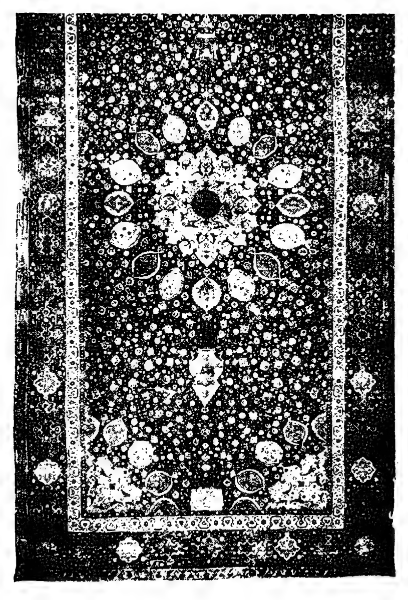


اللوحة السابعة : احدى الطنافس الحديقية



اللوحة الثامنة : طنفسة الصيد في متحف بولدي بزولي بميلان

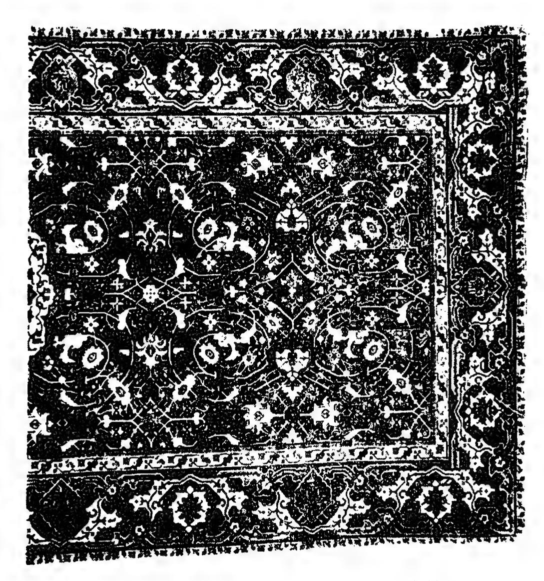
مؤرخة (٩٢٩ هـ / ١٥٢٢ م)



اللوحة التاسعة :

طنفسة اردبيل بمتحف فيكتوريا والبرت بلندن

مؤرخة ٩٤٦ هـ ١٥٣٩ م

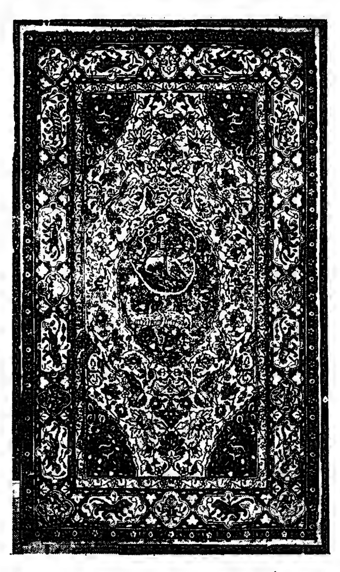


اللوحة العاشرة :

طنفسة من نوع « الارابسك » من تبريز بمتحف برلين



اللوحة الحادية عشر : طنفسة الصيد في متحف الفنون الزخرفية بفيينا



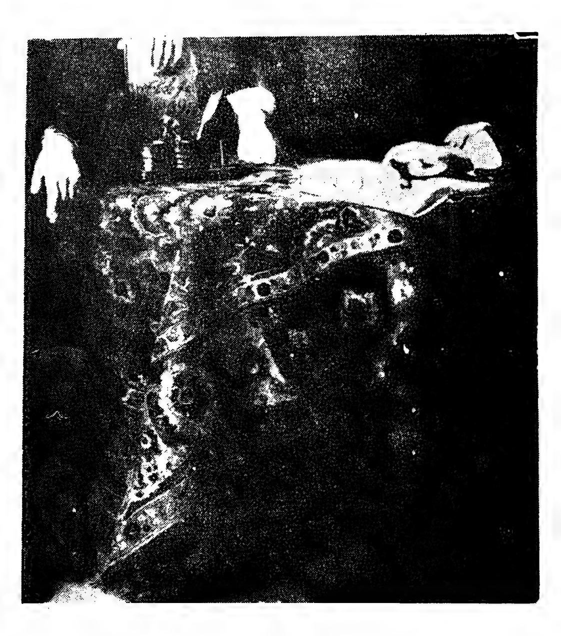
اللوحة الثانية عشر :

طنفسة من النوع المسمى «بولندي» المنسوب الى الشاه عباس ـ متحف برلين



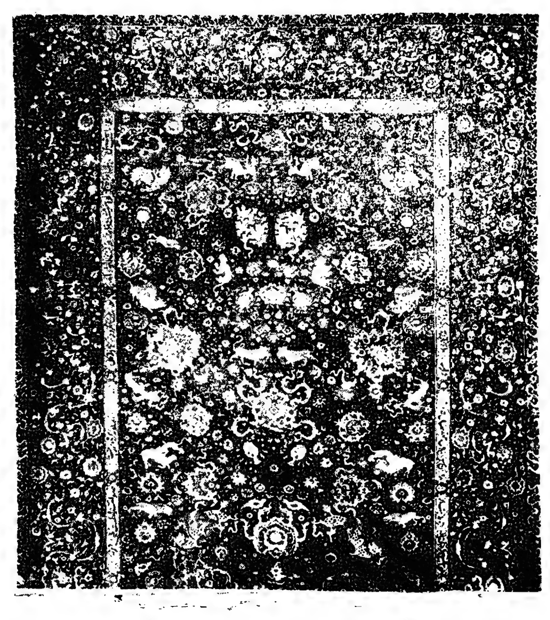
اللوحة الثالثة عشر :

لوحة من عمل روبنز نرى فيها شخصاً واقفاً فوق طنفسة من هراة (عن كتاب :
Dilley, Oriental Rugs and Carpets"



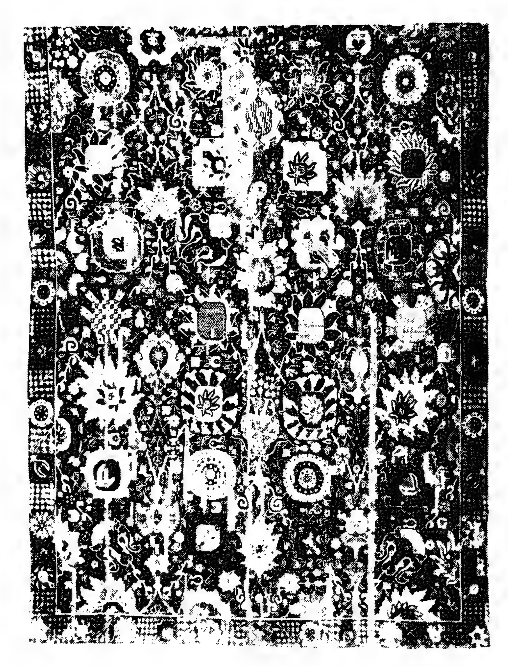
اللوحة الرابعة عشر :

لوحة من عمل Bol في متحف ركس بامستردام نرى فيها مثالاً من طنافس هراة



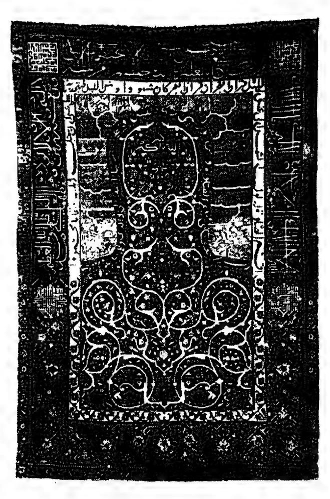
اللوحة الخامسة عشر :

طنفسة من هراة ـ متحف الفنون الزخرفية بفينا



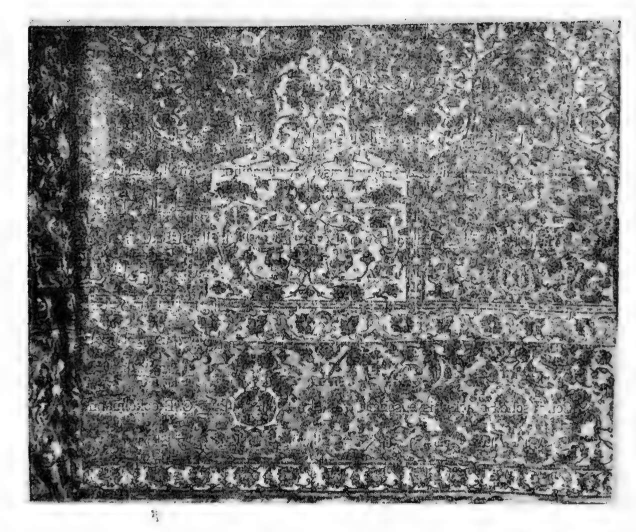
اللوحة السادسة عشر :

مثال من طنافس المزهرية كان في متحف برلين قبل الحرب العالمية الثانية



اللوحة السابعة عشر :

سجادة صلاة بمتحف الفن الاسلامي بالقاهرة



اللوحة الثامنة عشر :

سجادة الصف في كنوز الامام علي كرم الله وجهه بالنجف الاشرف

كراهة توالي الأمثال في أبنية العربية

الدكتور رمضان عبد التواب

تميل اللغة العربية الى التخلص من توالي المقاطع المتماثلة ، فتحذف واحداً منها ، وذلك هو ما يسميه الألمان : Haplologische Silbenellipse ويسميه اللغويون العرب بكراهة توالي الامثال .

ونقصد بالمقاطع المتماثلة ما يشمل المقاطع ذات الأصوات الساكنة المتماثلة ، أو المتقاربة في المخارج . ويحدث ذلك في اول الكلمة ، او في وسطها ، او في آخرها . كما ان العربية تميل كذلك احياناً الى التخلص من توالي الاصوات المتماثلة ، ســواء أكانت حركات ام اصواتاً ساكنة ، وإن لم تكن المقاطع متماثلة .

والسبب في هذا صعوبة تتابع المقاطع والاصوات المتماثلة في النطق . ويقول بروكلمان C. Brockelmann في كتابه « علم اللغات السامية » Semitische Sprachw issenschaft ٢٩/٩٢ : « إذا توالى مقطعان ، اصواتهما الساكنة متماثلة ، أو متشابهة جداً ، الواحد بعد الآخر في اول الكلمة ، فانه يكتفي بواحد منهما ، بسبب الارتباط الذهني بينهما » .

ويعد « برجشتراسر » هذه الظاهرة من الترخيم ، فيقول في « التطور النحوي » ١٥/٤٥ : « ومن الترخيم ما هو جنس من التخالف ، وهو حذف أحد مقطعين متتاليين ، أولهما حرفان مثلان أو شبهان » .

ونشرح فيما يلي أنواع هذه الظاهرة في العربية :

١ — صيغ تفعَّلَ وتفاعَل وتفعلَلَ ، مع تاء المضارعة ، يتكرر فيها المقطع (ta) في

بدايتهما ؛ مثل : « تتقدم » و « تتقاتل » و « تتبختر » . وحذف أحد هذين المقطعين كثير الورود في العربية . وقول ابن مالك في ألفيته :

وما بتاءين ابتدى قد يقتصر   فيه على تا كتَبَيَّنُ العِبر

(قد) فيه للتحقيق أو للتقليل النسبي ، كما يقول العيني ، على هامش الأشموني ٣٥١/٤ وقد ذكر الأشموني نفسه في الموضع السابق أن « هذا الحذف كثير جداً » .

وهذه الظاهرة شائعة في القرآن الكريم ؛ فقد وردت فيه مثلاً كلمة « تذكَّرون » ١٧ مرة بالحذف ، في مقابل « تتذكَّرون » ٣ مرات بلا حذف ؛ ففيه : « لعلكم تذكَّرون » في الأنعام ٥٢/٦ والأعراف ٥٧/٧ والنحل ٩٠/١٦ والنور ١/٢٤ ؛ ٧/٢٤ والذاريات ٤٩/٥١ وفيه : « فلو لا تذكَّرون » في الواقعة ٦٢/٥٦ كما ان فيه . « أفلا تذكرون » في يونس ٣/١٠ وهود ٢٤/١١ ؛ ٣٠/١١ والنحل ١٧/١٦ والمؤمنون ٨٥/٢٣ والصافات ١٥٥/٣٧ والجاثية ٢٣/٤٥ في مقابل : « أفلا تتذكَّرون » في الأنعام ٨٠/٦ والسجدة ٤/٣٢ وفيه : « قليلا ما تذكرون » في الأعراف ٣/٧ والنمل ٦٢/٢٧ والحاقة ٤٢/٦٩ في مقابل : « قليلا ما تتذكَّرون » في غافر ٥٨/٤٠ .

وفي القرآن كذلك . « هل أنبئكم على من تنزَّل الشياطين » الشعراء ٢٢١/٢٦ « تنزَّل على كل أفاك أثيم » الشعراء ٢٢٠/٢٦ « تنزل الملائكة والروح فيها » القدر ٤/٩٧ في مقابل « تتنزَّل عليهم الملائكة » فصلت ٣٠/٤١ .

وفيه المضارع : « تولَّوا » خمس مرات في مقابل : « تتولوا » اربع مرات ؛ ففيه : « فان تولَّوا » في آل عمران ٣٢/٣ وهود ٥٧/١١ والنور ٥٤/٢٤ « وإن تولوا » في هود ٣/١١ « ولا تولَّوا » في الانفال ٢٠/٨ في مقابل : « وإن تتولوا » في محمد ٣٨/٤٧ والفتح ١٦/٤٨ « ولا تتولوا » في هود ٥٢/١١ « لا تتولوا » في المتحنة ١٣/٦٠ .

كما أن فيه : « ولا تفرَّقوا » آل عمران ١٠٣/٣ بجانب : « ولا تتفرَّقوا » الشورى

وفيه : « توفّاهم الملائكة » النساء ٩٧/٤ الى جانب : « تتوفاهم الملائكة » النحل ٤٢/١٣ . ٢٨/١٦

وفيه إلى جانب ذلك كثير من الافعال التي ذكر كل واحد منها مرة واحدة بالحذف ؛ مثل : « فظلتم تفكّهون » الواقعة ٦٥/٥٦ « ولا تيمموا الخبيث » البقرة ٢٦٧/٢ « فتفرق بكم عن سبيله » الأنعام ١٥٣/٦ « وقل هل تربّصون » التوبة ٥٢/٩ « يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه » هود ١٠٥/١١ « ولا تبرجن » الأحزاب ٣٣/٣٣ « ولا أن تبدّل بهن من أزواج » الأحزاب ٥٢/٣٣ « مالكم لا تناصرون » الصافات ٢٥/٣٧ « ولا تجسسوا » الحجرات ١٢/٤٩ « أن تولّوهم » الممتحنة ٩/٦٠ « تكاد تميز من الغيظ » الملك ٨/٦٧ « لما تخيّرون » القلم ٣٨/٦٨ « فأنت عنه تلهّى » عبس ١٠/٨٠ « ناراً تلظّى » الليل ١٤/٩٢ « اذ تلقّونه بألسنتكم » النور ١٥/٢٤ « ولقد كنتم تمنّون الموت » آل عمران ١٤٣/٣ « وأن تصدّقوا خير لكم » البقرة ٢٨٠/٢ « ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » المائدة ٢/٥ « ولا تنازعوا فتفشلوا » الأنفال ٤٦/٨ « ولا تنابزوا بالألقاب » الحجرات ١١/٤٩ « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » الحجرات ١٣/٤٩ « تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان » البقرة ٨٥/٢ « وإن تظاهرا عليه » التحريم ٤/٦٦ وانظر في بعض هذه المواضع القرآنية كتاب « إعراب القرآن » المنسوب للزجاج ٨٤٩/٣ وما بعدها .

ومن أمثلة ذلك في النثر أيضاً قول ابن هشام في سيرة النبي (تحقيق السقا ١: ٦٢١/٧) : « فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم تصوّبُ من العقنقل » .

وهذا الحذف ضروري عند ما تتوالى ثلاثة مقاطع فيها التاء كما يقول رايت Wright في كتابه : A Grammar of The Arabic Language, P. 65 في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لا تتايعوا في الكذب ، كما يتتايع الفراش في النار » بدلاً من « لا تتتايعوا » (النهاية لابن الأثير ٢٠٢/١) .

ومن أمثلة هذه الظاهرة في الشعر ما ورد في كتاب العين للخليل بن أحمد (١/١٢٢) من قوله :

« وتهرعت الرماح إليه ، إذا أقبلت شوارع . قال :

عند الكريهة والرماح تهرَّعُ

أراد تتهرَّعُ » .

كما وردت في قول بشر بن أبي خازم (ديوانه ق ٤/٧ ص ٣٥) :

فكأن ظعنهم غداة تحملوا ... سفن تَكفَّأُ في خليج مغرب

وقول المثقب العبدي (الخصائص ١/٣٩٨) :

لمن ظعن تَطالَعُ من ضبيب ... فما خرجت من الوادي لحين

وقول مالك بن الريب (نوادر القالي ١٥/١٣٨) :

ولا تنسيا عهدي خليلي بعد ما ... تَقطَّعُ أوصالي وتبلى عظاميا

وقول كعب بن زهير (ديوانه ٦/٨) :

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تَلوَّنُ في أثوابها الغول

وما تمسَّك بالوصل الذي زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل

وقول طفيل الغنوي (ديوانه ق ١٣/٢ ص ٢٢) :

إذا خرجت يوماً أعيدت كأنها ... عواكف طير في السماء تَقلَّبُ

وقول حرقة بنت النعمان (الحماسة بشرح المرزوقي ق ٢/٤٤٩ جـ ١٢٠٣/٣) :

فأف لدنيا لا يدوم نعيمها ... تَقلَّبُ تارات بنا وتَصرَّفُ

وفي كل ما سبق من الأمثلة ، لا يهمّ تعيين المحذوف ، والقول بأنه المقطع الأول أو الثاني ، كما أتعب اللغويون انفسهم في هذا المجال ، وحاولوا إقامة الأدلة النظرية على وجهة نظرهم ؛ يقول صاحب إعراب القرآن ٨٤٩/٣ : « .. وأصله تتذكرون ، فحذفت إحدى التاءين ، والمحذوفة الثانية ؛ لأن التكرار بها وقع ، وليس الأول بمحذوف ؛ لأن الاول

علامة المضارعة ، والعلامات لا تحذف » . كما يقول شارح كتاب « مراح الأرواح في علم الصرف » ١/٥٠ : « وتحذف التاء الثانية جوازاً في مثل تتقلد وتتباعد وتتبختر ، أي فيما اجتمع فيه تاءان في أول مضارع تفعّل وتفاعل وتفعلل ، وذلك حال كونه فعل المخاطب أو المخاطبة ، مفرداً أو مثنى أو مجموعاً ، والغائبة المفردة والمثناة دون المجموع ، إحداهما حرف المضارعة ، والثانية تاء الباب . واختلف في المحذوف ؛ فذهب البصريون الى أنه هو الثانية ؛ لان الاولى حرف المضارعة ، وحذفها مخلّ - على ما حكى عن المبرد - . وذهب الكوفيون إلى أنه هو الأولى ؛ لأن الثانية للمطاوعة ، وحذفها مخلّ ، ولأنها زائدة ، وحذفها أهون . واختار المصنف مذهب البصريين ؛ لأن رعاية كونه مضارعاً أولى ؛ لان الغرض من الاشتقاق ، إنما هو الدلالة على اختلاف المعنى ، باختلاف الصيغ ، وأما المطاوعة وسائر معاني الأبواب ، فإنما هي بعد هذا الغرض ، ولأن الثقل إنما يحصل عند الثانية . وأما إثبات التاءين فهو الأصل ؛ لدلالة كل واحد منهما على معنى » .

ومع أن سيبويه قال في كتابه (١/٤٢٥) : « فان التقت التاءان في : تتكلّمون ، وتترّسون ، فأنت بالخيار ، إن شئت اثبتهما ، وإن شئت حذفت إحداهما » إلا أنه عاد فقال بعد ذلك مباشرة : « وتصديق ذلك قوله عز وجل : تتنزّل عليهم الملائكة ، وتتجافى جنوبهم . وان شئت حذفت التاء الثانية . وتصديق ذلك قوله تبارك وتعالى : تنزّل الملائكة والروح فيها ، وقوله : ولقد كنتم تمنّون الموت . وكانت الثانية اولى بالحذف ؛ لأنها هى التي تسكن وتدغم في قوله تعالى : فادّارأتم ، وازّينت ، وهي التي يفعل بها ذلك في : يذّكّرون . فكما اعتلت هنا كذلك تحذف هناك » . والظاهر ان عبارة : « وإن شئت حذفت إحداهما » مضافة إلى نص سيبويه ، وهي ليست منه !

٢ — نون الأفعال الخمسة (يفعلون وتفعلون ويفعلان وتفعلان وتفعلين) مع نون الوقاية قبل ياء المتكلم ، أو مع ضمير المتكلمين المنصوب . وكذلك الفعل المسند إلى نون النسوة قبل هاتين الحالتين . وهذه الظاهرة كثيرة الورود في الشعر ؛ مثل قول الأعشى

(أمالي ابن الشجري ١/٣٦٢ والكامل للمبرد ٢/١٤٢ والمنصف لابن جني ٢/٣٣٧) :

أبالموت الذي لابد أني   ملاق لا أباك تخوفيني

أي : تخوفينني . وكذلك قول عمرو بن معد يكرب (سيبويه ٢/١٥٤ والمنصف لابن جني ٢/٣٣٧ والفصول والغايات للمعري ٣٤/٥) :

تراه كالثغام يعل مسكاً   يسوء الفاليات إذا فليني

أي : فلينني . وكذلك قول جميل (الأغاني ٨/١٠٩) :

أيا ريح الشمال أما تريني   أهيم وأنني بادي النحول

أي : ترينني . وكذلك قول ابن مقبل (ديوانه ق ٤١/١٠ ص ٣١٩) :

عرجت فيها أحييها وأسألها   فكدن يبكينني شوقاً ويبكينا

أي : يبكيننا . أما قول الشاعر (المنصف لابن جني ٢/٣٣٧) :

انظر قبل تلوماني إلى   طلل بين النقا فالمنحنى

فقد قال فيه ابن جني : « يريد : تلومانني ، فيجوز أن يكون حذف (أن) وهو يريدها ، كأنه قال : قبل أن تلوماني ، فحذف النون للنصب ؛ لأنه قد اضاف (قبل) ، وحكم الاضافة ان تكون الى الأسماء ، فاذا اضمر (أن) فكأنه قال : قبل لومكما . ويجوز ان يكون اضاف (قبل) الى الفعل ؛ لانها ظرف ، فجرت مجرى : اقوم يوم يقوم زيد ، ثم حذف النون الثانية تخفيفاً » .

وهذا القول الاخير يدل على وجهة نظر ابن جنى في أن المحذوف هنا هو النون الثانية ، او بعبارة اخرى : المقطع الثاني . وقد عبر عن ذلك مرة اخرى بصراحة عند ما قال (المنصف ٢/٣٣٨) : « يريد (فلينني) فحذف النون الآخرة ، كما حذفها من (تخوفينى) . وكانت الآخرة أولى بذلك في تخوفيني ؛ لأن الاولى علم الرفع ، والثانية إنما كانت جيء بها في الواحد ؛ ليسلم حرف الإعراب من الكسر ، ويقع الكسر عليها ، فتركت في الجمع على حد ما كانت عليه في الواحد ، فلما اضطر في الجمع حرك النون التي هى علم الرفع ،

بالـكسر ، ولم يمتنع من ذلك ؛ لأنها ليست حرف الإعراب فيكره فيها الـكسر » .

ومن امثلة النثر قول ابن هشام (نشر ڤستنفلد ٨/٤٥٨) : « ما الذي تهنئونا به » وقد صححت في نشرة السقا (٦٤٣/١) لجعلت : « ما الذي تهنئوننا به » !

وكذلك قول ابن هشام (ڤستنفلد ١٢/٥١) : « فقال لهم : أفلا تعطوني » . وفي نشرة السقا (٧٧/١) : « أفلا تعطونني » !

وفي الأغاني (بولاق) ٥ : ٢٠/١٢٦ « فأخبراه أنهما لايعرفاني » . وفيهـــا كذلك (٧ : ٨٤ / ٢٢) : « ألا تجزينيه » . وفيها أيضاً (٢٠ : ٣١/١٥٣) : « هل لكِ في يد تُولينيها ؟ » .

وفي عيون الأخبار ١ : ١٣/٢٩٣ : « لِمَ تزعجوني من جواركم ؟ » .

وفي تفسير الطبري (٥١٠/٨) على لســـان رجل من بني النضير : « كنا نعطيهم في الجاهلية ستين وسقا ، ونقتل منهم ، ولا يقتلونا » .

وفي حديث رواه البخاري ، في الباب الخامس عشر من كتاب الشهادات في صحيحه ، على لسان عائشة رضي الله عنها في حديث الإفك ، أنها قالت : « ولئن قلت لـكم إني لبريئة ، والله يعلم أني لبريئة ، لا تصدقوني بذلك » .

ومن النصوص المتأخرة قول أسامة بن منقذ في كتاب الاعتبار (١/٢٦) : « فـكانوا يقاتلونا النهار كله » .

هذا الى أن ابن هشام يقول في مغنى اللبيب (٣٤٤/٢) وهو يتحدث عن نون الوقاية : « ونحو تأمروني يجوز فيه الفك ، والإدغام ، والنطق بنون واحدة . وقد قرئ بهن في السبعة . وعلى الأخيرة ، فقيل : النون الباقيـــة نون الرفع ، وقيل : نون الوقاية ، وهو الصحيح » .

وعلى الرغم من أن مرسوم المصحف في هـــذه الآية : « قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون » (الزمر ٦٥/٣٩) بنون واحدة ، فقد قرأها « ابن عامر : تأمرونني

أعبد ، بنونين الأولى مفتوحة ، ونافع بواحدة مخففة ، والباقون بواحدة مشـــددة » كما يقول الداني في كتابه : التيسير في القراءات السبع (٨/١٩٠) .

٣ — إنّ وأنّ ولـكنّ وكأنّ ولعلّ ، مع نون الوقاية قبـــل ياء المتكلم ، أو ضمير المتكلمين المنصوب .

يقول ابن هشام في مغنى اللبيب (٣٤٤/٢) وهو يتحدث عن نون الوقاية : إنها تلحق قبل ياء المتكلم المنتصبة بالحرف « نحو : إنني . وهي جائزة الحذف مع إنّ وأنّ ولـكنّ وكأنّ ، وغالبة الحذف مع لعلّ ، وقليلته مع ليت » .

أما أن ذلك غالب في (لعلّ) ؛ فلأن اللام تشبه النون في أنهما من الاصوات المائعة Liquida . ومن أمثلة ذلك قول جميل بن معمر العذري (الحماسة البصرية ١٨٩/٢) :

فقالت لَعَنّـًا يا جميـل نبيعـه وآجالنـا من دون ذاك قريب

وقول الفرزدق (ديوانه نشر الصاوي ٧/٨٣٥) :

ألستم عائجين بنا لَعَنّـًا نرى العرصات أو أثر الخيام

وقد روى هذا البيت الأخير في القلب والإبدال لابن السكيت (١٥/٣٣) « لَغَنّـًا » بالغين المعجمـــة ، على أنها لغة في « لعل » عن الأصمعي . وفي لســـان العرب (لغن) ٢٧٥/١٧ : « ولغنّ لغة في لعلّ . وبعض بني تميم يقولون : لغنّـك بمعنى لعلّـك » ثم ذكر بيت الفرزدق . وإبدال الغَـيْن من العَـيْن صعب التفســـير من الناحية الصوتية ، ولعله تصحيف قديم لبيت الفرزدق ، وإن خلا ديوانه منه !

وأما قلة ذلك مع « ليت » فلأنه لايوجد في هذه الحالة مقطعان متماثلان ، أومتقاربان وإنما سبب حذف النون معها هو الضرورة ؛ ولذلك لا نجد لها امثلة إلا في الشعر ؛ كقول زيد الخيل (سيبويه ٣٨٦/١ والمقتضب ٢٥٠/١) :

كمنيـة جابر إذ قال ليتى أصادفه ويهلك جل مالي

ويقول الجوهري في الصحاح (أنن) ٢٠٧٣/٥ : « وإني وإنني بمعنى ، وكذلك كأني

وكأنني ، ولكنني ولكنني ؛ لأنه كثر استعمالهم لهذه الحروف ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوا النون التي تلي الياء ، وكذلك لعلي ولعلني ؛ لأن اللام قريبة من النون » .

ويقول المبرد في المقتضب (٢٤٩/١) : « فالذي ذكرنا مما يحذف قولك : إنني، وكأنني ، ولعلني ، لأن هذه الحروف مشبهة للفعل مفتوحة الأواخر ، فزدت فيها النون ، كما زدتها في الفعل لتسلم حركاتها . ويجوز فيهن الحذف ، فتقول : إني وكأني ولكني » .

والحذف مع هذه الأحرف هو الشائع في القرآن الكريم ؛ ففيه مثلاً بالحذف لاغير : « وأنا » ٨ مرات « فإني » ٦ مرات « أئنّا » ١٠ مرات « فإنا » ١٠ مرات « ولكني » ٤ مرات « ولكنا » مرتين « لعلي » ٦ مرات . وفيه كذلك : « أنا » ١٧ مرة في مقابل « أننا » مرة واحدة ؛ « بأنا » مرتين ، في مقابل « بأننا » مرة واحدة ؛ « إني » ١٢٤ مرة ، في مقابل « إنني » ٦مرات ؛ « وإني » ١٣ مرة ، في مقابل « وإنني » مرة واحدة ؛ « إنا » ٥٣ مرة ؛ في مقابل « إننا » ٥ مرات ؛ « وإنا » ٣٣ مرة ، في مقابل « وإننا » مرة واحدة (انظر : نجوم الفرقان في اطراف القرآن لفلوجل :

G. Flugel, Congordantiae Corani Arabicae ليبزج ١٨٩٨ صفحة ٢٠ ؛ ٢١ ؛ ٢٢ ؛ ١٧٣ ؛ ١٧٤) .

٤ — الأفعال الخمسة ، إذا اتصل بها نون التوكيد . والحذف هنا لازم مطرد في العربية .

يقول ابن عقيل في شرح الألفية (٣١٥/٢) : « الفعل المؤكد بالنون ، إن اتصل به ألف اثنين ، أو واو جمع ، أو ياء مخاطبة ـ حرك ما قبل الألف بالفتح ، وما قبل الواو بالضم ، وما قبل الياء بالكسر . ويحذف الضمير إن كان واواً أو ياء ، ويبقى إن كان ألفاً ؛ فتقول : يا زيدان هل تضربانّ ، ويازيدون هل تضرِبُنَّ ، وياهند هل تضرِبِنَّ . والأصل : هل تضربانِنَّ ، وهل تضربونَنَّ ، وهل تضربينَنَّ ؛ فحذفت النون لتوالي الامثال ، ثم حذفت الواو والياء لالتقاء الساكنين ، فصار : هل تضرِبُنَّ ، وهل تضرِبِنَّ . ولم تحذف

الألف لخفتها ، فصار : هل تضربانٍّ . وبقيت الضمـــة دالة على الواو ، والـكسرة دالة على الياء » .

كما يقول سيبويه (٢/١٥٤) : « وإذا كان فعل الجميع مرفوعاً ، ثم ادخلت فيه النون الخفيفة أو الثقيلة ، حذفت نون الرفع . وذلك قولك : لتفعلُنّ ذاك ، ولتذهبُنّ ؛ لأنه اجتمعت فيه ثلاث نونات ، فحذفوها استثقالاً . وتقول : هل تفعلُنّ ذاك ، تحذف نون الرفع ؛ لأنك ضاعفت النون ، وهم يستثقلون التضعيف ، فحذفوها إذكانت تحذف وهم في ذا الموضع أشد استثقالاً للنونات ، وقد حذفوها فيما هو أشد من ذا » .

هـذا ويعلل المبرد لذهاب النون هنا بتعليل غريب ، فيرى أن النـون حذفت ؛ لـكي تـكون نظيراً للفتح فيالفعلالمسند للواحد ؛ فيقول (المقتضب) ٣/٢٠) : « فاذا ثنيت ، أو جمعت ، أو خاطبت مؤنثـاً ــ فان نظير الفتح في الواحد حذف النون مما ذكرت لك . تقول للمرأة : هل تضربِنّ زيداً ولا تضربنّ عمراً ، فتكون النون محذوفة ، التي كانت في تضربين ، ألا ترى أنك إذا قلت : لن تضربَ يافتى ، قلت للمرأة إذا خاطبتها : لن تضربي ، وكذلك لن تضربا ، ولن تضربوا للاثنين والجماعة ، فحذف النون نظير للفتحة فيالواحد » !

٥ — كلمة « بَنِي » الداخلة على اسم معرف باللام القمريـــة ؛ مثل : بَلْحارث ، وبَلْهَجيم ، وبَلْعَنبر ، وبَلْقَين ، يعني : بني الحارث ، وبني الهجيم ، وبني العنبر ، وبني القين .

وذلك كثير الورود في كتب التراث العربي ، فف تـاريخ الطـبري (١ : ٧/٦١٦) : « وأقبل رجلان أخوان من بَلْقَين ، يقال لهما : مالك وعَقيل » .

وفي كتاب الطبقات لابن سـعد (ليدن ١٩٠٩) في القسم الاول من الجزء الثاني ٨/٤٥ : « قالوا : إن بَلْمُصْطَلق من خزاعة » .

كما تبدأ حماسة أبي تمام بقوله : « قال بعض شعراء بَلْعَنْبر » .

ويقول سيبويه في ذلك (٢/٤٣٠) : « ومن الشاذ قولهم في بنى العنبر وبنيالحارث :

بلعنبر و بلحارث ، بحذف النون ، وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، فأما اذا لم تظهر اللام فيها ، فلا يكون ذلك ؛ لأنها لما كانت مما كثر في كلامهم ، وكانت اللام والنون قريبتي المخارج حذفوها » .

ويقول المبرد في المقتضب (٢٥١/١) : « ومما حذف استخفافاً ؛ لأن ما ظهر دليل عليه ، قولهم في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، مثل : بني الحارث ، وبني الهجيم ، وبني العنبر ؛ هو بلعنبر وبلهجيم ؛ فيحذفون النون النون لقربها من اللام ؛ لأنهم يكرهون التضعيف، فإن كان مثل بني النجار والنمر والتيم ، لم يحذفوا ؛ لئلا يجمعوا عليه علتين: الإدغام والحذف » .

ويقول في الكامل (٢٩٩/٣) : وكذلك كل اسم من أسماء القبائل تظهر فيه لام المعرفة فإنهم يجيزون معه حذف النون التي في قولك : (بنو) ؛ لقرب مخرج النون من اللام ؛ وذلك قولك : فلان من بلحارث وبلعنبر وبلهجيم » .

كما يقول في الكامل (٣٦٠/٣) أيضا : « ومن كلام العرب أن يحذفوا النون إذا القيت لام المعرفة ظاهرة ؛ فيقولون في بني الحارث ، وبني العنبر ، وما أشبه ذلك : بلحارث ، وبلعنبر ، وبلهجيم » .

ويقول الزجاجي في الجمل (٣٨١/٥) : ومن الشاذ قولهم في بني الحارث وبني العنبر: بلحارث ، وبلعنبر ، فيحذفون النون . وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة».

كما يقول الجوهري في الصحاح (حرث) ٢٧٩/١ : «وقولهم : بلحارث ، لبني الحارث ابن كعب ، من شواذ التخفيف ؛ لأن النون واللام قريبا المخرج ، فلما لم يمكنهم الإدغام ؛ لسكون اللام حذفوا النون ... وكذلك يفعلون بكل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ؛ مثل : بلعنبر وبلهجيم . فإذا لم تظهر اللام فلا يكون ذلك » .

وأخيراً يقول ابن يعيش في شرح المفصل (١٥٥/١٠) : « ومما حذف استخفافاً على غير قياس ، لأن ما ظهر دليل عليه ، قولهم في كل قبيلة تظهر فيها لام المعرفة ، ولا تدغم ؛

نحو بني العنبر ، وبني العجلان ، وبني الحارث ، وبني الهجين : هؤلاء بلعنبر وبلعجلان وبلحارث وبلهجين . فحذفوا النون لقربها من اللام ، وهم يكرهون التضعيف ، إذ الياء الفاصلة تسقط ؛ لالتقاء الساكنين ، ولا يفعلون ذلك في بني النجار ، وبني النمر ، وبنى التيم ؛ لئلا يجمعوا عليه إعلالين : الإدغام والحذف » .

٦ — ومثل ما سبق دخول حرف الجر « على » على معرف بأل القمرية ؛ مثل قول الفرزدق (ديوانه ٢١٦ والمقتضب ١/٢٥١ والجمل للزجاجي ٣٨١ وشرح المفصل ١٠/١٥٥ وأمالي ابن الشجري ٢/٤) :

وما سبق القيسيُّ من ضعف حيلة ... ولكن طفت عَلْمَاءِ قُلفة خالد

وكذلك قول قطرى بن الفجاءة (الكامل للمبرد ٣/٢٩٩ وأمالى ابن الشجرى ١/٩٧ ، ٤/٢٠ والحماسة البصرية ١/٩٧ مع اختلاف) :

غداة طفت عَلْماء بكر بن وائل ... وعجنا صدور الخيل نحو تميم

يريد في البيتين : « على الماء » . وكذلك قول الشاعر (المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ٤/٦٦) :

وللموت خير لامرىء من حياته ... بدارة ذل عَلبَلايا يوقّر

يريد : « على البلايا » .

ويقول سيبويه في آخر كتابه (٢/٤٣٠) : « ومثل هذا قول بعضهم : عَلْماء بنو فلان ، فحذفوا اللام ، يريد : على الماء بنو فلان ، وهي عربية » .

ويرى ابن الشجري أن هـذا الحذف للتخفيف ؛ فيقول في أماليه (٢/٤) : « ومما حذفوا من الحروف لاجتماعها مع لام التعريف ، لام (على) فيما حكاه سيبويه من قولهم : علماء بنو تميم ، يريدون : على الماء ، فهمزة الوصل سقطت في الدرج ، وألف (على) سقطت لسكونها وسكون لام (الماء) ، وحذفت لام (على) تخفيفاً » (وانظر كذلك شرح بن يعيش للمفصل ١٠/١٥٥)

وقد طرد الباب على وتيرة واحدة في العامية ، فأصبح يقال فيها : (عَلْباب) و (عَلْمكتب) ، كما يقال فيها : (عَ السطح) و (عَ التراب).. الخ .

٧ — ويشبه ما سبق كذلك دخول حرفي الجر « من » و « عن » على معرف بأل القمرية ؛ ففي لسان العرب (من) ٣١٢/١٧ : « قال أبو اسحق : ويجوز حذف النون من (من) و (عن) عند الألف واللام ؛ لالتقاء الساكنين . وحذفها من (من) أكثر من حذفها من (عن) ؛ لأن دخول (من) في الكلام أكثر من دخول (عن) » .

ومن أمثلة ذلك قول ابن ميادة (شرح الحماسة للمرزوقي) ق ١/٥٥١ ج ١٣٥٥/٣ وشرح المضنون به على غير أهله ٢٥٢ والحماسة البصرية ١١٠/٢) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها ... وأدمعها يذرين حشو المكاحل

وقد كثر ذلك في شعر عمر بن أبي ربيعة ، فمن ذلك قوله (ديوانه نشر شفارتس ق ٨/٥٦ ص ٥٠) :

فلم أنس ملأشياء لا أنس نظرتي ... إليها وتِربَيْها ونحن لدى سَلع

وقوله (ديوانه ق ٣/١٦٨ ص ١٢٢) :

فما أنس ملأشياء لا أنس موقفي ... وموقفها وَهْنا بقارعة النخل

وقوله (ديوانه ق ٤/١٧٧ ص ١٢٧) :

وما أنس ملأشياء لا أنس مجلساً ... لنا مرّة منها بقَرن المنازل

وقوله (ديوانه ق ٩/٨٣ ص ٦٧) :

فلآن لمت النفس بعد الذي مضى ... وبعد الذي آلت وآليت من قَسَمْ

وقوله (ديوانه ق ٤/٢٥٢ ص ١٧٤) :

فلآن يئن الصبرُ نفسيَ أو تَمُتْ ... إذا انبتَّ حبل من حبالكِ فانقضب

وقوله (ديوانه ق ٣/٥١ ص ٤٤) :

وتعلم أن لها عندنا ... ذخائر ملحُبّ لا تظهر

وقوله (ديوانه ق ٢٢٣/٧ ص ١٦٠) :

نَجِيَّيْن نقضي اللهو في غير مُحْرَمٍ ولو رغمت مِلْكاشحين المعاطس

وقوله (ديوانه ق ١٧/٨٧ ص ٦٩) :

عشية رحنا مِلْغَميم وصحبتي تخبُّ بهم عيس لهنَّ رسيم

ومثل ذلك أيضاً قول الشاعر (شرح ابن يعيش ٣٥/٨ والأشباه والنظائر للسيوطي ٢٠١/١ وأمالي ابن الشجري ٩٧/١، ٣٨٦/١ واللسان (من) ٣١٢/١٧) :

أبلغ أبا دختنوس مألكة غير الذي قد يقال ملكذب

ومثل قول الآخر (شرح ابن يعيش ٣٥/٨ والأشباه والنظائر للسيوطي ٢٠١/١ وأمالي ابن الشجري ٣٨٦/١) :

كأنهما ملآن لم يتغيرا وقد مر للدارين من بعدنا عصر

ومثل قول النابغة الجعدي (المعمرون والوصايا ٨٢) :

ولقد شهدت عكاظ قبل محلها فيها وكنت أُعدُّ ملفتيان

ومثل قول النابغة الجعدي كذلك (المعمرون والوصايا ٨٢) :

ولبست ملإسلام ثوباً واسعاً من سيبِ لا حَرِمٍ ولا منّان

ومثل قول أعشى بن قيس ثعلبة (المعمرون والوصايا ٨٧) :

وأحكم من قس وأجرأ ملّذي بذي الفيل من خَفّان أصبح حاردا

ومثل قول عروة بن الورد (ديوانه نشر نولدكه ق ٩/٢ ص ٢٢ وتهذيب الألفاظ ١٢/٤٩١) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها لجارتها ما إن يعيش بأحورا

ومثل قول فضالة بن زيد العدواني (المعمرون والوصايا ١٠٤) :

وكان سليطا مقولي متنـاذرا شذاه فصرت اليوم مِلعيّ أبكما

ومثل قول القتال الكلابي (ديوانه ق ١٦/٣ ص ٤٩ ومعجم البلدان [ليدن] ٢٦٣/٢ ؛ ٦٣٧/٣) :

وما أنس ملأشياء لا أنس نسوة … طوالع من حَوْضَى وقد جنح العصر

ومثل قول ذى الإصبع العدواني (المفضليات نشر لايل ق ٢٩/٦ ص ٣١٣) :

أجعل مالي دون الدَّنا غرضاً … وما وهي ملأمور فانصدعا

ومثل قول الراجز (الحماسة البصرية ٤٠٤/٢) :

لو يستطيع فدية فداكِ … بنفسه ملموت إن أتاكِ

ومثل قول الحارث بن خالد المخزومي (الكامل للمبرد ٣٦٠/٣) :

عاهد الله إن نجا ملمنايا … ليعودنَّ بعدها حُرْمِيَّا

ويقول المبرد هنا : « وقوله : ملمنايا ، يريد : من المنايا ، ولكنه حذف النون لقرب مخرجها من اللام ، فكانتا كالحرفين يلتقيان على لفظ فيحذف أحدهما . ومن كلام العرب أن يحذفوا النون ، إذا لقيت لام المعرفة ظاهرة » .

ومثل قول العرجي (الأغاني ٣٩٩/١) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها … لخادمها قومي اسألي لي عن الوِتر

ومثل قول عمرو بن السُّليح (الأغاني ١٤١/٢ وأمالي ابن الشجري ٩٦/١) :

دلفنا للأعاجم من بعيد … بجمع ملجزيرة كالسعير

ومثل قول عدي بن زيد (ديوانه ١٣٩ والشعر والشعراء ٢٣٢/١ والأغاني ١٥٠/٢) :

يسارقن ملأستار طرْفاً مفتَّراً … ويبرزن من فَتق الخدور الاصابعا

ومثل قول أبي قيس بن الأسلت (السيرة النبوية لابن هشام ٥٩/١) :

فولوا سراعاً هاربين ولم يؤب … إلى أهله ملجيش غير عصائب

ومثل قول عمرو بن كلثوم (الحماسة بشرح المرزوقي ق ٣/١٦٠ ص ٤٧٦ وأمالي ابن الشجري ٩٧/١) :

فما أبقت الأيام ملمال عنــدنا سوى جِذم أذواد محذّفة النّسل

ومثل قول تأبط شرا (الحماسة بشرح التبريزي ص ٣٨٤) .

فادّركنا الثأر منهم ولمـا ينجُ ملحيّين إلا الأقلّ

ومثل قول الشاعر (لسان العرب (منن) ٣١٢/١٧) :

ألا أبلغ بني عوف رسولا فما ملآنَ في الطير اعتذار

ومثل قول جميل بن معمر العذري (الحماسة البصرية ١٠٦/٢) :

وما أنس ملأشياء لا أنس قولها وقد قربت نضوى أمصر تريد

٨ — الفعل « استطاع » ومضارعه في قوله تعالى : « فما اسطاعوا أن يظهروه ، وما استطاعوا له نقبا » (الكهف ٩٧/١٨) ، وقوله تعالى : « ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً » (الكهف ٨٢/١٨) .

ويقول ابن السكيت في « القلب والإبدال » ٦/٤٦ : « ويقال : ما استطيع وما أسطيع وما استيع ، بمعنى واحد » .

ومن أمثلة ورود ذلك في الشعر قول عدي بن زيد العبادي (الحماسة البصرية ٤٩/٢) :

ولا تقصرن عن سعى من قد ورثته فما اسطعت من خير لنفسك فازدد

وقول العباس بن مرداس (تهذيب الالفاظ ٧/٢٦) :

تأبى رفاعة مولاها وأنفسها أن يسلموني ولا يُسْطاع

وقول المرار (المستقصى في الامثال للزمخشري ٨٢/٢) :

ويرى دوني فلا يسطيعني خوط شوك من قتاد مسمهرّ

وقول يحيى بن زياد الحارثي (الحماسة بشرح المرزوقي ق ٣/٢٨١ جـ ٨٦١/٢) :

دفعنـا بك الايام حتى إذا أتت تريدك لم نسطع لها عنك مدفعا

٩ — مصغر « ابن » عند إضافته الى ياء المتكلم . وهذا الحذف لازم ، إذ يقال دائماً : « بُنَيَّ » واصله : « بُنَيِّيَّ » .

١٠ — مثال : « مَيِّت » و « هَيِّن » و « لَيِّن » ونحوها ، إذ تخفف أحياناً ، فيقال : « مَيْت » و (هَيْن » و « لَيْن » ، وهذا معناه حذف المقطع (yi) فراراً من تكرار الياء .

وقد وردت كلمة « أيِّم » بالتخفيف في بيت العجاج :

وبطن أيْم وقواماً عُسلجا

وقال عنه ابن السكيت في كتابه « القلب والإبدال » ٥/١٧ : « والأصل : أيِّم ، خفف نحو : ليِّن وليْن ، وهيِّن وهيْن » .

١١ — عبارة : « أيمُنُ الله » يقال فيها : « أيْمُ الله » .

١٢ — كلمة « لِلَّه » يقال فيها : « لاه » في مثل قول ذي الاصبع العدواني (الاغاني ١٠٥/٣ والمفضليات ق ٣١/٤ ص ١٦٠ والاقتضاب ٤٤١ وشرح شواهد المغنى ١٤٧/١٥ وأمالي القالي ٢٦٠/١) :

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخـزوني

ويقول الجوهري في الصحاح (ليه) ٢٢٤٨/٦ : « أراد : لله ابن عمك ، لحذف لام الجر واللام التي بعدها » .

١٣ — الفعل المضارع اذا كان نوني الفاء ، وهو مسند لجماعة المتكلمين . وقد ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : « وكذلك نُجِّي المؤمنين » (الانبياء ٨٨/٢١) في قراءة ابن عامر وعاصم (التيسير للداني ١٥٥) . وفي الآية تخريجات أخرى واهية ، ذكرها ابن هشام في « أوضح المسالك » ٢٩٣ حين يقول : « وقد يجيء هذا الحذف في النون . ومنه على الأظهر قراءة ابن عامر وعاصم : وكذلك نُجِّي المؤمنين ، أصله : نُنَجِّي ، بفتح النون الثانية — وقيل الاصل : نُنجي ، بسكونها ، فأدغمت كإجاصة ، وإجانة . وإدغام النون في الجيم لا يكاد يعرف . وقيل : هو من نجا ينجو ، ثم ضعفت عينه ، وأسند لضمير المصدر . ولو كان كذلك لفتحت الياء ، لأنه فعل ماض » .

وهذا التخريج الثالث في كلام ابن هشام ، هو الرأي الوحيد عند الفراء في كتابه « معاني القرآن » (٢/٢١٠) عند قوله : « وقد قرأ عاصم ـ فيما أعلم : نُجِّي ، بنون واحدة ونصب (المؤمنين) كأنه احتمل اللحن ، ولا نعلم لها جهة الا تلك ؛ لأن ما لم يسم فاعله ، اذا خلا باسم رفعه ، الا أن يكون أضمر المصدر في نجِّي ، فنوى به الرفع ، ونصب (المؤمنين) ، فيكون كقولك : ضُرب الضربُ زيداً ، ثم تكنى عن الضرب ؛ فتقول : ضُرِب زيداً ، وكذلك : نُجِّي النجاءُ المؤمنين » .

وقد ردّ ابن جنى هذا الرأي الذي ارتآه الفراء ، على النحو الذي قدّمه ابن هشام من قبل ؛ فقال في « الخصائص » (١/٣٩٨) : « وأما قراءة من قرأ : وكذلك نُجِّي المؤمنين ، فليس على إقامة المصدر مقام الفاعل ، ونصب المفعول الصريح ؛ لأنه عندنا على حذف احدى نوني (نُنَجِّي) ، كما حذف ما بعد حرف المضارعة في قول الله سبحانه : « تذكّرون » أي : تتذكرون . ويشهد أيضاً لذلك سكون لام (نُجِّي) ، ولو كان ماضياً لانفتحت اللام الا في الضرورة » .

وقد أورد ابن الشجري معظم هذه الاقوال في اماليه ، ثم قال (٢ : ٢١/٢١٦) : « وخطر لي في هذه القراءة وجه يخرج الفعل من بنائه للمفعول ، وعن ادغام النون في الجيم ، ولا يخرجه عن قياس العرب ، وهو ان يكون القارئ : نجي ، أراد : ننجي مفتوح النون مشدد الجيم ، فحذف النون الثانية كراهة توالي مثلين متحركين ، كما حذف التاء من قرأ : تذكّرون ، خفيف الذال ، حذف التاء الثانية من تتذكرون ، وكما حذفوا بإجماع التاء الثانية من تتنزل ، وقرأوا كلهم : تنزل الملائكة والروح » .

١٤ — مضارع وزن « أَفْعَلَ » . واصل كراهة توالي الامثال هنا في المضارع المسند الى ضمير المتكلم ؛ اذ الاصل فيه « أؤكرم » فصار بعد حذف أحد المقطعين المتماثلين « أكرم » ثم حملت باقي صيغ المضارعة على هذه الصيغة ، طردا للباب على وتيرة واحدة .

وقد فطن الى ذلك أبو العباس المبرد ، فقال في كتابه « المقتضب » (٢/٩٧) :

« أكرم يكرم ، وأحسن يحسن . وكان الأصل : يؤكرم ، ويؤحسن ، حتى يكون على مثال : يدحرج ؛ لأن همزة أكرم مَزِيدَة ، بحذاء دال دحرج ، وحق المضارع أن ينتظم ما في الماضي من الحروف ، ولكن حذفت هذه الهمزة ؛ لأنها زائدة ، وتلحقها الهمزة التي يعني بها المتكلم نفسه ، فتجتمع همزتان ، فكرهوا ذلك وحذفوا اذ كانت زائدة ، وصارت حروف المضارعة تابعة للهمزة التي يعني بها المتكلم نفسه ، كما حذفوا الواو التي في (يعد) لوقوعها بين ياء وكسرة . وصارت حروف المضارعة تابعة للياء » .

وقال ابن جني في كتابه « المنصف » (١٩٢/١) : « قولهم : أنا أكرم ، حذفوا الهمزة لتي كانت في (أكرَمَ) ؛ لئلا يلتقي همزتان ؛ لانه كان يلزم : أنا أؤكرم ، فحذفوا الثانية ، كراهة اجتماع همزتين ، ثم قالوا : نكرم وتكرم ويكرم ، فحذفوا الهمزة ، وان كان لو جاءوا بها ، لما اجتمع همزتان ، ولكنهم أرادوا المماثلة ، وكرهوا ان يختلف المضارع ، فيكون مرة بهمزة ، وأخرى بغير همزة ، محافظة على التجنيس في كلامهم » .

كما يقول شارح مراح الارواح (٥٧) : « وانما حذفت الهمزة من تُكرم ، لاجتماع الهمزتين في أؤكرم ، فإنه مستكره » .

ويقول أبو البركات ابن الانباري في الانصاف (١٤٨) : « وكذلك قالوا : أكرمُ والاصل فيه : أؤكرم ، فحذفوا احدى الهمزتين استثقالاً لاجتماعهما ، وقالوا : نكرم وتكرم ويكرم ، والاصل فيها : نؤكرم وتؤكرم ويؤكرم ... فحذفوا الهمزة ـ وان لم يجتمع فيها همزتان ـ حملاً على أكرم ؛ ليجري الباب على سنن واحد » .

وقد يضطر بعض الشعراء الى استخدام الأصل الذي لاتتوالى فيه الامثال ؛ مثل قول ليلى الاخيلية (المنصف ١٩٢/١ وانظر ديوانها ق ٢١/٤ ص ٥٦) :

تدلّت على حصٍّ ظماء كأنها ... كرات غلام في كساء مؤرنب

ومثل قول الآخر (المنصف ١٩٢/١) :

وصاليات ككما يؤثفين

وقول الثالث (المنصف ١/٣٧ ، ١/١٩٢ والانصاف ٧ ؛ ٤٨ ؛ ٤٦١) :

فإنه أهل لأن يؤكرما

وقد نسب العيني هذا الرجز الاخير لأبي حيان الفقعسي أو غيره ؛ فقال في شرح الشواهد الكبرى (هامش خزانة الأدب ٤/٥٧٨) : « قد مرّ الكلام عليه مستوفى في شواهد النعت ، وفي شواهد نوني التوكيد » . وهو يقصد بذلك قوله (٤/٨٠) :

قد سالم الحيات منه القدما   الأفعوان والشجاع الشجعما

وقوله (٤/٣٢٩) :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما   شيخاً على كرسيه معمما

وقد وهم في ذلك العيني ؛ اذ لم يتقدم البيت في القصيدة التي رواها لأبي حيان الفقعسي (٤/٨٠) . وقد رد عليه البغدادي في « شرح شواهد الشافية » (٤/٥٨) ؛ فقال : « وانشد بعده ، وهو الشاهد الثالث والعشرون : فإنه أهل لأن يؤكرما ، على انه شاذ ، والقياس : يكرمُ ، بحذف الهمزة . وهذا المقدار اورده الجوهري في صحاحه في مادة (كرم) غير معزو الى قائله ، ولا كتب عليه ابن بري شيئاً في اماليه ، ولا الصفدي في حاشيته ، وهو مشهور في كتب العربية ، قلما خلا عنه كتاب . وقد بالغت في مراجعة المواد والمظان ، فلم اجد قائله ، ولا تتمته . وقال العيني : تقدم الكلام عليه مستوفى في شواهد باب النعت ، وفي شواهد نوني التوكيد . واقول : لم يذكره فيهما اصلا ، فضلاً عن ان يستوفى الكلام عليه » .

١٥ — عبارة : وَعَبَدَ الطاغوت » في قوله تعالى : « قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله ، من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعَبَدَ الطاغوت » (المائدة ٥/٦٠) ؛ فقد عدَّ لها ابن جني في « المحتسب » (١/٢١٤ ـ ٢١٦) عشر قراءات مختلفة ، احداها من جهة احمد بن يحيى ثعلب ، مبنية على كراهة توالي المقاطع المتقاربة في المخارج والصفات ؛ يقول (١/٢١٦) : « ومن جهته [أحمد بن يحيى] أيضاً :

وَعَبَدَ الطاغوت ، وقال : أراد عَبَدَةَ ، فحذف الهاء . قال : ويقال عبدة الطاغوت والأوثان ، ويقال للمسلمين عُبّاد » .

ومن الطريف ان الطبري يرى في تفسيره (١٠/٤٤١) أنه « لو قُرِىء : وعَبَدَ الطاغوتِ ، بالكسر ، كان له مخرج في العربية صحيح » ثم يقول : « وإن لم استجز اليوم القراءة بها ؛ إذ كانت قراءة الحجة من القرأة بخلافها . ووجه جوازها في العربية أن يكون مراداً بها : وعبدة الطاغوت ، ثم حذفت الهاء للإضافة » .

كما يقول الفراء في « معاني القرآن » (١/٣١٤) : « وكان أصحاب عبد الله [بن مسعود] يقرأون : وعَبَدَ الطاغوتِ ، على : فَعَلَ ، ويضيفونها إلى الطاغوت ، ويفسرونها : خَدَمَة الطاغوت . ولو قرأ قارىء : وعَبَدَ الطاغوتِ ، كان صواباً جيداً ، يريد : عَبَدَةَ الطاغوت ، فيحذف الهاء ، لمكان الإضافة » .

والحقيقة أن التاء لم تحذف للإضافة ، كما يقول الطبري والفراء ، وإنما حذفت لكراهة توالي المقاطع المتقاربة في الصفات .

وقد تحير نولدكه Th. Nöldeke في معنى هذه الآية فظن فيها نوعاً من القلب ، وقال في الفصل الذي كتبه عن « لغة القرآن » في كتابه « مقالات جديدة في علم اللغات السامية » Neue Beiträge Zur Semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910 (ص ١٢/١٩) : « وهناك نوع من القلب في : من لعنه الله ، وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت ؛ فإن ترتيب الكلمات على حسب المعنى المراد يكون كالآتي : من عبد الطاغوت ولعنه ... الخنازير » !!

١٦ — ويشبه الآية القرآنية قول زهير (الصحاح (وعد) ١/٥٤٨) :

إن الخليط أجدوا البين فانجردوا وأخلفوك عِدا الأمر الذي وعدوا

فقد قال فيه الجوهري : « أراد : عِدَةَ الأمر ، فحذف الهاء عند الإضافة » . وانظر

شرح مراح الأرواح ١١٦ وألف باء للبلوى ٤٢٦/١ واللسان (اغلب) ١٤٣/٢ (وعد) ٤٧٧/٤ .

* * *

تلك هي معظم أمثلة ظاهرة كراهة توالي الأمثال في العربية . ولا تقتصر هذه الظاهرة على العربية وحدها ؛ ففي الفصيلة السامية أمثلة لها مثال ذلك كلمة ܐܪܝܐ (ârya) في اللغة السريانية ، بمعنى « ليث » أصلها : (aryaya) . انظر كتاب موسكاتي :

S. Moscati, An Introduction to the Comparative Grammar of the Semitic Languages (ص ٦٢) وكتاب بروكلمان Syrische Grammatik (ص ٤٢) .

ومن اللغات الاوربية مثلا كلمة : der Beamte بمعنى « الموظف » في الألمانية ؛ فأصلها der Beamtete . انظر : Der Sprach-Brockhaus ص ٦١ (يقول : eigentlich der Beamtete; Lutherzeit.) ومثال ذلك أيضاً الكلمة الألمانية: Stipendium بمعنى « منحة دراسية » فهي مستعارة في القرن السادس عشر الميلادي من اللاتينية : Stipendium بمعنى « ضريبة » أو « صرف الأجر » . وهي مركبة في اللاتينية من كلمتين وأصلها : Stipi-pendium الكلمة الأولى : Stips بمعنى « مساعدة مالية » أو « تبرع » والثانية : Pendere بمعنى « صرف » انظر في ذلك :

F. Kluge Etymologisches Wörterbuch der deutschen Sprache برلين ١٩٦٠ (٧٥١) .

وليس الحذف هو السبيل الوحيد للفرار من كراهة توالي الأمثال في العربية ؛ بل هناك طريق آخر هو قلب أحد الصوتين المتماثلين صوتاً آخر يغلب أن يكون من الأصوات المتوسطة المائعة ، أو من أصوات العلة ، وهو ما يسمى بالمخالفة الصوتية Dissimilation وهناك طريق ثالث هو إيجاد فاصل بين الصوتين المتماثلين يخفف من ثقل اجتماعهما ؛ كما هو الحال في توكيد الفعل المسند إلى نون النسوة ؛ إذ تزيد فيه اللغة العربية ألفا بين نون النسوة ونون التوكيد . وهذه الألف يسميها الصرفيون بالألف الفارقة .

وقد لخص جلال الدين السيوطي كل هذه الحالات الثلاث في كتابه « الأشباه والنظائر (١/١٨) أحسن تلخيص ، فقال (وهو يسمى المخالفة بالقلب) : « اجتماع الأمثال مكروه ، وكذلك يفر منه إلى القلب أو الحذف أو الفصل ؛ فمن الأول : قالوا في دهدهت الحجر : دهديت ، قلبوا الهاء الأخيرة ياء ، كراهة اجتماع الأمثال . وكذلك قولهم في : حاحا زيد : حيحا زيد ، قلبوا الألف ياء لذلك . وقال الخليل : أصل (مهما) الشرطية : ماما ، قلبوا الألف الأولى هاء لاستقباح التكرير .. وكذلك دينار وديباج وقيراط وديماس وديوان ، أصلها : دنّار ودبّاج ودوّان ، قلب أحد حرفي التضعيف ياء لذلك . ولَبَّى أصله : لَبَّب ، قلبت الباء الثانية التي هي اللام ياء ، هرباً من التضعيف فصار لَبَّيَ ، ثم أبدلت الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها ، فصار لبَّى .

« ومن الثاني : حذف أحد مثلي ظللت ومسست وأحسست ، فقالوا : ظلت ومست وأحست . وحذف إحدى الياءين من سيّد وميّت وهيّن وليّن . وقيل : وهو مقيس على الأصح . وقال ابن مالك : يحفظ ولا يقاس عليه ...

« ومن ذلك (الثالث) قال ابن عصفور : لم تدخل النون الخفيفة على الفعل الذي اتصل به ضمير جمع المؤنث ؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع المثلين ، وهو ثقيل فرفضوه لذلك ، ولم يمكنهم الفصل بينهما بالألف فيقولون : هل تضربنانْ ؛ لأن الألف إذا كان بعدها ساكن غير مشدد حذفت ؛ فيلزم أن يقال : هل تضربنَنْ ، فتعود إلى مثل ما فررت منه ، فلذلك عدلوا عن إلحاق الخفيفة وألحقوا الشديدة ، وفصلوا بينهما وبين نون الضمير بالألف ؛ كراهية اجتماع الأمثال ، فقالوا : هل تضربنانِّ » .

رمضان عبد التواب

قضاة بغداد في العصر العباسي

« دراسة في الإدارة الإسلامية »

الدكتور صالح احمد العلي

لا ريب ان العدالة هي المعيار الرئيسة الذي يحكم الناس بموجبه على صلاح الحكومات في الشرق الاوسط منذ اقدم الازمنة ، فخير الحكام هو الحاكم العادل واسوأهم هو الحاكم الظالم . واحسن ما يخلد ذكر الحاكم الصالح هو ايراد القصص والاخبار التي تظهر حرصه على تطبيق العدالة ، وأقوى شعار يرفعه الثائرون ضد أي حاكم هو ادعاؤهم الدفاع عن العدالة ووصم الحاكم بالظلم

وقد أولى الاسلام العدالة أهمية خاصة فقال تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تتقون (النحل ٩٠) .

« يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون »(المائدة ٨) « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعمّا يعظكم به ان الله كان سميعاً بصيرا »(النساء ٥٨)« واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى » (الانعام ١٥٢) « وضرب الله مثلا رجلين احدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم

(النحـــل ٧١) « .. وقل آمنت بما انزل الله من كتب وأمرت لأعـــدل بينكم .. » (الشورى ١٥) .

ولا ريب ان تطبيق العـدالة والحكم فيما ينشأ بين الناس من خلافات ، يتطلب نظـاماً قضائياً يتناسب مع اهمية هـــذه المؤسسة . وقد كان فقدان هذا النظام واقتصـاره على الحكام عند عرب الجاهلية من أبرز نقاط الضعف في الجاهلية ، وقد اهتم الرسول بمعالجتها منذ ان هاجر الى المدينة ووضع التنظيمات الخاصة بادارتها ، كما بينا في مقالنا عن تنظيمات الرسول الادارية في المدينة ، حيث ذكرنا ان تنظيم القضاء مستند الى الآية الكريمة « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا حرجاً مما حكمت ويسلموا تسليما » أي انه جعل الرجوع الى الرسول في القضاء وقبول احكامه وتنفيذها جزءاً من الايمان .

وقد تابع الخلفاء الراشدون والأمويون العناية بأمر القضاء ، سائرين على الاسس التي وضعها الرسول . ولما كان بحثنا الحالي يقتصر على العصر العباسي ، فاننا نكتفي بالاشارة الى ان تنظيم ادارة القضاء كان في هذه الفترة في دور التكوين ، ولما تستقر أسسه .

لقد أولى الخلفاء العباســيون القضاء اهتماماً خاصاً فأوجدوا منصب قاضي القضاة ببغداد ، وكانوا هم الذين يعينون القضاة في بغداد والامصار بعد أن كان تعيينهم في العصر الراشدي والأموي بيد الولاة (ابن ســعد ٥/١١٧ وكيع : اخبار القضاة ١/١٤١) الخطيب : تاريخ بغداد ١٤/١٠٣ مصعب الزبيري : نسب قريش ٢٨٤) .

مصادر البحث :

لقد كان القضاء من الوظائف الرئيسة في الدولة ، ويتصل عمله بالناس من مختلف الطبقات ، كما يتصل بالشريعة والفقه اللذين أولى المفكرون المسلمون دراستهما عناية خاصة ، لذلك اهتم عدد من المؤرخين بالقضاة واوردوا اسماء بعض قضاة بغداد وخاصة فيما عقدوه من فصول عن اسماء كبار موظفي كل خليفة او خلال الاحداث التي يذكرونها والتي كان للقاضي صلة بها ، وممن فعل ذلك « خليفة بن خياط » و « اليعقوبي » و « الطبري » و « المسعودي » ثم « ابن الاثير » و « ابن الساعي » وصاحب « الحوادث الجامعة » .

غير ان اياً من هذه المصادر لم يقدم قائمة كاملة بأسماء كافة من ولى القضاء ببغداد ، فقد اغفل كل منهم ذكر عدد غير قليل من القضاة ، وكثيراً ما اغفلوا اماكن تعيينهم أو زمن ذلك التعيين . والواقع ان مجموع ما يذكره مؤرخوا الحوادث لايكون قائمة كاملة لكافة قضاة بغداد .

وبالنظر للصلة الوثيقة بين القضاء وعلم الفقه ، فان كتب طبقات الفقهاء وخاصة المصنفة لتراجم اصحاب مذهب فقهي معين كطبقات الشافعية لكل من الاسنوي والسبكي، والجواهر المضية في طبقات الحنفية لعبد القادر بن ابي الوفاء القرشي ، وتاج التراجم في طبقات الحنفية لابن قطلوبغا وطبقات الحنابلة لابي يعلى وذيله لابن رجب ، أوردت عن بعض قضاة بغداد بضمن من ترجمت له من رجال المذهب ، وبذلك ثبتت معلومات عن مذاهب القضاة، فضلاً عن المعلومات الاخرى التي تقدمها عن تعيينهم ، غير انه حتى لو جمعت كافة الاسماء الواردة في كتب طبقات المذاهب الفقهية فانه لايمكن تكوين قائمة كاملة لكل قضاة بغداد ، لان عدداً من هؤلاء القضاة لم يعرف عنهم انتماؤهم الى مذهب فقهي معين .

واقدم قائمة كبيرة وصلتنا عن قضاة بغداد هي التي وردت في كتاب اخبار القضاة لوكيع ، محمد بن خلف (ت ٣٣٠ هـ) وقد تضمنت اسماء قضاة بغداد وقضاة الجانب الشرقي والشرقية ومدينة المنصور ومن تولى قضاء القضاة بالاضافة الى معلومات قيمة عن عدد منهم وخاصة عن مذاهبهم الفقهية . وقد اعتمدنا أساساً لدراستنا قائمته التي تنتهي الى سنة ٣٠١ هـ .

وقد تضمن تاريخ بغداد للخطيب تراجم غنية لمن ولى منصب القضاء في بغداد وذكر لشيوخ كل منهم ورواته ومعلومات عن توليهم القضاء وتنقلهم في مناصبه وهي معلومات تتصل بصميم بحثنا . وقد اعتمد الخطيب في هذه المعلومات على « علي بن المحسن » الذي كان ممن ولى القضاء في عدد من البلدان ، ومن الغريب ان الخطيب الذي اقتبس من وكيع معظم نصوصه عن خطط بغداد، لم يشر الى أنه اخذ من وكيع أي نص يتعلق بالقضاة بالرغم

من شهرة كتاب الاخير في اخبار القضاة .

اعتمد علي بن المحسن بدوره فيما نقله عنه الخطيب عن قضاة بغداد على طلحة بن محمد بن جعفر (٢٩١ـ٣٨٠) الذي تصل رواياته عن القضاة الى قبيل سنة ٣٦٠ حيث ان آخر رواياته تتعلق بعمرو بن أكثم الذي ولي قضاء القضاة بين سنة ٣٥٢ـ٣٥٦ (الخطيب ١١/٢٥٠) ؛ وقد ترجم لأبي الحسن محمد بن صالح بن ام شيبان ولم يذكر توليه قضاء القضاة سنة ٣٦٤ كما انه لم ينقل عنه ترجمة لابن محمد عبيد الله بن معروف الذي ولي قضاء القضاة سنة ٣٦٠ (الخطيب ١٠/٣٦٧) .

وقد ذكر علي بن المحسن « وحدثنا طلحة بن محمد بن جعفر في تسمية قضاة بغداد » (٤/٣١) وهي عبارة قد يفهم منها ان طلحة بن محمد الف كتاباً في تسمية قضاة بغداد ، غير ان الخطيب لا يذكر في ترجمته المقتضبة لطلحة بن محمد بن جعفر (٩/٣٥١) انه ألف مثل هذا الكتاب .

ويلاحظ ان المعلومات التي اوردها طلحة بن محمد عن قضاة بغداد الى سنة ٣٠١ تشبه كثيراً ما اورده وكيع مما قد يدل على اعتماده على وكيع . وجدير بالملاحظة ان طلحة بن محمد لم يترك في بحثه احداً من قضاة بغداد الى نهاية الفترة التي يتناولها . ومن المعلوم ان تنظيم ادارة القضاء قد تبدل اساسياً بعد تلك الفترة كما سنبين فيما بعد، ولا نعلم ما اذا كان عدم تدوين « طلحة ابن محمد » راجع الى عدم رضاه عن التبديلات التي حدثت ام الى انه انجز تأليف كتابه قبل حدوث هذه التبدلات .

وقد نقل الخطيب ايضاً عن اسماعيل بن علي الخطبي نصوصاً عن تولية محمد بن ابي موسى (٢/٤٠٣) وابي الطاهر الذهلي (١/٣١٣) ومحمد بن عيسى بن ابي موسى (٢/٤٠٣) .

اما الفترة التالية فقد اعتمد فيها الخطيب على علي بن المحسن فقط ، ويلاحظ ان المعلومات التي قدمت عن هذه الفترة التالية غير كاملة ولا دقيقة ، فهو لم يذكر كل قضاة بغداد ، كما انه لم يذكر مكان تولية من ذكرهم وسني توليتهم وعزلهم . واذا كان لغياب الخطيب

عن بغداد في هذه الفترة بعض العذر في اغفاله ترجمة بعض قضاة هذه الحقبة في بغداد ، فان هذا العذر لا يكفي لاهمال ذكر من اشغل وظيفة رئيسة ذات صلة بنطاق اختصاص الخطيب اي الفقه والحديث ، والراجح ان هذا الاغفال راجع الى الاضطراب الذي رافق الاوضاع السيئة التي سادت بغداد آنذاك ، وفي طبقات الحنابلة اشارة الى ذلك حيث يقول في ترجمة القاضي الموفر الحنبلي المتوفى سنة ٤٣٧ « كان يقضي بين عسكر بغداد نحو اربعة الاف غلام تمضي قضاياه بهم ابلغ من قضاة (كذا ولعله قضاء) المقدم عليه وهو ابو عبدالله بن ما كولا ، لما كان له في نفوسهم من الدين ولا يبرم الاحكام بينهم الا على مذهب امامنا » (طبقات الحنابلة ٢ / ١٨٩) .

لقد كان كتاب الخطيب المصدر الذي اعتمد عليه كلياً ونقل ما فيه من تراجم كل من ابن الجوزي في المنتظم ، وابن الفراء في طبقات الحنابلة ، والقرشي في الجواهر المضيئة ، وابن خلكان في وفيات الاعيان. وكان آخر من ترجم له الخطيب هو ابو عمرو عبدالله بن محمد الدامغاني الذي ولي قضاء القضاة سنة ٤٤٧ هـ .

فاما ابن الجوزي فان طريقته في المنتظم هي ان يذكر الاحداث التي جرت في كل سنة ثم يذكر تراجم اشهر من توفي في تلك السنة ، وفي هذه التراجم اعتمد كلياً على الخطيب الى سنة ٤٥٠ هـ اما تراجم السنوات التالية فلا نعلم من اين استقاها .

غير ان ابن الجوزي يورد في كلامه عن الاحداث معلومات غير قليلة عن تولية القضاة او عزلهم وبذلك يساعد في تحديد سني ولاية القضاة الذين يتحدث عنهم . ويبدو انه اعتمد كثيراً على هلال بن المحسن الصابي كما يتجلى ذلك من التطابق الحرفي بين كثير مما اورده مع القطعة المنشورة من كتاب هلال في ذيل تاريخ مسكويه .

غير ان ابن الجوزي اهتم بذكر من ولي منصب قاضي القضاة ، اما بقية القضاة فلم يهتم بذكرهم ، ولم يذكر الا قليلا منهم وبصورة عرضية ، ولذلك فان القائمة المستمدة مما ذكره غير كاملة ولا وافية فضلا عن انها تقف عند سنة ٥٧٤ هـ حيث ينتهي الكتاب .

اما كتب الاحداث التاريخية التي تلت المنتظم ، مثل مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وذيله لليونيني ، وتاريخ ابن الفرات فلم تشر الى القضاة الا نادراً .

وقد دون ابن الاثير قدراً طيباً من اخبار القضاة وتوليتهم، وتابعه مؤلف العسجد المسبوك.

وقد الف ابو العباس احمد بن بختيار بن علي المندائي الواسطي (ت ٥٥٢ هـ) « تاريخ الحكام في مدينة السلام » لم تصلنا منه الا المقتطفات الكثيرة التي اقتبسها ابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد ، ويتبين من هذه المقتطفات ان ابن بختيار اهتم بذكر الشهود ومن زكاهم وتاريخ تزكيتهم وتوليتهم القضاء ، يبدأ النقل عنه من تزكية الحسن بن محمد بن الحسن التي تمت سنة ٥١٣ هـ، غير اننا لا نستطيع الجزم فيما اذا كان حصر الحكام الذين نقل ابن الدبيثي اخبارهم عن ابن بختيار بهذه الفترة راجع الى ان كتاب ابن بختيار اقتصر على هذه الفترة من الزمن او الى ان ابن الدبيثي اهتم بنقل ما يتعلق بهذه الفترة فقط .

ولكتاب ابن الدبيثي الذي ذيل به على ذيل تاريخ بغداد للسمعاني اهمية خاصة فقد ذكر فيه من تأخر وخاصة عن وفاة السمعاني الى سنة ٦٢٠هـ ، وفيهم عدد غير قليل من القضاة .

وقد بقيت منه ثلاثة اجزاء في ثلاث مخطوطات في باريس برقم ١٩٢١ وهي تشمل تراجم من اسمه محمد وأحمد ، وقد وضعت لها فيما ذكرته من مصادر رقم (٢) والثانية في باريس برقم ١٩٢٢ تشمل تراجم من اسمه الحسن الى علي بن الحسن ، وقد جعلتها في مصادري رقم (٢) ، والثالثة برقم ٧١٧ وهي تشمل تراجم من اسمه احمد الى من اسمه حبش ابن محمد وقد رمزت اليها برقم (٣). ويتبين من ذلك ان الموجود من الكتاب يشمل الاسماء من محمد الى علي بن الحسين ، أي اكثر من ثلثي الكتاب .

ولا بد من الاشارة الى أن لكتاب ابن الدبيثي ملخصاً عمله الذهبي ونشر بعضه الاستاذ مصطفى جواد مع تعليقات قيمة واضافات لبعض ما ترك الذهبي في تلخيصه .

لقد كان ابن الدبيثي من المصادر الرئيسة للمنذري الذي شمل كتابه « التكملة في وفيات النقلة » تراجم من توفوا بين سنة ٥٨٠هـ - ٦٤٠هـ واعتمد في كثير من معلوماته على ابن الدبيثي

(انظر في ذلك المقـدمة التي كتبها بشار عواد لـكتاب التـكملة الذي حصل بها على اجازة الماجستير) .

وقد اعتمد ابن قطلوبغا ايضاً على ابن الدبيثي في تراجم القضاة الذين ذكرهم في كتابه « الجواهر المضية في طبقات الحنفية » .

اما الدراسات الحديثة عن القضاء فلا ريب ان أوسعها هي دراسة « تيان » عن تنظيم القضاء في الاقطار الاسلامية . Emile Tyan. Histoire de L'Organization Judicaire de Pays D islam 1938-1943

وقد شملت دراسة واســعة لمـكانة القضاة واختصاصاتهم والجهات التي كانت تمارس سلطات قضائية من غير القضاة، ولـكن بحثه بالرغم من سعته فهو عام لـكل بلاد الاسلام ، ولا يختص بالعراق ، كما انه لم يتطرق الى ادارة القضاء وتوزيع القضاة .

ولاريب فيه ان كثيراً من الـكتب التي تبحث عن الحضارة الاسلامية ومؤسساتها في العالم الاسـلامي أو في اقليم معين قد تطرقت الى بحث القضاء اما عن قضاة بغداد فلا اعلم الا القائمة التي نشرها الاستاذ لويس ماسينون سنة ١٩٤٨ بعنوان :

Cadis et Naqib Baghdadiens

واعيد نشرها سنة ١٩٦٣ في مجموعة كتاباته : Opera Minori 1958

وهي تقتصر على أسماء من ولي منصب قاضي القضاة ببغداد وسني اشـــغالهم هذا المنصب ، وهي قائمة مقتضبة محدودة .

وفي العربية بحوث كثيرة عن أدب القضاء ، بعضها فصول من كتب في الفقه ، وبعضها كتب قائمة بذاتها ، تبحث في القضاء وشروطه والمبادىء التي ينبغي السير عليها ، وتتطرق احياناً الى ديوان القضاء والشهود ، ولما كانت هذه البحوث تتطرق الى الاحكام الفقهية ، والى المبادىء العامة ، فاننا لم نعتمد عليها ، خاصة وانها قلما تتطرق الى الاوضاع الواقعيـة من ادارة القضاء وهو موضوع بحثنا .

ويتضح من مطالعة الجدول الذي وضعته في آخر المقال عن قضاة بغداد ، ان فيه بعض

النقائص ؛ وخاصة في قضاة النصف الاول من القرن الخامس ، وقضاة العقود الاخيرة من العهد العباسي . وقد فضلت نشرها بشكلها الناقص ، باعتبارها استوعبت ما في الكتب المتداولة ، وهي قريبة من الكمال ، وعسى ان نجد في المستقبل ما يكمل نقائصها القليلة .

ان مقالي مقتصر على اعداد قائمة شاملة لاسماء القضاة في بغداد وسني عملهم ومراكز عملهم ، مع ملاحظات عامة عن التكوين الثقافي والاجتماعي لهؤلاء القضاة ، وهو بحث اشد صلة بالادارة منه بعمل القضاء ، فان هذا الموضوع الاخير يتطلب دراسة الفصول والكتب التي ألفت عن أدب القضاة ومدى تطبيق الآراء الفقهية ، وهو موضوع شامل نرجو ان نوفق الى الكتابة فيه في المستقبل .

مطار القضاء :

لقد كانت بغداد مدينة محدثة بناها أبو جعفر المنصور بعد ان استقر ملكه وتثبتت دولته ، لذلك لم يتأثر هو ومن تلاه في تنظيم القضاء في عاصمة ملكه إلا بالاعتبارات العملية ؛ ولما كانت المدينة عند انشائها غير كبيرة ، وهي تتبع خليفة واحداً يرى أنه ظل الله في ارضه ، لذلك كان يكفي لسد حاجات هذه المدينة الجديدة قاضٍ واحد ، خاصة وانه لم يكن في الادارة القضائية ما نراه اليوم من تخصص كمحاكم جزائية ومدنية ... الخ . هذا الى ان الدولة لم تعترف بوجود مذاهب تستلزم تعدد القضاة .

ولا ريب في ان عمل القضاة هو الحكم في الخلافات التي تظهر بين الناس ، فصلته بالسكان وثيقة ، وهم ملزمون بتطبيق القواعد المعترف بها بين الناس ومراعاة المبادىء التي يؤكد عليها الاسلام ؛ فلم يكن للقضاء سلطان على السياسة والادارة التي تدخل في صميم واجبات الخليفة ، اي انها كانت بعيدة نسبياً عن الخليفة وأشد صلة بالناس والقواعد التي يقرها الاسلام ومبادؤه ، ولهذا لم تفرد للقضاء بناية خاصة يقوم فيها القاضي بعمله ، بل كان مركز عمله في الجامع الذي يعبر عن الاسلام وروحه وقواعده ويتصل بالجماهير والشعب فهو لذلك اكثر الاماكن ملائمة لعمل القاضي ، واتخاذ القضاة الجامع مركزاً لعملهم يجعل القضاء مفتوحاً للشعب ويكسبه صبغة قدسية .

وقد كان هذا الطابع الشعبي والديني هو الذي جعل مجالس القضاة بسيطة ، فقد كانوا « يجلسون على الوطاء، ويتكأون حتى جاء علي بن ظبيان فكان يجلس على بارية »(وكيع ٣/٢٨٦ الخطيب ١١ / ٤٤٥) وبالرغم من بساطة البارية في نظرنا الا انها اعتبرت من مظاهر الترف التى لفتت انظار المؤرخين فسجلوها .

كما ان مقتضيات عمل القاضي كان بسيطاً الى ان جاء سوار (حوالى سنة ١٤٠ هـ وكان على قضاء البصرة) فكان « اول من تشدد في القضاء، وعظم امره واتخذ الامناء واجرى عليهم الارزاق وقدم على القرعة وقبض الوقوف وادخل على الاوصياء الامناء، وطول السجلات ودعا الناس باسمائهم لم يكنّهم وضم الاموال المجهول اربابها ومعاها الحشرية » (وكيع ٢ / ٥٨) .

لقد ذكرنا ان صلة القضاء بالناس والدين قضت ان يكون الجامع مركز عمل القضاة ويقتضي منطق الاحوال ان يتخذ قاضي مدينة المنصور محل قضائه في جامعها ، غير انه ليست لدينا عن ذلك الا اشارة واحدة ، فيذكر الخطيب ان محمد بن يوسف لما ولي قضاء مدينة المنصور والاعمال المتصلة بها سنة ٣٨٤ هـ « جلس في المسجد الجامع بالمدينة » (٣ / ٤٠٢ انظر ايضاً المنتظم ، ٥ / ٤٥ ـ ١٧٠ ، ٦ / ٢٤٧)

اما قضاة الجانب الشرقي فقد وردت عدة اشارات الى انهم كانوا يقضون في مسجد الرصافة ، فيذكر الخطيب ان محمد بن عبدالله بن علاثة « وعافية بن يزيد » كانا يقضيان في المسجد الجامع بالرصافة » (الخطيب ٥/٣٩٠،١٢/٣٠٨ ، انظر ايضاً ابن سعد ٧ـ٢/٦٩ وكيع ٣/٢٥١) . « وكان عمر بن حبيب يقضي في مسجد الرصافة » (الخطيب ١١/١٩٨) « وقتيبة بن مسلم يحكم في جامع الرصافة » (الخطيب ١٤ / ١٩٤) « وكان يحي بن اكثم يجلس في مسجد الرصافة مجلس القضاء » (الخطيب ١٤ / ١٩٤) ويقول ابراهيم الحربي عن القاضي الحسن ابن علي بن الجعد (سنة ٢٤٢) « فرأيته في المسجد جالساً كلما تقدم احدهم الى الحسن .. »

(وكيع ٣ / ٢٨٣) وكان محمد بن معروف (سنة ٣٥٩هـ)« يجلس للقضاء في مسجد الرصافة» (الخطيب ١٠ / ٣٦٦) كما ان أبا نصر يوسف بن عمر « استخلف اباه وجلس سنة ٣٢٧ هـ في جامع الرصافة وقرأ عهده بذلك » (المنتظم ٦/٢٩٦) وكذلك ابن البهلول (المنتظم ٦/٣٤٢)

اما قاضي الشرقية فيذكر اليعقوبي « وانما سميت الشرقية لانها قدرت مدينة للمهدي قبل ان يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة، فسميت الشرقية ، وبها المسجد الكبير وكان يجمع فيه يوم الجمعة وفيه منبر ، وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ، ثم اخرج المنبر منه » (البلدان ٢٤٥) ويذكر الخطيب ان المنصور امر باخراج الاسواق من المدينة وان يبنى ما بين الصراة الى نهر عيسى، ثم امر أن يبنى لاهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون فيه المدينة ،ويفرد لهم ذلك،وقلد ذلك رجل يقال له الوضاح بن شبا ، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح والمسجد الذي فيه ،وسميت الشرقية لانها شرقي الصراة..ثم اخرج منه المنبر بعد»(١/٨٠-٨١).ويلاحظ ان الخطيب في كلامه عن المساجد التي تقام فيها الجمعة ببغداد لم يشر الى مسجد الشرقية ، مما يؤيد اليعقوبي في ذلك.

ويذكر ابن سعد ان علي بن ظبيان ، الذي ولي القضاء في عهد هرون الرشيد ،كان يجلس في المسجد الذي ينسب الى الخلد فيقضي فيه (الطبقات ٦/٢٨٠ الخطيب ١١/٤٤٣) .

ولما كان عمل القضاة متصلاً بالمسجد فقد كانت عهود توليتهم تقرأ فيه ،فيذكر الصولي ان عهد احمد بن اسحق الخرقي قرىء في جامع الرصافة (اخبار الراضي والمتقي ٢٢٦) .

وقد قرىء عهد ابن ماكولا الذي تولى قضاء القضاة سـنة ٤٢٠ هـ ، في دار الخلافة وخلع عليه « ثم قرىء عهده بعد ذلك في جامع الرصافة وجامع المدينة » (المنتظم ٨/٤٤) وقد قرىء بجامع القصر عهد كل من أبي الحسن علي بن محمد الدامغاني (الجامع المختصر ٢٠١) ، الدبيثي ١/٢١٣ أ) وأبي القاسم الدامغاني (الدبيثي ١/٩١ أ) .

وقرىء عهد الاكمل الزينبي « وخلع عليه بالديوان ومضى الى جامع المنصور للتثبيت» (المنتظم ١٠ ـ ٢٠٤) .

اما قضاة الجانب الغربي فقد كانت عهودهم تقرأ في جامع المنصور (الدبيثي ٢-٨٨ أ) .

سلطة التعيين :

والقضاء مؤسسة حكومية رسمية كان اختيار من يليها من اختصاصات الخليفة بصرف النظر عن المؤثرات التي يخضع لها او الاستشارات والآراء التي قد يسمعها عند اختيار أي قاضي . ولم تذكر المصادر حادثة تساهل فيها الخليفة في استعمال هذا الحق في القرون الاربعة الاولى حتى في الفترات التي كان سلطانه الزمني هزيلا او بحكم المعدوم ، ويبدو انه حتى الذين سيطروا على بغداد وجردوا الخليفة من سلطاته الزمنية لم يحاولوا مس هـــذا الحق او تجريد الخليفة منه اللهم الا حادثة واحدة تعين فيها قاضي قضاة رغم ارادة الخليفة وهي انه عندما توفي أبو السائب سـنة ٣٥٠ هـ ضمن أبو العباس بن عبد الله بن الحسن بن أبي الشوارب (ان يؤدي كل سنة مائتي الف درهم ، وهو أول من ضمن القضاء وكان ذلك ايام معز الدولة ، ولم يسمع بذلك قبله فلم يأذن له الخليفة المطيع لله بالدخول عليه وأمر بان لا يحضر الموكب ، لما ارتكبه من ضمان القضاء »(الهمداني . تكملة تاريخ الطبري ١٧٩ ، ابن الاثير ٨ـ١٩٣) .

ولما قلد بهاء الدولة الحسين بن موسى قضاء القضاة « لم ينظر في قضاء القضاة لامتناع القادر بالله من الاذن له وترددت في هذا اقوال انتهت الى الوقوف »(المنتظم٧ـ٢٢٦ـ٧) .

لم تذكر المصادر ان الخلفاء استجابوا لآراء الناس في اختيار قضاة بغداد الا في حادثة واحدةحيث يذكر الخطيب« وكان اهل بغداد قد ضجوا من اصحاب ابن أبي دؤاد وقالوا بعد أن عزلعبيد الله بن احمد بن غالب لا يلي علينا الا من نرضى به » (١١ـ٥٢) والواقع ان عمل القضاء في العصر العباسي كان ضعيف الصلة بالسياســة والادارة ، ووثيق الصلة بالناس ، وبالفقه الذي اكتسب طابعاً دينياً وكان موضوع دراسة الفقهاء الذين اعتبروا مكانتهم متوقفة على عمق دراساتهم ونضج افكارهم وسلامة سلوكهم وحسن سمعتهم بين الناس اكثر مما تتوقف على ثرواتهم او مكانتهم عند رجال الادارة .

وقد ذكرت المصادر عدداً من الحالات ، وخاصة في القرن السادس الهجري ، كان فيها

الوزراء ، وليس الخلفاء ، هم الذين يعينون قاضي القضاة .

فقدذكر ابن الدبيثي في ترجمته لـكل من ابي الحسن علي بن احمد الدامغاني وروح بن احمد الحديثي والبخاري وابي القاسم عبدالله بن الحسن الدامغاني أن الذي ولاهم قضاء القضاة هو الوزير . فاما عن أبي الحسن الدامغاني فقد ذكر انه « تولى قضاء القضاة في ١٥ ذي الحجة سـنة ٥٤٣هـ ولاه نائب الوزراء يومئذ نقيب النقباء أبو احمد طلحة بن علي الزينبي والديوان العزيز ولما اعيد الى قضاء القضاة في ١٣ ربيع الأول سنة ٥٧ [٥] » ولاه ذلك نائب الوزارة يومئذ علم الدين أبو الفضل يحيى بن جعفر (١ـ٢١٣أ) .

اما روح بن احمد فانه في سنة ٥٦٦هـ ولاه الوزير أبو الفرج محمد بن عبدالله بن المظفر قضاء القضاة شرقاً وغرباً باذن الامام المستضيء بالله وخاطبه بالولاية من غير أن يخلع عليه ولا كتب عهده لأجل أن الامام المستنجد بالله لم يخلع عليه ، وقرىء عهده بعـــد ذلك (١ ـ ١٥٢) .

اما أبو الفضل احمد بن علي البخاري (٥٩٥ هـ) فقد ولاه أبو القاسم الحسن بن نصر بن الناقد وكان يومئذ صدر المخزن المعمور والنائب عن ديوان المجلس في داره بدرب الجب » (الجامع المختصر ١٩٤) .

اما أبو القاسم عبد الله بن الحسين الدامغاني « فانه ولي قضاء القضاة شرقاً وغرباً سنة ٦٠٣هـ » ، ولاه ذلك الوزير يومئذ أبو الحسين ناصر بن مهدي وخلع عليه الخلعة السوداء والعمامة الكحلية والطرحـة الكحلية وسلم اليه العهد بذلك (١ـ٩١أ انظر ايضاً الجامع المختصر ٢٠١) .

وكان تعيين القضاة في القرون الاولى بيد الخليفة ايضاً ، الا أن للقاضي ان يختار من يخلفه ، وفي القرن الخامس تشير الاخبار الى ان تعيين القضاة كان يتم من قبل قاضي القضاة الامر الذي يدل على ان سلطة تعيينهم اصبحت بيد قاضي القضاة بعد أن كانت بيد الخليفة ومن الطبيعي ان يصبح عزل القضاة بيد قاضي القضاة ايضاً .

ويلاحظ ان المصادر كانت تستعمل في القرون المتأخرة لتعيين القاضي كلمة (جعله) او (استنابه) بينما استعملت في القرون الاولى كلمة (استخلف). وهي ايضاً تذكر في الفترة المتأخرة (الحكم والقضاء) واحياناً تستعمل كلمة (الحكم في مدينة السلام) ويلاحظ ان وظيفة القضاء في الجاهليـة كان يقوم بها « الحكم »، وان كلمة الحُكْم ، والحَكَم وردت في عدد كبير من الآيات الكريمة ولكن المسلمين استعملوا كلمة القضاء دون الحكم ، وصارت كلمة الحكم والحاكم منحصرة بالسلطة التنفيذية وبمن يمارسها دون السلطة القضائية . وقد ظل الامر كذلك حتى القرن السادس الهجري حيث بدأت كلمة الحكم والحاكم يكثر استعمالها مكان كلمة القضاء والقاضي أو بجانبهما ، ولا نعلم سبب ذلك .

والمفروض ان يعين للقضاء من قبلت شهادته واثبتت تزكيته وخاصة في العهود المتأخرة التي اصبحت فيه للشهادة والتزكية اهمية خاصة ونظاماً مستقراً ، والواقع ان معظم من عين للقضاء تم تعيينهم بعد أن قبلت شهادتهم واثبتت تزكيتهم، ولكن يبدو أن هذا لم يكن قاعدة عامة فان المصادر اشارت الى من ولي القضاء قبل ان تتم تزكيته ، فيذكر ابن الدبيثي في ترجمته لابي المظفر الحسين بن احمد بن علي الدامغاني ، ان اخاه قاضي القضاة ابا الحسن علي بن احمد استنابه في الحكم والقضاء بمدينة السلام سنة ٥٤٦هـ، ثم قبل شهادته سنة ٥٥٢هـ (٣-١٨٤ ب) ويذكر ايضاً ان قاضي القضاة ابا القاسم عبد الله بن الدامغاني استناب اخاه محمد بن الحسن بن احمد يوم ولايته سنة ٦٠٣هـ « في الحكم بدار الخلافة المعظمة وما يليها واذن للشهود بالشهادة عنده وعليه فيما يسجله ، ثم قبل شهادته » (٢-٨٨أ) .

ولا بد ان نشير الى ان اختصاص القاضي كان حينئذ النظر في الاحوال الشخصية وفي شؤون اليتامى والحفاظ على اموالهم وفي بعض الخلافات التي تدخل اليوم ضمن القانون المدني والتجاري ، فلم يكن يدخل في اختصاص القاضي الخلافات السياسية والادارية الناجمة من تصرفات الخليفة وموظفي الادارة ، وقد ادى هذا الى اقفال باب رئيسي للخلاف بينه وبين الحكومة وجعله قادراً على العمل بمعزل عن التقلبات الادارية والسياسية العنيفة التي طالما اجتاحت الدولة العباسية .

ثم ان الخلفاء العباسيين بتركيز اهتمامهم بالجيش وحفظ الامن ، لم يكثروا من التدخل المباشر في شؤون التجار واصحاب الاعمال والحرف والعمال الذين تزايد عددهم واتسع نشاطهم وانشأوا لانفسهم تنظيمات خاصة بهم قامت بصورة شبه مستقلة عن الدولة ، وكانوا يتبعون قواعد قانونية معترف بها يحكم بموجبها في الخلافات التي قد تظهر بينهم .

وقد نما بجانب هذه التطورات دراسات نظرية دقيقة للقواعد والاحكام الفقهية قام بها علماء من اماكن واوساط مختلفة ، ولكن قلما اشغل واحد من علماء الفقه المبرزين وظيفة في الدولة ، فكانوا « رقيبا غير رسمي » على القضاة مما عزر الصلة بينه وبين العامة .

اصول القضاة :

تحاشى الخلفاء العباسيون تولية القضاء رجالا من افراد اسرتهم ، فيذكر طلحة بن محمد ابن جعفر الذي ترجم قضاة بغداد الى سنة ٣٦٠ هـ في كلامه عن أبي الحسن محمد بن صالح المعروف بابن ام شيبان الذي ولاه المطيع القضاء (٣٣٤ هـ) « ولا اعلم قاضياً تقلد القضاء بمدينة السلام من بني هاشم غيره » (٥-٣٦٤) ويبدو أن محمد بن طلحة لم يدخل في قضاء بغداد من ولي قضاء القضاة عندما كانت الخلافة العباسية في سامراء ، اذ وليه في تلك الفترة من العباسيين جعفر بن عبد الواحد بن جعفر بن سليمان بن علي(الخطيب ٦-٣٨٧، ٧-١١٤ ، ٤١٠) .

ثم ولي القضاء ببغداد بعد زمن طلحة بن محمد ، علي بن محمد بن عبد الصمد بن المهتدى بالله المعروف بابن الغريق فانه « ولي القضاء بمدينة المنصور وما اتصل بها ..) . (الخطيب ٣-١٠٨ المنتظم ٨-٢٨٣) كما وليه منهم ايضاً علي بن عبدالله الهاشمي (ت٤١٥ هـ) الذي ولي قضاء مدينة المنصور (الخطيب ١٢-٨) وفي العهود المتأخرة ولي من العباسيين قضاء القضاة كل من أبي القاسم الزينبي ومحمد بن جعفر العباسي .

لقد قضت الاحوال السائدة في اوائل عهد انشاء بغداد ان يولى الخلفاء عليها قضاة يجلبون من اماكن اخرى، وقد حرص الخلفاء العباسيون الاولون ان يولوا القضاء في بغداد رجالا من اهل المدينة المنورة من الانصار وقريش ، وكذلك من اهل الكوفة ،ولكنهم

لم يتمسكوا بمبدأ قصر ولاية القضاء على العرب كما كان الحال في العهد الاموي، بل استخدموا منذ اوائل عهدهم بعض الموالي مثل نوح بن دراج وعبدالرحمن بن اسحق مولى بني امية. غير ان عدد هؤلاء الموالي قليل نسبياً اذا ما قورن بالقضاة من العرب.

لا يمكن استنباط قاعدة عامة تقيد بها الخلفاء العباسيون في اختيار قضاة بغداد، فدراسة اسمائهم وتراجمهم تبين انهم كانوا متباينين في معظم خصائصهم، فاصولهم، ما عدا الاولين منهم، ترجع الى مدن مختلفة، وفيهم عدد ممن ولى القضاء ببغداد لاول مرة، بجانب عدد غير قليل ممن ولى القضاء في مدن اخرى قبل توليته ببغداد، كما ان عدداً غير قليل منهم نقل الى مدن اخرى بعد توليه القضاء ببغداد.

غير ان بعض الاسر تولى منها عدة قضاة، فيذكر الخطيب في ترجمته ليوسف بن عمرو ابن ابي عمرو محمد بن يوسف بن يعقوب بن اسماعل بن حماد بن زيد بن درهم « ولا نعلم قاضيا تقلد هذا البلد اعرق في القضاء منه ومن اخيه الحسين، لانه يوسف بن عمرو بن محمد ابن يوسف بن يعقوب، وكل هؤلاء تقلدوا الحضرة غير يعقوب فانه كان قاضيا على مدينة الرسول (ص) ثم تقلد فارس ومات بها » (١٤ / ٣٢٣، انظر ايضاً المنتظم ٧ / ٤٢) وكان « ابو نصر يوسف بن عمرو بن محمد بن يوسف آخر من ولي القضاء ببغداد من ولد حماد بن زيد »(طبقات الفقهاء للشيرازي ١٩٠) ويجدر ان نذكر ان اسماعيل بن اسحق بن اسماعيل بن حماد بن زيد ولي القضاء في الجانب الغربي والجانب الشرقي، ثم جمعت له بغداد كلها « وكان اسماعيل بن اسحق نيفاً وخمسين سنة على القضاء، ما عزل الا سنتين »(الخطيب ٦ / ٢٨٧).

ومن ابرز الاسر التي انجبت رجالاً تولوا القضاء ببغداد هم آل ابي الشوارب وهم امويون من نسل سعيد بن العاص، وجدهم الاعلى عتاب بن اسيد الذي ولاه الرسول (ص) مكة، فقد ولى القضاء منهم اربعة وعشرون اكثرهم ببغداد وولى ثمانية منهم قضاء القضاة (الخطيب ٥ / ٤٨ المنتظم ٨ / ٢٥ وانظر ايضاً جمهرة النسب لابن حزم ١٠٥).

وفي القرنين الخامس والسادس ولى اربعة من اسرة الدامغاني منصب قضاء القضاة

(الجامع المختصر ٢٠١) ، تلخيص مجمع الالقاب ٤-٢ / ٧٤٨) كما ولي عـدد غير قليل من افراد هذه الاسرة القضاء في بغداد ، وفي المدن الاخرى .

وقد توارث القضاء من كل من اسرة البيضاوي ، وعلي بن عبد الرشيد الهمـــداني ثلاثة اجيال ، كما ان عدداً من القضاة اعقبوا آباءهم في المنصب .

المذاهب الفقهية للقضاة :

لاريب ان للقضاء علاقة وثيقة بالفقه الذي هو دراسة القواعـد القانونية التي ينبغي السير عليها والحكم بموجبها فيما ينجم من خلافات بين الناس . غير ان العلاقـة بين القضاء والفقه بالرغم من قوتها ، لم تصل الى حد المطابقة التامة من الناحية العملية ، ومن المعلوم ان القضاة يقومون بتطبيق القواعد الفقهية ، اي ان عملهم متصل بالجانب التطبيقي العملي الذي لا يستلزم حتما التبحر في الدراسات النظرية التي يتطلبها الفقه ، ولدينا شواهد كثيرة اليوم من علمـــاء في القانون متبحرون في دراسته واساتذة نظريون لم يمـارسوا تطبيق القانون ، في حين نجد عدداً كبيراً من حكام وقضاة بارزين لم يؤلف واحد منهم كتابا او ينشر بحثاً في القانون الذي يطبقه ، واذا كان الجمع بين البحث النظري والتطبيق العملي يعتبر مفخرة تستحق الاشادة بها ، فان عدم الجمع بينهما لا يعتبر عيباً او مطعناً .

ان هذا الوضع القـائم اليوم كان له ما يشبهه في العصر العباسي الذي انجب فيه العـالم الاسلامي عدداً كبيراً جداً من الفقهاء الذين درسوا الفقه والفوا فيه فابدعوا ، لم يشغل منهم منصب القضاء الا عدد قليل جداً . كما ان قل من قضاة بغداد من عرف عنه انه الف كتبا في الفقه او اشتهر عنه تبحره في دراساته النظرية .

وقد اشار وكيع الى ان عبدالرحمن بن اسحق « لا علم له بالفقه » (٣ / ٢٨٣) ونقل عن محمد بن سماعه ان « محمد بن ابي رجاء لم يكن له علم بالاصول » (٣ / ٢٨٩) .

غير ان هذه حالات شاذة ، اما الاغلبية المطلقة من القضاة فقد عرف عنهم اطلاعهم على العلوم النقلية ، وخاصة الفقه وكان بعضهم ممن أخذ عنه العلم .

ويبدو ان الخلفاء العباسيين لم يراعوا في اختيارهم قضاة بغـــداد ان يكون القاضي ممن يتبع مذهباً فقهياً معيناً ، ولذلك ولي قضاء بغداد رجال مذاهبهم الفقهية مختلفة .

فأما المذهب المالـكي (المنســوب الى الامام مالك بن انس الأصبحي) مذهب أهل المدينة ، فالراجح انه كان مذهب المدنيين الذين ولوا القضاء ببغداد في العهود الأولى . وقد اشارت المصادر صراحة الى اتباع عدد من قضاة بغـداد المذهب المالـكي في الفقـه ، ومن هؤلاء « أبو يحيي الزهري ، هارون بن عبد الله ، وكان من الفقهـاء على مذهب أهل المدينة من اصحاب مالك » (وكيع ٣/٢٧٤ الخطيب ١٤/١٣) .

ومنهم ايضاً اسماعيل بن اسحق الذي كان « من الفقهـاء على مذهب مالك بن أنس يعتل ويحتج وعمل كتباً حملها الناس » (وكيع ٣/٢٨٠) ، « وهو الذي بسط فقه مالك واحتج له ، وصنف فيه الـكتب ، ودعى اليه الناس ورغبهم فيه » (الفهرست ٢٨٢) « ونشر عن مذهب مالك وفضله ما لم يكن بالعراق في وقت من الأوقات ، وصنف في الاحتجاج لمذهب مالك ، وشرع له ما صار لأهل هذا المذهب مثالاً يحتذونه وطريقاً يسلـكونه » (الخطيب ٥/٣٦٤ عن طلحة بن محمد بن جعفر) وقد ظل اسماعيل بن اسحق يلي القضاء ببغداد قرابة خمسين سنة ، كما ان عـدداً غير قليل من نسله ولى القضاء فيها ، ولعلهم كانوا من المالـكية ايضاً ، وان لم تشر المصادر الى ذلك صراحة ما عـدا اخاه حماد الذي يشير ابن النديم صراحة الى انه كان من المالـكية (الفهرست ٢٨٢) .

ومن المالـكية ايضاً محمد بن احمد أبو الطـاهر الذهلي الذي ولى القضاء في زمن المتقي والمستكفي ، وكان « متوسط الفقه على مذهب مالك » (الخطيب ١/٣١٣) .

ومنهم ايضاً محمد بن صالح الهاشمي (الخطيب ٥/٣٦٤ شذرات الذهب ٣/٧٠) .

اما من الشافعية فقد ولى قضاء القضاة أبو السائب (الخطيب ١١/٢٤٩، ١٢/٣٢٠) وهو أول من ولي قضاء القضاة من الشافعية (شذرات الذهب ٣/٥) كما وليه كل من عمر بن اكثم

الأسـدي (الخطيب ١١/٢٤٩) وابن ماكولا (الخطيب ٨/٨٠ المنتظم ٨/١٦٧ ابن الاثير ٩/٦١٥ شذرات الذهب ٣/٢٧٥) ومحمد بن المظفر الحموي (شذرات الذهب ٣/٣٩١ ومحيي الدين بن فضلان (شذرات الذهب ٥/١٤٦) وعبدالله بن محمد البدراني (شذرات٥/٢٦٩).

ومن القضاة الشافعية احمد بن عمر بن سريج (الخطيب ٤/٢٨٧) وابو عمران موسى ابن الاشيب (الفهرست ٣٠١) وأبو المعالي عزيزي (ابن الاثير ١٠/٣٢٦ ، شذرات الذهب ٣/٤٠١) وابن السيبي (ابن النجـار ٧٣أ) واحمد بن سلامة الرطبي (شـذرات الذهب ٤/٨٠)واحمد بن محمد أبو العباس الابيوردي (الخطيب ٥/٥١ ، المنتظم ٨/٨٠) وطاهر بن عبد الله أبو الطيب الطبري (الخطيب ٩/٣٥٩ اللباب لابن الاثير ١/٨١) ومحمد بن عبد الله البيضاوي(الخطيب٥/٤٧٦) ،وباي بنجعفر الجيلي (الخطيب٧/١٣٦ أنساب السمعاني٣ـ٤٦٢)

وكان من اصحاب داود الظاهري عبد العزيز بن احمد الخرزي (الخطيب ١٠ ـ ٤٦٦) غير أن ابن النديم يذكر انه كان شافعياً . الفهرست ٣٠٧) .

اما الحنابلة فلم يتول منهم قضاء القضاة غير أبي صالح نصر بن أبي بكر بن عبد الرزاق الجيلي (الحوادث الجامعة ٨٧ شذرات الذهب ٥ ـ ٢٨٤) ويذكر ابن رجب الحنبلي عنه « لا اعلم احداً من اصحابنا دعي بقاضي القضاة قبله ، ولا استقل منهم بولاية قضاء القضاة بمصر غيره » (ذيل طبقات الحنابلة ٢ ـ ١٩١) .

غير ان عـدداً من الحنـابلة ولي القضاء في العهود المتأخرة ، ومنهم يعقوب بن ابراهيم البرزبيني (اللباب لابن الأثير ١ ـ ١١١ الاكمال لابن ماكولا ١ ـ ١٦١ طبقات الحنابلة لابن الفراء ٢ ـ ٢٤٨ ذيله ١ـ٩٢) وعلي بن محمد ابو منصور الانباري (طبقات الحنابلة ٢ـ ٢٥٧ ذيله ١ـ١٣٧)وعلي بن روح النهرواني (الجامع المختصر ٢٣٧) ومحمد بن الحسـين الفراء (طبقات الحنابلة ٢ ـ ٢٠٠) .

ومن الشيعة كان القاضي الجعابي(الفهرست٢٧٩ وانظر ايضاً الخطيب ٤ـ٢٦ فما بعد) . ويذكر ابن الجوزي ان قاضي القضاة روح بن احمد الحديثي كان «ينبز بالرفض » (المنتظم

١٠ ـ ٢٥٥) ، ومنهم ابن الجبر (شذرات الذهب ٥ ـ ٣١) ومحمد بن عبدالله السامري (شذرات الذهب ٤ ـ ٧٠، ٢٠٥) .

ومن الطبيعي ان يكون اكثر قضاة بغداد ممن كانوا يعتنقون المذهب الحنفي ، وقد خصت المصادر ، وخاصة الخطيب ، بالذكر عدداً غير قليل منهم فقد ذكر الخطيب انه كان على مذهب أهل العراق كل من احمد بن يحي بن أبي يوسف (٥ ـ ٢٠١) والحسن ابن عبد الله السيرافي (٧ ـ ٢٤١) وعبيد الله بن غالب (٨ ـ ٢٩٨) ومحمد بن عيسى الضرير (٢ ـ ٤٠٣) واحمد بن محمد بن عيسى البرتي (٥ ـ ٦٢) وكان ابن البهلول « حسن المعرفة بمذهب اهل العراق » (٤ـ٣١) .

وذكرت لنا المصادر من أصحاب أبي يوسف كلاً من محمد بن أبي رجاء (الخطيب ٥ـ٢٧٥) وعكرمة بن طارق السرخي (الخطيب ١٢ ـ ٢٦٣) ومحمد بن سماعه (وكيع ٣ـ٢٨٢) وأبن أبي يوسف (وكيع ٣ ـ ٢٨٦) ، وحماد ، والحسن بن زياد اللؤلؤي (وكيع ٣ـ٢٨٢) وقتيبة ابن زياد (وكيع ٣ ـ ٢٩١) وأبي خازم عبد الحميد بن عبد العزيز (وكيع ٣ ـ ٢٩٢) .

وذكرت المصادر لنا من القضاة الحنفية أسد بن عمرو البجلي (الخطيب ٧ ـ ١٦) وبشر بن الوليد (الخطيب ٧ ـ ٨١ ، وقد ذكر ابن النديم انه من أصحاب الرأي (الفهرست ٢٨٩) وعبد الرحمن ابن اسحق الضبي (الخطيب ٨ـ٣١٨) وعبد الله بن محمد الخلنجي (الخطيب ٨ ـ ٧٣) وأبي خازم (الخطيب ١١ ـ ٥٢ تاج التراجم لابن قطلوبغا ٣٣١) وعلي بن حرملة التيمي (الخطيب ١١ ـ ٤١٠ وكيع ٣ ـ ٢٨٨) ومحمد بن عبد الله المؤذن (الخطيب ٥ ـ ٤١٦) . والصيمري « قاضي الكرخ شيخ اصحاب أبي حنيفة في زمنه » (ابن الاثير ٩ ـ ٥٢٧ ، اللباب ٢ ـ ٦٦ ، تاج التراجم ٢٦ ، شذرات الذهب ٣ ـ ٢٥٦)

ومن أبرز القضاة الحنفية آل الدامغاني ، فان رأس العائلة أبي عبد الله الدامغاني « انتهت اليه الرئاسة في مذهب العراقيين » (الخطيب ٣ ـ ١٠٩) وقد سيطرت هذه الأسرة على القضاء فترة غير قصيرة من الزمن ، حيث ولي منها منصب قاضي القضاة عدة

رجال ، فضلاً عمن كان ينيبه كل منهم من اسرته على القضاة ببغداد .
وقد اعتبر صاحب الجواهر المضية كافة القضاة من اسرة الدامغاني من رجال المذهب الحنفي.

امتداد سلطان القاضي :

كان عمل بعض القضاة في بغداد يشمل أيضاً عدداً من المدن والاماكن الأخرى ، فقد ذكر أن يوسف بن يعقوب بن اسماعيل بن حماد « قد ولي القضاء بالبصرة سنة ٢٧٦ هـ وضم اليه قضاء واسط ثم اضيف الى ذلك قضاء الجانب الشرقي من بغداد .. اي انه ولي القضاء بين أهل الجانب الشرقي اضافة الى ماكان يتولاه من قضاء واسط والبصرة (الخطيب ١٤ـ٣١٠) ويذكر ابن الجوزي ان يوسف بن يعقوب « قلد قضاء الجانب الشرقي من بغداد ، وكاواذى ،ونهر بين ، والنهروانات ، وكور دجلة ، وواسط ، مضافاً الى ما تولاه من االقضاء بالكوفة واعمالها ، وذلك بعد ان مكثت بغداد ثلاثة أشهر وثمانية عشر يوماً بعد وفاة اسماعيل بن اسحق بغير قاض » (المنتظم ٥ ـ ١٦٢ ، ٦ ـ ٩٦) .

وفي سنة ٢٨٣ هـ « جعل علي بن محمد بن أبي الشوارب على قضاء المدينة ، يعني مدينة المنصور ، مضافاً الى ما كان يتقلده من القضاء بسر من رأى واعمالها » (الخطيب ١٢ـ٦٠) ويذكر ابن الجوزي انه ولي قضاء مدينة المنصور « وقطربل مضافاً الى ماكان يتولاه من الحكم بسامرا وتكريت وطريق الموصل » (المنتظم ٥ ـ ١٦٢ ، ٦ ـ ٩٦) .

وفي سنة ٢٨٤ « ولي محمد بن يوسف قضاء مدينة المنصور والاعمال المتصلة بها والقضاء بين أهل بزرج سابور ، والراذانين وسكرود (مسكن ؟) وقطربل » (الخطيب ٣ ـ ٤٠٢) وفي سنة ٣٠١ هـ رد المقتدر محمد بن يوسف الى القضاء بعد ان كان معزولاً « وقلده الجانب الشرقي والشرقية وعدة نواحي من السواد والشام والحرمين واليمن وغير ذلك (الخطيب ٣ ـ ٤٠٢) ويقول وكيع ان محمد بن يوسف اعيد في هذه السنة « على قضاء الشرقية والجانب الشرقي من مدينة السلام ، والمدائن ، والنهروانات ، وسقي الفرات من طريق الكوفة » (٣ـ٢٩٣) .

وقد تولى أحمد بن اسحق بن البهلول « القضاء بمدينة المنصـور من مدينة السلام وطسوجي قطربل ومسكن والانبار وهيت وطريق الفرات ، ثم اضاف له الى ذلك بعد سنين القضاء بكور الاهواز مجموعة لمامات قاضيها إذ ذاك محمد بن خلف المعروف بوكيع ، فما زال على هذه الاعمال الى ان صرف عنها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة » (الخطيب ٤ ـ ٣٢) .

وفي سنة ٣٢٨ هـ « خلع الراضي علي ابي نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف وقلده قضاء الحضرة باسرها : الجانب الشرقي والغربي ، المدينـة والـكرخ ، وقطعة من اعمـال السواد » (الخطيب ١٤ /١٢٣) ويذكر الصولي ان الراضي جعل الى ابي نصر قضاء بغداد والمدائن (اخبار الراضي والمتقي ١٤٣)

وفي سنة ٣٣٠هـ « قلد المقتفي بغداد باسرها : الجانب الشرقي ومدينة المنصور والـكرخ ابا الحسن احمد بن عبدالله بن اسحق الخرقي مضافاً الى ما كان قلده قبل الحضرة من القضاء بمصر والمغرب والرملة والبصرة وواسط وكور دجلة وقطعة من السواد » (الخطيب ٤/٢٣١)

وفي سنة ٣٣٤ هـ ولي الخلافة المطيع « فقلد ابا الحسن محمد بن الحسن بن ابي الشوارب الشرقية والحرمين واليمن ومصر وسرمن رآى وقطعة من اعمال السواد وبعض اعمال الشام وسقي الفرات وواسط ، ثم صرف عن جميع ذلك في رجب سنة ٣٣٥ » (الخطيب ٢/٢٠٠)

ولما قلد الطائع محمد بن عبدالله بن احمـد بن ابي معروف قضاء القضاة سنة ٣٦٣هـ خوله « الحـكم بين اهل سر من رآى ، وتـكريت ، والطيرهان ، والسن ، والبوازيج ، ودقوقا ، وخانيجار ، وبزرج سابور ، والراذانين ، ومسكن ، وقطربل ، ونهر بوق ، والذيبين ، وجميـع الاعمال المضافة الى ذلك ، المنسوبة اليه (رسائل الصابي ص ١١٧) .

وكان القاضي ابو عبيدالله الحسين بن هارون الضبي قد « ولي القضاء بربـع الـكرخ من مدينة السلام ، ثم اضيف اليه القضاء بمدينة المنصور ، وقضاء الكوفة وسقي الفرات باسره » (الخطيب ٨ / ١٤٦) وفي سنة ٣٩٠ « قلد القاضي ابو عبدالله الحسين بن هـارون الضبي مدينة المنصور مضافة الى الـكرخ والـكوفة وسقي الفرات ، وقلد القاضي ابو محمد عبدالله

ابن محمد الاكفاني الرصافة واعمالها عوضاً عن المدينة التي كان يليها ، وقلد القضاء ابو الحسن الخرزي طريقي دجلة وخراسان ، مضافاً الى عمله بالحضرة ، وقرئت عهودهم على ذلك » (ذيل تجارب الامم للصابي ٣/٣٧٢ المنتظم ٧ / ٢٠٨) الخطيب ٨ / ١٤٦) وفي سنة ٣٩٠هـ اضيف الى القاضي ابي الحسن الخرزي « النظر بطريق دجلة وخراسان » (الصابي ٣ / ٣٧٢ انظر ايضاً المنتظم ٨ / ٢١٨) .

ويبدو ان تولية قضاة بغداد على مناطق اضافية اخرى ، لم تتبع كثيراً في العصور العباسية المتأخرة ، اذ لم تذكر المصادر الا اشارة في عهد قاضي القضاة ابي الحسن علي بن احمد الدامغاني الذي ولى سنة ٥٠٢ هـ ابنه محمد « قضاء الجانب الغربي من مدينة السلام وواسط وغير ذلك » (ابن الدبيثي ٢ / ٨٨ أ) وولى اخاه ابا جعفر القضاء بالرصافة وباب الطاق ، ومن اعلى بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد (المنتظم ٩ / ٨٣) وولي ايضاً اخاه الحسن بن احمد القضاء بربع الكرخ من الجانب الغربي سنة ٥٤٦ هـ ، ثم اضاف اليه في سنة ٥٥٥ واسط (الدبيثي ٣ / ١٥٤ أ) .

وقد جمع القضاء في بعض الفترات ، في عدة مناطق بيد قاض واحد : فقد جمع قضاء الجانب الغربي كله ، مدينة المنصور والشرقية ، لكل من محمد بن سماعه (سنة ٢٠٧ ـ ٨) وعبدالرحمن بن اسحق (٢١٣ ـ ٢٢٨ هـ) واسماعيل بن اسحق ، ومحمد بن الحسن بن ابي الشوارب (٣٣٣ هـ) ومحمد بن عيسى بن ابي موسى الضرير (٣٣٣ هـ) وابي الحسن محمد بن صالح الهاشمي (٣٣٥ ـ ٦) وابي السائب عتبة بن عبدالله (٣٣٦ هـ)

وجمع الجانب الشرقي والكرخ لكل من عبدالله بن علي بن ابي الشوارب (٢٩٦هـ ـ٣٠١هـ) وابي نصر يوسف بن عمر الازدي (٣٢٩) ومحمد بن عيسى بن ابي موسى (٣٢٩ هـ) .

وجمعت بغداد كلها لكل من إسماعيل بن اسحق (٢٦٤ـ٢٨٢هـ) وابي نصر يوسف بن عمر بن يوسف (٣٢٨هـ ـ ٣٢٩هـ) واحمد بن عبدالله بن اسحق الخرقي (٣٣٠هـ ـ ٣٣٥هـ) ومحمد بن

صالح (٣٣٥ ـ ٦) وابي السائب عتبة بن عبدالملك بن موسى (٣٣٦) وعبدالله بن الحسين ابن ابي الشوارب (٣٥٠) وابي محمد عبيدالله بن معروف ٣٥٦)

وقد ذكر ابن الدبيثي عدداً من القضاة الذين ولوا الحكم والقضاء في القرن السادس واوائل القرن السابع بمدينة السلام دون تخصيص منطقة فيها ، وممن ذكر منهم .

١ ـ ابو منصور محمد بن احمد بن علي الدامغاني « استنابه اخوه ابو الحسن سنة ٥٤٣هـ في الحكم والقضاء بمدينة السلام ، فلم يزل على ذلك الى ان توفى في سنة ٥٤٦هـ» (٢/٥ ب)

٢ ـ ابو المظفر الحسين بن احمد بن علي « استنابه اخوه قاضي القضاة ابو الحسن علي ابن احمد بن الدامغاني في الحكم والقضاء بمدينة السلام سنة ٥٤٦هـ الى ان عزل اخوه سنة ٥٥٥هـ ، فانعزل ولزم بيته ، فلما اعيد اخوه الى قضاء القضاة سنة ٥٧٠ هـ ، استنابه في الحكم والقضاء على عادته المتقدمة فلم يزل على ذلك الى ان توفي سنة ٥٧٩هـ » (٣ ـ ١٨٤ ب) .

٣ ـ عبد الله بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد الثقفي « استنابه أبوه على القضاء والحكم بمدينة السلام (سنة ٥٥٥هـ) » (١ ـ ١٩٥ أ) .

٤ ـ أبو طالب روح بن أحمد الحديثي كان ينوب في القضاء بمدينة السلام قبل ولايته قضاء القضاة سنة ٥٦٥هـ (١ ـ ١٥٤ ب) .

٥ ـ أبو عبد الله الحسين الدامغاني « كان قاضياً بمدينة السلام قبل ولايته قضاء القضاة سنة ٥٨٨ » (١ ـ ١٣٩ ب) .

٦ ـ أبوالقاسم عبيد الله بن الحسين الدامغاني « تولى القضاء والحكم بمدينة السلام سنة ٥٨٦هـ » وقد ظل في عمله الى أن ولي قضاء القضاة علي بن علي البخاري، ثم انفرد بالحكم ببغداد (١ ـ ١٩١ أ وانظر أيضاً ٣ ـ ١٧ ب) .

٧ ـ عبد الحق بن محمد بن عبد الله المقرون « شهد عند القاضي محمود بن أحمد الزنجاني النائب في الحكم بمدينة السلام سنة ٦١٢هـ » (١ ـ ١٦٩ أ وانظر أيضاً ٢ ـ ٢٢ ب) .

ولا ريب فيه ان المقصود بمدينة السلام هو غير «مدينة المنصور» . ومع اننا لانستطيع

الجزم ما اذا كانت ولايات القضاة المذكورة في هذه النصوص على بغداد كلها (واسمها الرسمي مدينة السلام) او ان ولايتهم كانت مقصورة على بعض اجزائها .

لا تذكر المصادر كيف كان يتم بالفعل قيام القاضي بالنظر في أمر الجانب الغربي كله ، أو بغداد كلها ، أو بغداد وما يضاف اليها ، خاصة وأنها لم تذكر نواباً عنهم أو أشخاصاً مخولين بالقيام بهذا العمل كله ، وكل ما أشارت اليه هو الشهود والامناء الذين لا نعتقد ان عملهم يمتد الى النيابة عن القاضي في كل عمله .

ومما يلفت النظر قلة عدد القضاة في بغداد اذا قورن بعدد الحكام في الوقت الحاضر ، ولا ريب ان هذا قد يرجع الى ان عدد سكان بغداد كان أقل مما هو عليه الآن ، وان بعض الاعمال التي تعتبر اليوم من اختصاص الحكام كانت آنذاك خارجة عن اختصاص القضاة وداخله في اختصاصات الوالي أو صاحب الشرط أو المحتسب ، كما ان المشاكل التي واجهت أهل بغداد آنذاك كانت اقل مما تواجه سكانها في العصر الحاضر ، نظراً لقلة تعقد المجتمع وقوة الوازع الديني ، غير ان هذه العوامل مجتمعة ومهما كانت قوة تأثيرها فانها لا تبرر اقتصار بغداد على اربعة قضاة ، وهو أقصى ما كان فيها ، علماً بانه كان ببغداد في فترات غير قليلة قاضيان أو قاضٍ واحد فقط ، هذا فضلاً عن ان القاضي ببغداد أو في بعض أقسامها ، كان عليه في بعض الفترات ان ينظر في قضاء مناطق واسعة وبلدان كثيرة خارج بغداد ، وهي اوضاع لا تمكنه من النظر شخصياً في كل القضايا التي تظهر في هذه المناطق ، هذا بالاضافة الى ما يصيب بعض القضاة من المرض أو الشيخوخة مما يعيقهم عن النظر في القضايا .

لقد ذكرت المصادر عدداً من الاشخاص كانوا يخلفون القضاة في الحكم ، وان كلاً من هؤلاء كان يقوم بالعمل نيابة عن القاضي الاصيل وبتخويل شخصي منه ، دون حاجة الى تأييد الخليفة أو ذي السلطان التنفيذي ، وأغلب من كان ينوب عن القاضي هم ممن كانت تربطهم صلة نسب بالقاضي الاصيل، فقد كان زياد بن عبدالله بن علاثة يخلف أخاه محمداً على القضاء بعسكر المهدي (وكيع ٣ - ٢٥٢ الخطيب ٥ - ٣٨٩ ، ٨ - ٤٧٨ ، ١١ - ١٩٦) واستخلف

أبو يوسف ابنه يوسف على قضاء مدينة المنصور (وكيع ٣ ـ ٣٨٢) ، وكان أبو الحسين عمرو بن يوسف يخلف أباه على القضاء بالجانب الشرقي والشرقية وسائر ماكان الى قاضي القضاة أبي عمرو (المنتظم ٦ ـ ١٦٧ انظر أيضاً المنتظم ٦ ـ ١٤٧).

ولما اصيب عبد الله بن علي بن أبي الشوارب بالفالج استخلف له ابنه محمد على عمله كله (الخطيب ٥ ـ ٤٣١ المنتظم ٦ ـ ٩٧) .

وكان أحمد بن اسحق بن البهلول « ربما اعتل فيخلفه ابنه » (الخطيب ١ ـ ٢٧٨) وقد « خلف أبو نصر يوسف أباه على القضاء بالحضرة سنة ٣٢٧ هـ » (الخطيب ١٤ ـ ٣٢٢ المنتظم ٦ ـ ٢٩٦) واستخلف أبو الحسين عمر بن يوسف محمد بن محمد بن راهويه سنة ٣٢٦هـ (الخطيب ٥ ـ ٢١٥) .

ولما خرج المتقى الى الموصل اختفى القاضي الخرقي فاستخلف على مدينة المنصور أبا الفضل محمد بن عبد الله بن العباس بن أبي الشوارب ، ثم عاد المتقي فظهر القاضي الخرقي وأخذ يحكم بنفسه (الخطيب ٥ ـ ٤٤٩) .

وعند ما خرج القاضي أبو السائب عتبة من بغداد خلفه عمر بن اكثم على الجانب الشرقي، ثم جمع البلد لأبي السائب ، وهو بالبصرة مع المطيع ، فكتب بذلك الى الحضرة واستخلفه على بغداد بأسرها (الخطيب ١١ ـ ٢٤٩) .

وفي سنة ٣٧٦هـ استخلف قاضي القضاة ابن معروف الحسين بن هارون الضبي على الحكم والقضاء بالمدينة الشرقية قبل ان يولاها رئاسة (الخطيب ٨ ـ ١٤٦ ، المنتظم ٧ ـ ٢٤٠) .

وقد ناب عن أبي عبدالله الحسين بن هارون الضبي ، محمد بن محمد بن جعفر أبو بكر الدقاق المتوفى سنة ٣٩٢ هـ (المنتظم ٧ ـ ٢٢٢) كما ناب عنه على بعض عمله بالكرخ القاضي النصيبي (الخطيب ٣ ـ ٥٢) .

وكان يخلف ابن الاكفاني على ربع الرصافة عبد الوهاب بن مكرم أبو خازم (الخطيب ١١ ـ ٣٠) ويخلفه على عمله بالكرخ الحسين بن بكر بن عبد الله (الخطيب ٨ ـ ١٩٢) .

وقد ولي المعافى بن زكريا القضاء بباب الطاق نيابة عن ابن صبر (الخطيب ١٣ ـ ٢٣) وناب المبارك بن علي في القضاء عن ابن السيبي والهروي الى سنة ٥١١ هـ (المنتظم ٥ ـ ٢١٧)

ان تولية قاضٍ واحد على اكثر من مركز ، أو اضافة مناطق أخرى خارج بغداد له ، أو استخلاف آخرين ليمارسوا سلطانه ، قد تكرر حدوثه بصورة خاصة في أواخر القرن الثالث وفي القرن الرابع الذي اضطربت خلاله الادارة العباسية وبدأت الاحوال العامة بالتردي والانحطاط في بغداد وبصورة خاصة في الجانب الغربي منها، يذكر ابن الجوزي ان عضد الدولة لما دخل بغداد سنة ٣٧٢ هـ كان « قد هلك أهلها قتلاً وحرقاً وجوعاً للفتن التي اتصلت بين الشيعة والسنة » (المنتظم ٧ ـ ٨٨ ، وانظر أيضاً طبقات الحنابلة لابن الفراء ٢ ـ ١٥٨).

المناطق القضائية في بغداد

مدينة المنصور: استهدف المنصور من بنائه مدينته المدورة ايجاد قاعدة للخليفة وحاشيته ومواليه وصحابته وانصاره وموظفيه وكذلك لحرسه وجيشه الخاص الذي لا بد من بقائه قريباً منه وتحت تصرفه للتغلب على الازمات والملمات التي تواجهه ، أي أنه أراد أن تكون مركزاً إدارياً وعسكرياً ، وهو غرض محدد عبر عنه الخندق والأسوار التي جعل حدودها ثابتة ورقعتها صغيرة . وبالرغم من استيطان الناس في أرباضها منذ بدء بنائها . فان عدد سكانها كان محدوداً نسبياً . ولذلك اكتفي بتعيين قاض واحد لها .

وقد ظلت مدينة المنصور المدورة مركزاً لقاضٍ خاص بها الى أواخر القرن الرابع الهجري ، فمن المعلوم ان أبا عبيد الله الحسين بن هارون الضبي عين سنة ٣٩٠ هـ « على مدينة المنصور والكرخ وسقي الفرات » (الخطيب ٨ ـ ١٤٦ المنتظم ٧ ـ ٢٠٧ هلال الصابي ٣ ـ ٣٧٢) .

ويذكر الخطيب ان أحمد بن محمد الأبيوردي « سكن بغداد وولي القضاء بها ، على الجانب الشرقي بأسره ومدينة المنصور في أيام ابن الاكفاني ثم عزل ورد ابن الاكفاني الى عمله »

(٥ ـ ٥١ ، أنظر أيضاً الانساب للسمعاني ١ ـ ١٠٨) . أما ابن الجوزي فقد ذكر ان الأبيوردي ولى القضاء ببغداد على الجانب الشرقي ومدينة المنصور في أيام ابن الاكفاني ثم عزل » (٨ ـ ٨٠) والراجح ان الفقرة الاخيرة المذكورة عند الخطيب « ورد ابن الاكفاني الى عمله » قد حذفت من المنتظم بسبب خطأ النساخ ، لأن ابن الجوزي ينقل عن الخطيب ومما يؤيد وجود هذه الجملة في كتابه نقل السمعاني لها في كتابه الانساب .

ولا ريب ان سياق الجملة يقتضي ان الأبيوردي ولى قضاء مدينة المنصور ابان تولية ابن الاكفاني القضاء على كل بغداد وممارسته سلطة قاضي القضاة التي حدثت بين سنة ٣٩٦ هـ (حيث كان في هذه السنة على باب الطاق) وسنة ٤٠٥ هـ وهي سنة وفاته (الخطيب ١٠ ـ ١٤١) أي أنه كان على قضاء مدينة المنصور حوالي سنة ٤٠٠ هـ .

وقد ورد في بداية القرن الخامس الهجري ذكر لقاضيين من قضاة مدينة المنصور هما :

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبيدالله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ابو الحسين الهاشمي الخطيب المعروف بابن الغريق « الذي ولي القضاء بمدينه المنصور وما اتصل بها » (الخطيب ٣ ـ ١٠٨) ويذكر ابن الجوزي ان ابن الغريق ولي القضاء في سنة ٤٠٩ هـ (المنتظم ٨ ـ ٢٨٣) ويذكر ابن العماد انه كان سيد بني العباس في زمانة وشيخهم مات (سنة ٤٦٦ هـ) وله خمس وتسعون سنة (٣ ـ ٣٢٤) .

(٢) علي بن عبد الله بن ابراهيم بن احمد بن عبد الله بن محمد بن داود بن موسى ابو الحسن الهاشمي وكان قد شهد وتولى قضاء مدينة المنصور ومات سنة ٤١٥ (الخطيب ١٢ ـ ٨) ولا يذكر الخطيب سنة تولية أبي الحسن الهاشمي القضاء ولا ما اذا كان قد تولاه قبل ابن الغريق او بعده . ومن المؤكد انه تولاه قبل سنة ٤١٥ وهي سنة وفاته .

ان هذين القاضيين هما آخر من وجدت في المصادر ذكراً لتوليها القضاء بمدينة المنصور واذا كنا لا نستطيع الجزم بالسنة التي انتهى فيها تعيين القضاة على مدينة المنصور فالراجح انها تمت بعد عهد ولاية احمد بن محمد بن عبدالله بن ابي الشوارب قضاء القضاة (سنة ٤١٧ هـ)

ولعلها في الفترة التي انقضت بين وفاته وبين تولية ابن ماكولا .

وجدير بالذكر ان مدينة المنصور اصابها الانحلال منذ اواخر القرن الرابع، قال فيها احسن التقاسيم المقدسي « فاما المدينة فخراب والجامع فيها يعمر في الجمع ثم يتخللها بعد ذلك الخراب (٣٠) ويذكر هلال بن المحسن « واما مابين باب البصرة والعتابيين والخلد وشارع دار الرقيق من الجانب الغربي فقد اندرس اندراساً كلياً ، وصار الجامعان بالمدينة والرصافة في الصحراء بعد أن كانا وسط العمارة » (مناقب بغداد ٣٣) ولعل من اهم مظاهر هـذا الانحلال ان مدينة ابي جعفر المنصور اصبحت تدعى بباب البصرة (ياقوت ٣ـ٦٧٥) وان طرقها وسككها اصبحت تنسب الى باب البصرة (انظر الخطيب ٢ـ٣٨٢ . ٨ـ١٤٢ . ١٤ـ٢٤١) .

ووردت في المصادر المتأخرة ثلاث اشارات عن قضاة تولوا مدينة المنصور في العهود العباسية المتأخرة .

فقد ذكر ابن الجوزي ان محمد بن المظفر بن بكران الحموي الشامي « شهد عند قاضي القضاة ابي عبد الله الدامغاني في ربيع الاول سـنة [٤] وزكاه القاضي ابو يعلي بن الفراء وابو الحسن ابن السمناني وناب عنه في القضاء بربع المدينة (المنتظم ١٠ـ٩٥) .

وذكر الصفدي ان « محمد بن عبد المتكبر بن الحسن بن عبد الودود بن عبد المتكبر بن هارون بن محمد بن عبدالله بن المهتدي ابو جعفر الهاشمي الخطيب قاضي باب البصرة وقـد توفي سنة ٥٣٣ هـ » (الوافي ٤ـ٧٥) .

غير انني لم اجد في الكتب الاخرى ترجمة لهذين الرجلين او أية اشارة الى نيابة الشامي في القضاء بربع المدينة او الى تولية ابي جعفر الهاشمي قضاء باب البصرة وهو الاسم الذي اصبح يطلق على مدينة المنصور .

ذكر ابن الدبيثي ان عبد الملك بن المبارك (ت ٦٠٩هـ) ولي القضاء بمدينة المنصور والحريم الطاهري وما يلي ذلك وشهد سنة ٥٨٨هـ ، (١ ـ ١٣٩ ب ، أنظر أيضاً ذيل طبقات

الحنابلة ١ ـ ٢٤٨ طبعة لاوست) ويذكر صاحب الجواهر المضية (١ ـ ٣٢٦) عن ابن النجار انه عين على الحريم غير انه ذكر في ترجمة ثابت بن احمد انه « ابن عم القاضي ابي منصور عبد الملك بن المبارك قاضي الحريم الطاهري (٣ـ١٤١ ب) كما يذكر أن احمد ابن موهوب (ت ٥٧٠ هـ) كان من اهل الحريم الطاهري كان امين القضاة بالحريم وما يجاورها (٣ـ٢٣٠) وان الحسن بن المبارك (ت ٦٠٦ هـ) « كان من اهل الحريم الطاهري ، كان امين القضاة بالحريم وما يجاورها » (٢ـ١٨) .

ان النص الذي اورده ابن الجوزي لم يحدد اية مدينة ناب فيها محمد بن المظفر بن بكران . وقد اوردنا من قبل النصوص التي اشارت الى من ولي الحكم او ناب فيه بمدينة السلام التي لا يمكن ان اعتبارها مرادفة لمدينة المنصور .

اما رواية الصفدي فلم يؤيدها مصدر آخر ولم نجد اية اشارة اخرى لقاض ولي القضاء بباب البصرة ، ولا شك ان انفراد الصفدي بهذه الاشارة يرجح عدم صحتها ، اما ذكر ابن الدبيثي ولاية ابن المبارك على مدينة المنصور فيدل على عدم دقته عدم ذكر المصادر الاخرى لمن ولي مدينة المنصور (التي زال اسمها)قبل تاريخ ولاية ابن المبارك بزمن واصبحت خالية من السكان . اما الاشارة الى قاض على الحريم فان تكررها يدل على وجود (امين) فيها اي وكيل قاض ، وليس بقاض .

الشرقية والكرخ :

لقد ذكرنا ان المنصور استهدف من بناء بغداد ان يتخذ ها مقراً رسمياً له ولجنده وموظفيه وحاشيته والمتصلين به ، غير انه سرعان ما تقاطرت عليها اعداد كبيرة من العمال واصحاب الحرف والصناع والتجار ورجال الاعمال الذين قدموا الى هذا المركز الجديد للاستفادة من المجالات الواسعة للحياة فيه . ومن الطبيعي انه لم يكن لهم الضبط العسكري المتوفر في جند المنصور ، كما انه لم يكن لهم تجاه الخليفة نفس روابط الاخلاص المتوفرة في الموظفين والحاشية ، وقد اثر ذلك في تشويه الطابع الذي اراده المنصور لمدينته

الجديدة ،الأمر الذي حمله على اقصائهم عن مدينته المدورة حيث امر في سنة ١٥٧هـ «باخراج الاسواق من المدينة الى الكرخ ، وان يبنى ما بين الصراة الى نهر عيسى .. ثم امر ان يبنى لاهل الاسواق مسجد يجتمعون فيه يوم الجمعة لا يدخلون فيه المدينة ويفرد لهم وقلد ذلك رجلاً يقال له الوضاح بن شبا ، فبنى القصر الذي يقال له قصر الوضاح والمسجد فيه ، وسميت الشرقيه لانها شرقي الصراة » (الخطيب ١-٨٠ ، ٨١) .

ويذكر اليعقوبي « وانما سميت الشرقية لانها قدرت مدينة للمهدي قبل ان يعزم على ان يكون نزول المهدي في الجانب الشرقي من دجلة ، فسميت الشرقية ، وبها المسجد الكبير وكان يجمع فيه يوم الجمعة وفيه منبر ،وهو المسجد الذي يجلس فيه قاضي الشرقية ثم أخرج المنبر منه»(البلدان ٢٤٥) . ويبدو أن صلاة الجمعة لم تعد تقام في مسجد الشرقية بعد ذلك بامد قصير ، اذ ان الخطيب لم يشر اليه في الفصل الذي خصصه للجوامع التي اقيمت فيها صلاة الجمعة ببغداد (١-١٠٧ ، ١١٠) .

وقد ادى استمرار تقاطر الناس الى بغداد ومقامهم في الجانب الغربي الى توسع رقعة المناطق السكنية وامتدادها جنوباً الى نهر عيسى، فازدحمت هذه المنطقة وخاصة محلة الكرخ غير أن اسم « الشرقية » ظل مستعملاً .

وقد تطلب ازدحام السكان في الشرقية والكرخ وازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيها الى ان يعين لها قاض خاص . ويذكر وكيع ان اول قاض على الشرقيــة هو عمر بن حبيب العوذي (٣-٢٨٢) كما يذكر ان ابن علاثة استعان بعمر بن حبيب العوذي لينظر في امور الناس بالشرقية ثم ولى رياسة في ايام المهدي (٣-٢٥٢ انظر ايضاً الخطيب ١٦-١٩٦) ويستدل من هذا الكلام ان عمر بن حبيب كان ينظر في القضاء بالشرقية منذ زمن المهدي نيابة ، اي «بصورة غير رسمية ، وان القضاء بالشرقية لم يتثبت « رسمياً » الا منذ عهد هارون الرشيد حيث اصبح الجانب الغربي منذ ذلك الحين مقسما لغرض الادارة القضائية الى منطقتين

هما : مدينة المنصور التي تحدثنا عن منصب القاضي فيها ، والشرقية التي نتكلم عنها الآن .

لقد ذكرت « الشرقية » للقاضي الثاني في الجانب الغربي من بغداد في كتاب « اخبار القضاة » لوكيع الذي ينتهي حوالى سنة ٣٠٢ﻫ ، وفي كتاب «اخبار الراضي والمتقي» للصولي الذي ينتهي بحوادث سنة ٣٣٧ ﻫ ، وفي كتاب « تكملة تاريخ الطبري » لمحمد بن عبد الملك الهمداني الذي ينتهي القسم المطبوع منه بحوادث سنة ٣٧٠ﻫ ، وكذلك في كتاب « تجارب الامم » لمسكويه الذي ينتهي فيه بحوادث سنة ٣٧٠ﻫ ايضاً ويذكر الأخير ان عضد الدولة عين على بغداد اربعة قضاة احدهم ابو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني « ... على المدينة التي تعرف بالشرقية وهي على غربي دجلة الى الطرف الاسفل منه » (تجارب الامم ٢ ـ ٤٠٠) .

اما طلحة بن محمد بن جعفر الذي ينتهي ما نقله عنه الخطيب بحوالي سنة ٣٦٠ ﻫ فانه لايذكر الشرقية الا في اربعة قضاة هم عبدالله بن علي بن محمد بن عبدالملك بن ابي الشوارب الذي ظل من سنة ٢٩٦ ﻫ الى ٢٩٨ ﻫ « على القضاء بالجانب الشرقي من بغداد وعلى الكرخ ايضاً » (الخطيب ٥ / ٤٣٦) ومحمد بن عيسى بن ابي موسى الذي كان سنة ٣٢٩ﻫ « على الجانب الشرقي والكرخ » (الخطيب ٢ / ٤٠٣) وابو يوسف بن عمر الذي كان على « الحضرة باسرها : الجانب الشرقي والغربي والمدينة والكرخ ... الى سنة ٣٢٩ ﻫ فان الراضي صرفه عن مدينة المنصور باخيه الحسين واقره على الجانب الشرقي والكرخ » (الخطيب ١٤ـ٢٢٣)ـ المنتظم ٦ ـ ٢٠٠) والخرقي الذي كان بين سنة ٣٣٠ ﻫ ـ ٣٣٥ ﻫ « على بغداد باسرها : الجانب الشرقي ومدينة المنصور والكرخ » (الخطيب ٤ـ ٢٣١) .

وذكر الخطيب نقلا عن ابي الحسين الصيمري ان ابا خازم عبدالحميد بن عبد العزيز الحنفي ولي القضاء بالشام والكوفة والكرخ من مدينة السلام » (الخطيب ١١ـ٦٢) وقد كانت ولايته القضاء ببغداد بين سنة ٢٨٢ ﻫ ـ ٢٩٢ ﻫ .

لا نعلم فيما اذا كانت كلمة الكرخ الواردة في النصوص المذكورة اعلاه ترجع الى استعمال طلحة بن محمد اياها في كتابه المفقود ، ام الى ان الخطيب وضعها من عنده بدل كلمة

الشرقية . وقد بينا ان المصادر التى الفت قبل سنة ٢٧٠ هـ استعملت كلها كلمة الشرقية ، ولم يستعمل احد منها كلمة الكرخ لوصف منطقة قضاء من كان يلي الجانب الغربي ، الامر الذي يرجع ان كلمة الكرخ استعملت في نصوص الخطيب تجوزاً ، وان الخطيب قد استعمل تعبيراً متأخراً وصفاً لمؤسسة قائمة كان يطلق عليها في القديم اسم يختلف عن اسمها في العهود المتأخرة . او قد يرجع ذلك الى ان طلحة بن محمد قد الف كتابه بعد ما صارت كلمة الكرخ تستعمل مكان كلمة الشرقية ، ولما كان طلحة قد الف كتابه حوالي سنة ٣٧٠هـ ، فان كلمة الشرقية ظلت مستعملة الى حوالي سنة ٣٧٠ هـ ثم حلت محلها كلمة الكرخ ، ويبدو ان كلمه الشرقية نسي استعمالها بعد ذلك ، مما جعل الخطيب يشير في عدة مواضع من كتابه الى ان الشرقية هى الكرخ (انظر ٣ ـ ٤٠٢ ،٥ـ١٠٢ ، ٦ ـ ٢٨٨ انظر ايضاً المنتظم ٥ـ١٥٢)

وقد أخذت المصادر تستعمل ربع الكرخ منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، فقد ذكر الخطيب ان ابا محمد عبدالرحمن بن محمد العماني المتوفي سنة ٣٨٦ هـ « ولي القضاء بربع الكرخ » (١٠ـ٣٠٠) وقد ذكر ذلك ايضاً ابن الجوزي الا انه جعل خطأً سنة وفاته ٤٨٥هـ وقد ذكر الخطيب ايضاً ان ابا عبدالله الحسين بن هارون الضبي المتوفي سنة ٣٩٢هـ « ولي القضاء بربع الكرخ من مدينة السلام ثم اضيف اليه القضاء بمدينة المنصور وقضاء الكوفة وسقي الفرات باسره » وان قاضي القضاة ابن معروف « استخلفه على الحكم والقضاء بالمدينة الشرقية واعمالها » (٨ـ١٤٦ ، انظر ايضاً المنتظم ٧ـ٢٤٠ حيث يضيف انه ولي القضاء نيابة عن ابن معروف سنة ٧٦ [٣] ثم رياسة ثم عزل سنة ٧٧ [٣] .

غير انه تجدر الاشارة الى ان مسكويه يذكر ان العماني ولي على الشرقية سنة ٣٦٩ هـ (٢ ـ ٣٩٩) مضافه الى الكرخ والكوفة وسقي الفرات » (٣ـ٣٧٢) ولما كان مسكويه مؤرخ معاصر موثق به، فالراجح ان تعبير ربع الكرخ لم يكن مستعملاً في وقته

وان الخطيب لم يكن دقيقاً في استعماله تعبير «ربع الكرخ» لمكان ولاية كل من العماني والضبي، كما ان استعمال هلال كلمة «الكرخ» لمكان تقلد الضبي يدل على ان هذا التعبير بدأ استعماله بين سنتي ٣٦٩ هـ و ٣٩٠ هـ، اما تعبير «ربع الكرخ» فان عدم وروده عند هلال يدل على انه قد ظهر بعد سنة ٣٩٠ هـ ويلاحظ ان بغداد جمعت سنة ٣٩٦ هـ لابن الاكفاني الذي ظل قاضياً على كل بغداد الى ان توفى سنة ٤٠٥ هـ (الخطيب ١٠ـ١٤١ المنتظم ٧ـ٢٣٠، ٢٧٣) فلم تكن حاجة لاستعمال كلمة «الكرخ»، او «ربع الكرخ».

ان اول قاض يردنا اسمه بعد إبن الاكفاني هو محمد بن عبدالله بن احمد البيضاوي المتوفى سنة ٤٢٤ هـ. ويذكر الخطيب (٥ـ٤٧٢) والسمعاني (الانساب ٢ـ٣٩٨ طبعة حيدر اباد، والسبكي (٣ـ٦٣) والصفدي (الوافي ١ـ١٢١) انه كان قاضياً على ربع الكرخ، الامر الذي يدل على ان تعبير «ربع الكرخ» كان مستعملا في حوالي سنة ٤٢٠ هـ، غير اننا لا نستطيع تحديد سنة ظهور استعماله لاننا لا نعرف شيئاً عن القضاة الذين عينوا بعد ابن الاكفاني (ت ٤٠٥ هـ) وقبل البيضاوي (ت ٤٢٤ هـ) فضلا عن اننا لا نعلم سنة تولية البيضاوي بالضبط.

ومما يجدر ذكره ان تعبير «ربع الكرخ» استعمله ابن الجوزي لوصف ما يقع فيه بركة زلزل (٩ـ٢٩) ومقابر باب التبن (٩ـ٢٩) ومقابر قريش (٩ـ٢٨) علماً بان مقابر باب التبن ومقابر قريش تقع شمال خندق مدينة المنصور المدورة، وبذلك صار يشمل منطقة واسعة تمتد من الكرخ القديمة الى اقصى شمال الجانب الغربي.

الجانب الشرقي (عسكر المهدي، الرصافة):

ان الازدهار السريع الذي رفلت به بغداد منذ السنوات الأولى من إنشائها، جعل الجانب الغربي غير كاف لاستيطان كافة القادمين الى العاصمة الجديدة، خاصة وان رقعتها كانت محصورة بين دجلة ونهر عيسى وذنائب الدجيل. فكان لابد من التوجه الى الجانب الشرقي لاتخاذه مستوطناً للعدد المتزايد من الموظفين وعلية القوم والجيش وبقية

المتقاطرين اليها . وقد ظهر ذلك جلياً بعد سنوات قليلة من اكمال بناء مدينة المنصور ، ففي سنة ١٥١ هـ قدم المهدي ، وكان ولياً للعهد ، مع جيش من الري ، فامر الخليفة المنصور بانشاء الرصافة لتكون مقاماً له ولجنده ولعدد من كبار رجال الدولة . وقد كمل بناؤها سنة ١٥٩ هـ (الخطيب ١ـ٨٣) وفي هذه السنة تم بناء جامع الرصافة الذي ظل واحداً من الجامعين اللذين تقام فيهما الجمعة ببغداد الى زمن المعتضد حيث انشئت بعد ذلك جوامع اخرى (الخطيب ١ ـ ١٠٩) .

وقد تطلب استيطان الناس في الجانب الشرقي تعيين قاض خاص له ، ويذكر وكيع ان اول من فرق القضاء في الجانبين موسى الهادى (٣ـ٢٥٤) ، غير انه يذكر في مكان آخر ان المهدي عين محمد بن عبدالله بن علاثة وعافية بن يزيد الازدي على الجانب الشرقي (اخبار القضاة ٣ـ٢٥١ انظر ايضا الخطيب ٥ـ٣٨٩ ، ٨ـ٧٩، ١٢ـ٣٠٨) . ولا ريب فيه ان الرواية الاخيرة هي الأرجح إذ يؤيدها ذكر القاضيين على الجانب الشرقي في زمن المهدي ، بالاضافة الى انه لا يعقل ان يهتم المهدي بالرصافة وينشيء فيها جامعاً ، ثم يبقيها تابعة في امور القضاء الى الجانب الغربي .

ويمكننا ان نحصل مما ذكره وكيع والمصادر الاخرى على قائمة كاملة باسماء القضاة الذين تولوا القضاء في الجانب الشرقي الى اواخر القرن الرابع الهجرى ، وكان يعين عليها طوال تلك المدة قاضٍ واحد فقط مما يدل على انها كانت منطقة قضائية واحدة ، وقد ذكرت بعض المصادر « قاضي الرصافة » وسمته بعضها « قاضي عسكر المهدي » ولكن اغلبيتها المطلقة تذكر « قاضي الجانب الشرقي » ، ولا نرى كبير فائدة في ذكر كافة الاشارات الواردة في الكتب حول هذه التعابير الثلاثة مادام لم يعين على الجانب الشرقي غير قاض واحد ، وما دامت التعبيرات الثلاثة ذات مدلول مقارب ، وان كان تعبير « الجانب الشرقي » ادق من حيث شموله على الرصافة وما حولها .

ولا شك ان الجانب الشرقي لم تكن له في العهود الاولى الاهمية التى كانت للجانب

الغربي ، حيث كان الخلفاء العباسيون الاولون يقيمون فيه الى زمن المأمون ، غير ان اهمية الجانب الشرقي بدأت تتزايد بعد عودة الخلفاء من سامراء في النصف الثاني من القرن الثالث واتخاذ مقامهم في دار الخلافة ، ثم انشاء دار السلطان فيه .

وفي القرن الرابع الهجري اضطربت الادارة العباسية في بغداد وبدأت الاحوال، وخاصة في الجانب الغربي ، بالتردي والانحطاط ، فيذكر ابن الجوزي ان عضد الدولة لما دخل بغداد في سنة ٣٧٢ هـ ، كان « قد هلك اهلها قتلاً وحرقاً وجوعاً للفتن التي اتصلت بين الشيعة والسنة » (المنتظم ٧-٨٨ انظر ايضاً طبقات الحنابلة لابن الفراء ٢-١٥٨) ، ولعل من ابرز مظاهر وآثار هذا التردي هو تكرر اختصار عدد القضاة والاكتفاء بقاض واحد على منطقتين او اكثر من المناطق القضائية الثلاث في بغداد ، فضلا عن تحويل قضاة بغداد النظر في قضاء مناطق واسعة خارج بغـــداد ، وكثرة استخلاف القضاة من يقوم بالنظر الفعلي في امور القضاء ، مما اسلفنا ذكره مفصلاً .

ومع ان عضد الدولة بعد ان دخل بغداد «عمد الى مصالح بغداد فاوجدها بعد العدم ، واعادها الى ريعانها بعد الهرم ، واستدر افاويق الاعمال بعد ان كانت متصرمة ، واستمد ينابيع الاموال بعد ان كانت مستهدمة، وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليها ونقل انواع الآلات والادوية من كل ناحية اليه ، ما يدرك العيان بعضه الى الآن...» . (الروذ راوردي: ذيل تجارب الامم ٣-٦٩). الا ان وفاة عضد الدولة في تلك السنة ادت الى استمرار عوامل التردي والانحطاط في بغداد ، حتى ان هلال الصابي الف كتاباً في مظاهر انحلال بغداد وذكر في تاريخه عن احداث سنة ٣٩٢ هـ « لا جرم ان البلد خرب وانتقل اهله عنه ، فنهم من مضى الى البطيحة ، ومنهم من اعتصب بباب الأزج ومنهم من بعد الى عكبرا والانهار ، ولقد حدثني جماعة من الناس انهم شاهدوا صينية الكرخ فيما بين طرف الحذائين والبزازين ، والفواخت والعصافير تمشي في ارضها انتصاف النهار وفي الوقت الذي جرت العادة بازدحام الناس فيه بهذا المكان » (٣/٤١٣) .

وقد اشار الخطيب عند كلامه في مقدمة كتابه « تاريخ بغداد » ، عن انهارها الى ان معظم تلك الانهار كانت جافة في زمنه .

ولا ريب فيه ان هذا الانحطاط الذي اوردنا فيه بعض النصوص التى توضحه والذي سندرسه بتفصيل اوفى في بحث مقبل ، كان أقل أثراً على الجانب الشرقي الذي كان فيه مقام الخلفاء والوزراء ومعظم المتنفذين بعد عودة الخلافة من سامراء ، هذا بالاضافة الى قلة المناوشات المذهبية فيه والى بقاء شبكة الانهار والترع التي تزوده بالماء دون ان تتعرض للاندثار . وكان لابد ان تؤدي هـذه التطورات الواسـعة الى اعادة النظر في التنظيمات الادارية فى بغداد وخاصة ادارة القضاء .

لم تظهر تبدلات الاوضاع في بغداد فجأة او تتركز كلها في سنة واحدة بل حـدثت تدريجياً خلال فترة امتدت قرناً من الزمن احتفظت خلاله الانظمة بكثير من مظاهرها الخارجية بالرغم من عدم ملائمة هذه المظاهر للاوضاع الجديدة ، فقد ظلت بغداد مقسمة الى ثلاثة مناطق قضائية ، اثنتان منها في الجانب الغربى والثالثة في الجانب الشرقي ، كما ان الخليفـة كان صاحب السلطة في تعيين قاضي القضاة والقضاة ، ومع ان تولية قاض واحد على منطقتين او اكثر يمكن اعتباره محاولة لخلق انسجام بين الادارة وواقع الاوضاع الجديدة ، الا ان هذه التعيينات لم تؤثر في عدد المناطق القضائية ، يضاف الى ذلك ان القاضي قد يختار من يخلفه ، اي من يمارس فعلياً عمل القضاء مكان القاضي ، الا ان هذا الممارس كان « يستخلف » ولا « ينوب » اي انه يقوم بالعمل بصورة شخصية ، فهو خليفة القاضي وليس بقاضي لذلك كانت المصادر تشير الى ان امثال هؤلاء القائمين « مستخلفون » ولم تصف احداً منهم بانه « قاض » الا اذا صدر امر الخليفة بتعيينه قاضياً .

وفي النصف الثانى من القرن الرابـع الهجري ادخلت على القضاء تغييرات ادارية فجعلت المراكز القضائية في بغداد اربعة بدلا من ثلاثة ، وذلك بجعل مركزين للقضاء في الجانب

الشرقي بدلا من مركز واحد ، غير اننا لا نستطيع تحديد السنة التي حدث فيها هذا التبدل . فيذكر ابن الجوزي في حوادث سنة ٣٥٦ هـ انه « في يوم الخميس لسبع خلون من شعبان خلع على القاضي ابي محمد عبدالله بن احمد بن معروف ، وقلد القضاء بالجانب الغربي من بغداد ومدينة المنصور وحريم دار السلطان، وقلد القاضي ابو بكر احمد بن سيار القضاء فيما بقي من الجانب الشرقي ببغداد ، وخلع عليهما ، وبعد مديدة ، قلد القاضي ابو محمد بن معروف الاشراف على الحكم » (المنتظم ٧ ـ ٣٨) . وقد تم هـذا في عهد عزالدولة بختيار بن معز الدولة الذي تولى السلطنة في ربيع الآخر من السنة نفسها .

لم يذكر مسكويه تولية ابن معروف القضاء ، ولم يشر الخطيب في ترجمته لابن معروف (١٠ـ٣٦٥) الى ما تولاه قبل ان يصبح قاضي قضاة ، كما انى لم اجد لابى بكر احمد بن سيار ترجمة في كتاب الخطيب ، وقد ذكر محمد بن عبدالملك الهمداني انه في شعبان من تلك السنة (٣٥٦ هـ) خلع على القاضي ابي محمد بن معروف وولي القضاء بالجانب الغربي وخلع على ابن سيار وقلد القضاء بالجانب الشرقي (تكملة الطبري ١٩٦) ويلاحظ ان مسكويه لم يهتم كثيراً بذكر القضاة واخبارهم ، وان الهمداني دون كتابه بعيداً عن زمن حدوثها ، فعدم ذكرها منطقة قضاء ابن معروف لا يمكن اتخاذه حجة على خطأ ما ذكره ابن الجوزي .

لم يذكر ابن الجوزي المصدر الذي استقى منه الخبر المذكور اعلاه ، ولكننا نرجح انه اخذه من هلال بن المحسن الذي تدل مقارنة القطعة المنشورة منه بما اورده ابن الجوزي على مدى اعتماد الاخير على هلال .

ويلاحظ ان ابن الجوزي يذكر من الجانب الشرقي « حريم دار السلطان » و « مابقى من الجانب الشرقي » وهو تقسيم لم يذكر فيما بعد مما يدل على انه تقسيم احدث موقتاً ثم الغي وحل محله تقسيم آخر ، فاغفل المؤرخون ذكر التقسيم الأول لعدم استمراره .

ويذكر مسكويه ان عضد الدولة في سنة ٣٦٩ هـ « قلد قضاء القضاة ابا سعد بشر بن الحسن ، وهو شيخ كبير مقيم بفارس ، واستخلف له ببغداد اربع خلفاء على ارباع بغداد وهم :

محمد بن عبدالله المعروف بابن صبر وكان خليفته على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الاعلى منه .

وابو الحسن عبدالعزيز بن احمد الخرزي وصيره خليفته على ما بقي من الجانب الشرقي من حد المخرم الى الطرف الاسفل منه .

وابو محمد عبدالله بن محمد المعروف بابن الاكفاني خليفته على مدينة ابي جعفر المنصور وما يتصل بها من الجانب الغربي الى طرفه الاعلى .

وابو محمد عبدالرحمن بن محمد العماني خليفته على المدينة التي تعرف بالشرقية ، وهي على غربي دجلة ، الى الطرف الاسفل منه .

وضمت نواحي بغداد على هذه الحصص (تجارب الامم ٢-٣٩٩-٤٠٠)

ومما يؤيد حدوث هذا التقسيم قول ابن النديم ان ابا الحسن عبدالعزيز بن احمد الاصفهاني الخرزي « ولاه عضد الدولة قضاء الربع الاسفل من الجانب الشرقي من مدينة السلام والى وقتنا هذا وهو سنة ٣٧٧ هـ » (الفهرست ٣٠٧) كما ان الخطيب ذكر في ترجمة عبدالعزيز بن احمد الخرزي انه « ولي القضاء من حد المخرم الى باب الازج » (١٠-٤٦٦ انظر ايضاً المنتظم ٧-٢١٨ حيث يضيف انه كان على النهروانات وطريق خراسان ايضاً).

ويلاحظ ان هذا التقسيم جعل القضاة خلفاء لقاضي القضاة ولكنه لم يجعل تعيينهم بيده كما انه ابقى للجانب الغربي مركزين هما : مدينة أبي جعفر والمدينة الشرقية ، فهو لم يستعمل كلمة الكرخ ، مما يدل على ان تعبير « ربع الكرخ » بدأ استعماله بعد هذا التاريخ ، اما الجانب الشرقي فقد جعل له قاضيان يفصل بين حدود عمل كل منهما المخرم ، وهو تقسيم جديد لم يكن موجوداً في السابق .

ويبدو انه حدثت في هذه الفترة تبدلات اساسية ، فقد اختفى بعدها اسم مدينة المنصور وحل محله اسم باب البصرة فلم يعد يذكر لها قاض ، كما بينا سابقاً .

ان تقسيم عضد الدولة المناطق القضائية في بغداد الى أربعة أقسام : اثنان منها في الشرق

واثنان في الغرب اكسب تعبير « الربع » معنىً خاصاً ، وصارت كلمة « الأرباع » تطلق على مراكز القضاة في بغداد .

ويلاحظ ان للربع سمة الخير والبركة والتفاؤل عند العرب ، وكانت الكعبة مبنية بناءً مربع الشكل . كما كانت المناطق السكنية التي تقيم فيها عشائر مكة وقبائلها تسمى الرباع ، وكانت الكوفة مقسمة الى أربعة أرباع .

وكانت خراسان في العهد الاسلامي الأول مقسمة الى أربعة أرباع (طبري ٢ ـ ٧٩ فتوح ٤٠٢ ابن الفقيه ٣٢١ ياقوت ٢ ـ ٤٠٩ المقدسي ٣١٣) وكان لمرو أرباع ذكر منها الطبري ربع خرقانه (٢ـ١٩٥٣ ، ٧=١٩٠) وربع السقادم (٢ـ١٩٥٧) ولنيسابور أرباع (ابن رستة ٧١ المقدسي ٣١٦ وانظر أيضاً ٣٠٠ ، ياقوت ١ ـ ٧٩١ ، ٣ ـ ٢٣٨ ، ٨٥٢ ، ٢ ـ ٩١٠ ، تاريخ نيسابور للحاكم ١٣٩) .

ويذكر البيهقي ان « الربع هو أحد أرباع الشيء .. والربع محلة القوم ، اذا اجتمع كل قوم في مكان وتقاربت بيوتهم ومحلات سكناهم وقويت أواصر علاقتهم يسمون بالربع ، واما الربع في اللغة الفارسية فيطلق على محلات السكن التي تبنى متقاربة على سفوح الجبال وفي الصحراء » (تاريخ بيهق ٣٤ ـ ٣٥ طبعة أحمد بهمينار) .

اما في بغداد فإن المناطق السكنية كان يطلق عليها عادة « القطائع » ثم « المحلات » الا ان فكرة الارباع كانت قائمة فيها منذ بناء بغداد حيث ان المنصور قسم أرباض بغداد الى اربعة ارباع وجعل على كل ربع قائداً من قواده ، غير ان استعمال كلمة ارباع لم يكن لها معنى محدد ، ولم أجد ذكراً لها الا في المنتظم في حوادث سنة ٢٨٤ هـ انه « نودي في الارباع والاسواق ببغداد بالنهي عن وقود النار ليلة النيروز » (٥ ـ ١٧٧) .

وقد جعل عضد الدولة بغداد أرباعاً وولى على كل ربع قاض ، ومنذ ذلك الحين بدأ يتردد استعمال كلمة « ربع » التي استعملت في النصوص وصفاً للمدينة والرصافة وسوق الثلاثاء ، وباب الطاق .

فيذكر الخطيب ان ابن الاكفاني كان « يخلفه على ربع الرصافة عبد الوهاب بن مكرم » (١٢ ـ ٣١) ويذكر ابن الجوزي ان محمد بن المظفر بن بكران الحموي شهد عند قاضي القضاة ابن الدامغاني وناب عنه في القضاء بربع المدينة (المنتظم ٩ ـ ٩٥) ويذكر ايضاً ان أبا جعفر الدامغاني « كان اليه القضاء بربع باب الطاق » (المنتظم ٩ ـ ١٥٠) ويذكر ابن النجار ان عمر بن علي بن خضر الدمشقي « ولي القضاء بدار الخلافة ، ثم القضاء بربع سوق الثلاثاء » (ذيل تاريخ بغداد ١٣ آ) .

غير انه لابد من الاشارة الى ان ما أوردناه هنا ، ما هو إلا نصوص مفردة ، وان اكثر ما يتردد في المصادر هو « ربع الكرخ » الذي ظهر في الربع الأخير من القرن الرابع وظل مستعملاً حتى أواخر القرن الخامس ، كما اسلفنا ذكره .

ان عضد الدولة بتقليده اربع قضاة على بغداد ، ابقى من غير تبديل ما كان قد استقر عليه من تعيين قاضيين على الجانب الغربي احدهما على مدينة المنصور والاخر على الشرقية (التي أصبحت تسمى الآن الكرخ) ومن المؤكد ان وجود أربع قضاة على بغداد كان قائماً في سنة ٣٨٦ هـ حيث يذكر الروذراوري « القضاة الأربعة وهم أبو عبد الله الضبي ، وأبو محمد بن الاكفاني ، وابو الحسين بن معروف ، وأبو الحسين الخرزي » (ذيل تجارب الامم ٣ ـ ٢٧٧) .

غير ان تنظيم المناطق القضائية ببغداد تعرض في الفترة التي امتدت من هذا التاريخ الى نهاية ولاية ابن ماكولا قضاء القضاة (سنة ٤٤٧ هـ) الى تطورات لا توضحها المصادر ، فقد جمعت بغداد للحسين بن هارون الضبي (٣٩٠ ـ ٣٩٧) ولأحمد بن محمد الأبيوردي كما جمع الجانب الشرقي لابن الاكفاني سنة ٣٩٦ هـ) وفي سنة ٤٠١ هـ وقع على محضر الطعن في نسب الخلفاء الفاطميين ، من القضاة أبو محمد بن الاكفاني وأبو القاسم الخرزي وابو العباس السوري (المنتظم ٧ ـ ٢٥٦) مما قد يدل على انه كان في تلك السنة ثلاثة قضاة في بغداد ، ولكننا لا نعلم عن مناطق عملهم سوى ابن الاكفاني منهم .

وليس لدينا عن هذه الفترة غير اسم قاضيين على مدينة المنصور وثلاثة على الكرخ

وواحد على باب الطاق .

ويبدو ان التبدلات التي حدثت في هذه الفترة كانت اساسية ، إذ يلاحظ ان اسم مدينة المنصور اختفى بعد هذه الفترة وحل محله اسم باب البصرة ولم يعد عليها قاض ، كما اسلفنا.

ان التغيير الأساسي الذي ادخله عضد الدولة على تنظيم القضاء ببغداد هو ان الجانب الشرقي اصبح له قاضيان ، بدلا من قاض واحد ، يفصل بين حدود اختصاصهما المخرم ولعل هذا راجع الى ان الجانب الشرقي كانت قد تزايدت أهميته اذ صار فيه مقام الخلافة والوزارة والسلطان بعد عودة الخلافة من سامراء ، فضلاً عن استتباب الأمن فيه ، وقلة الفتن والاضطرابات الطائفية فيه .

يبدو ان تنظيم عضد الدولة فيما يخص مناطق القضاء في الجانب الشرقي لم يستمر السير عليه ، فقد عين له بعد ذلك قاض واحد هو أبو الحسين بن معروف (٣٨١ هـ) ثم احمد بن محمد الابيوردي ثم ابن الاكفاني (٣٩٠ ـ ٣٩٦) ثم تلت ذلك فترة لم يذكر فيها من القضاة على الجانب الشرقي سوى محمد بن علي بن يعقوب ابي العلاء الواسطي المتوفى سنة ٤٣١ هـ ، ويقول الخطيب انه « رد اليه القضاء بالحريم من شرقي بغداد وبالكوفة وبغيرها من سقي الفرات (الخطيب ٣ ـ ٩٥ ، أنظر أيضاً شذرات الذهب ٣ ـ ٢٤٩) كما ذكرت المصادر تولية أبي جعفر السمناني على باب الطاق والرصافة سنة ٤١٥ هـ (ابن الاثير ٩ ـ ٣٤٣) وتولية أبي الطيب الطبري (ابن الاثير ٩ ـ ٥٢٧) .

غير انه منذ أن ولي ابو عبد الله محمد بن علي الدامغاني قضاء القضاة (سنة ٤٣٧ هـ) ترد سلسلة متصلة الحلقات تقريباً من القضاة على حريم دار الخلافة وباب الطاق وباب الأزج ، مما يدل على أن الجانب الشرقي أصبحت فيه هذه المراكز الثلاثة للقضاء ، ولم يعد للجانب الشرقي ذكر في المصادر .

باب الطاق :

ورد اول ذكر لولاية القضاء بباب الطاق عند الخطيب الذي يذكر ان المعافي بن زكريا « ولي القضاء بباب الطاق نيابة عن ابن صبر » (٨ ـ ٢٣٠) . غير ان مسكويه ذكر ان

ابن صبر كان « على الجانب الشرقي من حد المخرم والى الطرف الأعلى منه » (٢ ـ ٣٩٩) .
ولما كان مسكويه معاصراً ومتصلاً بالمراجع الرسمية : فالراجح ان كلامه عن ولاية ابن صبر أدق ، أي ان باب الطاق لم يكن اسم منطقة قضائية في هذه الفترة ، وان الخطيب قد استعمل هذا التعبير تجوزاً . والواقع ان ابن الجوزي في كلامه عن المعافي اقتصر على القول انه « نائب في القضاء » دون ان يذكر باب الطاق أو يشر اليه .

ولما كان القطاع من بغداد الذي يقع من حد المخرم الى الطرف الأعلى منه يشمل الرصافة وباب الطاق ، وان الرصافة التي اصبحت مدفن الخلفاء قد تناقصت اهميتها بالنسبة الى باب الطاق الذي شيد البويهيون في اعلاه عدة منشآت وقصور ضخمة ، فان الناس صاروا يطلقون باب الطاق على ولاية القاضي في هذه المنطقة . ومن المؤكد ان هذا التعبير بدأ استعماله بعد سنة ٣٧٠ هـ ، غير اننا لا نعلم في أي سنة اصبح تعبيراً رسمياً .

والواقع ان الخطيب يذكر ان ابن الاكفاني « ولي قضاء مدينة المنصور ثم ولي قضاء باب الطاق وضم اليه سوق الثلاثاء ثم جمع له قضاء جميع بغداد في سنة ٣٩٦ هـ (الخطيب ١٠ ـ ١٤١ المنتظم ٧ ـ ٢٧٣) .

وقد تتابع ذكر القضاة على باب الطاق بشكل متسلسل تقريباً الى اوائل خلافة المستنجد حيث ولي عليه أبو الفضل محمد بن احمد بن محمد (الدبيثي ١ ـ ١١٥ ب) ثم لم يعد يذكر قاض لباب الطاق مما قد يدل على انه لم يعد يعين له قاض منذ ذلك التاريخ .

ولا بد ان التوقف عن تعيين قاض على باب الطاق يرجع الى استقرار تطورات مهمة في سكان بغداد لا نعلم تفاصيلها . ويلاحظ ان النسخ الباقية من ابن الدبيثي لاتترجم لقاض على باب الطاق غير أبي الفضل المذكور آنفاً .

ويلاحظ ان تعبير « ربع باب الطاق » لم يرد الا في نص واحد يرجع الى سنة ٥٠٠هـ في زمن أبي الحسن الدامغاني (المنتظم ٩ ـ ١٥٠) كما يلاحظ ان تعبير « الرصافة » زال ذكره من المصادر فلم يرد له ذكر الا عند ابن الاثير الذي يقول أن ابا جعفر السمناني « قلد قضاء

الرصافة وباب الطاق سنة ٤١٥هـ» (٤ـ٣٤٣). والراجح ان قاضي باب الطاق كانت ولايته تشمل الرصافة ايضاً نظراً لتجاور المكانين .

ويلاحظ ايضاً ان القضاة كانوا يلون باب الطاق وحده الا ابو الطيب الطبري الذي ولي الكرخ وباب الطاق (ابن الاثير ٩ـ٥٢٧) .

باب الازج :

ذكر الخطيب ان عبد العزيز الخرزي ولي القضاء بالجانب الشرقي من حد المخرم الى باب الأزج (١٠ـ٤٦٩) وذكر ابن الجوزي ان الخرزي كان يقضي بالمخرم وحريم دار الخلافة وباب الأزج والنهروانات وطريق خراسان (المنتظم ٧ـ٢١٨) .

ان هذين النصين هما اول ما يظهر فيهما استعمال تعبير باب الأزج ، غير ان مسكويه وابن النديم ، وهما معاصران لتولية الخرزي ،ذكرا أن الخرزي استعمل على الطرف الاسفل من بغداد ولم يذكرا « باب الأزج » وهذا يدل على ان باب الأزج لم يكن قد استعمل لولاية القضاء انذاك وان استعمال الخطيب وابن الجوزي له كان تجوزاً .

ويذكر ابن الجوزي ان اسماعيل بن عمر بن محمد بن ابراهيم المعروف بابن نسنبك (ت ٤٠٣ هـ) «كان يسكن باب الأزج وتقلد النظر والحكم هناك» (المنتظم ٧ـ٢٦٣) ومن الواضح ان هذا النص لا يجزم بوجود ولاية قضاء على باب الأزج .

ان اول اسم في السلسلة المتصلة لقضاة باب الأزج ورد ذكره في اواسط القرن الخامس ، حيث يذكر ابو يعلى الفراء انه بعد وفاة ابن ماكولا سنة ٤٤٧ هـ اراد الخليفة القائم بأمر الله محمد بن الحسين بن الفراء على ولاية القضاء بدار الخلافة والحريم ، وان ابن الفراء قبل ذلك على ان يقصد نهر المعلى يوماً وباب الأزج يوماً، ويستخلف من ينوب عنه في الحريم ،وان الفراء قد رد القضاء بباب الأزج الى الجيلي وجعل صاحبه ابا علي يعقوب (البرزبيني) مشرفاً عليه ، فلما تبين له من حال الجيلي الاختلال عزله ثم رد النظر في عقد الانكحة والمداينات بباب الأزج الى تلميذه ابي علي يعقوب(طبقات الحنابلة ٢ـ٢٠٠) .

ويلاحظ ان الخطيب وابن الجوزي يذكران ان محمد ابن الجيلي «ولى القضاء بباب الطاق وبحريم دار الخلافة» (الخطيب ٧ـ١٣٦ المنتظم ٨ـ٢١٧) اما السمعاني فيذكر انه كان على باب الطاق (الانساب ٣ـ٤٦٢).

ونستدل من هذا على ان القضاء بباب الازج كان داخلاً مع قضاء الحريم حتى سنة ٤٤٧هـ حيث بدأ يتميز عنه ويتولى عليه قضاة خاصون ذكرت المصادر اسماءهم وظل الامر كذلك الى اوائل القرن السابع.

وقد استعمل ابن الجوزي تعبير «باب الأزج»، وكذلك فعل ابن الدبيثي الا في كلامه عن ولاية أبي الفتوح ابن البخاري (١ـ١٠١) ومحمد بن روح الحديثي (٢ـ٤٩ ب) فانه استعمل تعبير «ربع باب الأزج».

الحريم:

ذكر ابن الجوزي انه في سنة ٣٥٦ هـ «خلع على القاضي أبي محمد عبيد الله بن احمد بن معروف وقلد القضاء بالجانب الغربي من مدينة المنصور وحريم دار السلطان وقلد القاضي ابو بكر احمد بن سيار القضاء فيما بقي من الجانب الشرقي، وبعد مدة قلده القاضي أبو محمد عبيد الله بن معروف الاشراف على الحكم والحكام» (المنتظم ٧ـ٣٨) ويذكر انه في سنة ٣٥٧هـ «صرف القاضي أبي محمد عبيد الله بن معروف عن القضاء في حريم دار السلطان وتقلد القاضي أبو بكر بن سيار مضافاً الى ما كان اليه من الجانب الشرقي»(٧ـ٤٣)، ويتبين من هذين النصين المتكاملين ان الجانب الشرقي جعل منذ سنة ٣٥٦هـ منطقتي قضاء احداهما حريم دار السلطان والاخرى ما يتبقى من الجانب الشرقي، وان هذا التقسيم لم يستمر طويلاً لان ابن سيار اصبح بعد سنة على الجانب الشرقي كله.

والواقع ان «حريم دار السلطان» لم يذكر كوحدة قضائية في اي مصدر آخر.

ويذكر ابن الجوزي (٧ـ٥١) ومحمد بن عبد الملك الهمداني (تكلة تاريخ الطبري ٢٠٤) انه في سنة ٣٥٩ هـ «صرف القاضي ابو بكر بن سيار عن القضاء في حريم دار الخلافة وتولاه أبو محمد بن معروف»

كما أن ابن الجوزي يذكر ان عمر بن محمد بن ابراهيم البجلي « استخلفه أبو محمد بن معروف على الحكم بسوق الثلاثاء وحريم دار الخلافة » (٧ـ١٣٣) وقد يدل هذا النص على ان ابن الجوزي لم يكن دقيقاً في استعمال تعبير « حريم دار السلطان » الذي كان يقصد منه « حريم دار الخلافة » .

وقد ذكر ابن الجوزي ان عبـد العزيز بن احمد الخرزي « كان يقضي بالحرم وحريم دار الخلافة وباب الأزج والنهروانات وطريق خراسان » (٧ـ٢٩٨) غير أن استعمال تعبير « حريم دار الخلافة » في هذا النص كان عاماً وليس دقيقاً لان مسكويه وابن النديم ، هما مصدران معاصران ، لم يذكراه .

ويذكر الخطيب (٣ـ٩٥) وابن الجوزي (٨ـ١٠٧) ان محمد بن علي بن احمد بن يعقوب ، ابا العلاء الواسطي (٣٤٨ـ٤٢٩) كان « اليه القضاء بالحريم من شرقي بغداد » غير أن المصادر لا تحدد سنة تعيينه ، كما ان هذا النص لم يوضح اي حريم مقصود ، وان كان الوضع العام يقضي باعتباره الحريم الطاهري .

كل هذه النصوص تدل على ان قاضي الحريم قد انشيء منصبه منذ اواخر القرن الرابع الهجري ، غير أن جمع ابن معروف وابن الاكفاني قضاء الجانب الشرقي لا بد وان ادى الى اختفاء عمله كوحدة قائمة بذاتها اما ابان ولاية ابن الاكفاني قضاء القضاة فلا نجد ذكرا لقاض على الجانب الشرقي ، مما قد يدل على ان قاضي القضاة كان يقوم بعمله .

غير أن وفاة ابن ماكولا سنة ٤٤٧هـ ادت الى ظهور وضع جديد وقد تبين « للامام القائم بأمر الله احتياج الحريم الى قاض عالم زاهد ، فطلب من محمد بن الحسين بن الفراء ان يلي القضاء بدار الخلافة والحريم ، فوافق على شروط منها انه في كل شهر يقصد نهر المعلى يوماً وباب الأزج يوماً ، ويستخلف من ينوب عنه في الحريم فاجيب الى ذلك ... ثم اضيف الى ولايته بالحريم قضاء حران (؟) وحلوان واستناب فيها » (طبقات الحنابلة ٢ ـ ١٩٩) .

يتبين من هذا النص ان الحاجة الى قاض للحريم ظهرت بعد وفاة ابن ماكولا ، وذلك اما لتزايد اهمية الحريم في ذلك الوقت ، او لان ابن ماكولا كان يقوم في حياته بعمل قاضي الحريم فلما توفي ظهرت الحاجة الى تعيين قاض جديد .

ويتبين من النص ايضاً ان قضاء دار الخلافة كان في ذلك الوقت متميزاً عن قضاء الحريم ، اذ أن الفراء وافق على ان ينيب عنه في الحريم ، وان قضاء حران وحلوان اضيفا الى قضاء الحريم ، اما قضاء دار الخلافة فكان يتولاه بنفسه . ويدل هذا النص ايضاً على ان قضاء دار الخلافة كان يشمل نهر المعلى وباب الأزج .

وقد أدت تولية قاض واحد على الحريم ودار الخلافة الى الخلط بينهما ، فيذكر ابن الفراء ان محمد بن الحسين الفراء « استناب النظر في الحكم بدار ار الخلافة ونهر المعلى ابا الحسن السيبي (طبقات الحنابلة ٢-٢٠٠) كما يذكر ابن الجوزي انه في سنة ٤٧٨ ﻫ ، توفي القاضي ابو الحسن هبة الله بن محمد السيبي قاضي الحريم بنهر المعلى » (المنتظم ٩-١٨) .

ومنذ هذا التاريخ تبدأ سلسلة متتابعة للقضاة الذين تذكر المصادر انهم تولوا حريم دار الخلافة ، وتستمر هذه السلسلة الى اوائل القرن السابع ، ويلاحظ ان المصادر التي ذكرت هؤلاء القضاء اطلقت على منطقة ولايتهم حريم دار الخلافة ولم تسمه ربع دار الخلافة ، ويلاحظ ايضاً ان القضاة الذين تولوا الحريم كانوا من ذوي المكانة البارزة .

باب النوبي :

ذكر صاحب الجواهر المضية ان محمد بن نصر بن منصور الهروي لما ولي القضاء على حريم دار الخلافة وما يليه من النواحي والاقطار وديار مضر وربيعة استناب ابا سعد المبارك بن علي المخرمي الحنبلي على باب المراتب ، وابا محمد الحسن بن محمد بن احمد بن علي الاسترابادي الحنفي على باب النوبي » (الجواهر المضية ٢-١٣٧) .

ويتبين من هذا أن قضاء حريم دار الخلافة يتكون من باب المراتب و باب النوبي ، فاما باب المراتب فلم اجد ذكراً لقاض ولي عليه . واما باب النوبي فقد ورد في ثلاثة مواضع من

ابن الدبيثي ، فاما اولاها فهي قوله ان عبد الله بن محمد بن محمد بن احمد الكرخي « تولى القضاء بباب النوبى المحروس ومن بعد وفاة ابيه وكان يلي ذلك ، ولم يزل ابو منصور على ولايته الى ان توفي سنة ٥٥٧هـ » (١ـ١٠٠ت) والثانية قوله إن الحسين بن علي الشهرزوري « كان يجلس بباب النوبى (٣ـ١٨٩ ب) والثالثة كلامه عن محمد بن عبد الواحد بن محمد ابن علي بن عبد الواحد بن الصباغ الذي « تولى القضاء بباب النوبى المحروس »(٢ـ٤٣ أ)

لم اجد في المصادر الاخرى اشارة الى ولاية الشهرزوري اما ولاية عبد الله بن محمد الكرخي ، فان المصادر الاخرى تذكر انه ولى القضاء بحريم دار الخلافة ، الامر الذي يدل على عدم وجود تمييز بين الحريم وبين باب النوبى ، وان قول الدبيثي ان الشهرزوري كان يجلس بباب النوبى يوحي ان باب النوبى هو مكان جلوس قاضى الحريم .

نهر المعلى :

لقد ذكر ابن الفراء أن ابا يعلي الفراء ذكر أن محمد بن الحسين الفراء عند ما عرضت عليه ولاية القضاء بدار الخلافة والحريم « قبل على ان يقصد نهر المعلى يوماً وباب الأزج يوماً، ويستخاف من ينوب عنه في الحريم » وانه استناب عنه في في دار الخلافة ونهر المعلى السيبي (طبقات الحنابلة ٢ ـ ٢٠٠) . ويتضح من هذا النص ان دار الخلافة كانت آنذاك تتميز عن الحريم وانها كانت تشمل نهر المعلى وباب الأزج .

لقد ذكر ابن الجوزي وابن الاثير انه في سنة ٤٧٨ هـ « توفي القاضى ابو الحسن هبة الله بن محمد السيبي قاضي الحريم ونهر المعلى » (المنتظم ٩ـ١٨ ابن الاثير ١٠ـ١٣٦) ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥٢٧ هـ « ولى ابن الكرخي القضاء والحسبة بنهر المعلى وولى ابن يعيش القضاء بباب الأزج (المنتظم ١٠ـ٢٩) ويذكر ايضاً انه في سنة ٥٦٦هـ « ولي ابو المحاسن عمر بن علي الدمشقي الحكم بنهر المعلى » (المنتظم ١٠ـ٢٩) .

غير أن نصوصاً اخرى تذكر انه كان على قضاء الحريم كل من ابن الكرخي (المنتظم ١٠ ـ ٢٠٢ وعمر بن علي (ابن النجار ١١٣ ب ابن الاثير ١١ـ٤٦١) . الأمر الذي يدل على ان قاضى نهر المعلى هو قاضي الحريم وانه لا فرق بين قضاء الحريم وقضاء نهر المعلى .

الخليفة	القاضي
السفاح	يحي بن سعيد الأنصاري [1]
١٣٢	
المنصور	يحي بن سعيد الأنصاري [2]
١٣٦	الحسن بن عمارة مولى بجيله [3]
	عبد الله بن محمد بن صفوان الجمحي
المهدي	عبد الله بن محمد بن صفوان [4]
١٥٨	محمد بن عبد الله بن علاثة الكلابي (على عسكر المهدي) [5]
	عافية بن يزيد الأودى (على الجانب الشرقي) [6]
	عمر بن حبيب العدوي (على الشرقية) [7]
موسى الهادي	ابو بكر بن عبد الله بن أبي سيرة [8]
١٦٩	ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم (الجانب الغربي) [9]
	سعيد بن عبد الرحمن الجمحي (الجانب الشرقي) [10]

(١) وكيع ٢٤١/٣ ، وكل الاشارات التالية مأخوذة من الجزء الثالث من كتابه اخبار القضاة ولا بد من الاشارة ان بغداد انشئت في عهد المنصور ، وقد ذكرنا قاضي السفاح هذا استكمالا للقائمة علماً بانه مارس عمله قبل بناء بغداد

(٢) وكيع ٢٤٢ الخطيب : تاريخ بغداد ١٠٢/١٤ اليعقوبي ٤٦٨/٢ العيون والحدائق ٢٦٩/٣

(٣) وكيع ٢٤٥ الخطيب ٣٤٥/٧ ، ٣٠٦/١٠

(٤) وكيع ٢٤٩ الخطيب ١٠ /٣٠٦ ، ٣٤٥/٧ ، اليعقوبي ٤٦٨/٢

(٥) « ٢٥١ ابن سعد ٧ – ٦٨/٢ طبري ٤٩١/٣ المسعودي ٣١٦/٣ اليعقوبي ٤٨٣/٢ الخطيب ٣٨٩/٥ ، ٤٧٩/٨ ، ٣٠٨/١٢ العيون والحدائق ٢٨١/٣ (يخلفه اخاه زياد على عسكر المهدي) الخطيب ١١/ ١٩٦ ، ٤٧٩/٨ ، ٣٨٩/٥

(٦) وكيع ٢٥١ الخطيب ٣٨٩/٥ ، ٣٠٨/٢ اليعقوبي ٤٨٣/٢ العيون والحدائق ٢٨١/٣

(٧) « ٢٥٢ ، ٢٥٦ ، وهو يذكر في ص ٢٨٢ انه اول قاضي قضي على الشرقية ، الخطيب ١٩٦/١١ ، ٣٠٨/١٢ طبري ٤٩١/٣ ، وكان يخلف محمد بن عبدالله بن علاثة ثم ثبته المهدي على الشرقية

(٨) وكيع ٢٥٣ الخطيب ١٤ – ٣٦٨

(٩) « ٢٥٤ (وهو يذكر في ص ٢٥٦ ان أبا يوسف كان قاضي موسى في جميع بغداد ، وان عمر بن حبيب كان على الشرقية الخطيب ٢٤٢/١٤ . المسعودي ٢٥٠/٣ . العيون والحدائق ٢٩٠/٣

(١٠) وكيع ٢٦٤ العيون والحدايق ٢٩٠/٣

	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية ـ الكرخ	الجانب الشرقي
				الرصافة ـ عسكر المهدي
رشيد ١٧٠	ابو يوسف [١١] ٢٨٢	ابو يوسف [١٦]	عمر بن حبيب [١٩]	سعيد بن عبد الرحمن الجمحي [٢٦] ١٥٧ـ١٧٤
			نوح بن دراج [٢٠]	
	ابو البختري وهب بن وهب القرشي [١٢]	يوسف بن ابي يوسف [١٧]	حفص بن غياث [٢١]	عمر بن حبيب [٢٧]
		محمد بن سماعه التيمي [١٨]	الحسين بن الحسن العوفي [٢٢]	الحسين بن الحسن العوفي [٢٨]
	علي بن ظبيان [١٣] ١٩٢		اسد بن عمرو البجلي [٢٣]	عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن حزم [٢٩]
	محمد بن الحسن التيمي [١٤]		علي بن ظيبان العبسى [٢٤]	عون بن عبدالله المسعودي [٣٠]
	علي بن حرمله التيمي [١٥]		علي بن حرمله التيمي [٢٥]	محمد بن عبدالله الانصاري [٣١]

(١١) « ٢٥٦ ، ٢٩٤ الخطيب ١٤/١٤٢ ، ٨/١٨٩ . المسعودي ٣/٣٥٠

(١٢) الخطيب ٨/١٨٩ . ١٤/٢٤٣ ابن سعد ٧ ـ ٢/٧٥

(١٣) وكيع ٢٨٨ ، ٢٩٤ الخطيب ١١/٤٤٣

(١٤) الخطيب ١١/٤١٥

(١٥) وكيع ٢٨٨ ، ٢٩٤ الخطيب ١١/٤١٥ ، ٤٤٥

(١٦) الخطيب ٥/٣٤١

(١٧) وكيع ٢٥٥/٢٨٢ الخطيب ٥/٣٤١ ، ١٢/٢٤٣ (يخلف اباه) ابن سعد ٧ ـ ٧/٧٨

(١٨) « ٢٨٢ الخطيب ٥/٣٤١ ، ١٢/٤٦٤

(١٩) انظر هامش ٧

(٢٠) وكيع ٢٨٥ الخطيب ١٣/٣١٥

(٢١) « ٢٨٥ الخطيب ٨/٢٩ ، ١٨٩ ، ١٣/٣١٨ (ت ١٨٢ وهو على الجانب الشرقي) ابن سعد ٦/٢٧١ ، ٧ ـ ٢/٧٤

(٢٢) الخطيب ٨/٢٩ ، ٣٢ ، ٧/١٦ ابن سعد ٧ ـ ٢/٧٤

(٢٣) « ٧/١٦ سعد ٧ ـ ٢/٧٤ ، ويقول وكيع انه عين بعد حفص بن غياث (٢٨٥)

(٢٤) وكيع ٢٨٦ الخطيب ١١[٤٤٣ سعد ٦/٢٨٠ (٢٥) انظر هامش ١٥

(٢٦) الخطيب ٩/٦٧ سعد٤ـ٢/١٤ : ٧ـ٢/٦٩ نسب قريش لمصعب ٤٠٠ ابن حزم انساب ١٥٤ وكيع ٢٥٤ ، ٢٦٤ على الجانب الشرقي دون تعيين .

(٢٧) الخطيب ١١/١٩٧ (على الرصافة) (٢٨) وكيع ٢٦٤ الخطيب ٨/٢٩ ، ٣٢ سعد ٧ ـ ٢/٧٤ (٢٩) الخطيب ١٠/٤٠٨ وكيع ٢٦٧

(٣٠) وكيع ٢٦٨ الخطيب ١٢[٢٩٢ (بعد العوفي) (٣١) الخطيب ٥/٤٠٩ (بعد العوفي) ٦/٢٤٣ وكيع ٢٦٨

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية ـ الكرخ	الجانب الشرقي
الامين ١٩٣				محمد بن عبدالله الانصاري اسماعيل بن حماد [٣٢] ابو البختري [٣٣]
المأمون ١٩٨	يحيى بن اكثم [٣٤]		محمد بن ابي رجاء الخراساني [٣٩] ٢٠٧	سعد بن ابراهيم الزهري [٤٣] ٢٠١
		محمد بن سماعة [٣٥] ٢٠٧_٨		
		اسماعيل بن حماد بن ابي حنيفة [٣٦] ٢٠٨_٢١٠	عكرمة بن طارق السرخسي [٤٠] ٢٠٨ _ ٢١٤	قتيبة بن زياد الخراساني [٤٤]
		بشر بن الوليد الكندي [٣٧] ٢١٠ _ ٢١٣	حفص بن غياث [٤١]	محمد بن عمر الواقدي [٤٥] ٢٠٤_٨
			الحسين بن الحسن بن عطية العوفي [٤٢]	محمد بن عبد الرحمن المخزومي [٤٦] ٨
		عبد الرحمن بن اسحق مولى بني ضبه [٣٨] ٢٢٨		بشر بن الوليد الكندي [٤٧] ٢٠٨_٠
				جعفر بن عيسى الحسني [٤٨]
				هارون بن عبد الزهري [٤٨]

(٣٢) وكيع ٢٦٨ الخطيب ٦/٢٤٣ العيون والحدائق ٣_٣٤٢ (٣٣) وكيع ٢٦٩ العيون والحدائق ٣/٣٤٢ الخطيب ١٠/٤٨١ (يذكر ان الرشيد عينه) . (٣٤) وكيع ٢٧٣ ، ٢٩٤ المسعودي ٤/١٨ الخطيب ٧_١٦١

(٣٥) « ٢٨٩ الخطيب ٥/٢٧٦ بعد فتنة المهدي ثم ضمت اليه الشرقية (٣٦) الخطيب ٥/٣٤٢، ٧/٨١ ، ١٢/٢٦٣ ، ويذكر وكيع ٢٨٢ انه كان على قضاء الشرقية ثم ضمت اليه المدينة بعد عزل محمد بن سماعة (٣٧) وكيع ٢٨٢ الخطيب ٧/٨١ ، ١٠/٢٦٠

(٣٨) الخطيب ١٠/٢٦٠ ويقول وكيع (٢٨٢) انه كان على قضاة الشرقية ثم ضم اليه عمل بشر (٣٩) وكيع ٢٨٩ الخطيب ٥/٢٧٦ ، ١٢/٣٦٤ الطبري ٣ / ١٠٦٦ (٤٠) وكيع ٣/٢٨٩ الخطيب ١٢/٢٦٣ _ ٤ (٤١) الخطيب ٨/٢٩

(٤٢) وكيع ٨/٢٩ ويذكر وكيع (٢٩٠)أن عكرمة تلاه اسماعيل بن حماد

(٤٣) وكيع ٣/٢٦٩ الخطيب ٩/١٢٣ ، ١١/٤٦٣ سعد ٧ _ ٢/٨٣

(٤٤) « ٣/٢٦٩ الخطيب ١٢/٤٦٣ (اثناء فتنة ابراهيم بن المهدي على الجانب الشرقي)

(٤٥) « ٣/٢٧٠ الخطيب ٣/٣ ، ٣٠٩ سعد ٧ _ ٢/٧٧ (توفى سنة ٢٠٧) العيون والحدائق ٣/٣٨٠

(٤٦) وكيع ٢٧١ الطبري (٣/١٠٦٦) الخطيب ٧/٨١ ، ٢_٣٠٩ العيون والحدائق ٢/٣٠

(٤٧) وكيع ٢٧٣ ، الخطيب ٧/٨١ العيون والحدائق ٣/٢٨٠

(٤٨) « ٢٧٣ الخطيب ٧/١٦١ وعن هارون بن عبد الله انظر الخطيب ١٤/١٠

	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية	الجانب الشرقي
	احمد بن ابي دؤاد (٤٩)			شعيب بن سهل (٥١)
٢١٨		عبد الرحمن بن اسحق (٥٠)		شعيب بن سهل (٥٧) ٢٢٨
ائق	احمد بن ابي دؤاد (٥٢) ٢٣٠	عبدالرحمن بن اسحق الضبي (٥٤) ـ٢٢٨		
٢٢٧	يحيى بن اكثم (٥٣) ٢٣٠ ـ ٢٤٠	الحسن بن علي بن الجعد (٥٥) ٢٢٨ ـ ٢٤٢	عبدالله بن محمد الخلنجي (٥٦) ٢٢٨ـ٢٣٧	عبيدالله بن احمد بن غالب (٥٨) ٢٢٨ ـ ٢٣٤
نوكل ٢٣٢	يحيى بن اكثم (٥٩) ٢٣٠ ـ ٢٤٠	الحسن بن علي بن الجعد (٦٣) ٢٤٢	حيان بن بشر (٦٥) ٢٣٧ ـ ٢٣٨	عبد السلام الوادعي (٦٩) ٢٣٤ ـ ٢٣٧
	جعفر بن عبد الواحد (٦٠) ٢٤٠ ـ ٢٤٩	احمد بن محمد بن سماعة (٦٤) ٢٤٣ ـ ٢٥٣	محمد بن عبد الله المؤذن (٦٦) ٢٣٨ ـ ٢٤١	اسماعيل بن اسحق (٧٠) ٢٤٦ ـ ٢٥٥
	جعفر بن محمد بن عمارة (٦١)		الحسن بن عثمان الزيادي (٦٧) ٢٤١ ـ ٢٤٣	
	محمد بن رزين البصري (٦٢)		محمد بن يزيد الرفاعي (٦٨) ٢٤٣ ـ ٢٤٩	

٢٤٧

(٤٩) « ٢٩٤ الخطيب ١٤٢/٤، ١٠/٣١٨ ، ١٠/٣١٨ (خليفته ابنه الوليد) العيون والحدائق ٣/٤١٠

(٥٠) الخطيب ١٠/٢٦٠ ، ١١/١٥٦ ، ٣/٢٤٣ وكيع ٢٥٦ ، ويذكر مؤلف العيون والحدائق (٣/٤١٠) ان قضاة المعتصم ايضاً محمد بن سماعة وشعيب بن سهل وعبد الله بن غالب (٥١) وكيع ٢٧٧ الخطيب ٩/٢٤٣ ، ١_٣١٩ (٥٢) الخطيب ١٤٢/٤ المسعودي ٤/٨٤

(٥٣) الطبري ٣/١٤١٠ ، ١٤٢٠ وكيع ٣/٣٠٠ الخطيب ١٤/٢٠١ (٥٤) الخطيب ٧/٢٦٤ ، ٩/٢٤٣ ، ١٠/٧٣ ، ٣١٨ ، ٢٦٠

(٥٥) الخطيب ١٠/٧٣ ، ٢٧٩ ، ٣١٩ ، ٧/٣٦٤ ، وكيع ٣/٢٨٣ (٥٦) الخطيب ١/٧٣ ، ٣١٩ ، وكيع ٢٩٠

(٥٧) « ١٠/٧٣ ، ٣١٨ ، ٩/٢٤٣ وكيع ٢٧٧ (٥٨) الخطيب ١٠/٣١٨ ، ٣٣٩ ، ١١_٥٢ وكيع ٢٧٧

(٥٩) طبري ٣/١٤١٠ ، ١٤٢٠ وكيع ٣٠٠ الخطيب ١٤/٢٠١ ، ٨_٢٨٥

(٦٠) طبري ٣/١٤٢٠ ، ١٥١٤ وكيع ٣٠٣ الخطيب ٦/٢٨٧ ، ٧/١٧٤ ، ١٠ ٤١٠ ، ١٠_٢٠١ المنتظم ٥/١١ ، ٢٧ ، ١٥٢

(٦١) وكيع ٣٠٣ الخطيب ٧/١٦٢ (٦٢) وكيع ٣٠٣ (٦٣) طبري ٣/١٤٣٤ الخطيب ٥/١٠ ، ٧/٣٦١

(٦٤) وكيع ٢٨٤ الخطيب ٥/١٠ ، ٦_٢٥ (٦٥) وكيع ٢٩١ الخطيب ٥/٤١٦ ، ٨/٢٨٥ طبري ٣/١٣١٤

(٦٦) « ٢٩١ « ، ٧/٢٥٦ ، ٣٦٤ ، ٥/٤١٦ (٦٧) وكيع ٢٩١ ـ ٢ الخطيب ٧/٣٥٦ ، ٣٦٤ ، طبري ٣/١٤٢٤

(٦٨) « ٢٩١ الخطيب ٣/٣٧٦ (٦٩) وكيع ٢٧٧ الخطيب ٨/٢٨٠ ، ١١/٥٢

(٧٠) وكيع ٢٨٠ الخطيب ٦/٢٨٧ المنتظم ٥/١٥٢

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية	الجانب الشرقي
المستعين	الحسن بن محمد بن ابي الشوارب[71]	ابراهيم بن اسحق الزهري[72]	احمد بن محمد بن عيسى البرتي[74]	اسماعيل بن اسحـ
٢٤٨	٢٥٢ _ ٢٥٥	٢٥٣ _ ٢٥٤	٢٤٩ _ ٢٥٨	
		احمد بن يحيي بن ابي يوسف[73]		
		٢٥٤		
المعتز	كذلك	عمر بن عبدالرحمن العمري[75]		كذلك
٢٥٥		٢٥٤		
		احمد بن يحيي بن ابي يوسف[76]		
		٢٥٤ _ ٢٦٢		
المهتدي	كذلك			كذلك
٢٥٥	عبدالرحمن بن نائل بن نجيح[77]			القاسم بن منصور التيمي
	٢٥٥			(سبعة اشهر)
	الحسن بن محمد بن ابي الشوارب[78]			
	٢٥٨			
المعتمد	كذلك	احمد بن يحيي بن ابي يوسف[81]	احمد بن محمد بن عيسى البرتي[82]	اسماعيل بن اسحق
٢٥٦		٢٦٤	٢٥٨	٢٥٦ _ ٢٥٨
	علي بن محمد بن عبدالملك[80]	اسماعيل بن اسـ	ـحق[83]	احمد بن محمد بن عيسى البرتي
	٢٦٢	٢٥٨ _ ٢٦٢		٢٥٨ _ ٢٦٢
			اسماعيل بن اسحق[84]	
			٢٦٤ _ ٢٨٢	

(٧١) طبري ١٦٨٤/٣ ، ١٨٩١ ، الخطيب ٢٨٢/٦ ، ٤١٠/٧ المنتظم ١٥٢/٥

(٧٢) وكيع ٢٨٤ الخطيب ٢٥/٦ ، ١٠/٥ ، ٢٠١ المنتظم ٢٠٦/٥ (٧٣) وكيع ٢/٤ الخطيب ٢٠١/٥

(٧٤) « ٢٩٣ الخطيب ٦٢/٥ (دون تعيين مكان) ٦ـ٢٨٨ (٧٥) وكيع ٢٨٤ (٧٦) وكيع ٢٧٤ الخطيب ٢٠١/٥

(٧٧) وكيع ٣٠٣ الخطيب ٢٨٧/٦ المنتظم ١٥٢/٥ وكيع ٣٠٣/٣ (٧٨) وكيع ٣٠٣ الخطيب ٢٨٧/٦ المنتظم ٢٧/٥ ، ١٥٢

(٧٩) « ٢٨١ الخطيب ٢٨٧/٦ ، ١٢ـ٢٩ ٤ المنتظم ١٥٢/٥

(٨٠) طبري ١٩٠٧/٣ الخطيب ٢٨٨/٦ ، ٤١/٧ المنتظم ٣٣/٥ ، ١٥٢ وكيع ٣٠٣

(٨١) وكيع ٢٨٤ الخطيب ٦ ـ ٢٨٨ المنتظم ٥ ـ ١٥٢ ، ٤٥ دون الاعمال المتصلة بها (٨٢) انظر هامش ٧٤

(٨٣) الخطيب ٢٨٨/٦ المنتظم ٣٣/٥ (٨٤) كذلك (٨٥) الخطيب ٢٨٩/٦ المنتظم ٥ـ١٠٢ (٨٦) الخطيب ٦ ـ٢٨٨

	قاضى القضاة	مدينة المنصور	الشرقية	الجانب الشرقي
متضد ٢٧	الحسن بن ابى الشوارب (٨٧)	اسماعيل بن اسحق (٨٨) ٢٥٨ ـ ٢٨٢		
		علي بن محمد بن ابى الشوارب ٢٨٣ ـ ٢٨٤ (٨٩)	ابو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز (٩١) ٢٨٢ـ٢٩٢	يوسف بن يعقوب بن اسماعيل ٢٨٣ (٩٢)
		ابو عمرو محمد بن يوسف (٩٠) ٢٨٤ ـ ٢٩٢	كذلك	
المكتفي ٢٨٩		عبدالله بن علي بن ابى الشوارب ٢٩٢ ـ ٢٩٦ (٩٣)	ابو عمرو محمد بن يوسف ٢٩٢ ـ ٢٩٦ (٩٤)	
المقتدر ٢٩٥	ابو عمرو محمد بن يوسف (٩٥) ٣١٧ ـ ٣٢٨	احمد بن اسحق البهلول (٩٦) ٢٩٦ ـ ٣١٦	عبدالله بن علي بن ابى الشوارب ٢٩٦ ـ ٢٩٨ (٩٩)	عبدالله بن علي بن ابى الشوارب (١٠٠) ٢٩٦ ـ ٣٠١
		عمر بن الحسين بن علي بن الاشنانى (٩٧) ٣ ايام	محمد بن عبد الله بن علي ابن أبي الشوارب (٩٩)	
		الحسن بن عبد الله بن ابى الشوارب (٩٨) ٣١٦ ـ ٣٢٠	ابو عمر محمد بن يوسف (١٠١) ٣٠١ ـ ٣١٠	
القاهر ٣٢٢	كذلك	كذلك		عمر بن محمد بن يوسف (١٠١)

(٨٧) انظر هامش ٧٨ (٨٨) انظر هامش ٨٣ (٨٩) وكيع ٢٨٥ طبري ٣ـ٢١٥٩ المنتظم ٥ـ١٦٢ ، ١٧٠. انظر آنفاً الخطيب ١٢ ـ٥٩

(٩٠) وكيع ٢٨٥ طبري ٣ ـ ٢١٦١ الخطيب ٣ ـ ٤٠١ ، المنتظم ٥ ـ ١٧٠ ، ٦ ـ ٢٤٧

(٩١) « ٣ ـ ٢٩٣ الخطيب ، ١١ ـ ٦٣ ـ ٧ المنتظم ٦ ـ ٥٣ (٩٢) وكيع ٢٨٢ الخطيب ١٤ـ٣١٠ المنتظم ٥ـ١٦٢ ، ٦ـ٢٤٧ ، ٩٦

(٩٣) « ٢٨٥ الخطيب ١٠ ـ ١٠ المنتظم ٦ ـ ١٢٥ ، ٥ ـ ١٦٢

(٩٤) « ٢٩٢ ، مسكويه ١ ـ ٧ الخطيب ٣ ـ ٤٠٢ منظم ٦ ـ ٢٤٧ ، ٥ـ ١٧٠

(٩٥) الخطيب ٣ ـ ٤٠١ ، ١١ ـ ٢٣٠ ـ ٨ المنتظم ٦ ـ ٢٤٧ المسعودي ٤ ـ ٣١٠

(٩٦) وكيع ٢٨٥ الخطيب ١ ـ ٢٧٨ ، ٤ ـ ٣٠ ، ١١ ـ ٢٤٧ المنتظم ٧ـ١٤٦ ـ١٦٦ ـ٢٣٢ المسعودي ٤ ـ ٣١٠

(٩٧) الخطيب ٧ ـ ٣٤٠ ، ١١ ـ ٢٣٦ المنتظم ٦ ـ ١٦٦ ، ٢٩٠ (٩٨) الخطيب ٧ ـ ٣٤٠ المنتظم ٦ ـ ٢٩٠

(٩٩) وكيع ٢٨٢ ، ٢٩٣ الخطيب ٥ ـ ٤٣٦ ـ١٠ـ١٠ المنتظم ٦ ـ ٩٧ ، ١٢٥ (١٠٠) الخطيب ١١ـ٢٢٩، ٥ ـ ٤٣٦

(١٠١) مسكويه ١ ـ ٣٦٥ تكملة الطبري ١٠١ الصولي ص ٨٧ ، ١٤١ المنتظم ٦ ـ ٢٩٦ الخطيب ١٤ ـ ٣٢٢

الخليفة	قاضي القضاة	مدينة المنصور	الشرقية	الجانب الشرقي
الراضي ٣٢٢	ابو الحسين عمر بن محمد بن يوسف (١٠١) ٣٢٥ ـ ٣٢٨	ابو نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسـ ٣٢٨ ـ ٣٢٩	ـــــــــــف	
		الحسين بن عمر بن محمد (١٠٣) ٣٠٩	يوســـف بن عمـــر	
المتقي ٣٢٩		ابو طاهر الذهلي (١٠٥) ٣٢٩	محمد بن عيسى بن ابى موسى الضرير (١٠٦)	
		احمـــد بن عبد الله بن اسحق الخـــرقـــي (١٠٧) ٣٣٠ ـ ٥		
المستكفي ٣٣٣ ـ ٤		محمد بن الحسن بن ابى الشـــوارب (١٠٨) ٣٣٣ـ٤	محمد بن عيسى بن ابى موسى	
المطيع ٣٣٤		ابو السائب عتبة بن عبد الله بن موسى (١١٠) ٣٣٤	ابـــو طـــاهر الذهـــلي (١١٢)	
		محمد بن صالح بن ام شيبان (١١١) ٣٣٤	محمد بن الحسن بن ابى الشوارب (١١٨) ٣٣٥ ـ ٣٤٤	ابو السائب عتبة بن عبدالله (١١٣)
		محمد بن صالح بن ام شيبـــــــــــان (١١٩) ٣٣٥ـ		
	ابو السائب عتبة (١١٤) ٣٢٨ـ٣٣٥			
	ابو العباس بن عبـــد الله بن ابى الشـــــــــــوارب (١١٥)			٥٠
	عمر بن اكثم ابو بشر (١١٦) ٣٥٢ـ٣٥٦	ابى محمد عبيد الله بن احمـــد بن معروف (١٢٠)		ابو بكر احمد بن سيار (١٢١)
	ابو محمد عبيدالله بن احمد بن المعروف (١١٧) ٣٦٣ ـ ٣٩٠	٣٦٥		٣٥٦ ـ ٣٩٠

ابو سعيد السيرافي (١٢٢) ٦٠

(١٠٢) الخطيب ١٤ ـ ٣٢٢ المنتظم ٦ ـ ٣٠٠ الصولي . اخبار الراضي والمتقى ١٤٢ (١٠٣) الخطيب ٨ ـ ٨٢، ١٤ ـ ٣٢٢ المنتظم ٦

(١٠٤) الخطيب ١٤ ـ ٣٢٢ . ويذكر ابن الجوزي ٦ ـ ٣٠٠ انه اقره على الجانب الشرقي دون ان يذكر الشرقية

(١٠٥) الخطيب ١ ـ ٣١٣ المنتظم ٧ ـ ٩٠ الصولي ١٩١ (١٠٦) الخطيب ٢ ـ ٤٠٣ ، ١٤ ـ ٣٢٢ الصولي ١٩١

(١٠٧) « ٤ ـ ٢٣١ ، ٥ ـ ٤٤٩ المنتظم ٦ ـ ٣٨٩ ، ٧ ـ ١٠٢ الصولي ٢٢٦

(١٠٨) « ٢ ـ ٢٠٠ ، ٤٠٣ ، ١٢ ـ ٣٢٠ ، المنتظم ٦ ـ ٣٨٩ . الهمداني : تكملة تاريخ الطبري ١٤٤

(١٠٩) « ١٢ ـ ٢٠ ، ٢ ـ ٤٠٤ ، ٥ ـ ٣٦٤ المنتظم ٦ ـ ٣٥٧ . الهمداني ١٤٧

(١١٠) « ٥ـ٣٦٣ ، ١٢ ـ ٣٢٠ المنتظم ٧ـ ٦ مسكويه ٢ ـ ٨٣ تكملة الطبري ١٤٧ (١١١) الخطيب ٥ ـ ٣٦٣ المنتظم ٦ ـ ٤١،

(١١٢) « ١ ـ ٣١٤ الهمداني ١٤٧ . ويذكر ابن الجوزي خطأً انه كان على الجانب الشرقي ٦ ـ ٣٤١

(١١٣) « ٥ ـ ٣١٤ ، ١٢ ـ ٣٢٠ الهمداني ١٤٧ المنتظم ٦ ـ ٣٥٧

(١١٤) « ١٢ ـ ٣٢٠ المنتظم ٦ ـ ٣٦٤ ، ٧ ـ ٦ مسكويه ٢ ـ ١٢٣ الهمداني ١٦٠، ١٧٩ ، ابن الاثير ٨ ـ ٤٨٤

(١١٥) « ١١ ـ ٢٥٠ المنتظم ٧ ـ ٢ مسكويه ٢ ـ ١٨٨ ، الهمداني ١٧٩ ، ابن الاثير ٨ ـ ٥٣٦

(١١٦) « ١١ ـ ٢٠٠ ، ١٠ ـ ٣٦٥ مسكويه ٢ ـ ١٩٦ الهمداني ١٨٤ ابن الاثير ٨ ـ ٥٤٩ المسجد المسبوك ٤ ب

(١١٧) « ١٠ ـ ٣٦٥ المنتظم ٧ ـ ٥٤ مسكويه ٢ ـ ٣٩٩ المسجد المسبوك ٦ أ

(١١٨) « ٢ ـ ٢٠٠ ، ٤٠٣ ، ١٢ ـ ٣٢٠ المنتظم ٧ـ٣ ، ٦،١٢٣ ـ ٣٥٠ الهمداني ١٥٠ ، ١٥٩

(١١٩) « ٥ ـ ٣٦٤ المنتظم ٦ ـ ٣٥٠ ، ٣٥٧ الهمداني ١٥٩ (١٢٠) المنتظم ٧ ـ ٣٨

(١٢١) المنتظم ٧ ـ ٣٨ ، ٥٤ (١٢٢) المنتظم ٧ ـ ٥٤ شذرات الذهب ٣ ـ ٦٥ ~~يجعله ابن معروف~~ على الجانب الشرقي، ابن الاثير ٨ـ

قاضي القضاة	مدينة المنصور	الكرخ	الجانب الشرقي
ابو محمد عبيدالله بن معروف (١٢٣) ٣٦٠ ـ ٣٦٣			ابو سعيد الحسين بن عبدالله السيرافي (١٣٥)
ابو الحسن محمد بن صالح (١٢٤) ٣٦٤			
ابو محمد عبيدالله بن معروف (١٢٥) ٣٦٤ـ٣٦٩		عبيدالله بن احمد بن القاسم بن نجاح (١٣٢)	
ابو سعد بشر بن الحسين (١٢٦) ٣٦٩	ابو محمد عبدالله بن محمد الاكفاني (١٣١) ٣٦٩	ابو محمد عبدالرحمن بن محمد العماني (١٣٣) ٣٦٩	محمد بن عبد الله بن صبر (١٣٦) ابو الحسن عبدالعزيز ـ ٣٦٩ ابن احمد الخرزي (١٣٧) ٣٦٩ـ٣٩١
ابو محمد عبيداللهبن معروف (١٢٧)		ابو عبد الله الحسن بن هارون الضبي (١٣٤)	ابو القاسم ابن عبد العزيز الخرزي (١٣٨) ٣٩١ ابو الحسين محمد بن عبيد الله ابن معروف (١٣٩)
ابو الحسن بن عبد العزيز (١٢٨)	الحسين بن هارون الضبي (١٤٠) ٣٩٠ ـ ٣٩٧		
٣	احمد بن محمد الابيوردي (١٤١)		
ابو محمد عبدالله بن محمد الاكفاني (١٢٩) ٣٩٦ـ٤٠٥	علي بن عبد الله الهاشمي (١٤٢)		ابو محمد عبد الله بن محمد الاكفاني (١٤٤) ٣٩٠ـ٣٩٦
احمد بن محمد بن عبدالله بن ابي الشوارب (١٣٠) ٤٠٥ـ٤١٧	محمد بن علي بن عبد الله بن الغريق (١٤٣)		اسماعيل بن عمر بن محمد ابن السنبك (١٤٥)

(١٢٣) انظر هامش ١١٧ (١٢١) المنتظم ٧ ـ ٦٤ تكملة تاريخ الطبري ٢١٣ المسجد المسبوك ٧ أ مسكوية ٢ ـ ٣٩٩

(١٢٥) تكملة تاريخ الطبري ٢٢١ المنتظم٧ـ٧١ الخطيب ٥ ـ ٣٦٣ (يذكر انه توفي سنة ٣٦٦ دون الاشارة الى سنة التولية) شذرات الذهب٣ـ٤٩

(١٢٦) مسكويه ٢ ـ ٣٩٩ المنتظم ٧ ـ٩٨ ابن الاثير ٨ ـ ٧١ المسجد المسبوك ٩ ب

(١٢٧) الروذراوري ٣ ـ ١٣٦ المنتظم ٧ ـ ١٣٢ (يذكران انه كان بهذا المنصب سنة ٣٧٦ دون الاشارة الى سنة التعيين) . وقد توفى سنة ٣٨١) الخطيب ١٠ ـ ٣٦٧ المنتظم ٧ ـ ١٦٦ . وقد قلد بهاء الدولة ابا احمد الحسين بن موسى قضاء القضاة سنة ٣٩٤ ولكن الخليفة لم يأذن له فابطل التقليد ، الروذ راوري ٣ ـ ١٨٠ المنتظم ٧ ـ ٢٢٦ ، ٢٤٧ المسجد المسبوك ١٦ أ

= (١٢٨) الروذراوري ٣ ـ ٢٦٣ (ولعل المقصود ابو الحسن عبدالعزيز الجزري)

(١٢٩) الخطيب ١٠ ـ ١٢١ المنتظم ٧ ـ ٢٣٠ ، ٢٧٣ (يذكران ان بغداد جمعت له ، ولكنهما يذكران في مكان اخر (انظر مصادر هامش ١٣٠ انه كان قاضي القضاة ، ابن الاثير ٩ ـ ٢٥٢ العسجد المسبوك ١٦ أ

(١٣٠) الخطيب ٥ ـ ٤٧ المنتظم ٧ ـ ٢٧٠ ، ٨ ـ ٢٥ ، العسجد المسبوك ١٧ ب، ٢٠ ب البداية والنهاية ١١ ـ ٣٥٣

(١٣١) مسكويه ٢ ـ ٣٩٩ هلال الصابي ٣ ـ ٣٧٢ المنتظم ٧ ـ ٢٧ (يذكر انه كان على المدينة سنة ٣٩٠) الخطيب ١٠ ـ ١٤١

(١٣٢) ابن النجار (٨٣ أ) نقلا عن كتاب التاريخ لأبي طاهر احمد بن الحسن الكرخي « كان يخلف القاضي ابن معروف بالجانب الغربي على الفرض؟» سنة ٦٦

(١٣٣) مسكويه ٢ـ٣٩٩ (على الشرقية) الخطيب ١٠ ـ ٣٠٠ المنتظم ٩ـ٦٩ (على ربع الكرخ دون تحديد سنة الولاية، سوى انه توفي سنة ٣٨٦)

(١٣٤) الخطيب ٨ ـ ١٤٦ المنتظم ٧ ـ ٢٤٠ (ربع الكرخ)

(١٣٥) انظر هامش ١٢٢

(١٣٦) مسكويه ٣ ـ ٢٩٩ (من حد الحريم والى الطرف الاعلى منه) الخطيب ٢ ـ ٣٢١ (يتولى عسكر المهدي) وناب عنه المعافي بن زكريا المنتظم ٨ ـ ٢٥٣ ، ويحدد الخطيب انه ناب عنه بباب الطاق ٨ ـ ٢٣٠

(١٣٧) مسكويه ٢ ـ ٣٩٩ (من حد الحريم الى الطرف الاسفل) الخطيب ١٠ـ٤٦٦ (الجانب الشرقي من حد الحريم الى اخر باب الازج) المنتظم ٨ـ٢١٨ (بالحريم وحريم دار الخلافة وباب الازج والنهروانات وطريق خراسان) الفهرست لابن النديم ٣٠٧ (الربع الاسفل من الجانب الشرقي من مدينة السلام

(١٣٨) هلال الصابي ٣ـ٤٠٢ المنتظم ٧ ـ ٢١٥ . ويذكر ابن الجوزي انه ممن وقع محضر الطعن في نسب الخلفاء الفاطميين سنة ٤٠١ (المنتظم ٧ ـ ٢٥٦) مما قد يدل على انه كان قاضياً في تلك السنة ، انظر البداية والنهاية ١١ ـ ٣٤٦

(١٣٩) المنتظم ٧ ـ ١٥٦ (.. ما كان لابي بكر ؟)

(١٤٠) هلال ٣ ـ ٣٧٢ الخطيب ٨ ـ ١٤٦ (ربع الكرخ) المنتظم ٧ ـ ٢٠٧ (مدينة المنصور والكرخ)،٧ ـ ٢٤٠

(١٤١) الخطيب ٥ ـ ٥١ المنتظم ٨ ـ ٨٠ (الجانب الشرقي بأسره ومدينة المنصور في ايام ابن الاكفاني ، ثم عزل وورد ابن الاكفاني الى عمله) انساب السمعاني ١ ـ ١٠٨ النجوم الزاهرة ٤ ـ ٢٧٩ البداية والنهاية ١٢ ـ ٣٧ (ولي الحكم ببغداد نيابة عن ابن الاكفاني).

(١٤٢) الخطيب ١٢ ـ ٨ (لا يذكر سنة التولية بل يذكر وفاته سنة ٤١٥)

(١٤٣) الخطيب(٣ ـ ١٠٨)المنتظم (٨ ـ ٢٨٣)، الوافي بالوفيات ٤ ـ١٣٧ . (يذكرون انه ولي سنة ٤٠٩ على مدينة المنصور) البداية والنهاية ١٢ ـ ١٠٨ .(يذكر انه ولي الحكم سنة ٤٠٩ وانه حكم ٥٦ وتوفي سنة ٤٦٥ دون تعيين مكان الحكم) ويذكر البنداري : تاريخ بغداد ٤٦ أ (ولي القضاء بمدينة المنصور وما اتصل بها. توفي سنة ٤٦٥ هـ)

(١٤٤) هلال ٣ـ٢٧٢ الخطيب ١١ـ٣٠ ويذكر كل من الخطيب (١٠ـ١٤٠) والمنتظم (٧ـ٢٧٣)انه ولي قضاء باب الطاق وضم اليه سوق الثلاثاء ويذكر ابن الجوزي في مكان آخر (٧ ـ ٢٠٧) انه ولي (الرصافة واعمالها) ويذكر هلال (٣ ـ ٤٠٢) انه ولي على كل بغداد سنة ٣٩٢

(١٤٥) المنتظم (٧ ـ ٢٦٣) (كان يسكن باب الأزج وتقلد النظر في الحكم هناك) ويذكر انه توفي سنة ٤٠٣ دون الاشارة الى سنة التقليد

قاضي القضاة	ربع الكرخ ـ الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الازج	باب الطاق
الحسين بن علي ، ابن ماكولا[1] ٤٢٠ـ٤٤٧	محمد بن عبدالله بن احمد البيضاوي[3] ـ٤٢٤	محمد بن علي بن يعقوب ، ابو العلاء الواسطي[6]		احمد بن محمد ابوجعفر السمناني[11] ٤١٥
	الحسين بن علي الصيمري[4] ـ ٤٣٦		عبدالله بن محمدبن عبدالرحمن، ابن اللبان[9أ] ٤٤٦	طاهربن عبدالله ابو الطيبالطبري[12]
محمد بن علي ابو عبد الله الدامغاني[2] ٤٤٧ـ٤٧٧	طاهر بن عبد الله ، ابو الطيب الطبري[5] ٤٣٦ ـ ٤٥٠	محمد بن الحسين بن الفراء[7] ٤٤٧		
		باي بن جعفر الجيلي[8] ٤٥٢ ـ		باي بن جعفر الجيلي[13] ٤٥٢
		ابو الحسن هبة الله ابن السيبي[9] (ت ٤٧٨)	يعقوب بن ابراهيم البرزبيني[10] ٤٥٢ـ٤٧٢	احمدبن محمد، ابوجعفر السمناني[14] ٤٦٦

(١) الخطيب ٨/ ٨٠ المنتظم٨ـ٤٤ ، ١٦٧ ابن الاثير٩/٦١٥البنداري: تاريخ دولة آل سلجوق ١٠ المسجدالمسبوك ٢٠ ب طبقات الشافعيةللسبكي ٣/١٥٢

(٢) الخطيب ٣/١٠٩ ، ٩/٢٣ المنتظم ٨/١٦٠ ، ٩/١٥ ، ٢٣ ، ابن الاثير ١٠/١٤٦ البنـداري ١٠ المسجد المسبوك ٢٥ ب السبكي ٣/٨٣ البداية والنهاية ١٢/٦٧ ، شذرات الذهب ٣/٣٦٢ (توفى سنة ٤٧٨)

(٣) الخطيب ٥/٤٧٦ انساب السمعانى ٢/٢٩٨ السبكي ٣/٦٣ الوافي بالوفيات ١/١٢١ (لايذكرون سنة التولية)

(٤) الخطيب ٨/٧٩ ، ٩/٣٥٩ المنتظم ٨/١١٩ الجواهرالمضية ١/٢١٤ اللباب في الانساب ٢/٦٦ ـ ٧ شذرات الذهب ٣/٢٥٦ . البداية والنهاية ١٢/٥٢ وقد ذكره البنداري في ذيل تاريخ بغداد ٣٨ أ ، ٤٤ ب ٥٥ أ ٥٥ ب

(٥) الخطيب ٩/٣٥٩ المنتظم ٨/١٩٨ ابن الاثير ٩/٥٢٧ اللباب ٢/٨١ شذرات الذهب ٣/٢٨٥ البداية والنهاية ١٢/٥٢ وقد نقـل عنه الخطيب روايات كثيرة . وقد تردد ذكره عند البنداري ٣ أ ٢٧ أ ٤٣ ب ٥٧ ب ٥٩ ب ٦٣ ب

(٦) الخطيب ٣/٩٥ (رد اليه القضاة بالحريم من شرقي بغداد وبالكوفة وغيرها من سقي الفرات . . توفى سنة ٤٣٣) ولا يذكر سنة التولية شذرات الذهب ٣/٢٥٦ . البغدادي ٤٢ أ ويلاحظ انه كان ممن نقل عنهم الخطيب روايات كثيرة في عدد من اجزاء تاريخ بغـداد كما روى عنه البنداري ٢٠ أ ٣٥ ب ٤٢ أ ، ٥٤ ب ١٠٤ ب

(٧) المنتظم ٨/٢٤٣ طبقات الحنابلة ٢/٢٠٠

(٨) الخطيب ٧/١٣٦ المنتظم ٨/٢١٧ ياقوت ٢/١٢٩ طبقات الشافعية الاسنوي ٦٢ البداية والنهاية ١٢/٩٥

(٩) طبقات الحنابلة ٢/٢٠٠ (استنابه إبن الفراء بدار الخلافة ونهر المعلى) . المنتظم ٩/١٨ « أبو الحسن هبة الله بن محمد بن السيبي قاضي الحريم بنهر المعلى . توفى سنة ٤٧٨ » البداية والنهاية ٢/١٣٠

(٩ أ) الخطيب ١٠/١٤٤ (في الزج) البداية والنهاية ١٢/٦٦ (في الكرخ)

(١٠) يقول ابن الفراء ان محمد بن الحسين بن الفراء « رد القضاء بباب الازج الى الجيلي وجعل صاحبه أبا علي يعقوب (ابن ابراهيم البرزبيني) مشرفاً عليه ، فلما تبين من حال الجيلي الاختلال عزله . ثم رد النظر في عقد الانكحة والمداينات بباب الازج الى تلميذه أبي يعقوب » (طبقات الحنابلة ٢/٢٠٠) اما السمعاني فيذكر ان يعقوب كان على باب الطاق؛ أنساب ٢/١٥٦ وعن عزل البرزبيني انظر طبقات الحنابلة ٢/٢٤٦ شـذرات الذهب ٣/٣٨٢ .

(١١) ابن الاثير ٩/٣٤٣ (قلد قضاء الرصافة وباب الطاق)ويذكر ابن كثير انه في سنة ٤١٢ تولى الحسبة والمواريث ببغداد (البداية والنهاية ١٢/١١)

(١٢) ابن الاثير ٩/٥٢٧ (يذكر انه ولى بعد الصيمري قضاء الكرخ مضافاً إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطاق) البداية والنهاية ١٢/٥٢

(١٣) الخطيب ٧/١٣٦ المنتظم ٨/٢١٧ السمعانى ٣/٤٦٢ البداية والنهاية ١٢/٨٥

(١٤) المنتظم ٨/٢٨٧ الجواهر المضية ١/٩٦ البداية والنهاية ١٢/١٠٩

الخليفة	قاضي القضاة	ربع الكرخ ـ الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الازج	باب الطا
					علي بن محمد بن الدامغاني[15] ٤٦٦ـ٤٧٤
المقتدي ٤٦٧		محمد بن محمد بن عبد الله البيضاوي[17] (ت ٤٦٨)		علي بن محمد بن علي الدامغاني[20] ٤٧٤ ـ ٤٧٧	
		عبد الله بن محمد بن طلحة الدامغاني[18] ٤٧٤ـ٤٧٨	الحسين بن علي البلداوي ابن البقال[21] ـ٤٧٧		علي بن محمد بن محمد ابن الحسين البسطامي[24]؛
	محمد بن المظفر بن بكران الحموي[16] ٤٧٨ـ٤٨٨	(استناب محمد بن عبدالله ابن محمد بن البيضاوي[18]	عبدالوهاب بن هبة الله ابو الفرج بن السيبي[19] ٤٨٨	يعقوب بن ابراهيم البرزبيني[22] ٤٧٨ـ٤٨٦	
				ابو المعالي عزيزي[23] ٤٨٦ـ٤٩٤	علي بن محمد ، ابو منصور الانباري[25] ٥٠٧

(١٥) المنتظم ٩/٢٠٨ ابن الاثير ١٠/٥٦١ مرآة الزمان ٨/٨١ ابن النجار اب ابن كثير ١٢/٢٨٠

(١٦) المنتظم ٩/١٥ ، ٩٥ ابن الاثير ١٠/١٤٦ ، ٢٠٣ ، ٤٨٨ ، السبكي ٣/٨٣ شذرات الذهب ٣/٣٩١ البداية والنهاية ١٢/١٢٧ البنداري ٧١ ب

(١٧) انساب السمعاني ٢/٣٩٨ الاسنوي ٤ ب (توفي سنة ٤٦٨) . الوافي ١/١٢١ البنداري ٧٠ ب

(١٨) الجواهر المضية ١/٢٨٩ (عن ابن النجار) شذرات الذهب ٣/١٥١ (ولي القضاء مدينة المنصور والكوفة)

(١٩) انظر للمصادر في هامش (٩) كذلك البداية والنهاية ١٢/١٤٩

(٢٠) ابن النجار ٢ ب ، المنتظم ٩/٢٠٨ « ولي باب الطاق وما كان الى جده ابي امه القاضي أبي الحسن احمد بن أبي جعفر السمناني من القضاء »

(٢١) ابن الاثير ١٠/١٤١

(٢٢) المنتظم ٩/٨٠ طبقات الحنابلة ٢/٢٤٦ ابن الاثير ١٠/٢٢٧ . شذرات الذهب ٣/٣٨٢ ، وانظر أيضاً ذيل طبقات الحنابلة ١/٩٢ (طبعة لاوست)

(٢٣) المنتظم ٩/١٢٦ ابن الاثير ١٠/٢٢٧ ، ٣٢٦ (يذكر انه توفي سنة ٤٨٨ اما ابن الجوزي (١٠/٣٢٦) والاسنوي ١٣٢ ب وشذرات الذهب ٣/٤٠١ البداية والنهاية ١٢/١٦٠ فيذكرون انه توفي سنة ٤٩٤

(٢٤) ابن النجار ١٨ ب الجواهر المضية ١/٣٧٤

(٢٥) المنتظم ٩/١٧٦ طبقات الحنابلة ٢/٢٥٧ شذرات الذهب ٤/١٧ (توفي سنة ٥٠٧ ، ذيل طبقات الحنابلة ١١ ـ ١٣٧ طبعة لاوست)

قاضي القضاة　　ربع الكرخ ـ الجانب الغربي　　حريم دار الخلافة　　باب الازج　　باب الطاق

علي بن محمد الدامغاني (٢٦)　　المبارك بن علي المخرمي (٣١أ)　　عبدالله بن محمد، ابو
٤٨٨ ـ ٥١٣　　احمد بن محمد بن عبد الواحد،　　ابو الفرج ابن السيبي (٣٢)　　جعفر الدامغاني (٣٤)
ابو منصور، ابن الصباغ (٢٧) ـ ٤٩٤　　٤٩٤ـ٥١٧
عبد الله بن محمد بن علي،　　عبدالوهاب ابو الفرج　　ينوب عنه ابو سعد
ابو جعفر الدامغاني (٢٨) ٥٠٢　　ابن السيبي (٣٠) ٤٨٨　　المخرمي (٣٣) ٤٩٤ـ٥١١
محمد بن علي بن محمد، ابو عبدالله　　محمد بن نصر بن منصور
الدامغاني (٢٩) ٥٠٢　　الهروي (٣١) ٥٠٢ـ٥٠٤

المسترشد　علي بن ابي طالب، ابو　ابراهيم بن سالم، ابو　ابو بكر قاضي الدجيل (٣٨)　ابراهيم نصر بن يوسف　عبدالله بن احمد بن
٥١٢　القاسم الزينبي (٣٥) ٥١٣ـ٥٤٣　منصور الهيتي (٣٦) ٤٨٨ـ٥٢٩　ابن الحسن (٤٠) ٥١٧ـ٥١٨　عسكر (٤٣)
عبد القاهر بن محمد　　احمد بن سلامة، ابو العباس　احمد بن سلامة بن الرطبي (٤١) ٥٢٧
الشطوي (٣٧) ٥٢٩　　ابن الرطبي (٣٩) ٥٢٧　　محمد بن علي بن يعيش (٤٢) ٥٢٧

---

(٢٦) المنتظم ٩ ـ ٨٣ ، ٢٠٨ ابن الاثير ١٠ ـ ٥٦١ الجواهر المضية ١ ـ ٣٧٣ . شذرات الذهب ٤ ـ ٤٠

(٢٧) المنتظم ٩ ـ ١٢٥ السبكي ٣ ـ ٣٤ (ينوب في القضاء بربع الكرخ عن القاضي أبي محمد الدامغاني ثم ولي الحسبة بالجانب الغربي ت ٤٩٤) . البداية والنهاية ١٢ ـ ١٦٠ (توفي سنة ٤٩٥)　　(٢٨) المنتظم ٩ ـ ٢٥١ « على ربع الكرخ من قبل اخيه . ثم ترك ذلك سنة ٥٠٢ »

(٢٩) ابن الدبيثي ٢ ـ ٨٨ أ « ولاه أبوه قضاء الجانب الغربي من مدينة السلام وواسط وغير ذلك .. وشافهه بالولاية سنة ٥٠٢ ت ٥١٩ »

(٣٠) المنتظم ٩ ـ ٨٧ ابن النجار ٣٨ أ ٧٣ أ السبكي ٤ ـ ٢٦٩

(٣١) الجواهر المضية ٢ ـ ١٣٧ « على حريم دار الخلافة وما يليه من النواحي والاقطار وديار مضر وربيعة » استناب أبا سعد المبارك بن علي المخرمي الحنبلي على باب المراتب ، وأبا محمد الحسن بن محمد بن احمد بن علي الاستراباذي الحنفي على باب النوبي ٥٠٢ ـ ٥٠٤) . ويذكر ابن الجوزي انه في سنة ٥١٣ « وصل القاضي الهروي » (المنتظم ٩ ـ ٢٠٦ ، كما يذكر ان أبا الحسن علي بن محمد الدامغاني عند ما ولي قضاء القضاة سنة ٤٨٨ « كان عليه اسم قاضي القضاة وهو معزول في المعنى بالسيبي والهروي ولم يكن له الا سماع البينة بالجانب الغربي » (المنتظم ٩ ـ ٢٠٨) كما يذكر ان أبا سعد المخرمي « ناب في القضاء عن السيبي والهروي ثم عزل عن القضاء سنة ١١ (٥) (٩ ـ ٢١٥)

(٣١ أ) الحوادث الجامعة ١٣٩　　(٣٢) المنتظم ٩ ـ ١٢٠ ، ٢٤٣ ، ابن النجار ٨٣ أ ، ٧٣ أ

(٣٣) المنتظم ٩ ـ ١٢٠ ، ٢١٦ ، الحوادث الجامعة ١٣٩ ذيل طبقات الحنابلة ١ ـ ١٩٩ طبعة لاوست

(٣٤) المنتظم ٩ ـ ٣ (ولاه اخوه القضاء بالرصافة وباب الطاق ومن أعلى بغداد الى الموصل وغيرها من البلاد) ويذكر ايضاً (٩ ـ ١٥٠) كان اليه القضاء بربع باب الطاق وقطعة كبيرة من البلاد نيابة عن اخيه » كذلك الجواهر المضية (١ ـ ٢٨٧)

(٣٥) المنتظم ٩ ـ ٢٠٤ ، ١٠ ـ ١٣٤ ابن الاثير ١٠ ـ ٥٦١ ، ١١ ـ ١٤٦ الجامع المختصر ٢٣ السبكي ٤ ـ ٣٢٢ الجواهر المضية ١ ـ ٣٥٠ ، ٣٦٢ وقد تردد ذكره عند ابن الدبيثي في معرض تراجم عدد كبير ممن تمت تزكيتهم في زمنه

(٣٦) المنتظم ٩ ـ ٢٢٧ ، ١٠ ـ ٤ ، ١٠٤ ، « يذكر ان الزينبي استنابه دون تعيين المكان » وقد ذكر عرضاً في ١٠ ـ ٤٢ ، وكان من شهود التعديل في زمن الزينبي سنة ٥٣٤ الدبيثي ١ ـ ١٠٠ ب ، ٢ ـ ٥٥ ب　　(٣٧) ابن الدبيثي ١٨٨ أ　　(٣٨) ابن الاثير ١٠ ـ ٢٥٣

(٣٩) المنتظم ١٠ ـ ٢٥ « ولي القضاء والحسبة بنهر المعلى » ويذكر في مكان آخر انه توفي سنة ٥٢٧ وانه ولي القضاء بالحريم والحسبة ايضاً (١٠ ـ ٣١) ويذكر ايضاً انه كان في سنة ٥١٣ قاضياً (٩ ـ ٢٢٢) اما السبكي فيذكر انه « ولي القضاء بالحريم الطاهري والحسبة ٤ ـ ٣٨

(٤٠) ابن الدبيثي ٣ ـ ٩٩ أ وهو يذكر ان تزكيته تمت سنة ٥١٧ وانه توفي في سنة ٥١٨ فالراجح انه ولي القضاء بين هذين التاريخين

(٤١) ابن الدبيثي ٢ ـ ٨٩ أ　　(٤٢) المنتظم ١٠ ـ ٢٩　　(٤٣) الجواهر المضية ١ ـ ٢٧٠ وقد ناب في القضاء عن ابن الزينبي محمد بن الحسين بن المعلم الحنفي ، المنتظم ١٠ ـ ٦١ المختصر المحتاج اليه ٢٧ ولكن لا نعلم مكان نيابته

الخليفة	قاضي القضاة	ربع الكرخ ـ الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الأزج	باب الطا
الراشد ٥٢٩		عبد الله بن محمد بن طلحة ، الدامغاني[٤٤]	محمد بن احمد بن ابي طاهر الكرخي[٤٥]		
المقتفي ٥٣٠		محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن احمد البيضاوي[٤٧] ٥٣٧_٥٤٦	محمد بن عبدالواحد بن محمد، بن الصباغ[٥٣] ٥٣٢	محمد بن محمد بن محمد الحسن ، ابن الفراء[٥٥] ٥٣٣_٥٣٧	
		احمد بن علي بن محمد[٤٨] ٥٤٠		عبدالواحد بن احمد الثقفي[٥٦] ٥٤٠	
	علي بن احمد ، ابو الحسن الدامغاني[٤٦] ٥٤٣_٥٥٥	عبدالله بن احمد بن علي ، ابو جعفر الدامغاني[٤٨]		احمد بن علي بن احمد ، ابو الحسن الدامغاني[٥٧] ٥٤٣	
		محمد بن احمد بن علي، ابو منصور الدامغاني[٤٩] ٥٤٣_٥٤٦		محمد بن طاهر الخوارزمي[٥٨] ٥٤٣_٥٤٥	
		الحسن بن احمد بن علي ، ابو محمد الدامغاني[٥٠] ٥٤٦_٥٥٥	عبد الله بن محمد بن احمد الكرخي[٥٤] ٥٥٥_٥٥٧		محمد بن طاهر الخوارزمي[٦٠] ٥٤٥_٥٤٦
		محمد بن علي بن احمد[٥١]		ابن المرخم[٥٩] ٥٥٥	محمد بن احمد بن محمد، ابو الفضل[٦١] ٥٥٥
		الحسين بن علي بن محمد، ابو نصر[٥٢]			

(٤٤) المنتظم ٩ ـ ٢٣٢ الجواهر المضية ١ ـ ٢٨٩ عن ابن النجار (استناب عبد الله بن محمد بن محمد البيضاوي)

(٤٥) يذكر ابن الجوزي ان محمد بن احمد بن محمد أبو طاهر الكرخي المتوفي سنة ٥٥٦ ولي قضاء باب الازج وقضاء واسط وقضاء الحريم وقد ولي في زمن خمسة خلفاء : المستظهر والمسترشد والراشد والمقتفي والمستنجد ، وهو الذي حكم بنسخ ولاية الراشد « (المنتظم ١٠ ـ ٢٠٢) ويذكر ايضاً انه ولي واسط سنة ٥٢٢ (١٠ ـ ٩) كما يذكر ان الذين شهدوا على عزل الراشد « ابن الكرخي والهيتي وابن البيضاوي ، ونقيب الطالبيين وابن الرزاز ، وابن شافع وروح ابن الحديثي وقالوا ان ابن البيضاوي شهد مكرهاً وحكم ابن الكرخي قاضي البلد بخلعه » (١٠ ـ ٦٠) وهـذا يدل على ان ابن الكرخي كان من قضاة بغداد آنذاك . ومما يؤيد هذا ان ابن الدبيثي يذكر في مواضع مختلفة من كتابه شهادة ابن الكرخي على تزكية عدد من الشهود بين سنتي ٥٢٧ ـ ٥٣٥ (٢ ٥٥ ب ، ١١٦ ب ، ١٤٠ ب ١٥٢ أ ٣ ٥٥ ب ، ٦٩ ب ، ١١٩ ب مما يرجح انه كان في تلك الفترة قاضياً ببغـداد ، غير ان المصادر لم تذكر زمن او مكان حكمه في بغداد . ويلاحظ ان ابن الدبيثي لم يذكر انه كان يشـغل منصب القضاء خلال ذلك ، وان كان كلام ابن الجوزي (١٠ ـ ٢٠٢) يدل على انه استمر في اشغال القضاء .

(٤٦) المنتظم ٢٠ ـ ١٣٤ ، ١٩٥ ابن الاثير ١٠ ـ ١٣٤ ، ٥١٣ ، ١١ ـ ١٤٦ ، ٢٥٨ الجامع المختصر ٢٣ ، ٥٥ ، ١٣٩ ، ١٤٦ ابن الدبيثي ١ ـ ٢١٣ أ ، ٢ ـ ٥ ب المسجد المسبوك ١٣٨ أ الجواهر المضية ١ ـ ٣٥٠ ابن النجار ١٦٩

(٤٧) البنداري : تاريخ بغداد ٥٧ ب

(٤٨) الدبيثي ٢ ـ ٢١٣ الجواهر المضية ١ ـ ٣٥٠ (عبد الله بن احمد ولي ربع الكرخ بعد وفاة ابيه) . ابن النجار ١٦٩

(٤٩) ابن الدبيثي ١ ـ ٥ ب ، ويذكر في ١ ـ ٢١٣ أنه استنابه في الحكم بحريم دار الخلافة الى ان عزل سنة ٥٥٥ . الجواهر المضية ٢ ـ ١٩

(٥٠) ابن الدبيثي ٢ ـ ٣ ب الجواهر المضية ١ ـ ١٨٩

(٥١) المختصر المحتاج اليه من ابن الدبيثي ١٦٥ الجواهر المضية ٢ ـ ٩٦ (عن ابن النجار)

(٥٢) ابن الدبيثي ٢ ـ ١٠ ب المختصر المحتاج اليه ٢٨٢ (بالجانب الغربي سنة ٥٧٥) الجواهر المضية ١ ـ ١٩٩ (بربع الكرخ) .

(٥٣) ابن الدبيثي ٢ ـ ٧٣ أ (تمت تزكيته سنة ٥٣٢ ، وكان على القضاء بباب النوبي ، دون ذكر سنة توليته

(٥٤) الدبيثي ١ ـ ١٠٠ ب (تولي القضاء بباب النوبي من بعد وفاة أبيه . الى ان توفي سنة ٥٥٧)

(٥٥) الدبيثي ٢ ـ ١١٦ ب

(٥٦) الجواهر المضية ١ ـ ٣٣٢ عن ابن النجار « القضاء بباب الازج وطريق خراسان »

(٥٧) المنتظم ١١٧/١٠

(٥٨) الجواهر المضية ٢ ـ ٦٢ دون تعيين المكان

(٥٩) المنتظم ١٠ ـ ١٩٥

(٦٠) الجواهر المضية ٢ ـ ٦٢

(٦١) ابن الدبيثي ١ ـ ١١٥ ب

	قاضي القضاة	ربع الكرخ ـ الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	باب الازج	باب الطاق
ستنجد ٥٥٥	عبد الواحد ، ابو جعفر الثقفي (٦٢) ٥٥٥	علي بن عبدالرحمن بن مبادر (٦٤) ٥٥٥ (ت ٥٦٣)		ابن الثقفي الصغير (٦٧)	محمد بن عبد الله ... البيضاوي (٦٩) ٥٥٥_٨
	جعفر بن عبد الواحد الثقفي (٦٣) ٥٥٦_٥٦٣	عبدالله بن عبدالواحد (٦٥)	الحسين بن القاسم الشهرزوري (٦٦) ٥٥٦_٧	احمد بن عبدالباقي القرشي (٦٨)	القاسم بن علي ابو نصر الزينبي (٧٠) ٥٥٦
المستضيء ٥٦٦	روح بن احمد الحديثي (٧١) ٥٦٦ _ ٥٧٠	احمد بن عبدالله بن احمد البندنيجي (٧٣) ٥٦٦_٥٧٣	عمر بن علي بن خضر (٧٥) ٥٦٦		
			عبد الملك بن روح بن احمد (٧٦) ٥٦٦_٥٦٩		
			ابراهيم بن عبدالله بن احمد الرطبي (٧٧) ٥٦٨_٥٧٠		
	علي احمد ابو الحسن الدامغاني (٧٢) ٥٧٠_٥٨٤	عبدالله بن احمد بن عبدالله البندنيجي (٧٤) ٥٧٢_٥٧٥	الحسين بن احمد ، ابو المظفر الدامغاني (٧٨)	ابراهيم بن عبدالله بن احمد الرطبي (٧٩) ٥٧٠_٥٧٧	

---

(٦٢) المنتظم ١٠ ـ ١٩٥ ـ ٦ ابن الاثير ١١ ـ ٢٥٨ الجواهر المضية ١ ـ ١٧٩

(٦٣) المنتظم ١٠ ـ ١٩٦ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، الجامع المختصر ٧٤ ابن الدبيثي ١ ـ ٢٧٢ . ٣٠ ، ـ ١٤٤ أ ابن الاثير ١١ ـ ٣٣٢ الجواهر المضية ١ ـ ١٧٩

(٦٤) طبقات الشافعية للاسنوي ١١٣ أ (تولي قضاء ربع الكرخ ثم عزل وسجن الى ان مات سنة ٥٦٣ ، (لايعين زمن التولية)

(٦٥) المنتظم ١٠ ـ ١٩٩ الجواهر المضية ١ ـ ٢٧٧ (دون تعيين المكان)

(٦٦) ابن الدبيثي ٣ ـ ١٨٩ ب السبكي ٤ ـ ٢١١ (٦٧) المنتظم ١٠ ـ ١٩٤

(٦٨) ابن الدبيثي ٢/١٣٥ « هو ابن عم احمد بن موهوب المتوفي سنة ٥٦ » ولا يذكر سنة توليته .

(٦٩) الجواهر المضية ٢/٦٩ (بربع سوق الثلاثاء) . (٧٠) الجواهر المضية ١/٤١١ (ولاة المستنجد قضاء بغداد) تاج التراجم ٥١

(٧١) المنتظم ١٠/٢٢٢ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥ ابن الدبيثي ١/٥٢ أ

(٧٢) المنتظم ١٠/٢٥٠ ابن الدبيثي ١/٢١٣ الجامع المختصر ٧٣ ، ابن النجار ١٧٠ أ المسجد المسبوك ١٣٨ أ

(٧٣) الجواهر المضية ١/٧١ « القضاء والحسبة بالجانب الغربي » (٧٤) الجواهر المضية ١/٢٧٠

(٧٥) ابن الدبيثي ١/١٩٦ ب (تمت تزكيته سنة ٥٦٦) ويقول ابن النجار انه ولي القضاء بدار الخلافة ثم القضاء بربع سوق الثلاثاء (١١٣ ب) انظر ايضا ابن الاثير ١١/٤٦١

(٧٦) ابن الدبيثي ١/٥٢ ب ، ١/١٣٧ ب ابن النجار ٧٦ ، ١١٢ ب

(٧٧) ابن الدبيثي ٣/٨٩ ب (٧٨) ابن الدبيثي ٢/٢١٣ الجواهر المضية ١/ ٢٠٧ (استنابه اخوه ابو الحسن في الحكم بحريم دار الخلافة وما يليها

(٧٩) ابن الدبيثي ٣/٨٩ ب

الخليفة	قاضي القضاة	الجانب الغربي	حريم دار الخلافة	قضاة في باب الازج اماكن منوعة
الناصر ٥٧٥	علي بن احمد ابو الحسن الدامغاني ٥٧٠_٥٨٤	عبد الله بن عبد الله بن عبد الواحد[٨٩] ٥٧٦_٥٨٠	عبدالله بن محمد بن الساوى[٩٥] ٥٨٤	محمد بن روح بن احمد ٥٧٧_٨
			محمد بن علي بن احمد الدامغاني[٩٦]	
			محمد بن الحسن بن محمد بن زرقان[٩٧]	
	علي بن علي ، ابو طالب البخاري[٨٠] ٥٨٤_٥٨٦	عبد الرحمن بن احمد بن محمد العمري[٩٠] ٥٨٦	٥٨٣_٥٨٤ ،	
	محمد بن جعفر ، فخر الدين العباسي[٨١] ٥٨٦_٥٨٨		يحيى بن الربيع ، ابو علي الواسطي[٩٨]	
		علي بن عبد الرشيد الهمداني[٩١] ٥٨٦_٥٩٨	عبدالله بن الحسين ابو القاسم الدامغاني[٩٩] ٥٨٦_٥٩٤	
			(ينيب عنه عبدالله بن محمد الساوى[١٠٠])	
	علي بن علي ، ابو طالب البخاري[٨٢] ٥٨٨_٥٩٥	احمد بن علي ، ابو الفضل البخاري[٩٢]	عبد السلام بن اسماعيل .. ابن اللمغاني[١٠١] ٥٩٥	
			احمد بن علي ، أبو الفضل البخاري[١٠٢] ٥٩٣	
	احمد بن علي ، ابو الفضل البخاري[٨٣] ٥٩٥		محمد بن القاسم بن هبة الله التكريتي[١٠٣]	
	القاسم بن يحيى الشهرزوري[٨٤] ٥٩٥_٥٩٧	نصر الله بن علي بن عبد الرشيد[٩٥]	احمد بن نصر بن الحسين الانبارى[١٠٤] ٥٩٧_٥٩٩	
	علي بن عبدالله بن سلمان الحلي[٩٥] ٥٩٨_٦٠٠		عبد السلام بن اسماعيل .. ابن اللمغاني[١٠٥] ٥٩٨_٦٠٥	عبداللطيف ابن البخاري[١١١] ٦٠١_٦١١
	عبدالله بن الحسين ، ابو القاسم الدامغاني[٨٦] ٦٠٣_٦١١		الحسن بن عبدالسلام ابن اللمغاني[١٠٦] ٦٠٥	يحيى بن المظفر ، ابن الحبير[١١٢]
		علي بن روح النهرواني[٩٣]		
	محمد بن احمد الزنجاني[٨٧] ٦١١_٦١٥	احمد بن محمود بن احمد بن عبدالله الواسطي[٩٤] ٦١٤_٦١٦	عبد الرحمن بن اللمغاني[١٠٩]	
	محمد بن يحيى بن علي ، ابن فضلان[٨٨] ٦١٦_٦٢٢			محمد بن يحيى بن المظفر ابن الحبير[١١٣]

(٨٠) الجامع المختصر ٩ ابن الاثير ١٢/١٣٠ (يذكر وفاته سنة ٥٩٥) ابن الدبيثي٣(١٥١ ، ٢٢٢ الذهبي تاريخ =

لاسلام ٨/١٣ أ ابن الفوطي : تلخيص مجمع الالقاب ٤–٢/٧٨٥

(٨١) ابن الدبيثي ١/١٩١ أ ، ٨٨ ب الجامع المختصر ٩–١٠ الذهبي ٨/٢٠ أ المختصر المحتاج اليه ٥٦ (٣٠) البداية والنهاية ٢٢/١٣

(٨٢) ابن الدبيثي ١/٩١ أ الجواهر المضية ١/٨٢ انظر ايضا البداية والنهاية ١٣/١٥

(٨٣) الجامع المختصر ١١٣ الجواهر المضية ١/٨٢ المختصر المحتاج اليه ٣٨٩ (١٩٤)

(٨٤) الجامع المختصر ١/٤٥ ، ١٠٢ – ٣ البداية والنهاية ١٣/٢٠

(٨٥) الجامع المختصر ٨٠ ، ١١٥ ابن الفوطي ، تلخيص مجمع ٤–٢/٨٨٤ . الجواهر المضية ١/٣٦٤ العسجد المسبوك ١٣٨ أ البداية والنهاية ٣٧/١٣

(٨٦) الجامع المختصر ٢٠١ ابن الدبيثي ١/٩١ أ ، ٢/٤٢ ب مرآة الزمان ٨/٥٢٩ المختصر المحتاج اليه ٧٧١ (١٤٢) تلخيص مجمع الالقاب ٤–٢ / ٧٤٨ شذرات الذهب ٥/٦٣ الذهبي ٨/٨٤ أ (٨٧) مرآة الزمان ٨/٥٦٩ . وانظر ايضاً ابن الدبيثي ١/٧٠ أ ، ١٦٩ أ ، ٢١٧ ب ، ٢/٢٢ب ٢٥ ب

(٨٨) السبكي ٥/٤٤ الحوادث الجامعة ٦٤ . شذرات الذهب ٥/١٤٦

(٨٩) الجواهر المضية ١/٢٧٧ « القضاء والحسبة بالجانب الغربي من بغداد والبلاد المزيدية والكوفة » (٩٠) المختصر المحتاج اليه ٨٣٨ الاسنوي ١٨٠ ب

(٩١) المختصر المحتاج اليه ٨٣٨ الاسنوي ١٨٤ ب الجامع المختصر ٢–٢٨١ يذكر وفاته سنة ٦٠٦ بعد ان عزل عن نيابة اخيه شذرات الذهب ٥/٩٥

(٩٢) الجواهر المضية ١/٨٢ (٩٣) ابن الدبيثي ١/٩١ أ لما ولي ابو القاسم الدامغاني جعل « نوابه بمدينة السلام اخوه القاضي ابو عبدالله محمد والقاضي ابو الحسن علي بن روح النهرواني » ويذكر الجامع المختصر ان ابا القاسم الدامغاني استناب سنة ٦٠٤ ابا الحسن علي بن روح في الحكم عنه بجانبي بغداد (٢٣٧)

(٩٤) ابن الدبيثي ٣/٦٤ ب الاسنوي ١٨٤ ب تلخيص مجمع الالقاب ٤–١/١٨ ، ٤–٢ ٩٦ (بالجانب الغربي) الجامع المختصر : ٢٩٠ تلخيص مجمع الالقاب ٤–٢/٤٢٦ ويذكر في ٥/١٦٥ ان «الحسن بن نصر الله تولى قضاء الجانب الغربي هو وابوه وجده وانه ولد سنة ٦١٨ .

(٩٥) ابن الدبيثي ١/٢١٤ أ (دون تعيين المكان) الجامع المختصر ٢٣ « ولاه قاضي القضاة علي بن الدامغاني القضاء بحريم دار الخلافة المعظمة وما يليها فلم يزل على ذلك الى ان توفي قاضي القضاة المذكور » (٩٦) ابن الدبيثي ٢/٩٤ أ الجواهر المضية ٢/٩٦ (دون تعيين المكان) .

(٩٧) ابن الدبيثي ٢–٣٥ ب « استنابه اقضى القضاة ابو طالب علي بن علي البخاري .. وقبل شهادته سنة ٥٨٣ .. الى سنة ٥٨٤ » المختصر المحتاج اليه ٦٦ (٣٥) (٩٨) الجامع المختصر ٢٩٧ (٩٩) ابن الدبيثي ١–٩١ أ « تولى اولا القضاء والحكم بمدينة السلام في رجب سنة ٥٨٦ .. ولما توفي قاضي القضاة العباسي ... انفرد القاضي ابو القاسم هذا بالقضاء والحكم بمدينة السلام الى ان ولي قاضي القضاة ابو طالب علي بن علي بن البخاري المرة الثانية وهو على حكمه وقضائه وتوفي قاضي القضاة ابو طالب هذا سنة ٥٩٣ فانفرد القاضي ابو القاسم ايضا بالحكم ببغداد الى ان عزل سنة ٥٩٤ وكانت ولايته ثمان سنين الجامع المختصر ٢٠١ (١٠٠) الجامع المختصر ٢٣ « استخلفه القاضي عبدالله بن الحسين الدامغاني على الحكم بمدينة السلام في سنة ٥٨٦ فكان على ذلك الى ان عزل القاضي عبدالله بن الحسين المذكور في رجب ٩٤ (٥)

(١٠١) الجامع المختصر ٢٧٦ « ناب عن قاضي القضاة ابي طالب ...في الانكحة والمطالبات » ابن الدبيثي ١–١٤٢ أ دون تعيين الزمن

(١٠٢) ابن الدبيثي ٣–٣٩ ب الجامع المختصر ١١٣ المختصر المحتاج اليه ٧٦٤ (١٣٧–٨) الجواهر المضية ١–٣٢٥

(١٠٣) الوافي ٤–٢٣٩ (١٠٤) ابن الدبيثي ٣–٧٢ب (١٠٥) ابن الدبيثي ١–١٤٢ أ الجامع المختصر ٨٠ ، ٢٧٦ « في عقود الانكحة والمطالبات بدار الخلافة المعظمة (١٠٦) الجامع المختصر ٨٠ « علي بن سلمان الحلي . استناب في الحكم عنه والدكمال الدين عبدالرحمن بن عبدالسلام بن اللمغاني ثم ولده الحسين ، ولم يأذن لهما في سماع بينة ولا اسجال »

(١٠٨) ابن الدبيثي ٩١ أ الجامع المختصر ٢٠٢ (ولا يعينان المكان ابن النجار ٤٢ المختصر المحتاج اليه ٧٨ (٤٠) الجواهر المضية ٢–٤٨

(١٠٩) تلخيص مجمع الالقاب ٥–٩٥ (ناب عن الزنجاني وابن فضل الله والحلي وعبدالرحمن بن مقبل (دون تعيين المكان) العسجد المسبوك ١٧٩ ب شذرات الذهب ٥–٦١ وعن نيابته عن ابن مقبل الحوادث الجامعة ٧٢ البداية والنهاية ١٣–١٨١

(١١٠) ابن الدبيثي ٢–٤٩ ب المختصر المحتاج اليه (اضافه مصطفى جواد ٨٩٢)

(١١١) الجامع المختصر ١٤٩ ويذكر ابن الدبيثي ١–١٦٣ ب (تولى اولا القضاء بربع باب الازج سنة ٦٠١ ثم ولي القضاء والحكم بجميع شرقي مدينة السلام سنة ٦٠٨ ... فلم يزل على ذلك الى ان ولي صدرية المخزن المعمور والنظر في اعماله سنة ٦١١) العسجد المسبوك ١٨٤ ب .

(١١٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢–٦٢ طبعة الفقي) شذرات الذهب ٥–٣١ دون تعيين المكان او السنة

(١١٣) طبقات الشافعية للسبكي ٥–٤٤ شذرات الذهب ٥–٢٠٠ لم تذكر المصادر محل تعيينه وتعيين من قبله

الخليفة	قاضي القضاة	الجانب الغربي	حريم دار الخلافة
الظاهر ٦٢٢	نصر بن عبدالرزاق ، ابو صالح الجيلي [١١٤] ٦٢٢_٦٢٣	كذلك	محمد بن نصر الجيلي [١٢١] عبد الرحمن بن علي بن احمد التانرايا [١٢٢] عبد الرحمن بن مقبل الواسطي [١٢٣]
المستنصر ٦٢٣	محمود بن احمد بن بختيار الزنجاني [١١٥] عبدالرحمن بن مقبل الواسطي [١١٦] ٦٣٣ (نائباه عبدالرحمن بن عبدالسلام بن اللمغاني وعبدالرحمن بن يحيي التكريتي [١٢٤]) عبد الرحمن بن عبد السلام ، اللمغاني [١١٧] ٦٣٣_٦٤٤		
المستعصم ٦٤٠	سراج الدين النهرقلي [١١٨] ٦٥٤ عبد الله بن المبارك ، نجم الدين البادرائي [١١٩] ٦٥٥ (١٠) يوماً نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي [١٢٠] ٦٥٥_٦٩٨	فخر الدين بن نصر الدين بن علي ابن عبدالرشيد [١٢٥] ٦٤٢ عزالدين احمد بن محمود الزنجاني [١٢٨] ٦٥٥	نظام الدين عبدالمنعم البندنيجي [١٢٧] ٦٥٥ فخر الدين عبدالله بن عبد الجليل الطهراني [١٢٩]

---

(١١٤) الحوادث الجامعة ٨٦ ، ٥٧ ، ١٥٧ ، العسجد المسبوك ١٤٠ أ ، ١٥٢ أ شذرات الذهب ٥ ـ ١٦١ .

(١١٥) الحوادث الجامعة ٨٤_١٥٧ العسجد المسبوك ١٦٠ آ ، ١٩٣ أ تاريخ علماء المستنصرية لناجي معروف ١_٢١٢

(١١٦) الحوادث الجامعة ٨٤ ، ١٥٧ العسجد المسبوك ١٦٠ أ البداية والنهاية ٣_١٠٨

(١١٧) الحوادث الجامعة ١٥٧ العسجد المسبوك ١٦٠ أ تنخيص مجمع الالقاب ٥_١٩٠ . تاريخ علماء المستنصرية ١ ـ ١٢٤ البداية والنهاية١٣_١٨١ (لقب اقضى القضاة وتوفي سنة ٦٤٩) .

(١١٨) الحوادث الجامعة ٢٦٢ ، ٢٧٦ ، ٣١٦

(١١٩) الحوادث الجامعة ٣٢٢ السبكي ٥_٩٠ ، شذرات الذهب ٥_٢٦٩ اليونيني١/٧١ البداية والنهاية ١٣_ ١٩٦

(١٢٠) الحوادث الجامعة ٣٤٣

(١٢١) شذرات الذهب ٥_٢٨١ ، وينقل السبكي عن ابن النجار انه ناب عن ابي صالح الجيلي بحريم دار الخلافة (٥_٧١) ذيل طبقات الحنابلة ٢_٢٦٥

(١٢٢) ذيل طبقات الحنابلة ٢_١٧٣ (١٢٣) شذرات الذهب ٥_٢٠٤ السبكي ٥_٧١ عن ابن النجار ، ابن كثير ١٣_ ١٠٨

(١٢٤) الحوادث الجامعة ٧٢ (لا يعين مكان عمل كل منهما ، ويذكر الصفدي انه استناب محمد علي ابن نصر الابري في عقود الانكحة والطلاق والديون (الوافي ٤_١٥٥)

(١٢٥) الحوادث الجامعة ٢٩٠ تلخيص مجمع الالقاب ٠_٣/ ٤٢٦ ويقول في ٥/ ١٦٠ أن «الحسن بن نصر الله تولى قضاء الجانب الغربي هو وابوه وجده وانه ولد سنة ٦١٨ »

(١٢٦) الحوادث الجامعة ٣١٣ ، ٣٦٣ (١٢٧) الحوادث الجامعة ٣٦٣ (١٢٨) الحوادث الجامعة ٣٢٣ ، ٣٤٣

(١٢٩) الحوادث الجامعة ٣٦٣ (استنابه نظام الدين دون تعيين زمن او مكان الاستنابه)

آراء في الموشح

الدكتور حكمة علي الاوسي

لا يزال الغموض يحف بنشأة الموشحات والزمن الذي ظهرت فيه لأول مرة والشخص الذي ابتكرها .

اما مبتكرها والزمن الذي ابتكرت فيه ، فقد اختلف فيه الباحثون القدامى فقيل ان مخترعها هو محمد بن حمود القبرى الضرير [1] ، الذي نجهل هويته والعصر الذي عاش فيه . وقيل ان ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد هو أول من سبق الى نظم الموشحات[2] . وعزا ابن خلدون اختراعها الى مقدم بن معافر الفريري من شعراء الامير عبد الله بن محمد المرواني [3] ، (حكم من ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) في حين يقول ابن سعيد المغربي في كتابه « المقتطف من ازاهر الطرف » ان الحجاري ذكر في كتابه « المسهب في غرائب المغرب » ان مخترع الموشحات بجزيرة الاندلس هو مقدم ابن معافى القبري من شعراء عبد الله المرواني ، وعنه اخذه ابو عمر احمد بن عبد ربه صاحب العقد [4] .

ولكن الرأي الغالب بين الباحثين يميل الى اعتبار مقدم بن معافى القبري هو المخترع الاول للموشحات .

ولم يصلنا شيء من نظم مقدم هذا نستدل به على طبيعة الموشحات الاولى ، ولكن الراجح انها كانت من طراز تغلب عليه البساطة التعبيرية

ولا يزال الخلاف قائماً بين الباحثين المحدثين حول الاصل الذي نشأ عنه الموشح . الا ان الشيء الذي بات مؤكداً هو ان الموشحات ابتكار اندلسي وليست من مبتكرات

المشارقة العرب . ولكن الخلاف ، الآن ، يدور حول المسألة التالية :

هل الموشح تطوير للشعر العربي المشرقي أو هو متأثر بأنماط من الاشعار الاسبانية التي كانت شائعة بين الاسبان الخاضعين للحكم العربي ؟ او هو تقليد لانواع من الاغاني الشعبية الاسبانية التي كانت ذائعة بين الاسبان الذين كانوا يعايشون العرب الاندلسيين ؟

وقد انقسم الباحثون في ذلك الى فريقين : الاول يرى ان الموشح تطوير للشعر العربي المشرقي [٥] ، وفريق ثان يعتقد انه تقليد لشعر غنائي اعجمي كان موجوداً بين العرب في الاندلس [٦] . وسنحاول فيما يلي ان نعرض بايجاز آراء كل من هذين الفريقين ، ثم نتبع ذلك برأي لنا جديد نعتقد ان فيه ما يدعم رأي الفريق الاول ويرجحه ترجيحاً قوياً ، وان كنا لا نزعم انه كاف تماماً للقطع العلمي في هذه القضية الشائكة .

اما الفريق الاول من الباحثين فقد استند في ما ذهب اليه من ان الموشح ما هو الا تطوير للشعر العربي المشرقي ، الى ما تقرره الدراسات الادبية في الشعر العربي المشرقي من وجود محاولات قديمة للخروج على نظام القصيدة ونظام القافية الواحدة ، ثم محاولات بعض شعراء القرن الثاني المشارقة الخروج على الاوزان العربية المألوفة في الشعر .

واقدم مثل للخروج على نظام القافية العربية الواحدة يتجلى في ما يروى عن امرئ القيس في القصيدة المسمطة التي تنسب اليه وهي قوله [٧] :

توهمت من هند معالم اطلال	عفاهن طول الدهر في الزمن الخالي
مرابع من هند خلت ومصائف	يصيح بمغناها صدى وعوازف
وغيرها هوج الرياح العواصف	وكل مسف ثم آخر رادف

باسحم من نوء السماكين هطال

وينسب إلى الوليد بن يزيد تجديد جزئي في الوزن والقافية في قطعة رواها له صاحب الاغاني من وزن المجتث ، وهو وزن يعتبر جديداً لان الجاهليين لم ينظموا فيه الا ابياتاً مفردة ، ثم ذكر له قطعة من الشعر المزدوج ، لو صحت نسبتها له ، لاعتبر من اقدم الشعراء

الذين نظموا في هذا النوع الجديد من نظام القوافي [٨] .

يقول الوليد في هذه القطعة :

الحمـد لله ولي الحمـد　　　احمده في يسرنا والجهد

وهو الذي في الكرب استعين　　　وهو الذي ليس له قرين

وكان من اثر شيوع الغناء في القرن الثاني في طبقات المجتمع العربي ان انصرف الشعراء عن الاوزان الطويلة والمعقدة واقبلوا على الاوزان القصيرة الخفيفة التي تتلاءم مع الغناء وابتكروا أوزاناً جديدة لم يكن لها اصل في الشعر القديم ، مثل استحداث المقتضب والمضارع [٩] .

وكانت هناك محاولات عديدة لبعض الشعراء المشارقة في القرن الثاني الهجري خرجوا فيها على الاوزان الشعرية التقليدية المتوارثة ، كما فعل أبو العتاهية الذي كانت « له أوزان لا تدخل في العروض » [١٠] والذي وصفه ابن قتيبة بقوله انه « كان لسرعته وسهولة الشعر عليه ربما قال شعراً موزوناً يخرج به عن اعاريض الشعر واوزان العرب » [١١] ويسوق مثلاً لذلك بيتين قالها ابو العتاهية حين كان يجلس عند قصار فسمع صوت المدقة فحاكاه في شعره فقال [١٢] :

للمنون دائرات　　　يدرن صرفها

هن ينتقيننا　　　واحداً فواحدا

والواقع ان أبا العتاهية لم يخرج على اوزان العرب فقط في هذين البيتين ، بل وخرج ايضاً على نظام القافية المتوارثة في الشعر العربي . وتروى له قصيدة اخرى خرج فيها عن الاعاريض المعروفة يقول فيها :

عتب ما للخيال　　　خبرني ومالي

وعند ما سئل : هل تعرف العروض ؟ قال : انا اكبر من العروض [١٣]

وهناك شعراء آخرون في هذا القرن جددوا في الاوزان الشعرية ونظموا على غير العروض المتوارث ، منهم : سلم الخاسر ، ورزين بن زندورد الذي لقب برزين العروضي

لكثرة ما يخرج في شعره عن العروض ، وحتى انه تروى له قصيدة لم يلتزم فيها القافية [١٤] .

وظهرت انماط من الشعر جديدة تلتزم بالنظام العروضي العربي ولكنها لا تلتزم بنظام القافية الواحدة فيه ، ويتجلى هذا في القصائد المزدوجة وفي المخمسات والمسمطات . ولقد اكثر شعراء هذا القرن من استخدام المزدوجات في النظم كما نرى في ارجوزة أبي العتاهية (ذات الامثال) ، وفي نظم ابان بن عبد الحميد اللاحقي لكليلة ودمنة الذي يراه يوهان فك مطابقاً للمثنوي الفارسي تمام المطابقة [١٥] .

ويقول ابن النديم عن ابان ان اكثر شعره مزدوج ومسمط . ولبشر ابن المعتمد نظم في المزدوج ايضاً . ومن اوائل من نظموا فيه محمد بن ابراهيم الفزاري في نظمه التعليمي لعلم الفلك . وهو من المزدوج الذي تتألف ادواره من ثلاثة ابيات متحدة القافية على بحر الرجز . وهناك قصيدة مخمسة تنسب الى أبي نواس [١٦] .

ويميل يوهان فك الى الاعتقاد بصحة ما يروى عن بشار بن برد من انه حاول نظم المزدوج والموشح ، ويرى ان القرن الثاني ربما شهد ايضاً نشأة الدوبيت او الرباعي الذى تتحد مصاريعه في القافية ما عدا المصراع الثالث ، ويرى ان هذا القالب يقترن ببشار أيضاً ، وانه كان له اثر عظيم في الشعر الفارسي [١٧] .

في ديوان ابي نواس مقطوعة كاملة فيها قوافٍ داخلية متحدة غير القافية الواحدة الموجودة في آخر الابيات ، يقول فيها واصفاً الخمر [١٨] :

سلاف دنّ كشمس دجن　　　كدمع جفن كخمر عدن

طبيخ شمس كلون ورس　　　ربيب فرس حليف سجن

وقد التزم الوليد بن يزيد ، قبل هذا ، قوافي داخلية في احدى قصائده التي يصف فيها لهوه ومجونه ، يقول فيها [١٩] :

احب الغناء وشرب الطلاء　　　وانس النساء ورب السور

ودلّ الغواني وعزف القيان   بصبح يماني قبيل السحر

ويرى يوهان فك في هذه القوافي المصرعة في داخل ابيات القصيدة تجديداً في النظام الموسيقي للقصيدة العربية في القرن الثاني .

ولدينا رواية تشير ، انصحت ، الى ان محاولات قد جرت للتخلص من القوافي نفسها ، كما حاولوا التخلص من الاوزان في محاولات اخرى . فابن رشيق يسوق مقطوعة لأبي نواس ليس لها قافية ، وهي تشبه ما يعرف في ايامنا هذه باسم الشعر المرسل [٢٠] أو الشعر الحر .

كل هذا يشير ، بل يؤكد ، في نظر بعض الباحثين ان الموشح تطوير للشعر العربي المشرقي .

ولقد حاول الدكتور فؤاد رجائي ان يثبت ان نقل زرياب لطريقة الغناء المشرقية على اصول النوبة الى الاندلس كان له تأثير كبير في التمهيد لاختراع الموشحات . ذلك ان الاندلسيين شغفوا بطريقة النوبة الغنائية هذه التي اشاعها بينهم زرياب ، وتتمثل هذه الطريقة في ان يجتمع عدد من المغنين فيغني كل منهم ، حينما تأتي نوبته ، عدداً من الابيات على لحن واحد ولكن بايقاع وقافية مختلفين .

ويرى الدكتور رجائي ان هذه الطريقة دفعت احد الشعراء الاندلسيين الى اختراع طريقة جديدة يضمن المقطوعة الشعرية فيها عدة الوان من البحور والقوافي ، كما هو الشأن في النوبة الغنائية ، ليهيء بذلك مقطوعات شعرية شبيهة بالنوبة ، جاهزة للغناء ، فيريح ، بهذا ، المغني من مشقة اختيار الاشعار . وهكذا نشأت الانماط الاولى من الموشحات تشبه المقطوعات الشعرية التي كانت تغنى ، ولكنها من تأليف شاعر واحد لا عدة شعراء كما هو الامر في النوبة [٢١] .

ومن القائلين بأن الموشحات عربية الاصل المستشرق نيكل وهو يؤكد ايضاً على

الاهتمام بدراسة العلاقة بين اللحن والكلمات في موضوع الموشحات واصولها [٢٢] .

ورأى المستشرق الالماني هارتمان ان التوشيح لم يكن الا احياءاً لفن التسميط الذي ينسب الى شعراء الجاهلية [٢٣] .

اما القائلون بأن الموشحات نشأت نتيجة لتقليد الاندلسيين لضرب من الشعر الغنائي عجمي ، فكثيرون منهم المستشرق الاسباني خوليان ريبيرا [٢٤] وتلميذه المستشرق الاسباني المعاصر غرسيه غومس [٢٥] ، والبحاثة الاسباني منندث بيلايو [٢٦] ، وهناك طائفة كبيرة من الباحثين العرب ذهبت هذا المذهب منهم الدكتور عبد العزيز الاهواني في كتابه (الزجل في الاندلس) والدكتور مصطفى عوض الكريم في كتابه (فن التوشيح) وبطرس البستاني في كتابه (ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث) [٢٧] .

وحجج هؤلاء في ذلك ان الموشح يختلف عن فنون الشعر العربي المشرقية لانه انما صنع من اجل الغناء ، وشيوع الاوزان التي لا تجري على العروض العربي في الموشح دليل آخر على رابطة القربى القوية بينه وبين الشعر الأعجمي ، ثم ابتكار الموشح في الاندلس وحذق الاندلسيين له دون المشارقة دليل ايضاً على انه اعجمي الاصل وانه تقليد لشعر غنائي اعجمي كان شائعاً بين العرب الاندلسيين والاسبان المتعايشين معهم [٢٨] .

وقد عزز هذا الفريق حججه بعد ان اكتشفت مجموعة من الخرجات الاعجمية في كتاب (عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس) لعلي بن بشرى الغرناطي (القرن الثامن او التاسع الهجري) . وبلغ مجموع هذه الخرجات الاعجمية ستاً وعشرين خرجة . وكانت قبل هذا قد اكتشفت مجموعة اخرى من الخرجات الاعجمية في موشحات عبرية نظمها صموئيل بن نغراله وسليمان بن جيبرول وموسى بن عزرا ويهودا هاليفي وغيرهم . وكانت خرجات بعض هذه الموشحات العبرية في عاميه اندلسية وفي لغة اعجمية (اي اسبانية قديمة) .

وقد قام عدد من العلماء بدراسات طريفة لهذه الخرجات من ذلك الدراسة التي قام بها

الاستاذ Stern شتيرن ونشرها في مجلة الاندلس (العدد ١٣ سنة ١٩٤٨) . ودراسات المستشرق الاسباني غرسيه غومس المنشورة في نفس المجلة (الاعداد ١٤ و ١٥ و ١٧ و ١٩ ، سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٠ و ١٩٥٢ و ١٩٥٤ على التوالي) .

وقد وجدت نفس الخرجة الاعجمية في موشحتين احداهما عربية والاخرى عبرية ، فرأى غرسيه غومس فيهذا « ان وجود نفس الخرجة في موشحة عربية وفي اخرىعبرية ، في قصيدتين مختلفتين لشاعرين مختلفين يؤيد ما ذهبنا اليه من ان هذه الخرجات عبارة عن اغان قصيرة باللهجة الرومانسية كانت معروفة من قبل (اي قبل تضمينها في الموشحات العربية والعبرية) وانه على هذه الاغاني بنيت الموشحات » [٢٩] .

وهذه هي اقوى الحجج التي يسوقها هذا الفريق من الباحثين القائلين بأن اصل الموشح اعجمي ، فهم يرون ان الوشاحين الاوائل الذين ابتكروا الموشحات لاول مرة قد قلدوا بموشحاتهم ، شعراً اعجمياً كان الشعب الاسباني يتغنى به ، فحاول الشعراء العرب ان ينظموا على نهجه فابتكروا الموشحات . وان اقوى دليل ، في نظرهم ، على ذلك شيوع هذه الخرجات الاعجمية في الموشحات العربية . وعندهم انهذه الخرجات الاعجمية لايمكن تعليل وجودها في الموشح العربي الفصيح الا بأنها كانت من بقايا اغان شعبية في اللغة الرومانثية (اي الاسبانية القديمة) وانتقلت الى الموشح العربي او العبري عن طريق تقليد الوشاحين لتلك الاغانى التي لم تصلنا نصوصها ، لانها لم تكن من الادب المكتوب بل من الاغاني التي تعيش في قلوب الناس وتتناقلها افواههم . فان لم يكن الامر كذلك فما هي الحاجة ، اذن ، الى استعمال تلك الخرجات الاعجمية في الموشح الفصيح ؟

والذي يبدو لنا انه ما لم تصلنا نصوص تؤيد هذا الافتراض فانه يبقى افتراضاً ، وزعما لايصلان الى مرتبة اليقين ، لاسيما وان لدينا تعليلاً آخر لوجود هذه الخرجات الاعجمية في الموشح نراه لايقل عن ذلك التعليل في قوته ان لم يزد عليه قوة ورجحاناً . واليك هذا التعليل :

من المرجح بين الباحثين ان الموشحة اسبق في ظهورها من الزجل وان الزجل ما هو الا تقليد لها ، والمقرر ان الوشاحين الاوائل كانوا ينظمون اولاً الخرجة باللفظ العامي أو العجمي ويسمونها المركز ثم يضعون عليها الموشحة باللغة العربية الفصحى ، فبماذا نعلل استعمال الالفاظ والجمل الاعجمية في جزء من شعر عربي فصيح ؟ سبب ذلك في نظرنا ، انه لما كان العربي يمثل العنصر الارستقراطي المسيطر في الاندلس فكان من الطبيعي ان تحاول الغانيات الاسبانيات التقرب منه بالود واظهار الحب لترجو منزلة افضل بين صاحباته او جواريه ، ويبدو ان تغزل المرأة بالرجل كان ظاهرة شائعة بين الاسبانيات المستعربات ، اي اللاتي كن يعشن بين العرب الاندلسيين ، فأتى الوشاحون وعبّروا في موشحاتهم عن هذه الظاهرة بأن نقلوا كلام الفتاة المتغزل بها وبألفاظها الاعجمية ، لان ذلك اقرب الى الطبيعة واشد تأثيراً في نفوس السامعين . أو هم على الاصح لم ينقلوا كلام الفتاة وانما تصوروا ان فتاة من الاعاجم في مثل هذا الموقف الذي يصفونه يمكن ان تقول هذا القول الذي يقولونه على لسانها ويستعيرون لادائه الفاظها ولغتها الاعجمية ليكون النظم ادخل في باب الظرف وافعل في النفس . واذ كان العرب الاندلسيون يجيدون اللغة الاعجمية ويشاركون الاعاجم في التحدث بها ، كان من الطبيعي أن يتذوقوا هذا الاسلوب التعبيري في ذلك النمط من الغناء المبتكر على شكل موشحة .

واذا كان صحيحاً ان اسلوب الخرجات الاعجمية هذه ينحو نحواً قليل النظير في الادب العربي إذ أنه يعبّر عن مشاعر فتاة تتغزل بفتاها وتعلن حبها له وتصرح بشوقها اليه ، وهذا اسلوب يخالف الظاهرة المألوفة في الشعر العربي الذي تبدو فيه الفتاة المتغزل بها ذات دل وخفر يزينها الخجل والتمنع وترفع من منزلتها الهيبة والوقار [٣٠] ، اذا كان هذا صحيحاً فان لهذا الاسلوب نظيراً ، على اي حال ، في شعر عمر بن ابي ربيعة ، ومن الطبيعي أن يتخذ سابقة يقيس عليها الشعراء الاندلسيون في شعرهم ، ولا سيما في الاشعار التي تنظم اصلاً للغناء . واختلاف الخرجة ، في مضمونها هذا ، عن سنّة الشعر العربي ، يمكن ان

يعتبر تطويراً لاسلوب عمر بن ابي ربيعة ونهجه الغزلي . فاذا كان هو قد اكتفى بنقل مضمون الكلام الغزلي الذي كانت صاحباته يوجهنه اليه ، فان الوشاحين الاندلسيين نقلوا المضمون واطاره اللغوي معاً ، لان ظروف المجتمع الاندلسي تسمح بذلك بل تتطلبه وتستظرفه .

والظاهرة الغالبة على كل الخرجات الاعجمية تقريباً انها تتضمن ذكر الفتاة وامها . وهذا يذكرنا باشعار بشار بن برد التي يعرض لنا فيها حواراً قصصياً غزلياً بينه وبين صاحباته يرد فيه ذكر امهاتهن ايضاً [٣١] .

وشيوع ذكر الفتاة وامها في الخرجة يعزز ما ذهبنا اليه ، ذلك لان من المألوف عند الاعاجم ان تتحدث الفتاة مع امها حول حبها فتشكو لها ما تلقى فيه وتطلب منها ان تعينها عليه ، فلا بد ان تتحدث اليها بلهجتها الخاصة ولغتها الام ، فمن الطبيعي ان ينقل الوشاح هذا الحوار بين الفتاة وامها ، او ما يتصوره منه ، ينقله بلهجتها وبنفس لغتها . وهو في هذا يشبه ما يفعله القصاص العربي المعاصر حينما يريد ان يصور الجو الطبيعي الذي يدور فيه حوار قصته فنراه يلجأ الى استخدام جمل عامية يسوقها بين مئات الصفحات باللغة الفصحى ، ليضفي بذلك على قصته جواً واقعياً بعيداً عن التكلف .

ويزداد تعليلنا قوة اذا ما علمنا ان اكثر ما تجعل الخرجات « على ألسنة الصبيان والنسوان والسكرى والسكران» [٣٢] . ومضمون الخرجات الاعجمية يتفق تماماً مع ما يسود في مجالس الخمر والغناء وجوهما الصاخب الذي تتخلى فيه السكرى عما قد يكون بقي لها من وقار أو خجل فيكون تغزلها الصريح واعلانها اشتياقها الى من تحب شيئاً طبيعياً ومفهوماً اضافة الى ما جرت عليه العادة بين الاعاجم من عدم التحرج في الاخذ بحديث الحب والتعبير عما يشيعه في النفس من احاسيس .

وخلاصة القول في أمر نشأة الموشحات واصولها ان الرأي لم يستقر بعد على شيء قاطع

جازم في ذلك ، وان لـكل من الرأيين المتعـارضين الذين فصلناهما حججه القوية وادلته الناصعة ولا يمكن ، حتى الآن ، ترجيح احدهما على الآخر او القطع بصحته وفساد الثاني ، ما لم تتوفر لدينا نصوص جديدة واضحة لا تقبل التأويل او الاختلاف في التفسير وتكون بجانب احد الرأيين دون الآخر ، وان بدا ان الطابع الغالب على كل من الموشحة والزجل يوحي بأنهما ثمرة فريدة رائعة للامتزاج الطويل بين الثقافتين الاسبانية والعربية .

هوامش

(١) ابن بسام : الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الثاني ص ١ ، وجاء ذكره في جذوة المقتبس ص ٨٦ باسم محمد بن محمود المكفوف القبري ، وقال عنه « اديب شاعر » . وذكره بنفس هذه الصورة ابن سعيد في المغرب ١ / ١٠٩ والضبي ص ١٢١ . وذكره الثعالبي (اليتيمة ٢ / ٣٠) باسم المكفوف محمد بن محمود بن ايوب القبري .

(٢) ابن بسام : ن . م ص١ ـ ٢ وقد نقل ابن شاكر كلام ابن بسام هذا بنصه(فوات ١ / ٤٢٥) .

(٣) ابن خلدون : المقدمة ص ٥٨٤ .

(٤) ابن سعيد : المقتطف ص ٤٧٧ ، والمقرى : ازهار الرياض ٢/٢٥٣ ، وقد جاء ذكر مقدم بن معافى المذكور ، في ترجمة مقتضبة له في جذوة المقتبس ص ٣٢٣ ترجمة رقم ٨٢٣ ، وانظر : فن التوشيح ص ٩٨ .

(٥) من هؤلاء الباحثين نيكل وهارتمان في كتابيهما :

R. A. Nykl, Hispano arabic poetry Baltimore, 1946.

M. Hartmann, Das arabische strophengedicht : I, Das Muwassah, Weimar, 1897.

ومنهم المستشرق فرايتاغ . ولقد يبدو ان يوهانفك يميل الى هذا الرأي ايضاً ، انظر كتابه : « العربية » ص ٩٥ ـ ٩٨ و ص ١٨٥ ـ ١٩٠ .

ومن الباحثين العرب الذين يرون هذا الرأي د . فؤاد رجائي في كتابه « الموشحات الاندلسية » انظر بشكل خاص ص ١٢٥ ـ ١٢٦ ، و د . احسان عباس في كتابه « تاريخ

الادب الاندلسي — عصر الطوائف والمرابطين » انظر ص ٢٢١ ـ ٢٢٧ ، و د . شوقي ضيف « العصر العباسي الاول » ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٦) من هؤلاء الباحثين : بطرس البستاني في كتابه « ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث » ص ١٧٠ ، و د . مصطفى عوض الكريم : « فن التوشيح » ص ١٠٩ و ١١١ و ١١٨ و د . عبد العزيز الاهواني : « الزجل في الاندلس » ص ٢٢ و ٤٣ و ٥٠ ـ ٥١ . ومن الغربيين : ريبيرا ومننندث بيلايو وغرسيه غومس .

(٧) ابن رشيق : العمدة ١٧٩/١ ، وانظر : مختار الصحاح مادة « سمط » ، وهدارة ص ٥٤٣ ، و :

J. Ribera, Disertaciones..., I, P. 49.

M. Hartmann, op. cit. P. 209.

(نقلاً عن ريبيرا : المصدر المذكور ص ٤٩)

(٨) هدارة ص ٥٣٨

(٩) ن . م . ص ٥٤٠

(١٠) الاغاني ١٣/٤

(١١) هدارة ص ٥٤٠

(١٢) ن . م .

(١٣) الاغاني ١٣/٤

(١٤) هدارة ص ٥٤٢

(١٥) العربية ص ٩٦ وهدارة ص ٥٤٣ والبستاني ص ١٦٧

(١٦) هدارة ص ٥٤٣ ـ ٥٤٤

(١٧) العربية ص ٩٨ وهدارة ص ٥٤٥

(١٨) هدارة ص ٥٤٦ ـ ٥٤٧

(١٩) ن . م . ص ٥٤٧

(٢٠) ن . م . ص ٥٤٨ ـ ٥٤٩

(٢١) فؤاد رجائي ص ١٢٥ ـ ١٢٦

(٢٢) فن التوشيح ص ١١٦ ـ ١١٧

(٢٣) الاهواني ص ٥ هامش (٢)

(٢٤) انظر :

J. Ribera, Disertaciones..., I, PP. 49-55.

(٢٥) انظر :

E. Garcia Gomez, Mas sobre las « Jaryas » romances en « Muwassahas » hebreas. Al-Andalus, XIV, 1949, pp. 409-417·

(٢٥) انظر :

E. Garcia Gomez, Nuevas observaciones sobrc las "Jaryas" romances cn muwassahas hebreas. Al - Andalus. XV, 1950, pp. 157-177

— Sobre un posible tercer poesia arabigoandaluza. Estudios dedicados a Menendez pidal. Tirada aparte, tomo II. Madrid, 1951

— Veinticuatro Jaryas romances en muwassahas. Al-Andalus XV11, 1652 pp. 57 - 127

— Poesia arabigoandaluza-Breve sintesis historica, Madrid, 1952.P. 51

— La muwassaha dc lbn Baqui de Cordoba... Al-Andalus XIX, 1954, pp. 43-52.

— Dos nuevas jaryas romances (XXV, XXVI) en muwassahas arabes ... Al-Andalus, XIX, 1954, pp. 369-391 .

(٢٦) انظر :

Menendez Pelayo, p. 71

(٢٧) انظر الهامش رقم (٦)

(٢٨) وقد فصل د. مصطفى عوض الكريم الحديث في هذا الموضوع : « فن التوشيح » ص ١٠٧ ـ ١١٩

(٢٩) فن التوشيح ص ١٠٩

(٣٠) انظر :

R. M. Pidal, Poesia arabe..., p. 24-25.

وبالينثيا ص ١٥٥ ـ ١٥٦

(٣١) انظر : الاغاني ـ ط. القاهرة ١٩٠٤ ، جـ (٣) ص ٣٥ ، والخالديان : المختار من شعر بشار (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، بدون سنة) ص ٢٠٦

(٣١) ابن سناء الملك ص ٣١

المصادر

احسان عباس : تاريخ الادب الاندلسي ـ عصر الطوائف والمرابطين ـ دار الثقافة — بيروت ١٩٦٢

الاصبهاني : الاغاني ط . القاهرة ١٩٠٤ جـ (٣) والطبعة المصورة عن طبعة دار الكتب جـ (٤)

الاغاني : الاصفهاني

الاهواني ، عبد العزيز : الزجل في الاندلس ، القاهرة ١٩٥٧

بالينثيا ، آنخل كونثالث : تاريخ الفكر الاندلسي . نقله عن الاسبانية حسين مؤنس القاهرة ١٩٥٥

ابن بسّام : الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ، القسم الاول ، المجلد الثاني ، نشر كلية الآداب بجامعة القاهرة .

بطرس البستاني : ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث ، الطبعة السادسة ، بيروت ١٩٦٨ و ط . بيروت ١٩٣٧

الثعالبي : يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥٦

جذوة المقتبس = الحميدي

الحميدي : جذوة المقتبس في ذكر ولاة الاندلس ، تحقيق محمد بن تاويت الطنجي ، القاهرة ١٣٧١ هـ

ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، مطبعة مصطفى محمد ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ابن رشيق : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،

القاهرة ١٩٥٥

ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب جـ (١) تحقيق : د . شوقي ضيف القاهرة ١٩٥٣

— : المقتطف من ازاهر الطرف . نص نشره د . عبد العزيز الاهواني مع دراسة بعنوان : ابن خلدون وتاريخ فني التوشيح والزجل ، وصدر ضمن منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية : اعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة من ٢—٦ يناير ١٩٦٢

ابن سناء الملك : دار الطراز في عمل الموشحات . تحقيق د . جودت الركابي دمشق ١٩٤٩

ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات جـ (١) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة السعادة بمصر ١٩٥١

شوقي ضيف : العصر العباسي الاول

الضبي : بغية الملتمس في تاريخ رجال اهل الاندلس ، مدريد ١٨٨٤ م

العربية = يوهان فك

فؤاد رجائي : الموشحات الاندلسية .

مصطفى عوض الكريم : فن التوشيح ، بيروت ١٩٥٩

المقرى : ازهار الرياض في اخبار عياض جـ (٢) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٠ م

هدّارة ، محمد مصطفى : اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري ، القاهرة ١٩٦٣

يوهان فك : العربية ، دراســـات في اللغة واللهجات والاساليب ، نقله الى العربية د . عبد الحليم النجار ، القاهرة ١٩٥١

Menendez pelayo, Antologia de poetas liricos Castellanos. Obras Completas de M. P., Santander, MCMLIV, t. I.

R. M. pidal, poesia arabe y poesia europea, coleccion Austral, No. 190, cuarta edicion.

J. Ribera, Disertaciones y opusculos, Medrid, 1928, I.

اللبونيات في كتاب حياة الحيوان الكبرى للدميري [1]

الدكتور جليل ابو الحب

الشيخ كمال الدين ابو البقاء محمد بن موسى الدميري فقيه في اختصاصه غير انه موسوعي في معلوماته ومعرفته . ولد عام ٧٤٢ ﻫ وتوفى عام ٨٠٨ ﻫ وقد دفن في القاهرة [٢]

لقد ترك لنا الدميري من جملة ما ترك كتاباً ظريفاً وعلمياً [٢] اسمه « حياة الحيوان الكبرى » [٣] وهو يبحث في كثير من الحيوانات وقد رتبها حسب الحروف الابجدية . ولقدسطر لنا في كتابه هذا مادة علمية غزيره عن الحيوانات التي بحث ودرس عنها . لقد شمل كتابه تقريباً جميع المجاميع من الحيوانات المالوفة التي نعرفها اليوم ما عدا المجهرية والغريبة جداً منها والتي لم يكشف العلم عنها الا بعد ثلاثة قرون منذ تأليف الدميري كتابه . ان الدميرى انتهى من كتابه سنة ٧٧٣ ﻫ والنهضة العلمية الحديثة لم تبدأ الا منذ ثلاثة قرون . فقد بحث الدميري في الحيوانات المفصلية الارجل والاسماك والبرمائيات والزواحف والطيور والثدييات . ان ظرافة الكتاب تأتت من ان المؤلف لم يلتزم ويكتف

---

(١) الحيوانية الثديية (الثدييات) هي الحيوانات اللبونة ولكن الكتب العربية الحديثة في علم الحيوان تسميها الثدييات . بيولوجية الحيوان تأليف جروف ونوبل وترجمة محمود رمضان واحمد حماد الحسيني .

(٢) المختار من حياة الحيوان الكبرى للدميري . تأليف محمد الحاذق .

(٣) لقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات باوقات مختلفة . وقد اعتمد الكاتب في دراسته على طبعة متوفرة في مكتبة كلية الطب البيطري التزمها وقام بنشرها عبدالحميد احمد حنفي وعلى الهامش كتاب عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات للقزويني . الطبعة بدون تاريخ .

بكتابه بالمعلومات العامة عن الحيوانات فقط بل نراه يخوض في كل مجالات المعرفة المطروقة في زمانه . فهو يبحث في الادب والدين والفقه واللغة والتاريخ والحديث والاحلام والفلسفة والطب والتغذية وما الى ذلك من العلوم . فهو بذلك لم يختلف عن معاصريه او من سبقه من البحاثة والفلاسفة الموسوعيين . وبالاضافة الى المعلومات الصحيحة عن الحيوانات في كتاب الدميري فان هناك ايضاً كثيراً من المعلومات الخرافية والاساطير المغلوطة غير العلمية. كما ان الدميري لم ينسى ان يذكر جميع المصادر التي استوفى منها معلوماته وان كان بدائيـاً بذلك الا انه اعطى لكل صاحب حق حقه من العلوم وناقش بعض الحقائق التي نقلها عنهم والتي لم يعتقد او لم يتفق معهم بها .

وفي البحث الذي اقدمه الآن سوف ندرس كتاب الدميري وعلاقتـه بالثدييات (الحيوانات اللبونة) . والثدييات كما نعرفها اليوم تشمل ارقى مجوعـة من الحيوانات في المملكة الحيوانية من حيث التطور العضوي . تتصف كل هذه الحيوانات بان لها اجساما مغطاه بالشعر او الفرو وتتمكن من المحافظة على درجة حرارة ثابتـة لجسمها بصورة عامة بالرغم من تغييرات درجات حرارة الجو (وقد كانت تسمى سابقـاً بذوات الدم الحار) . ويدل الاسم العلمي المعطى للمجموعه (الثدييات) على ان اناثها تملك غدداً لبنية لرضاعـة اطفالها . وهذه اهم صفة لهذه الحيوانات . يعتني الكبار بصغارها وان كانت هذه العناية تتفاوت وبدرجات مختلفة . والانسان ارقى هذه الحيوانات وا كثرها اعتناءاً باطفـاله . تعيش الثدييات في بيئات مختلفة من المنطقـة المتجمدة الى المنطقة الاستوائيـة ومن البحر الى الغابات الى الصحراء . هناك انواع كثيرة من الثدييات تـكون عادة ليلية المعيشة ولا يمكن رؤيتها في النهار [١] .

فيما يلي نرافق كتاب حياة الحيوان الكبرى لنتميز ما جاء به من الغث او السمين عن الثدييات بمثل الطريقة التي بحثنا فيها الحيوانات المفصلية الارجل [٢] . لم يذكر الدميري

---

(١) General Zoology , Storer andUsinger

(٢) مجلة الاقلام ٤ (٤) : ٩٣ – ١٠٧ . ١٩٦٧

الا القليل والمقتضب جداً عن بعض الحيوانات من ناحية وان ما يذكره عن الحيوان لا يساعدنا على معرفة الحيوان الذي هو موضوع البحث فاننا سوف ندرس الحيوانات التي اطال عنها الدميري البحث والمعروفة جيداً . وفي الجدول التالي قائمة بهذه الحيوانات الثديية وعـدد المرات التى اعاد وكرر فيها الدميري دراستها والاسمـاء المختلفه التي جاءت للحيوان نفسه .

« جدول باسماء حيوانات مألوفة ذكرها الدميري وعدد تكرارها في كتابه والاسماء المختلفة لها »

الحيوان	عدد مرات تكرار اسم الحيوان	الاسماء المختلفة المذكورة للحيوان الواحد
الاسد	١٧ مرة	الاسد ، البير ، حفص ، حيـدرة ، شبل ، السبـع ، العرس، العطاط ، العميثل، العنبس الفضوف، العرافصة ، الفرهود ، ابوفراس ، القسورة، اللبوءة ، الليث، الورد ، الجأب ، العمهم ، الحوماس .
الانسان	٤ مرات	الانسان ، الانس ، الناس ، البشر .
ابن اوى	٤ مرات	ابن اوى ، شرطراح ، العلوش ، الوعوع .
البعير والناقة	٤٤ مرة	الأبل ، الافال ، الاردق ، البازل ، البحث ، البدن ، البكر ، الشارف ، الشريص،الشول، العتلة ، العتدبج ، العجمجة ، القمخة ،العساهيل، العقال ، العنس ، العندل ، العير ، الحيس ، اليعهل ، الفرشر ، فصيل ، العنبق ، العقود الغلاص ، الـكنعبه ، اللقحة ، الناب ، الناقة النضو ، الهيـع ، الهمل ، الدوس، الذعلب .

الحيوان	عدد مرات تكرار اسم الحيوان	الاسماء المختلفة المذكورة للحيوان الواحد
البغلة	٢ مرتان	البغلة ، عدس .
الجاموس	٣ مرات	الجاموس ، الاقهبان ، الكهف .
الماشية	١٥ مرة	البقرة ، البرغن ، البقر الاهلي ، البهمة ، التبيع ، الثور ، الحسيل ، الحبرمة ، الشبب العجل ، العريض ، الفرقد ، الفناة ، قرهب ، الوراء .
البقر الوحشي	١١ مرة	اليحمور ، الرغن ، الثيتل ، الهيثة ، الجوذور الحوشي ، الذرع ، الفضيص ، الخشف ، لأى ، اليعفور .
الثعلب	١٣ مرة	التقتل ، الثرملة ، فعالة ، الحبنر ، الخنقة ، دؤالة ، السمسم ، الصيدن ، الفضمجة ، العقف الكنع ، الهيكل ، الهجرس .
الخنزير البرى	٢ مرتان	الخنوص ، الرتوت .
الخيل	٩ مرات	الجبهة ، الجواد ، الحجر ، قيد الاوابد ، النكل ، الكميت ، الحصان ، المهر ، الفرس .
الدب	٣ مرات	جهير ، الديسم ، قلحس .
القنفذ	٦ مرات	الأنقد ، الدارم ، الدرص ، الدلدل ، الشيهم ، العساعس .
الحوت	١٠ مرات	الانكليس ، النخس ، الدلفن ، حوت الحيض الخنزير البحري ، زامور ، العلامات ، النون البهار ، الطرسوج .

الحيوان	عدد مرات تكرار اسم الحيوان	الاسماء المختلفة المذكورة للحيوان الواحد
الذئب	٢١ مرة	الاطلس، الالق، الأوس ، النجاف ، الخاملف الحيثمور ، ذؤالة ، السرحان ، السلق ، السنة السيد ، الطمل ، العاسل ، العساس ، العملس الغطلى، القاغب ، اللعوس ، الهقلس ، الهملس السخلة ، الشيذمان ، العلوش ، النهل .
الحمار الاهلي	١٠ مرات	البردون، الاتان، التولب، الدويل، السرمكة ابو زياد ، السمحج، العفر ، الكودن ، النحوص .
الحمار الوحشي	٦ مرات	العلج ، الغرا ، الجأب ، الحجر ، الدبوب ، النوص .
الخروف والنعجة	١٩ مرة	البنوج ، الثل ، الجذع ، الجعدة ، حبلق ، الحذف ، الحمل ، الحلان ، الربى ، الطوبالة ، العبور ، العريض ، العمروس ، الغرير ، العزار ، النفذ ، الثاغة ، الشقحطب .
الجرذ والفأر	٩ مرات	الركن ، زبابة برية ، العضل ، فارة البيش ، ذات النطاق ، فارة المسك ، فارة الابل ، فارة مارب ، الفرقد .
القرد	٢ مرتان	القرد ، الرباح .
المعز	٨ مرات	التيس ، الجدي ، الجفرة ، السخلة ، العتور العلهب ، العناق ، الطلى .
الكلب	٤ مرات	اللعوة ، الهجرع ، السلوقي ، الوازع .

الحيوان	عدد مرات تكرار اسم الحيوان	الاسماء المختلفة المذكورة للحيوان الواحد
الارنب	٤ مرات	الحرش ، الخرنق ، الخزر ، الدرص .
اليربوع	٣ مرات	اليربوع ، الادرع ، ذو رميح .
الضبع	١١ مرة	جعار ، جيال ، ام خنور ، الذيخ ، السمع ، العيلام ، الغنافر ، الفرغل ، النعثل ، الهبر .
جمل ذو سنامين	٣ مرات	اليهانج ، الفالج ، القرمل .
ابن عرس	٣ مرات	ابن عرس ، السرعوب ، الـكلكسة .
الظباء	١٩ مرة	الايل، الثالب ، القبقل، الجداية ، امحمارش الرشأ ، الريم ، الشادن ، شاد هوار ، الغادر الشعر ، الظبي ، ام عزة ، القرمود ، القنعاب الهمع ، البامود ، السانح ، العزة ، الوعل ، الغزال .
الخفاش	٣ مرات	الخفاش ، السحا ، الطمرمات .

دراسة تفصيلية للحيوانات :

الاسد : ليس هناك إلا القليل من المعلومات الصحيحة والعلمية عن الاسد فبالرغم من ان الدميري اطنب في هذا الموضوع الى حد اربع عشرة صفحة ونصف الصفحة فان جل حديثه عن امور ادبية واخبار تاريخية او عن الشعر والحديث . فالدميري يذكر « ان هناك انواعاً كثيرة من الاسود » . فلو سلمنا بوجود بعض الاضراب المختلفة من الاسود فاننا اليوم لا نعرف الا نوعاً واحداً . ان اقرب ما يمكننا ان نحمل عليه قول الدميري حول تعدد الانواع هو وجود النويعات (Subspecies) . والدميري يذهب الى ابعد من ذلك مما يدخله فيورطة الخرافات والاساطير . فهو يذكر أن بعض الانواع من الاسود

لها وجوه كوجوه الانسان وذنب كذنب العقرب وقرون سوداء . والدميري يذكر « ان الاسد اذا أكل نهش من غير مضغ وريقه قليل جداً » . واليوم نحن نعرف ان الحيوانات الضارية (Carnivora) حتى البحرية منها تتغذى على البروتين ولا تحتاج الى الكثير من الريق ـ اللعاب ـ لان اللعاب يحوي انزيم التايلين Ptaylin الذي يساعد على هضم المواد النشوية التي تكون قليلة في اللحوم لذلك فقلة اللعاب لا يؤثر كثيراً على سير هضم غذاء الضواري [1] . ويقول الدميري « ان انثى الاسد ـ اللبوة ـ لا تضع الا جرواً واحداً وتضعه لحمة ليس فيها حس ولا حركة » . ان الجزء الاول من هذه الجملة غير صحيح لان اللبوة مثل القطة تضع عدة اجراء قد تصل الى الستة وان كانت الثدييات الكبيرة تضع عادة جرواً واحداً بالسنة اما الجزء الثاني من الجملة نفسها فانه صحيح الى حد كبير . فاننا نعرف ان الضواري تضع اطفالها وتكون هذه الصغار عارية وعمياء وضعيفة وتحتاج الى الكثير من العناية في المحافظة والاطعام [2] .

الأبل : يذكر الدميري عدة اسماء للابل حسب اعمارها والاعمال التي تقوم بها وسرعة سيرها وقد يعطيها اسماءاً بالنسبة لشخص وهذا مستعمل الان ايضاً في التسمية العلمية كأن يسمى النوع او الضرب على اساس صفة معينة مميزة او على اسم شخص [3] . ويتكلم الدميري عن دورة الشبق في الاناث وعن السفاد ووقت السفاد . ويقول الدميري إن الابل بدون مرارة (كيس الصفراء) وهذا صحيح حيث ان اغلب الظلفيات بدون مرارة [4] . ويدل هذا على ان الدميري قد بحث في تشريح هذه الحيوانات واطلع على بعض تفاصيل

---

(١) Storer and Usinger; General Zool., P. 77

(٢) ibid; P. 953

(٣) Mayer, Linsley, & Usinger; Methods and Principles of Syst. Zool., P. 254

(٤) حديث شخصي مع الدكتور اياد عبد الوهاب نادر ـ قسم علوم الحياة ـ كلية التربية في جامعة بغداد .

تركيب جسمها . ولعل الدافع الذي حدا بالدميري الى التمعن والتدقيق في هذا المجال يرجع الى الاعتقاد السائد بين العرب من ان هناك علاقة بين الصبر والمرارة .

الارنب : يصف الدميري قوائم الارنب وصفاً علمياً صحيحاً . فهو يقول « ان الارنب قصير اليدين وطويل الرجلين يطأ الثرى على مؤخرة قوائمه » اي المخالب وذكر الدميري « ان عضو الذكر في الارنب يتكون من شطرين شطر من العظم وشطر من العصب (Ligament) » وهذا أمر غير صحيح وليس من السهل معرفة المصدر الذي اتى الدميري منه بهذا الرأي . ويقول الدميري « ان انثى الارنب تكون عاماً ذكراً وعاماً انثى » وهذا امر خرافي واغرب من سابقه . مع العلم ان الدميري ذو منهج علمي ولا يأخذ كل شيء بدون تحقيق واعتراض ومثال ذلك قوله « إن الارنب اذا رأى البحر مات ولذا لا يوجد في السواحل وهذا لا يصح عندي » وفي معرض حديثه عن الارنب يذكر حالة البنت التي طلع لها عضو ذكر والبنت التي نبتت لها لحية عند ما وصل سنها الخامسة عشرة وصار لها فرج رجل وفرج امرأة . ان هذه المعلومات ليست خرافية وهي تحدث ويوجد حالات منها موصوفة طبياً واخرى كثيرة اجريت لها العمليات اللازمة لتغيير الجنس واضافة الهرمونات الجنسية وما الى ذلك [1] . ويقول الدميري « ان الارنب يجتر غذائه ويبعر » الى حد ما هذا القول صحيح الا ان الاجترار ليس حقيقياً كالاجترار الذي نعهده في الماشية والابل ، الضان فالارنب يتغوط بشكل بعرات في حجره ثم يعود الى البعرات ويأكلها ثانية وبذلك يتم عملية هضم ما تبقى فيها من مواد غذائية وتسمى هذه العملية بالاجترار الكاذب [2] . ويقول الدميري « ان في باطن اشداق الارنب شعراً » وهذا صحيح لان الشفة السفلى في الارنب تنقلب وتلتحم بالفك الاسفل على الجانبين في موضع الانياب المفقودة في الارنب . ونتيجة لذلك يظهر قسم من الفك الاسفل وهو

---

(١) Yapp; An introduction to animal physiol., P. 365

(٢) Hentschell and Cook; Biol. for medical students; P. 470.

بشعر . ويقول الدميري ان اناث الارنب تحيض وهـذا غير صحيح وان الحيوانات التي تحيض اناثها هي الانسان وبعض القرود العليا فقط (١) . اما الثدييات الاخرى فان لاناثها دورة شبق معينة تمر بها الاناث في اوقات خاصة من السنة وعلى الاكثر في الربيع . ان اناث الارنب بدون دورة شبق وتنتج البيوض كلما جامعها الذكر (٢) .

الانسان : ان من النقاط العلمية التي قالها الدميري عند ما يتكلم عن الانسان هو اعتبار الانسان نوعاً مثل الانواع الاخرى التي تعيش على هذه الارض . كما انه يعتبر جميع ضروب البشر نوعاً واحـــداً اي الضرب الزنجي والقوقاسي والاصفر كلها تعود لنوع واحد . ويذكر الدميري بالاضافة الى ذلك الصفات الجسمانية المميزة لهذا النوع من الحيوانات وهي الصفات المستعملة في العلم الحديث لتفريق الانسان عن غيره . فهو يذكر مثلا اعتدال القامة واليد والاصابع التي يقبض بها وان الانســان هو الحيوان الوحيد الذي يستعمل الابهام مقابل الاصابع الاخرى .

الايل : يتكلم الدميري عن هذا الحيوان على انه من مجموعة البقر الوحشي التي تضم المها واليحمور وغيرهامن الحيوانات . يذكر ان عدد سني عمر الايل عدد العقد التي في قرنه . وهذا معروف وصحيح في بعض انواع الغزلان التي ينبت لها فرع اضافي في قرنها كل عام ولذلك يعرف العلماء عمرها من عدد فروع القرن في رأسها . ويقول الدميري عن الايل « وربما اسعته الحية فتسيل دموعـه الى نقرتين تحت محاجر عينيه يدخل الاصبع فيها فتجمد تلك الدموع وتصير كالشمع فيتخذ درياقا لسم الحيات » ان هذه الطريقة التي يصفها الدميري للحصول على مضادات السموم للحيات قد تكون غريبة وغر صحيحة الا انها من الاشارات القديمة للحصول على الاجسام المضادة للسموم Antibodies والتي يولدها الجسم كنتيجة للسعة الحية والعقرب وحتى بعض المناكب المشهورة بسميتها لـكي

Young; The life of mammals pp. 677-680. (١)

Storer and Usinger; General Zool., P. 650 (٢)

تعادل مفعول السم من هذه الحيوانات . ان العلم الحديث توصل الى الحصول على الاجسام المضادة واستعمالها عملياً في التداوي ضد اللدغ .

البال : البال هو نوع من الحيتان التي يذكر منها الدميري عشرة انواع . والذي يهمنا منها هنا هو قول الدميري « اذا بغت البال بعث الله سمكة نحو ذراع تلصق باذنها فلا خلاص للبال منها » ونحن نعرف الان انهناك بعض انواع الاسماك مثل قمل الكوسج او قمل الدرفيل واللبري تلتصق على ظهر الاسماك الكبيرة بالقرب من الخياشيم او على ظهر الحيتان وتتطفل عليها [١] .

البغل : يقول الدميري « انه مركب من الفرس والحمار عقيم لا يولد له » ان البغل هو المثل الكلاسيكي المستعمل كحيوان توضيحي لنتيجة زواج ذكر وانثى من نوعين مختلفين . واذا حدث ذلك فان السلالة الناتجة (البغل في هذه الحالة) تكون عقيمة في الجيل الاول واكثر ما تصل اليه هو جيل ثاني كما هو معروف في بعض الحشرات او مفصلية الارجل من الحيوانات [٢] .

البقر الوحشي : وكلها من الحيوانات الظلفية القريبة من الغزال يقول الدميري « هذا النوع اربعة اصناف كلها تشرب الماء في الصيف ان وجدته واذا اعدمته صبرت عنه وقنعت باستنشاقه من الريح » الذي نعرفه ان البقر الوحشي والغزلان بانواعها من الحيوانات المجترة والاجترار بحد ذاته هي عملية للمحافظة على النوع [٣] كأن يأخذ الحيوان غذاءه وماءه بسرعة من محل ما ثم يلجأ الى مخبأ امين ويعيد هضم الغذاء بصورة جيدة بعملية الاجترار . ان الماشية والضان والايل ايضاً لها هذه الصفة ولكن عملية الاجترار فقدت اهميتها الاولى بالنسبة لهذه الحيوانات لان الانسان الآن يقوم بالمحافظة

---

(١) Hegner Stiles; College Zool., P. 374

(٢) Ross; A textbook of entomology

(٣) Tayler and Weber; General Biology

على هذه الحيوانات وتربيتها . والغزلان هي الحيوانات المجترة الوحيــدة التي لا تزال تستفيد من هذه الظاهرة لانها تعيش في الصحارى ولم يشرف الانسان على تربيتها بعد . كما ان كثيراً من الحيوانات الصحراوية يكتفي بالقليل من الماء الذي يحصل عليه من الغذاء او من الرطوبة البسيطة الموجودة في الكهوف والتربة والهواء .

الثعلب : يقول الدميري « انفروه افضل الفراء » . ولحتى الآن نجد ان هذا صحيح[1] وان النساء يستعملن فراء الثعلب ويحملنه على اكتافهن .

الجرذ : يفرق الدميري بين الجرذ والفأر فهو « الجرذ (Rattus) ضرب من الفأر (Mus) اعظم من اليربوع .

الجرو : يذكر الدميري ان الجرو هو صغير الكلب ولكن الذي يهمنا في هــذا الموضوع هو ان الدميري يذكر لنا قصة تدل على معرفته باســتعمال الكلاب في تقصي الآثار والتي نستعملها نحن اليوم كثيراً في التحقيقات الجنائية فهو ينسب في قصته الى ان ان نبياً من بني اسرائيل استعمل جرواً كان يلعب به طفلان فقدا لتقصي اثارهما بعد أن افتقدهما ابوهما وذلك بان اطلق الجرو وتعقبه .

الحصان : من جملة الكثير الذي يذكره الدميري عن الحصان هو ان حصان فرعون شم رائحــة فرس وديق (اي في الشبق) مما يعني ان الدميري ربط بين افرازات انثى الحيوانات وتعرف الذكر عليها . فاننا نعرف ان انثى الحيوانات تفرز بعض المواد ذات الرائحة اثناء دورة شبقها لتجذب الذكور اليها . كما ان الدميري يذكر ان الخيل كانت وحشية كسائر الوحوش ثم اهلها الانسان . وان هذا صحيح وان دراسة تطور الخيول العضوي تدل على ذلك [3] . كما اننا نعرف عن حدوث حالة في عصرنا الحديث عن توحش

Marsland and Plunkett; Principles of Modern Biology, P. 664 (١)

Hentschell and Cook; Biol. for Med Students; P. 470 (٢)

Grove & Newell; Animal Biology; P. 675 (٣)

الخيول واعادة تأهيلها وهو ان الكثير من الخيول التي افلتت من الانسان في امريكا في السنين الاولى من استيطانها واستعمارها توحشت وبعد ذلك راح المستعمرون بعد مئات السنين يصطادونها ويؤهلونها .

الخفاش : يقول الدميري « ليس هو من الطير في شيء فانه ذو اذنين واسنان وخصيتين ومنقار وهو يحيض ويطير ويضحك كما يضحك الانسان ويبول كما تبول ذوات الاربع ويرضع ولده ولا ريش له » ... « لان له ثدياً واذاناً واسناناً ويحيض كما تحيض المرأة » ... « وتلد انثاه ما بين ثلاثة افراخ الى سبعة وكثيراً ما يسفد وهو طائر في الهواء وليس في الحيوانات ما يحمل ولده غيره والقرد والانسان ويحمله تحت جناحه وربما قبض عليه بفمه وذلك من حنوه واشفاقه عليه وربما ارضعت الانثى ولدها وهي طائرة » . ان المرأ يقرأ هـــذه المعلومات في كتاب الدميري وكأنه يقرأها في كتاب حديث في علم الحيوان [1] . فكل هذه المعلومات صحيحة ومطابقة للعلم الحديث الا ما يخص الحيض فيها لانه ليس هناك من الحيوانات ما يحيض الا انثى الانسان واناث بعض القرود العليا المتقدمة في سلم التطور العضوي . فالخفاش حيوان لبون ومن الثدييات وليس من الطيور والخفافيش هي الحيوانات الوحيـــدة التي تطير بين الثدييات . والتركيب الجسماني في الخفاش يشبه ويجانس الى حـــد كبير التركيب الجسماني في الثدييات الاخرى من حيث الاطراف الاربعة واجزاء الفم واجهزة التناسل والغدد اللبنية والشعر الذي يغطي الجسم .

الخلد : يقول الدميري ان الخلد « لا سمع لها ولا بصر تتغذى على الحشرات حاد الشم وانه يشبه الفأر ويعيش في الجحور بعد حفرها بالرمال » وهذه معلومات صحيحة وعلمية عن هذه المجموعة من الثدييات اكلة الحشرات (Insectivora) ما عدا الصفة الاولى [2] ولعل الدميري اعتقد بعدم قابلية هذه الحيوانات على السماع استناداً الى عـــدم وجود صيوان للاذن فيها .

---

(١) Taylor and Weber ; General Biology; 617-up.

(٢) Storer and Usinger, Gereral Zool.

القنفذ : يقول عن القنافذ انها تتردد بالليل ولا تظهر الا بالليل اي انها ليلية النشاط (Nocturnal) له خمسة اسنان في فيه وهذا خطأ اذ أن اسنان اللبائن اكثر من هـذا العدد [1] ولكنه قد يشير الى الاسنان القارضة ويقول « وجميع اصناف القنافذ بيضها اصفر جداً ولا يؤكل » وهذا خطأ لان القنفذ يلد ولا يبيض .

القنفذ البحري : يصف الدميري هنا حيواناً غير معروف الآن والشيء الوحيد الذي يتطرق له الدميري وينطبق على قنفذ البحر الذي نعرفه الان (وهو من الحيوانات الشوكية الجلد) هو قوله « وريشه ليس يشبه الشعر » وشوكات قنفذ البحر تشبه الشعر نوعا ما .

الكركند : يصف الدميري هذا الحيوان بصفات تكاد ان تؤكد انه الكركدن . فهو من الهند والصين . وله قرن وسط رأسه ويمكن من مناطحة الفيل ولكنه ايضاً يعطيه اوصافاً اخرى تنطبق على الكنغر الاسترالي . فهو يقول « يبقى ولد الكركند في بطن امه اربع سنين واذا تم له سنة يخرج رأسه من بطن أمه فيرعى الشجر فما يصل اليه » والى حد ما هـذا وصف بسيط للكنغر . ثم يصرح الدميري فيقول « وسماه الجاحظ الكركدن » . مثلاً يقول انه « اذا نشر قرنه طولاً تخرج منه الصور المختلفة بياض في سواد كالطاووس والغزال وانواع الطير والشجر وصور بني آدم وغير ذلك من عجائب النقوش » كل هذه غير علمية وغير معقولة . وهو يقول « ان الانثى من هذا النوع تحمل كانثى الفيل ثلاث سنين او سبع سنين » وهـذا غير صحيح لان انثى الفيل يدوم حملها ٢٤ شهراً فقط [2] اما الكركدن فلا تزيد مدة الحمل في اي نوع منه على ١٨ شهراً [3] ولكنه يذكر ان الكركدن من المجترات وهذا صحيح .

الكلب : يطنب الدميري بالكلام عن الكلب وقد جاء بأشياء لا حاجة من ذكرها

(١) Grove and Newell; Animal Biology

(٢) Storer & Usinger; General Zoolegy P. 653

(٣) حديث شخصي مع الدكتور اياد عبد الوهاب نادر — قسم علوم الحياة — بكلية التربية في جامعة بغـداد .

مثل وفاء الكلب واقتفاء الأثر وشم الرائحة ونوع الغذاء وعدائه للحيوانات الاخرى . ولكنه جاء بمعلومات علمية ولكنها مغلوطة مثل قوله « وفي طبعه الاحتلام وتحيض اناثه وتحمل الانثى ستين يوماً ومنها ما يقل عن ذلك وتضع جراءها عمياً فلا تفتح عيونها الا بعد اثنى عشر يوماً والذكور تهيج قبل الاناث وهي تنزو اذا كمل لها سنة وربما تسفد قبل ذلك » وكل هذه امور علمية قد تكون مغلوطة ولكن ليس هناك اثر للخرافة فيها . ويذكر الدميري حقيقة علمية قد تكون صحيحة ويمكن تفسيرها وفي قوله « واذا تسفد الكلبة كلاباً مختلفة الألوان ادت الى كل كلب شبهه » فلو عرفنا احتمال سقوط البيوض في الانثى فى اوقات مختلفة امكن ان يحدث الاخصاب المتباين هذا لكل ذكر شبهه في الجراء حسب الاخصاب . ويقول الدميري « ويقبل التأديب والتلقين والتعليم » وهذا صحيح وواقعي . ثم يصف الدميري اعراض مرض السعار (داء الكلب) بما يلي « وهو داء يشبه الجنون وعلامة ذلك ان تحمر عيناه وتعلوهما غشاوة وتسترخي اذناه ويندلع لسانه ويكثر لعابه وسيلان انفه ويطأطيء رأسه ويتحدب ظهره ويتعوج صلبه الى جانب ولا يزال يدخل ذنبه بين رجليه ويمشي خائفاً مغموماً سكراناً فلا يأكل ويعطش فلا يشرب ... » وهذا وصف رائع لحالة المرض ألمّ بكل الاعراض ولم يترك منها شيئاً ثم انه يذكر ان داء الكلب هذا ينتقل من الكلب المسعور الى الكلاب الصحيحة والى الانسان والى الذئب وابن آوى وابن عرس والثعلب والحمار والايل وهذا صحيح واشارة واضحة الى الامراض المعدية السارية ولم يتمكن العلم ان يزيد على هذه المعلومات حتى نهاية القرن التاسع عشر عند ما اشتغل باستور على السعار وتمكن من احضار اللقاح له [1] ولم يعرف سبب الداء الا بعد ان عرفت الرشحيات .

الماعز : بعد أن يقدم الدميري الكثير عن اسم الماعز وما جاء فيها من الحديث يذكر بعض الامور التي تستوقف القاريء مثلاً يقول « تفضل على الضأن بغزارة اللبن وثخانة

(١) قصة الميكروب . كيف كشفه رجاله . ص ١٧٤ تأليف بول دي كروف ترجمة احمد زكي ١٩٣٨

الجلد وما نقص من إلية المعز زاد في شحمه ولذلك قالوا الية المعز في بطنه ولما خلق الله تعالى جلد الضأن رقيقاً غزر صوفه ولما خلق جلد الماعز ثخيناً قلل شعره » فهذه كلها حقائق علمية وخالية من الخرافة .

النمر : يقول عنه الدميري « ضرب من السباع فيه شبه من الاسد الا انه اصغر منه وهو منقط الجلد نقطاً سوداء أو بيضاء وهو أخبث من الاسد » وهذا كله قول صحيح ثم يستمر بوصف بعض طباع النمر قائلاً « ذا قهر وقوة وسطوات صادقة ووثبات شديدة وهو اعدى عدو للحيوانات لا تروعه سطوة احد وهو معجب بنفسه » وكل ذلك جميل وصحيح .

اليربوع : يصف الدميري اليربوع وصفاً لائقاً حديثاً فهو يقول « اليربوع حيوان طويل الرجلين قصير اليدين جداً له ذنب كذنب الجرو لا يرفعه صعداً . في طرفه شبه النوارة . لونه كلون الغزال » وهذا كله كلام صحيح ثم يستمر فيقول « وهذا الحيوان يسكن بطن الارض لتقوم رطوبتها له مقام الماء وهو يؤثر النسيم . يتخذ حجره في نشز من الارض ثم يحفر بيته في مهب الرياح الاربع ويتخذ فيه كوي ... وظاهر بيته تراب وباطنه حفر » وهذا وصف جميل وصحيح لقسم من التاريخ الطبيعي لهذا الحيوان ثم يصف الدميري بعضاً من الصفات التركيبية لليربوع فهو ينقل قول القزويني والجاحظ « من نوع الفأر » وثم يقول « وفي طبعه انه يطأ الارض اللينة حتى لايعرف أثر وطئه كما يفعل الارنب وهو يجتر ويبعر وله كرش واسنان واضراس في الفك الاعلى والاسفل » وهذا كله كلام صحيح ولا تشويه شائبة سوى انه لايجتر حيث ان هذه الصفة مقتصرة على مجموعة الظلفيات المجترة .

هذا ما تمكنا من استخراجه من دراسة الثدييات في كتاب حياة الحيوان الكبرى ونعتقد انه لم يبق هناك ما يستوجب الدراسة من هذه الحيوانات في كتاب الدميري مع العلم ان الثدييات حظيت بقسط وافر من الكتاب وقد كانت اكثرها مفهومة ومعروفة الا القليل منها لاسيما تلك التي لم يذكر عنها المؤلف سوى السطر أو أقل من ذلك .

المراجع العربية

١ — قصة الميكروب . كيف اكتشفه رجاله . تأليف بول دي كروف . وترجمة احمد زكي سنه ١٩٣٨ .

٢ — المختار من كتاب حياة الحيوان الكبرى لكمال الدين الدميري . اختيار محمد الحاذق . وزارة الثقافة والارشاد القومي . الجمهورية العربية المتحدة . بدون تاريخ .

٣ — بيولوجية الحيوان . تأليف جروف ونوبل . ترجمة محمود رمضان واحمد حماد الحسيني . المجلس الاعلى للعلوم . سنة ١٩٦٣ .

٤ — علم الحيوان عند المسلمين والعرب . جليل أبو الحب . مجلة الاقلام . الجزء الرابع — السنة الرابعة ١٩٦٧ .

REFERENCES

Marsland, D., and C. R. Plunkett, 1645

Principles of Modern Biology; Henry Holt & Co., New York.

Mayr, A., E. G. Linsley, and R. L. Usinger, 1953

Methods and Principles of Systamic Zoology; Mcgraw - Hill Company Inc., N. y.

Grove, D. J., and G. E. Newell, 1955

Animal Biology; University Tutorial Press Ltd.; Clifton House. London.

Ross, H. H., 1959

Atesxtbook of Entomology; John Wiley & son, Inc.; N. Y.

Hegner, R. W., and Karl A. Stiles, 1959

College Zoology, 7 th Ed., The Mecmillan Co., N. Y.

Hentschel, C. C., and W. R. Ivimey Cook, 1960

Biology for Medical Students; 5 th. Ed., Longmans Green Company Ltd., London.

Yapp, W. B., 1960

An Introduction to Animal Physiology; Oxford University Press; Amen House, London.

Taylor, W. T., and R. J. Weber, 1961

General Biology, D. Van Norstad Company Inc., Princeton, N.

Storer, I. T., and R. L. Usinger, 1965

General Zoology; Mcgraw-Hill Book Co., Internatiodal Students Edition, N. Y.

Young, J. Z. 1966

The Life of Mammals; Oxford University Press, Ely House, London.

أربع رسائل في التصوف

لأبي القاسم القشيري

الدكتور قاسم السامرائي

— ٢ — تتمة

٢ — عن المخطوطات

٢ — كتاب عبارات الصوفية ومعانيها :

رسالة صغيرة في تسع ورقات من الحجم الصغير مسطرتها ١٧ سطراً ومعدل الكلمات في كل سطر ٩ كلمات ، وتقع ضمن مجموعة من رســائل في التصوف تبدأ في ورقـة ٦١ أ وتنتهي في ورقة ٦٨ أ ، حيث تبدأ الرسالة الثانية للقشيري « كتاب منثور الخطاب » . كتب الرسالتين شعبان بن اسماعيل الزرعي بالزاوية الموصلية بجوار قبر الصحابي صهيب الرومي وحسان بن ثابت (رضي الله عنهما) . المخطوط محفوظ في مكتبة توبنكن — بالمانيا تحت رقم Or. Sprenger 850 .

تحتوي الرسالة على ثمان وتسعين كلمة أو اصطلاح صوفي مما يستعمله المتصوفة في كتاباتهم ورسائلهم مع شروحها . وقد اعتمد القشيري كثيراً على كتاب اللمع للسراج الطوسي في كتابة هذه الرسالة وانك لتجـد ذلك واضحاً في الاشارات الى اصل النصوص المثبتة في الهوامش اذ انني اعتمدت كتاب اللمع في تصحيح وتقويم كثير من الشروح التي وردت في الرسالة . وربما اختصر القشيري بعض الشروح أو اضاف الى بعض الآخر شروحاً لم ترد في اللمع .

٣ — كتاب منثور الخطاب في مشهور الأبواب :

ذكر هذه الرسالة اسماعيل البغدادي في هدية العارفين ضمن مؤلفات القشيري . ومع ان ابن خلكان والسبكي والسيوطي ذكروا له بعض مؤلفاته فانهم لم يذكروا هذه الرسالة ضمن ما ذكروا له ، وقد عد السبكي من مؤلفاته ثلاثة عشر مؤلفاً لم تكن هذه الرسالة منها [١] . وعد الدكتور محمد حسن واحداً وثلاثين مؤلفاً ولم تكن هذه الرسالة من ضمنها وهي :

(١٣) مؤلفاً نقلها عن السبكي .

(١) كتاب الاربعين في الحديث الذى رآه في دار الكتب الآصفية ولم يهتد الى اسمه [٢] .

(٢) نقلها عن بروكلمان وهما :

١ — رسالة ترتيب السلوك في طريق الله .

٢ — شكاية أهل السنة بما نالهم عن المحنة .

(١٤) مؤلفاً آخر دله عليها صديق له هي [٣] :

١ — كتاب سيرة المشائخ لعله كتاب آداب الصوفية المفقود .

٢ — كتاب المعراج حققته وسأنشره قريباً .

٣ — استفاصة المرادات ذكره اسماعيل البغدادي .

٤ — بلغة المقاصد في التصوف ذكره اسماعيل البغدادي .

٥ — ناسخ الحديث ومنسوخه » » وحاجي خليفة .

٦ — حياة الارواح والدليل الى طريق الصلاح ذكره اسماعيل البغدادي ومنه نسخة

---

(١) انظر وفيات ٢ ـ ٣٧٥ ؛ طبقات السبكي ٢ ـ ٢٦٤ ؛ طبقات المفسرين : ٢١ ؛ انظر هدية العارفين : ٦٠٧ .

(٢) انظر الرسائل القشيرية نشره المعهد المركزي للابحاث الاسلامية في باكستان ١٩٦٤ صفحة ٢٥ .

(٣) الرسائل القشيرية : ٢٦ .

في الاسكوريال وعندي صورة منها .

٧ — الفصول في الاصول ذكره اسماعيل البغدادي ومحققا الرسالة القشيرية . وقالا : « وهو مخطوط في القاهرة » .

٨ — مجالس أبي علي الحسن الدقاق لم يذكره أحد .

٩ — التوحيد النبوي ذكره محققا الرسالة وقالا : « وهو مخطوط بالقاهرة » .

١٠ — اللمع في الاعتقاد لم يذكره أحد وذكره محققا الرسالة وقالا : ومنه نسخة في القاهرة .

١١ — التيسير في علم التفسير ذكره كل من ترجم للقشيري وقالوا : « وهو من اجود التفاسير » ومنه نسخة ناقصة في لايدن ـ هولندا وبرنستون ـ امريكا . وعندي صورة من نسخة لايدن ، وقد قرأتها بامعان فوجدت ان هذا التفسير لا يمكن ان يكون للقشيري أبي القاسم بل هو لابنه أبي نصر عبد الرحيم ، وسوف افرد لهذه المناقشة مكاناً آخر ان شاء الله تعالى .

١٢ — شرح الاسماء الحسنى : هذا الكتاب هو التحبير في علم التذكير وهو شرح لأسماء الله الحسنى وقد ذكره كل من ترجم للقشيري وعندي صورة من مخطوطة جامع السليمانية بتركيا .

١٣ — فتوى محررة في ذي القعدة سنة ٤٣٦ هـ . هذه الفتوى موجودة بكاملها في طبقات السبكي جزء الثاني صفحة ٢٥٩ .

١٤ — ديوان الشعر ، لم يذكره احد وعندي صورة منه وهو بالتأكيد ليس لأبي القاسم بل لابنه أبي نصر عبدالرحيم ، وسوف أنشره قريباً ان شاء الله تعالى[1]

(١) لقد شك مؤلف فهارس برلين للمخطوطات العربية Ahwardt في نسبة المخطوط للقشيري . ولعله ردد قول حاجي خليفة في نسبته الى حسام الدين حسن بن شرف التبريزي المتوفى سنة ٧٧٢ هـ . كشف الظنون : ٣ ـ ٤٨٣٨ نشر فلوجل . وانظر وصف المخطوط في فهرست المخطوطات العربية في برلين : ٣ ـ ١٢٦ . والمخطوط شرح في برلين ايضاً برقم ٣٠٩٣ .

واضيف :

١ — المقامات الثلاثة نسخة استانبول . لم يذكره احد .عندي صورة منه وسأنشره قريباً .

٢ — القصيدة الصوفية وهي من جملة الرسائل الاربع ذكرها بروكلمان .

٣ — مدارج الاخلاص ذكره حاجي خليفة .

٤ — فصل الخطاب في فضل النطق المستطاب ذكره حاجي خليفة .

٥ — المنتهى في نكت أولي النهى ذكره حاجى خليفة والبغدادي والسبكي .

٦ — نحو القلوب ذكره حاجي خليفة والبغدادي والسبكي ومنه نسخة في دار الكتب المصرية . برقم ١١٦ مجاميع من ورقة ٩٢ ب - ٩٤ ب

٧ — مختصر نوادر الاصول في معرفة اخبار الرسول للترمذي ، قال حاجي خليفة : « وقد قيل ان الأصول ثلثمائة وستين وهو موجود في كتب ورثة الشرف الطوسي بالري ؛ كذا قال القشيري في فهرست هذا الكتاب ، وله مختصر على قدر ثلثه » . وله كتب أخرى معروفة تجد اسماءها واماكن وجودها في كتاب بروكلمان .

لقد اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة « منثور الخطاب » على مخطوطتين :

الاولى : محفوظة في توبنكن بالمانيا ضمن مجموعة رسائل في التصوف ، وتبدأ في الورقة ٦٨ ب وتنتهي في الورقة ٧٢ ب ، كتبها شعبان بن اسماعيل الزرعي الشافعي . وتحمل نفس رقم الرسالة السابقة « عبارات الصوفية ... » . وقد رمزت لها بالحرف : ت وتقع في خمس ورقات .

الثانية : محفوظة في مكتبة آيا صوفيا بتركيا وتحمل رقم Ayasofya 4128 وهي أيضاً ضمن مجموعة رسائل في التصوف . تبدأ في الورقة ١٤٣ ب وتنتهي في الورقة ١٤٨ ب وتقع في سبع ورقات ، وقد رمزت لها بالحرف أ .

صفحة (أ) من مخطوط اكسفورد

صفحة (ب) من مخطوط اكسفورد

٣ — القصيدة الصوفية :

وتقع في ورقتين ، ذكر بروكلمان ارقام نسختين موجودتين منها :

الاولى : محفوظة في مكتبة بودليان في اكسفورد - انكلترا تحت رقم : Digby Or . 4 وهي ضمن مجموعة من رسائل مختلفة المواضيع ؛ تبدأ في الورقة ٢٤١ أ وتنتهي في الورقة ٢٤١ ب وهي التي اعتمدتها في هذا التحقيق .

الثانية : محفوظة في المكتبة العامة في لينكراد - روسيا ؛ ورغم كل الجهود الشخصية وجهود وزارة التربيــة والمجمع العلمي العراقي فلم استطع الحصول عليها . وذكر محققا الرسالة القشيرية ان منها نسخة بالقاهرة بيد انهما لم يذكرا مكان وجودها واكتفيا بقولهما مخطوط بالقاهرة (مقدمة الناشرين صفحة ١٦) .

وهنـاك نسختان من القصيدة محفوظتان في برلين تحت رقم 2300 Mo. 35 ، 5 - 7619 لم استطع الحصول عليهما .

عدد ابيات القصيدة تسع وثلاثون بيتاً ، لخص الامام القشيري فيها عقيدة الاشـاعرة لـكي يثبت ان عقائد المتصوفة في اصولها لا تخرج عن هـذه التعاليم ، ولـكي يرد على من اتهم المتصوفة بالزندقة والخروج على اصول الشريعة . ذكر ابن عساكر مطلعها في تبين كذب المفتري وسماها « العقيدة المنظومة في الاعتقاد لأبي القاسم القشيري التي مفتتحها :

بحمد الله افتتح المقالا وقد جلت أياديه تعالى

في معرض حــديثه عن الشيخ أبي عبـد الله الفراوي النيسابوري المتوفى سنة ٥٣٠ هـ وانه أنشدها للنبي عليه الصلاة والسلام في النوم [١] .

وقد لخص الامام الجويني المتوفى سنة ٤٧٨ هـ عقيدة الامام الاشعري - رحمه الله تعالى - فقال: « نظر في كتب المعتزلة والجهمية والرافضة وانهم عطلوا وابطلوا ، فقالوا : لا علم لله ولا قدرة ولا سمع ولا بصـــر ولا حياة ولا بقاء ولا ارادة . وقالت : الحشوية والمجسمة والمكيفة المحددة : ان لله علمــاً كالعلوم وقدرة كالقدر وسمعاً كالاسماع وبصراً كالابصار فسلك - رضي الله عنه - طريقـة بينهما فقال : ان لله - سبحانه وتعالى - علماً لا كالعلوم وقدرة لا كالقدر وسمعاً لا كالاسماع وبصراً لا كالابصار ، وكذلك قال جهم بن صفوان :

(١) تبين كذب المفتري فيما نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري : ٢٢٢

العبد لايقدر على احداث شيء ولا على كسب شيء . وقالت المعتزلة : هو قادر على الاحداث والكسب معاً . فسلك ـ رضي الله عنه ـ طريقة بينهما فقال : العبد لايقدر على الاحداث ويقدر على الكسب ونفى قدرة الاحداث واثبت قدرة الكسب . وكذلك قالت الحشوية المشبهة : ان الله ـ سبحانه وتعالى ـ يُرى ـ في الآخرة ـ مكيفاً محدوداً كسائر المرئيات . وقالت المعتزلة والجهمية والنجارية : انه سبحانه لا يُرى بحال من الاحوال . فسلك ـ رضي الله عنه ـ طريقة بينهما فقال : يُرى من غير حلول ولا حدود ولا تكييف كما يرانا هوسبحانه وتعالى وهو غير محدود ولا مكيف فكذلك نراه وهو غير محدود ولامكيف. وكذلك قالت النجارية : ان الباري ـ سبحانه ـ بكل مكان من غير حلول ولا جهة . وقالت الحشوية والمجسمة : انه سبحانه حال في العرش وان العرش مكان له وهو جالس عليه . فسلك طريقة بينهما فقال : كان ولا مكان فخلق العرش والكرسي ولم يحتج الى مكان وهو بعد خلق المكان كما كان قبل ان خلقه .

وقالت المعتزلة : له يد ، يد قدرة ونعمة ووجهه وجه وجود .

وقالت الحشوية : يده يد جارحة ووجهه وجه صورة .

فسلك ـ رضي الله عنه ـ طريقة بينهما فقال : يده يد صفة ووجهه وجه صفة كالسمع والبصر .

وكذلك قالت المعتزلة : النزول نزول بعض آياته وملائكته، والاستواء بمعنى الاستيلاء.

وقالت المشبهة والحشوية : النزول نزول ذاته بحركة وانتقال من مكان الى مكان والاستواء جلوس على العرش وحلول فيه .

فسلك ـ رضى الله عنه ـ طريقة بينهما فقال : النزول صفة من صفاته والاستواء صفة من صفاته وفعل فعله في العرش يسمى الاستواء .

وكذلك قالت المعتزلة : كلام الله مخلوق محدث .

وقالت الحشوية المجسمة : الحروف المقطعة والاجسام التي يكتب عليها ، والالوان التي يكتب بها ، وما بين الدفتين ، كلها قديمة أزلية .

فسلك ـ رضى الله عنه ـ طريقة بينهما فقال : القرآن كلام الله قديم غير مغير ولا مخلوق ولا حادث ، فأما الحروف المقطعة والاجسام والالوان والاصوات والمحدودات وكل ما في العالم من المكيفات مخلوق مخترع .

وكذلك قالت المعتزلة والجهمية والنجارية : الايمان مخلوق على الاطلاق وقالت الحشوية المجسمة : الايمان قديم على الاطلاق .

فسلك ـ رضى الله عنه ـ طريقة بينهما وقال : الايمان ايمانان ، ايمان لله فهو قديم لقوله « المؤمن المهيمن » ؛ وايمان للخلق فهو مخلوق لانه منهم يبدو وهم مثابون على اخلاصه ، معاقبون على شكه .

وكذلك قالت المرجئة : من اخلص لله ـ سبحانه وتعالى ـ مرة في ايمانه لايكفر بارتداد ولا كفر ولا يكتب عليه كبيرة قط .

وقالت المعتزلة : انصاحب الكبيرة مع ايمانه وطاعاته مئة سنة لايخرج من النار قط ، (ان خرج عن الدنيا من غير توبة) .

فسلك ـ رضى الله عنه ـ طريقة بينهما وقال : المؤمن الموحد الفاسق هو في مشيئة الله تعالى ؛ ان شاء عفا عنه وادخله الجنة وان شاء عاقبه بفسقه ثم ادخله الجنة ، فأما عقوبة متصلة مؤبدة فلا يجازى بها كبيرة منفصلة متقطعة » [1] .

وكتب الاشاعرة معروفة متداولة وكلها تدور حول النقاط الآتية [2] :

١ — العالم وحدوثه .

٢ — الله وصفاته .

٣ — ارادة الله وارادة العبد .

---

(١) تبين كذب المفتري ١٤٩ — ١٥٢ .

(٢) أنظر على سبيل المثال : الابانة للاشعري ، لمع الادلة في قواعد اهل السنة والجماعة لامام الحرمين، الجويني ، التمهيد للباقلاني . تبين كذب المفتري لابن عساكر ، اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع للاشعري ؛ اصول الدين ، للبزدوي ، الارشاد للجويني ، البرهان في اصول الفقه للجويني .

٤ — رؤية الله .

٥ — أفعال العباد .

٦ — الرسالة والنبوة .

٧ — واخيراً : الامامة .

وقد لخص الامام القشيري مسألة حدوث العالم وقدم الصانع في البيت السادس والسابع من قصيدته ومعنى البيتين كما ورد عند الجويني « ان اجرام العالم واجسامها لاتخلو من الاعراض الحادثة وما لايخلو عن الحادث حادث » [1] اي ان العالم جواهر واعراض والاعراض حادثة والجوهر باعتباره محلاً للاعراض فهو حادث أيضاً لان القاعدة الكلامية ان ما لايخلو من الحوادث فهو حادث [2] » .. « والحادث جائز الوجود ، إذ يجوز تقدير وجوده بدلاً من عدمه ويجوز تقدير عدمه بدلاً عن وجوده ، فلما اختص بالوجود الممكن بدلاً عن العدم الجائز افتقر الى مخصص ـ وهو الصانع تعالى » ... « فوضح بذلك ان مخصص العالم صانع ، مختار موصوف بالاقتدار والاختيار » [3] .

في البيت الثامن والتاسع اشارة الى الصفات الالهية الثبوتية الكمالية الواجبة لله تعالى وهذه الصفات عند الاشاعرة سبع : الارادة ، العلم ، القدرة ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام . ويرى علماء الكلام من الاشاعرة ان لله صفات ازلية قديمة زائدة على الذات قائمة بها فهو عالم يعلم ، قادر بقدرة حي بحياة ، مريد بارادة . وانه تعالى حي بحياة قديمة مريد

---

(١) لمع الادلة ٧٦ ـ ٨٠ ؛ فوقية حسين محمود ، الجويني امام الحرمين ، الدار المصرية ١٩٦٤ ، صفحة ٦٨ ـ ٧٥ .

(٢) انظر : دراسات في الطرق والعقائد للدكتور عرفان عبد الحميد ، مطبعة الارشاد ١٩٦٧ ، صفحة ١٦٢ . ففيه تفصيل ممتع لدليل الحدوث . وقد أفادني صديقي وزميلي الدكتور عرفان عبد الحميد في شرح كثير من المسائل الكلامية التي وردت في القصيدة فللاخ خالص شكري وامتناني .

(٣) الجويني ، لمع الادلة ٨٠ ـ ٨١ .

على الحقيقة ، عالم بعلم قديم قادر بقدرة قديمة ، سميع ، بصير ، متكلم [1] . اما الفلاسفة المسلمون كابن سينا والفارابي وابن رشد فقد اجمعوا على نفي الصفات الالهية نفياً تاماً [2] لان اثباتها في نظرهم يوجب التعدد ويدخل الكثرة في الذات الالهية في حين قال المعتزلة بعينية الصفات .

وفي البيت العاشر الى الثالث عشر رد على المشبهة والمجسمة من الكرامية والشيعة ومشبهة اهل الحديث [3] . ومما روي عنهم قولهم : « ان الله جسم وانه جثة على صورة الانسان وانه من دم ولحم ، له اعضاء من يد ورجل وراس وساق وجوزوا عليه الانتقال والنزول والصعود والمصافحة وان المسلمين المخلصين يعانقونه في الدنيا والآخرة » [4] تنزه تعالى عن ذلك . وقد روي عن هشام بن الحكم الشيعي انه قال : ان ربه جسم ذاهب جاء ، يتحرك تارة ويسكن اخرى ، وانه سبعة اشبار بشبر نفسه . وانه : مصمت من اسفله مجوف من اعلاه [5] . فالله تعالى ـ عند الاشاعرة ـ ليس جسماً ولا يقبل الاعراض فلا يوصف بـ « كل ما يدل على حدوثه » لذلك يستحيل تحيزه وقبوله للحوادث وافتقاره الى محل يحله .

والمعتزلة ترى انه « ... ليس بذي جهات ولا بذي يمين وشمال وامام وخلف وفوق

---

(١) الملل والنحل : ١ـ٩٥ طبعة الحلبي ١٣٨١ ـ ١٩٦١ . قال الاشعري : الباري تعالى عالم بعلم قادر بقدرة حي بحياة ، مريد بارادة متكلم بكلام ؛ سميع بسمع بصير ببصر وهذه الصفات ازلية قائمة بذاته تعالى لا يقال : هي هو ولا هي غيره ولا : لا هو ولا : لاغيره

(٢) دراسات في الفرق والعقائد ، هامش ٦٨ ، وفي الكتاب مقارنة مفصلة لآراء المعتزلة والفلاسفة والاشاعرة في الصفات .

(٣) الحنفي ، الفرق المفترقه بين اهل الزيغ والزندقة ، تح يشار قوتلو آي ، انقرة ١٩٦١ ص٧٤ـ٨٠

(٤) دراسات في الفرق والعقائد : ١٩٩

(٥) الاشعري ، مقالات ١ـ٢٠٧ ، البغدادي ، الفرق بين الفرق : ٤٨ ، الرازي اعتقادات فرق المسلمين والمشركين : ٦٤ ، ابن الجوزي ، تلبيس ابليس : ٩١ ، المجلسي بحار الانوار ٣ـ٢٩٠ ، دراسات في الفرق والعقائد : ٢١١ : عن الكرامية انظر كتاب مسألة العروج ٥٤ ـ ٥٨ .

وتحت ولا يحيط به مكان ولا يجري عليه زمان ولا تجوز عليه المماسة ولا العزلة ولا الحلول في الاماكن .. » (مقالات: ١ ـ٢١٦) . فنفوا الجهة لان اثبات الجهة يوجب اثبات المكان واثبات المكان يوجب اثبات الجسمية .

في البيت الرابع عشر : اشارة الى الرؤية السعيدة حيث يرى المؤمنون ربهم يوم القيامة بلا كيف ولا حد وهو مذهب اهل السنة جميعاً . قالوا : نقدس الباري عن الجسمية والحدية والصورة . يراه الراءون بالابصار ، وقد انكر المعتزلة ذلك وقالوا : يستحيل ان يرى [1] وذهب الاشعري الى ان رؤية السعداء لربهم يوم القيامة ولكن من غير حلول ولا حدود وقال : « وندين ان الله سبحانه يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر » [2]

في البيت الخامس عشر : اشار الى خلق القرآن وحدوثه . فقد اجمع اهل السنة على ان القرآن ازلي قديم وذهب المعتزلة والنجارية والزيدية والشيعة الامامية والخوارج الى ان كلام الله تعالى حادث [3]. اما الاشعري فيرى : « ان القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في الوقف واللفظ من قال باللفظ او بالوقف فهو مبتدع . لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال . غير مخلوق » [4] فالقرآن في راي الاشعري كلام الله غير مخلوق ولا حادث ، لكن الحروف المقطعة فيه والالوان والاجسام والاحداث هي المخلوقات المخترعات ، على حين ذهبت المعتزلة الى ان القرآن مخلوق محدث خلقه الله تعالى . ورأت الحشوية ان الحروف المقطعة والاجسام التي يكتب عليها والالوان التي يكتب بها وما بين الدفتين غير مخلوق[5]

في البيت السادس عشر الى التاسع عشر : اشار الى ان افعال العباد ، خيرها وشرها مخلوقة لله تعالى ، وليس للعبد الا الكسب . وقد خالف المعتزلة رأى الاشاعرة فقالوا : ان

---

(١) لمع الادلة : ١٠١ ، ضحى الاسلام ٣ـ٢٦

(٢) مقالات الاسلاميين ، نشر محمد محي الدين عبدالحميد ١ـ٣٢١.

(٣) نفس المصدر : ٨٩ (٤) مقالات ١ـ٣٢١

(٥) انظر : للمواقف للايجي ٨ـ١٩٦ . الارشاد للجويني : ١٢٨ . لمع الادلة للجويني : ٨٩ تبين كذب المفترى : ١٥٠ انظر ضحى الاسلام ٣ـ٣٤ ـ ٤٤ . ففيه شرح طويل ونقاش ممتع المسألة .

العبد يخلق الفعل لنفسه بالقدرة الممنوحة له اي بالاستطاعة التي هي فيه . وشرح القشيري عقيدة الاشاعرة في مسألة خلق الافعال فاثبت انما يقدر علية العبد بقدرته الحادثه مقدور لله من قبله ، فالله وحده هو موجد الافعال ؛ فلا خالق سواه ، فهو المريد لما خلق وهو قادر على ما وقع من الحوادث وما لم يقع بعد . وان افعال العباد مخلوقة لله سبحانه ولا يقدر العباد ان يخلقوا منها شيئاً . على ان الانسان ان لم يستطع خلق عمله فهو قادر على كسبه[1]

في البيت العشرين والواحد والعشرين : اشارة الى انه لا يجب على الله تعالى شيء (تقول المعتزلة : يجب على الله ان يثيب المطيع ويعاقب مرتكب الكبيرة)[2] ؛ وما انعم به فهو فضل منه وما عاقب به فهو عدل منه . ويجب على الله ما يوجبه الله تعالى عليه ولا يستفاد بمجرد العقول وجوب شيء بل جميع الاحكام المتعلقة بالتكليف : متلقاة من قضية الشرع وموجب السمع »[3] . فلا علة لثوابه وعقابه وان فعل العبد لا يفرض عليه تعالى ثوابا او عقابا ، فان شاء غفر وان شاء عذب . ان هي الا مشيئته تعالى وارادته . « وما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون »[4] والانسان ليس مخيراً او مسيراً في افعاله بل هو لطف الله ورحمته حين « وفق المؤمنين لطاعته وخذل الكافرين ، ولطف بالمؤمنين ونظر لهم واصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا اصلحهم ولا هداهم ولو اصلحهم لكانوا صالحين ولو هداهم لكانوا مهتدين »[5]. فالاشعري هنا اتخذ طريقاً وسطاً بين الجبرية التي ترى ان الانسان كالريشة في مهب الريح وانه مجبر على افعاله وانه لا استطاعة له اصلاً[6] ؛ والمعتزلة التي ترى ان العبد هو الذي يخلق افعال نفسه وانه يفعل ما اختار فعله[7] وان الله لم يخلق افعال العباد لا خيرها ولا شرها وان ارادة الانسان حرة والانسان خالق افعاله .

---

(١) تبين كذب المفتري : ١٤٩ ، لمع الادلة : ١٠٧ .

(٢) ضحى الاسلام : ٣-٦٢

(٣) لمع الادلة : ١٠٨ .

(٤) مقالات الاسلاميين ١-٣٢٠ (٥) نفس المصدر ١-٣٢١

(٦) الفصل في الملل والاهواء والنحل ٣-٢٢ (٧) المصدر نفسه .

وفي البيت الثاني والعشرين والثالث والعشرين : اشارة الى مسألة مرتكب الكبيرة قال الاشعري « وصاحب الكبيرة اذا خرج من الدنيا من غير توبة يكون حكمه الى الله تعالى ؛ إما ان يغفر له برحمته ، وإما ان يشفع فيه النبي ـ ﷺ اذ قال : « شفاعتي لاهل الكبائر من امتي » وإما ان يعذبه بمقدار جرمه ، ثم يدخله الجنة برحمته » [1] . بينماقالت المعتزلة : « ان صاحب الكبيرة مع ايمانه وطاعته اذا لم يتب من كبيرته لايخرج من النار ؛ وقالت المرجئة من غير اهل السنة : من اخلص لله وآمن به فلا تضره كبيرة مهما تكن [2] . وقد اوجز الامام القشيري ذلك كله في البيت الثاني والعشرين وردد قول الاشعري « ولا يكفرون احداً من اهل القبلة بذنب يرتكبه ، كنحو الزنا والسرقة وما اشبه ذلك من الكبائر ، وهم بما معهم من الايمان مؤمنون ، وان ارتكبوا الكبائر » [3] وهو رد على المعتزلة الذين جعلوا الفسق مرتبة بين الكفر والايمان وقضوا بان مرتكب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين ؛ فلا هو كافر مطلقاً كما تقول الخوارج ، ولا هو مؤمن مطلقاً ، كما تقول المرجئة [4]

في البيت الرابع والعشرين : اشارة الى ان لكل نبي معجزة هي دليل صدقه يتحدى بها منكروه ، والاصل في المعجزة ان تكون خارقة للعادة تأتي جواباً على تحدي المنكرين لصدق النبي ، ومن شرائطها ان احداً لا يستطيع الاتيان بمثلها [5] .

في البيت الخامس والعشرين الى الثالث والثلاثين : اشارة الى فضائل النبي عليه الصلاة والسلام وما اوتيه من خصائص واوصاف محمودة كشفاعته للمذنبين من امته . وقد ردد الامام القشيري رأى الاشعري في الشفاعة والمعراج [6] فقد ثبت عن اهل السنة بادلة قاطعة ان النبي (ص) يشفع في امته على حين انكر المعتزلة الشفاعة يوم القيامة وقالوا : ان الله

---

(١) الملل والنحل : ١ـ١٠١ (٢) تبيين كذب المفتري : ١٥١

(٣) مقالات الاسلاميين : ١ـ٣٢٢ (٤) انظر ادلتهم في : دراسات في الفرق والعقائد : ٩٦

(٥) انظر مناقشة الامام الجويني في لمع الادلة : ١٠٩ ـ ١١٠

(٦) مقالات الاسلاميين : ١ـ٣٢٣

تعالى صادق في وعده ووعيده وذلك يوم القيامة ولا مبدّل لكلماته ، فلا يغفر الكبائر الا بعد التوبة [1] .

وفي البيت الثالث والثلاثين الى السادس والثلاثين : اشارة الى عقيدة اهل السنة في افضل الناس بعد النبي (ص) : وهم الخلفاء الراشدون بترتيبهم في تولي الخلافة . فهم « يعرفون حق السلف الذين اختارهم الله - سبحانه - لصحبة نبيه ﷺ ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم ، صغيرهم وكبيرهم ، ويقدمون ابا بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم عليا ، رضوان الله عليهم » [2]

وفي الابيات الثلاثة الاخيرة دعوة صريحة الى مخالفة المبتدعة والمشبهة والمعطلة والانكار عليهم واخلاص الايمان لله تعالى فهو الذي يقبل التوبة عن عباده . ولعل الامام القشيري اراد ان يقول كما قال معاصره الامام الجويني « اللهم ارزقني ايماناً كايمان عجائز نيسابور » .

فرحم الله الامام القشيري فقد كان امة وحده .

---

(١) دراسات في الفرق والعقائد : ٩٧

(٢) مقالات الاسلاميين ١-٣٢٣ ؛ انظر مناقشة الامام الجويني لمسألة الامامة وافضلية من يتولاها في لمع الادله : ١١٥

كتاب عبارات الصوفية ومعانيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلي على محمد وآله وسلم تسليما

كتاب عبارات الصوفية ومعانيها : وهي مئة كلمة

تأليف الشيخ الامام جمال الاسلام ، عبد الكريم بن هوازن القشيري

رحمة الله عليه

فمن ذلك : الوقت ، والحال ، والمقام ، والمكان ، والحق ، والحقيقة ، والاشـارة ، والصفـاء ، والفرايد ، والخاطر ، والحيرة ، والدهش ، والطوارق ، والشطح ، والطوالع ، والذهاب ، والنفس ، والصول ، والتفريد ، والتجريد ، والمناجاة ، والمسامرة ، والذات ، والدعوى ، والاحتيار ، والبلاء ، واللسان ، والعقد ، والسر ، والمحو ، والطمس ، والمحق ، والتحير ، والكون ، والوصل ، والفضل ، والأصل ، والوسايط ، والعلايق ، والبادي ، والأدب ، والرياضة ، والتجلي ، والتخلي ، والعلة ، والأزل ، والأبد ، والالجا ، والانزعاج ، والمشاهدة ، والمكاشفة ، والشاهد ، والتكوين ، واللوائح ، والغيرة ، والتلبس ، والكلية ، والحرية ، واللطيفة ، والفتوح ، والوسم ، والرسم ، والبسط ، والقبض ، والفناء ، والبقاء ، والجمع ، والتفرقة ، والزوايد ، والسكر ، والصحو ، والغربة ، والارادة ، والمريد ، والمراد ، والغشيان ، والغين ، والحضور ، والغيبة ، والوارد ، والجملة ، والعبرة ، والهمة ، والمكر ، والاصطلام [1] ، والرغبة ، والرهبة ، والرين ، والروح ، والرمز ، والوجد ، والوجود ،

(١) واصطلام .

والتواجد ، وعين التحكم ، والاصطفاء ، والوطن ، والسبب ، والنسبة .

(١) فأما قولهم :[١] الوقت ، فهو ما بين الماضي والمستقبل ، قال الجنيد [٢] ـ رحمة الله عليه ـ : الوقت عزيز واذا [٣] فات لايدرك . وقيل : وقتك [٤] أعز الأشياء فأشغله بأعز الأشياء [٥] . وقيل : سيف [٦] .

(٢) وأما الحال : فهو منازلة العبد في الحين [٧] فيصفو له في الوقت حاله ووقته . وقال بعضهم : ما يتحول فيه العبد ويتغير بما يرد على قلبه ، واذا صفا تارة . و [لم] يتغير قيل له حال [٨] . وقال بعضهم : الحال ان لايزول فاذا زال ، لم يكن حالاً [٩] .

(٣) وأما المقام : فهو الذي يقوم بالعبد في الأوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات ، فمتى أقيم العبد [١٠] في شئ منها على التمام فهو مقامه حتى ينتقل منه الى مقام آخر [١١] .

(٤) وأما المكان : فهو لأهل الكمال والتمكين والنهاية ، فاذا كمل العبد في معانيه فقد تمكن من المكان [لأنه قد عبر] [١٢] المقامات والأحوال فيكون صاحب مكان . كما قال بعضهم :

مكانك في قلبي هو القلب كله وليس لشئ فيه غيرك موضع [١٣]

(٥) وأما الحق: فهو الله تعالى[١٤] ذكره ، وهو قوله تعالى « ذلك بأن الله هو الحق » .

(٦) واما الحقيقة : فهو وقوف العبد بدوام الانتصاب بين يدي سيده الذي آمن به ، فلو تخلل القلب شك أو ريب في من آمن به اضمحل الايمان فبطل ، وهو قول[النبي]

---

(١) انظر اللمع ص ٣٤٢
(٢) انظر قول الجنيد في اللمع ص ٣٤٢
(٣) ورد القول .. اذا ..
(٤) وقتل
(٥) اي فاشغله بذكر الله
(٦) انظر الرسالة ص ١٨٩
(٧) الخير . انظر اللمع ٣٣٥ . الرسالة ١٩٣
(٨) اللمع ٣٣٥ ، الرسالة ١٩٤
(٩) اللمع ٣٣٥
(١٠) للعبد
(١١) اللمع ٣٣٥
(١٢) وعين ، والزيادة من اللمع ٣٣٥
(١٣) اللمع ٣٣٥
(١٤) تعالا

ـ صلى الله عليه وسلم ـ لحارثة : ان لكل حق حقيقة ، فما حقيقة ايمانك ؟ وقال الجنيد ـ رحمه الله ـ أبت الحقايق ان تدع في القلوب مقراً للتأويل [1] . وانشد الجنيد :

ونعت الحقيقة للحق حقٌ فمعنى العبارة فيها يدق

تبيد [2] الصفات وتمحو الطباع بمرٍّ الحواس فهذا أرق

(٧) وأما الاشارة : فما لا يتأتى للمتكلم للابانة عنه بالعبارة لكونه لطيفاً في معناه ، وايماء [3] الاشارة ايضاً الا انها لاتتعلق بالله [4] ولهذا قال الشبلي ، ـ رحمه الله ـ من أومأ اليه فهو كعابد وثن لان الايماء لايصلح الا الى الأوثان [5] وأنشد النوري [6] :

اشارة قلبي كما يرى الذي لا يراه جفني

وانت تضفي على ضميري حلاوة السؤل والتمني

تريد مني اختبار سري وقد علمت المراد مني

وليس لي في سواك حظ فكيف ماشئت فاختبرني [7]

شعر : وأنشد أبو العباس بن عطاء في مجلسه :

زجرت فؤادي ولم يزدجر [8] ويطلب شيئاً ومنه أفر

يشير الى الحق مستظهراً واني [9] عليه شفيق حذر

(٨) واما الصفاء : فالخلوص من أثر الطبع والتعلق بالحقايق ومزايلة المذمومات . وقال

---

(١) في اللمع : « وقوف القلب بدوام الانتصاب بين يدي من آمن به فلو داخل القلوب شك أو مخيلة فيما آمنت به حتى لا تكون به واثقة وبين يديه منتصبة لبطل الايمان وهو قول النبي ـ صلعم ـ لحارثة لكل ... » والتعريف واضح بين النصين . وقد ورد قول الجنيد هكذا .. تدع للقلوب مقالة للتأويل »

(٢) تلتذ

(٣) الحاشية : معناه : وقيل الاشارة فيها لايتأتى للمتكلم كشفه بالعبارة للطافة معناه

(٤) با الاه (٥) الا للاجسام ، والنص بكامله في اللمع ٣٣٧ (٦) النوري شعر

(٧) ذكر القشيري البيت الاخير في رسالته ١ ـ ١٢٢ لسمنون المحب ، كذلك أبو نعيم ، حلية ١٠ ـ ٣١٠ فامتحني بدلا من فاختبرني ، ابن الاثير ، البداية والنهاية ١١ ـ ١١٠ تاريخ بغداد ٩ ـ ٢٢٥ .

(٨) يرد حبه (٩) وان

بعضهم [1] : الصفاء ما خلص من ممازجة الطبع ورؤية الفعل [2] والميل اليه .

(٩) واما صفاء الصفاء : فهو اتصال ذلك مع السلامة من العلل [3] .

(١٠) واما الفوائد : فهدايا الحق وتحفة أصحاب المعاملات واكرامه اياهم بزيادة الفهم في وقت اقامتهم للخدمة ليجدوا حلاوة الطاعة ويشهدوها ويتمتعوا بها . وقال بعضهم : هي ملاطفات [4] الحق لأهل معاملاته في وقت الخدمة بزيادة الفهم .

(١١) وأما الخاطر : لحركة تظهر في القلب وتطوف به ولا تلبث بل تزول بخاطر آخر مثله . وقال الجنيد : ان الخاطر الصحيح أول الخاطر . وقال بعضهم : الخاطر تحريك السر [لابداية له واذا خطر بالقلب فلا يثبت فيزول بخاطر آخر مثله] [5] والواقع [ما يثبت ولا يزول بواقع آخر] [5] . والقادح قريب من الخاطر الا ان القادح لأهل الغفلة والخاطر لقلوب اهل اليقظة [6] .

(١٢) وأما الحيرة والتحير : فبديهة [7] ترد على قلوب العارفين عند تأملهم وحضورهم [وتفكرهم] [8] تحجبهم عن [التأمل] [8] والفكرة . وقيل : هي حالة ترد في قلوبهم بين اليأس والطمع [في الدخول الى المقصد ووجود المطلوب ولا يتحقق لهم الطمع] [9] وحده ولا اليأس وحده فلذلك تحيروا [10] .

(١٣) واما الدهش : فهيبة من المحبوب تصدم قلوب المحبين . وأنشد :

حب من أهواه [11] قد أدهشني ... لاخلوت الدهر من ذاك الدهش [12]

وأنشدت لعلي - كرم الله وجهه [13] - .

---

(١) الجريري ، اللمع ٣٣٨ . وهو محرف (٢) الفضل

(٣) اللمع ٣٣٨ (٤) ملاطافاه

(٥) تحريك السر لا لبث والواقع لايلبث ولا يزول ، والزيادة من اللمع ٣٤٢

(٦) انظر القول في اللمع ٣٤٣ (٧) فبهديه (٨) بين الاقواس زيادة من اللمع ٣٤٥

(٩) على الحاشية

(١٠) تصرف القشيري هنا كثيراً في معنى الحيرة ومعنى التحير ، انظرهما في اللمع ٣٤٥

(١١) في اهوي ، والتصحيح من اللمع ٣٤٥ (١٢) اللمع ٣٤٥ (١٣) واجه

علم المحبة واضح لمريده ... وأرى القلوب عن المحبة في عمى [1]
فلقد عجبت لهالك ونجاته ... موجودة ولقد عجبتِ لمن نجا

* * *

ولغيره

لا تعجلوا بملامتي ... قامت عليَّ قيامتي [2]

(١٤) وأما الطوارق : ما يطرق قلوب اهل الحقايق من طريق السمع فيجدد لهم حقايقهم [3] . ومعناه في اللغة : ما يطرق بالليل ، كما كان النبي — صلى الله عليه وسلم — يقول : في دعائه : « اللهم إني أعوذ بك من كل طارق إلا طارقاً [4] يطرق بخير » [5] .

وأنشد : ـ

يا راقد الليل مسروراً بأوله ... ان الحوادث [قد] [6] يطرقن اسحارا

(١٥) وأما الشطح : فكلام يترجمه اللسان عن وجد يفيض من معدنه [7] مقرون بالدعوى ، الا أن يكون صاحبه [مستَلَباً] [8] ومحفوظاً . والشطح في لغة العرب: الحركة.

(١٦) وأما الطوالع: فأنوار التوحيد تطلع على قلوب أهل المعرفة بشعاعها [9] فيطمس سلطان نورها سائر الأنوار ، كما ان سلطان الشمس يخفي [10] الكواكب [11] .

(١٧) وأما الذهاب : فأتم من الغيبة وهو ان تغيب القلوب عن حس كل محسوس بمشاهدة المحبوب [12] .

---

(١) فيها عما (٢) في الاصل لا تعجبوا ..

(٣) في الاصل : كما نطرق .. طرف .. فتجدد عليهم حقيقتهم . والتصحيح من اللمع ٣٤٦

(٤) طارق

(٥) اللمع ٣٤٦ : اعوذ بك من شر طوارق الليل والنهار الا طارقاً يطرق بخير »

(٦) يقتضيها الوزن (٧) عن مقدر (٨) الزيادة من اللمع ٣٤٦

(٩) كشعاعها . في اللمع : بتشعشعها (١٠) نحوا

(١١) في اللمع : .. فيطمس ما في القلوب من الانوار بسلطان نورها ، كالشمس الطالعة اذا طلعت يخفى على الناظر من سطوة نورها انوار الكواكب وهي في أماكنها . ص ٣٤٥ وهذا تصحيف لم يفطن له نيكلسون وعبدالحليم محمود ورفيقه . انظر اللمع طبعة القاهرة ١٩٦٠ ، صفحة ٤٢٢

(١٢) انظر اللمع ٣٤٧ . حيث تصرف القشيري في الالفاظ فقط

(١٨) وأما النفس : فروح سلطه الله على نار القلب ليطفيءُ شررها . وقيل : انها من العبد على مر[١] اوقاته المعدودة عليه [٢] .

قال الله تعالى : « انما نعد لهم عدا »[٣] . وقال ابن عباس : رضى الله عنهما : النَفَس بعد النَفْس .

(١٩) واما الصول: فالاستطالة[٤] باللسان من [٥] المريدين على ابناء جنسهم [بأحوالهم وهو مذموم] [٦] .

(٢٠) واما التفريد : فأفراد [المفرد] [٧] برفع [٨] الحدث [وأفراد القدم] [٩] بوجود [١٠] حقايق الفردانية .

(٢١) وأما التجريد : فما تجرد [١١] للقلوب من شواهد الألوهية [١٢] اذا صفا من كدورة [١٣] البشرية .

(٢٢) واما المناجاة : فمخاطبة الاسرار عند صفاء الاذكار مع الملك الجبار [١٤] وقيل : مسامرة بين الحبيبين لا يسمعها ثالث . كما قال رسول الله ﷺ « لو يعلم المصلي من يناجي ما التفت » .

وقال تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ « وقربناه نجيا » [١٥]

---

(١) مجر

(٢) في اللمع : « قال بعض الشيوخ : النفس روح من ريح الله للسلطنة على نار الله تعالى .. قال الجنيد : أخذ على العبد حفظ انفاسه على مر اوقاته » ص ٣٤٨

(٣) « فلا تعجل عليهم انما نعد لهم عدا » مريم ٨٤

(٤) الاستطاعة والتصحيح من اللمع ٣٤٧.
(٥) على التصحيح من اللمع ٣٤٧

(٦) التكملة من اللمع ٣٤٧
(٧) التصحيح من اللمع ٣٤٨ وفي الاصل . القور

(٨) بدفع
(٩) الزيادة من اللمع ٣٤٨
(١٠) ووجود
(١١) نجري

(١٢) الالهية
(١٣) كدر

(١٤) انظر اللمع ٣٤٩
(١٥) سورة مريم : ٥٢

(٢٣) واما المسامرة : فعتاب الاسرار عند خفي الاذكار [١] ، وقيل : استدامة طول العتاب مع صحة الـكتمان [٢] .

(٢٤) واما الذات : فماهية الشيء القايم بنفسه الموجود [٣]

(٢٥) واما الدعوى : فاضافة النفس الى ما ليس لها [٤] .

(٢٦) واما الاختبار :فامتحان الحق للصادقين لاثبات الحجة على ساير المؤمنين [٥]

(٢٧) واما البلاء : فابتلاء الحق عبده لدى حقايق الاحوال .

قال النبي ﷺ اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فالامثل [٦]

(٢٨) اما اللسان : فمعناه : اللسان بحر علم الحقايق [٧]

وسئل الشبلي عن الفرق بين لسان العلم ولسان الحقيقة فقال : [لسان العلم ما تأدى الينا بواسطة ولسان الحقيقة] [٨] ما تأدى الينا بلا واسطة .

(٢٩) واما العقد : فعقد القلب عند الشيء [٩] مع الله تعالى . [قال الله تعالى] [١٠] : « يا ايها الذين آمنوا اوفو بالعقود » [١١] .

(٣٠) واما السر وسر السر : فالسر ما اخفى عن [١٢] الخلق ولم يعلم به الا الحق ، فلم يطلعهم عليه .

(٣١) وسر السر : ما لا يحس به السر ، وانشد لابي الحسين [١٣] النوري [١٤] :

---

(١) اللمع : التذكار

(٢) الـكتاب والتصحيح من اللمع ٣٥٠ ، وسئل بعض المشايخ عن المسامرة فقال : استدامة ..

(٣) هذا اختصار رائع لما هو موجود في اللمع ٣٥١ ـ ٣٥٢

(٤) اللمع ٣٥٢ (٥) اللمع ٣٥٥ نقلها القشيري بتصرف

(٦) انظر اللمع ٣٥٣ (٧) في اللمع : معناه : البيان عن علم الحقايق ٣٥٣

(٨) ما بين القوسين سقط من الاصل والزيادة من اللمع ٣٥٤

(٩) فيالمع : والعقد عقد السر .. وفي نسخة مناللمع « عقد الشيء »انظر اللمع ٣٥٤ .هامش١٣

(١٠) الزيادة من اللمع ٣٥٤ (١١) سورة المائدة : ١

(١٢) فما اخفى من (١٣) الحسن

(١٤) انظر ترجته فيطبقات الصوفية للسلمي تحقيق شربيه مع مصادر ترجته، والابيات ذكرها ابو نعيم الاصبهاني في حلية الاولياء جـ ١٠ ص ٢٥٣

كادت سرائر سري ان تسر بما اوليتني من سرور لا أسميه

فصاحب[1] السر سرٌ منك يرقبه كيف [السرور][2] بشيء دون مبديه

فظل يلحظنى [سراً][2] والحظه والحق يلحظني الا اراعيه[3]

فاقبل[4] [السريغني][5] الكل عن صفتي واقبل الحق يغنيني[6] ويغنيه[7]

والسر ثلاثة : سر العلم ، وسر الحال ، وسر الحقيقة . فسر العلم حقيقة العلم بالله تعالى، وسر الحال : معرفة مراد الله تعالى ، وسر الحقيقة : ما وقعت به الاشارة . فآفة سر العلم : الافشاء الى غير اهله ، وآفة سر الحال : ترك حرمة الحال باظهار الحركة برؤية النفس . وآفة [سر] الحقيقة : السكون مع النفس في مشاهدتها للحقيقة بترك الفترة .

(٣٢) واما المحو : فذهاب الشيء حتى لا يبقى له اثر ، وانشد :

محوت اسمي ورسم جسمي سئلت عني فقلت : انت

فانت مني خيال عيني بحيث ما كنتُ كنتَ انت[8]

(٣٣) واما المحق : فهو اتم من المحو[9] .

(٣٤) واما الطمس : فذهاب الشيء مع الآثار[10]

---

(١) الحلية : فصاح
(٢) الزيادة من الحلية
(٣) في الحلية : فظل يلحظه سراً ليلحظه
(٤) الحلية : واقبل .
(٥) الزيادة من الحلية
(٦) يقتلني والتصحيح من الحلية
(٧) وانقيه والتصويب من الحلية
(٨) الابيات للحلاج اوردها ماسينون في ديوان الحلاج ص ٤٥ . طبعة باريس ١٩٥٥

١ فمن بالعفو يا الهي فليس ارجو سواك انت

٢ . ...

٣ . احطته علماً بكل شيء فكل شيء اراه انت

البيت الرابع لم يرد في ديوان الحلاج وقد ورد في الاصل بحيث ما ردت ولعل الصواب ما اثبتناه .

(٩) انظر اللمع ٣٥٥ . الرسالة ٢٢٣

(١٠) اللمع ٣٥٧ بتصرف

(٣٥) واما الـكون : فالمراد جميع كون الحق وخلقه [١] .

(٣٦) واما الوصل : فادراك الفائت . وقيل : لحوق ما فات [٢]

قال يحيي بن معاذ ـ رحمه الله ـ من لم يُعم عينيه عن النظر الى ما تحت العرش ، لم يصل الى ما فوق العرش . المراد بذلك : لم يلحق ما فاته من مراقبة الذي خلق العرش [٣]

(٣٧) واما الفصل : ففوت ما ترجوه من محبوبك . وقيل : فوت الشيء الموجود من المحبوب [٤]

(٣٨) واما الاصل : فما يرد اليه الفرع وله تزايد [٥] .

(٣٩) واما الوسايط : فالاسباب التي بين الحق والخلق . وقيل : الاسباب التي بين الله تعالى وبين العبد من اسباب الدنيا والآخرة .

وسئل بعضهم عن الوسايط فقال : هي ثلاثة اوجه : مواصلات ، ومتصلات ومنفصلات فالمواصلات : بوادي الحق ، [والمتصلات : العبادات] [٦] والمنفصلات حظوظ النفس .

(٤٠) واما العلايق : فهي الاسباب التى علقت [٧] على العبد [٨] فشغله ذلك [٩] عن الله عز وجل حتى قطعه [١٠] [عن الله تعالى] [١١] .

(٤١) واما البادي : ما يبدو على قلوب العارفين من الاحوال [١٢] .

(٤٢) واما الأدب : ادب الشريعة ، وأدب الحرمة ، وادب الحق، فأدب الشريعة : التعلق باحكام العلم بصحة عزم الحرمة ، وادب الحرمة : التشمر عن العـلاقات والتجرد عن

---

(١) اللمع ٣٥٦

(٢) اللمع ٣٥٦ « لحوق الغايب »ولعل القشيري كتب .. لحوق ما غاب

(٣) النص بكامله في اللمع ٣٥٦ ـ ٣٥٧ (٤) اللمع ٣٥٧

(٥) اللمع ٣٥٧ بتصرف

(٦) سقط في الاصل ، والزيادة من اللمع ٣٧٥ والقول بكامله ورد في اللمع .. سئل بعض المشايخ عن الوسايط فقال . . .

(٧) اللمع ، علق (٨) عن (٩) اللمع : وشغله بذلك

(١٠) قطع عنه (١١) الزيادة من اللمع

(١٢) اللمع : ما يبدو على قلوب اهل المعرفة من الاحوال والانوار وصفار الاذكار

الملاحظات . وادب الحق : موافقة الحق بالمعرفة [١] .

(٤٣) واما الرياضة : فرياضة الادب ، ورياضة الطلب ، ورياضة المطالبـة [فرياضة الادب : الخروج من طبع النفوسية ، ورياضة الطلب : الخروج من طبع المريدية][٢] ورياضة [٣] المطالبة : بصحة المراد به .

(٤٤) واما التحلي : فالتشبه [٤] بالصادقين بالاقوال [٥] واظهار الاعمال [٥] وانشدوا [٦] :

من تحلّى بغير ما هو فيه　　　فضحتـه شواهـد الامتحان

(٤٥) واما التجلي : فاشراق انوار الحق على قلوب المريدين [٧] .

(٤٦) واما التخلي : فاختيار الخلوة والاعراض عن كل شيء شغل عن الحق [٨]

(٤٧) واما العلة : [كناية عن بعض ما لم يكن فكان] [٩] .

(٤٨) والازل : اخص من القدم لانه لا يوصف به المخلوق كما يوصف بالقدم [١٠] .

(٤٩) واما الأبد : فاشارة الى ترك العدد [١١] .

(٥٠) واما اللجأ : فقصد القلب الى الله تعالى باخلاص الضمير وصدق الافتقار وحقيقة الرجاء [١٢] .

---

(١) انظر الرسالة ٥٥٨

(٢) على الهامش « الادب الخروج من طبع النفوسية ورياضة الطلب المريدية ورياضة » اما الزيادة فاقتضاها السياق .

(٣) فرياضة　　　(٤) التشبيه

(٥) بالاحوال　　　(٥) انظر اللمع ٣٦٢　　　(٦) اللمع : وقال بعضهم

(٧) اللمع : اشراق انوار اقبال الحق على قلوب المقبلين عليه .

(٨) انظر اللمع ٣٦٣ حيث تصرف القشيري في النص

(٩) في الاصل « عن الحق » والتصحيح من اللمع ٣٦٣

(١٠) انظر اللمع ٣٦٤　　　(١١) القول للواسطي ، اللمع ٣٦٤ . انظر تكملته

(١٢) القول للجريري تصرف فيه القشيري ، اللمع ٣٦٧

(٥١) واما الانزعاج : فتنبه [١] القلب من سنة الغفلة والتحرك للأنس بالوحدة [٢].

(٥٢) وأما المشاهدة : فالمداناة ، مشاهدة بالحق ومشاهدة للحق ومشاهدة الحق . وقيل : مشاهدة بالحق : رؤية الأشياء بدليل التوحيد ، والمشاهدة للحق : رؤية الحق في الأشياء ، ومشاهدة الحق : حقيقة بلا ارتياب ولا تعب . ورؤية الحق في الغيب بلا وصف .

(٥٣) واما المكاشفة : فالمكاشفة أتم من المشاهدة . وقيل : مكاشفة بالعلم ، ومكاشفة بالحال ، ومكاشفة بالوجد .

فالمكاشفة بالعلم : تحقيق الاصابة في الفهم . والمكاشفة بالحال : تحقيق [٣] رؤية زيادة الحال . والمكاشفة بالوجد : تحقيق صحة الاشارة .

(٥٤) وأما الشاهد [٤] : فهو [٥] الخاطر . قال الجنيد ـ رحمه الله ـ : الشاهد الحق [شاهد في ضميرك وأسرارك مطلع عليها] [٦] والمشهود [ما يشهده الشاهد] [٧] قال الله تعالى « وشاهد ومشهود » [٨] .

قال بعضهم : الشاهد هو الحق ، شاهد في ضمير العبد وسره ، مطلع عليه ، والشاهد أيضاً .. بمعنى الحاضر والمشهود ما شهد به الشاهد .

(٥٥) وأما التلوين : فتلوين العبد في أحواله . وقال بعضهم : علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة . وقال بعضهم : علامة الحقيقة التلوين لأنه يظهر فيه قدرة القادر فيكتسب منه الغيرة [٩] .

---

(١) فتنباه (٢) والوحدة ، انظر اللمع ٣٦٧ (٣) حقيق

(٤) المشاهدة (٥) ساقطة في الاصل .

(٦) لم يذكرها القشيري والزيادة من اللمع ٣٣٩ أما القول « الشاهد الحق والمشهود الكون » فهو للواسطي ، انظر اللمع ٣٣٩

(٧) لم يذكرها القشيري : وذكر بدلا عنها : والمشهود الكون (٨) سورة آل عمران ٨٠

(٩) انظر اللمع ٣٦٦ وقد تصرف القشيري في النص

(٥٦) واما الغين : فغيرة في الحق وغيرة على الحق وغيرة للحق تعالى من عزيز صفاته ومنّته على أوليائه [١] .

(٥٧) واما اللوائح : فما يلوح للأسرار الصافية [٢] الطاهرة [٣] [لزيادة السمو والانتقال من حال الى حال] [٤] أتم فيها والارتقاء من درجة الى أعلى [٥] منها .

(٥٨) وأما التلبيس : فإظهار الشيء في وصف ضده [٦] .

(٥٩) وأما الكلية : فاسم يجمع كل الشيء ويمنع استثناء شيء منه [٧] .

(٦٠) وأما الحرية : فكفاية عن اقامة غاية حقوق العبودية . فيكون لله سبحانه عبداً وعن غيره حراً [٨] .

(٦١) وأما اللطيفة : فاشارة رفيعة المعنى تلوح في الوهم ولا تسعها العبارة [٩] .

(٦٢) وأما الفتوح : ففتوح العبادة في الظاهر وفتوح الحلاوة [١٠] في الباطن وفتوح المكاشفة في السر . ففتوح العبادة سبب اخلاص القصد وفتوح الحلاوة [١٠] في الباطن سبب جذب الحق باللطافة [١١] ، وفتوح المكاشفة سبب المعرفة بالحق .

(٦٣) وأما الوسم والرسم : نعتان [١٢] يجريان في الأبد بما جريا في الأزل [١٣] .

(٦٤) وأما البسط والقبض : فالبسط عبارة من حالة الرجاء ، والقبض عبارة عن حالة الخوف [١٤] .

---

(١) اللمع ٣٧٣ (٢) زيادة من القشيري

(٣) في الاصل : الظاهرة وكذلك في اللمع

(٤) في الاصل : « من النمو من حالة الى حالة » . والتصويب من اللمع ٣٣٥

(٥) اعلا (٦) اللمع « تحلي الشيء بنعت ضده » ٣٧١

(٧) اللمع : « اسم لجماع الشيء الذي لم يبق منه بقية » ٣٧١

(٨) اللمع ٣٧٣ تصرف القشيري في النص

(٩) اللمع : « اشارة تلوح في الفهم وتلمع في الذهن ولا تسعها العبارة لدقة معناها » ٣٧٠

(١٠) الحلاوة (١١) بالطافة (١٢) في الاصل : لغتان

(١٣) القول لأحمد بن عطاء انظر اللمع ٣٥١ . الا انه في اللمع : على الابد

(١٤) انظر اللمع ٣١٣ ، الرسالة ١٦٩

(٦٥) وأما الفناء : ففناء المعاصي (١) .

(٦٦) وأما البقاء : فبقاء الطاعات ، ويقال في الفناء أيضاً : ، هو فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى له على ذلك (١) .

(٦٧) واما الجمع : فالتسوية في أصل الخلق . وقيل : الجمع عبارة عن اشارة من أشار الى الحق بلا خلق (٢) .

(٦٨) وأما التفرقة : فالتفريق في الحكم ، والتفرقة اشارة من أشار إلى [الكون والخلق « وهما أصلان لايستغني أحدهما عن الآخر » . فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد كفر(٣) ومن أشار الى] (٤) جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر ، فاذا جمع بينهما فقد وحد .

(٦٩) وأما الزوائد : فزيادة الايمان بالغيب (٥) واليقين .

(٧٠) وأما السكر والصحو : [معناهما قريب] (٦) في المعنى من الغيبة والحضور لأن الحضور دائم والصحو حادث والغيبة أبقى من السكر (٧) .

(٧١) وأما الغربة : فغربة من الأوطان من أجل حقيقة القصد ، والغربة عن الأحوال من [أجل] حقيقة التفرد بالأحوال ، والغربة عن الحق من [أجل] حقيقة الدهش في المعرفة .

(٧٢) وأما الارادة : فإرادة الطلب من الله تعالى ، وإرادة الحظ من الله تعالى وارادة الله سبحانه . فارادة الطلب موضع التمني (٧) ، وارادة الحظ موضع الطمع وارادة الحق

---

(١) اللمع ٣٤١ (٢) اللمع ٣٣٩ (٣) هكذا في الاصل ، في اللمع : جحد

(٤) مابين العضادتين [ ] على الهامش اما بين الاقواس « ... » فزيادة من اللمع ٣٣٩ ـ ٣٤٠

(٥) القلب ؛ والتصحيح من اللمع ٣٣٨

(٦) في الاصل : « ليس بأمري وأتم » والزيادة من اللمع ٣٤٠

(٧) الشكر ، انظر القول كله في اللمع ٣٤٠ ـ ٣٤١

(٨) للتمني

موضع الاخلاص ، فآفة التمني النفس المتمني وآفـة الطمع الشهوة ، وآفة الاخلاص النفس [1] .

(٧٣) وأما المريد : فالذي صحت إرادتـه لمراده ابتداءاً وشهدت بصحة إرادته قلوب العارفين [2] .

(٧٤) وأما المراد : فهو أبلغ خصالاً من المريد وهو الذي انتهت إرادته حتى لم يبق له ارادة فصار عارفاً . وقال بعضهم : الأصل الذي منه تشعبت الهموم لأنه بمنزلة عرق الشجرة ، إذا رشح في الأصل فمنه الأغصان ، والمريد الذي صح له الابتداء ودخل في جملة المنقطعين الى الله تعالى بالاسم ، والمراد أيضاً العارف الذي لم يبق له ارادة وقد وصل الى النهـايات وعبر الأحوال والمقامات .

(٧٥) وأما الغشيان : حالة ترد على القلب ... [4] من الباطن الى الظاهر .

(٧٦) وأما الغين : فحالة ترد على القلب أيضاً . قال النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ « انه ليغان على قلبي ... » [5] .

(٧٧) وأما الحضور : لحضور القلب لما غاب عن العين [6] بصفاء اليقين ، حتى يصير الغايب عنه كالحاضر عنده والمخبر كالمعاين له [7] .

(٧٨) وأما الغيبة : فغيبة القلب عن ما سوى الحق ، حتى عن اليقين ، ثم الغيبة عن غيبته [7] لئلا [8] يحجب [9] بها .

(٧٩) وأما الوارد : وارد بالاشارة ووارد بالخطرة [10] ووارد اللحظة . فالاشارة [11]

---

(١) انظر الرسالة ٤٣٣ (٢) انظر اللمع ٣٤١ ـ تصرف القشيري في النص

(٣) الجملة « والمريد الذي صلح .. والمقامات » وردت في اللمع ٣٤٢

(٤) كلمة مطموسة تقرأ « فتعدي »

(٥) انظر تكملة الحديث ومناقشة السراج في صحة الحديث في اللمع ٣٧٣

(٦) في اللمع : عيانه (٧) « حتى يصير . كالمعاين له » من كلام القشيري اذ لم ترد في اللمع

(٧) عينه (٨) ليلا (٩) يعجب (١٠) بالحضرة

(١١) بالاشارة

حظ السر ، والخطرة حظ القلب ، واللاحظة [١] حظ الشاهد [٢] .

(٨٠) وأما الهمة : فهمة مُنية ، وهمة ارادة ، وهمة حقيقة . فهمة المنية : تجرد القلب للمنى ، وهمة الارادة : أول صدق المريد ، وهمة [٣] الحقيقة : جمع الهم بصفاء الالهام [٤] .

(٨١) وأما المكر : فكر مغموم ، ومكر مخصوص ، ومكر خفي ، فالمكر [٥] المغموم : ظاهر بعض الأحوال من حقيقة ، والمكر المخصوص : في سائر الأحوال . والمكر الخفي : في إظهار الآيات والكرامات [٦] .

(٨٢) وأما الاصطلام : نعت [٧] غلبة [٨] ترد على العقول [٩] فيستلبها [١٠] بقوة سلطانه وقهره [١١] .

(٨٣) وأما الرغبة : رغبة النفس ، ورغبة القلب ، ورغبة السر [١٢] . ورغبة النفس في الثواب ، ورغبة القلب في الحقيقة ، ورغبة السر في الحق [١٣] .

(٨٤) وأما الرهبة : رهبة الظاهر ، ورهبة الباطن . ورهبة الغيب . فرهبة الظاهر : بتحقيق وعيد العلم ، ورهبة الباطن : لتحقيق ترك القلب . ورهبة الغيب : لتحقيق امر السبق [١٣] .

(٨٥) وأما الرين [١٤] : فهو الشك . ويقال الصدأ [١٥] .

(٨٦) وأما الروح : هو ما يلتقي به الأرواح والأسرار الظاهرة بما يرد عليها من الكرامات فيتنعم بذلك لما يرد على قلبه من أنوار مشاهدة قرب سيده [١٦] .

(٨٧) وأما الرمز : فاشارة لكلام لايعرفه غيرهم [١٧] .

---

(١) واللحظ (٢) نص اللمع يختلف كثيراً عن نص القشيري . انظر اللمع ٣٤٢
(٣) م (٤) نص اللمع يختلف تماماً انظر ٣٥٠ (٥) فمكر
(٦) النص غير وارد في اللمع (٧) الاصل : لنت (٨) ساقطة في الاصل
(٩) الاصل : القلوب (١٠) الاصل : فيسكنها
(١١) ساقطة في الاصل : النص بكامله في اللمع ٣٧٢ (١٢) السير
(١٣) النص غير وارد في اللمع (١٤) الدين
(١٥) في اللمع : « هو الصدأ الذي يقع على القلوب » ٣٢٣
(١٦) هذا النص يختلف عن نص اللمع ٣٥١ (١٧) تصرف القشيري في نص اللمع ٣٣٨

(٨٨) وأما الوجد والوجود والتواجد : فالوجد ؛ هو مصادفة القلوب لصفاء ذكر كان قد فقده [١] .

وقال بعضهم: الوجد على ثلاث معان : وجد ، ووجود ، وتواجد . [فالوجد : مصادفة العيب بالعيب .

والوجود : تمام وجد الواجد] [٢أ] وهو أتم والتواجد : البقاء على حركة الوجد . والحركة في الوجد : حركة نفسية وحركة عجزية وحركة وجدية . فالحركة النفسية من وجد الهوى ، والحركة الوجدية : من جدة العهد ، والحركة العجزية من عجز البشرية .

(٨٩) والتواجد : استفعال الوجد [وهو ما يمتزج من اكتساب العبد بالاستدعاء للوجد .. وتكلفة للتشبه بالصادقين] [٢] من أهل الوجد .

(٩٠) وأما عين التحكم : فاظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط في الذهاب [٣] .

(٩١) وأما الاصطفاء : فهو الاصطفاء في سابق العلم [٤] .

(٩٢) وأما السبب : الواسطة بين الخلق وبين الله تعالى [٥] .

(٩٣) وأما الوطن : فوطن العبد وحيث انتهى به الحال واستقر به القرار [٦] .

(٩٤) وأما النسبة : فالحال التي يتعرف بها صاحبها [٧] . قال : النوري ـ رحمه الله ـ كلما رأته العيون نسب [٨] الى العلم وكلما علمته [٩] القلوب نسب الى اليقين [*] .

هذا آخر ما وجدته والحمد لله وحده .

---

(١) في اللمع : « كان عنه مفتوداً » ٣٤٢ — (٢ أ) في الحاشية

(٢) في الاصل : اضطراب في الجملة « والتبغية اسنعا الزجر والتسنه في تكافه فالصادقين من اهل الوجد » والزيادة من اللمع ٣٤٢

(٣) الدها — (٤) النص غير وارد في اللمع — (٥) نص اللمع فيه زيادة ٤٥٨

(٦) النص بكامله في اللمع ٣٦٩ — (٧) اللمع به صاحبه — (٨) بسبب

(٩) الاصل : راته . والتصحيح من اللمع ٣٥٩

(*) جمع القشيري اكثر من كلمة في تعريف واحد مثل رقم ٩ ، ١٢، ٢٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٨٥ ، ٨٨ وفي الحاشية كتب « بلغ المقابلة بحمد الله ء [ز وجل] بالزاوية الموصلية ليلة الاثنين من ... الآخر من شهر جما [دى] الآخر سنة خمس و ... .

كتاب منثور الخطاب في مشهور الابواب [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

لا اله الا الله عدةً للقائه [2] .

هذا منثور الخطاب في مشهور الالباب [3]

قال الاستاذ الامام ابو القاسم عبدالكريم بن هوازن القشيري

ـ قدس الله روحه ونور ضريحه ـ [4] :

الحمد لله على نعمته ، والصلاة على محمد وزمرته [5] . هذه الفاظ تخبر عن اوصاف اهل الصفوة وبالله الحول والقوة .

باب التوبة : التوبة : الندم على ما[6] اجترم ؛ الاسف على ماسلف ، استشعار الخجل [7] لما عمل من الزلل ، تلهف [8] القلب لما سبق من الذنب ، دوام البكا على ما سلف من الخطا.

باب الانابة : الانابة : صدق الاجابة ، وان يصحح مع الله حسابه . المنيب [9] من ترك آفاته وتدارك مافاته ؛ الانابة : ترك كل خطيئة والرجوع الى الله سبحانه [10] بالكلية .

---

(١) ت : كتاب منثور الخطاب في شهود الالباب تأليف الاستاذ ابي القاسم عبد الكريم قال هذه الفاظ تخبر عن الفاظ اهل الصفوة

(٢) أ : لقايه ، الجملة كلها ساقطة من ت (٣) الجملة ساقطة من ت

(٤) ت : هذا منثور ... الالباب تاليف الاستاذ أبي القاسم عبد الكريم [بن هوازن] : مطموسة في التصوير

(٥) الحمد ... زوته : ساقطة من ت (٦) ت : ساقطة . (٧) ت : الخلل

(٨) ت : تلهب (٩) ت : الطلب (١٠) أ : ساقطة

الانابه : التحسر على السالف [1] والتشمر في المستأنف او يقال : توبة لا تُنقَض وصحبة لا تُرفَض .

باب القناعة : القناعة : السكون عند المجاعة ، والاكتفاء بالبلغة والاجتزاء بالمضغة ، سكون الجأش [2] عند عدم المعاش ، زوال الطلب لسقوط الادب ، الوقوف عند الكفاية والاعتقاد بانّ الطلب جناية .

باب الورع : الورع : ترك ما يريبك ونفي ما يعيبك ، الاخذ بالاوثق وحمل النفس على الاشق . ويقال [3] : تفتيش المال وتشويش الحال ، أو يقال : النظر في المطعم واللباس وترك ما به باس . او يقال مجانبة الشبهات [4] ومراقبة الخطرات .

باب الزهد : الزهد : ترك الفضلة والبذل على الوهلة ، او يقال : عزوف [5] القلب عما فيه ريب . الزهد ان لا [6] تملك ما تملك [7] ولا تؤثر ما تدرك . الزهد : ترك الاسف على معدوم ونفي الفرح بمعلوم . الزهد : منع الحرام من الشدق وصون القلب عن الخلق .

باب التوكل : التوكل : سكون القلب في ضمان الغيب [8] ، التوكل : هدوء [9] الضمير عند [10] هجوم التقدير ، التوكل : عدم الازعاج [11] في مواطن الاحتياج ، التوكل : نفي الاضطراب عند عدم الاسباب ، التوكل : دفع التهمة عن [12] سابق القسمة .

باب الصبر : الصبر : حبس [13] القلب على حكم الرب . الصبر : الوقوف عند البلاء والعكوف على الصفاء . الصبر : ترك الشكوى [14] عند هجوم البلوى . الصبر : تجرع البلوى بغير دعوى . الصبر : اسرار المحنة واظهار المنة .

باب الشكر : الشكر : اعتراف بعطية وانصراف عن خطيـــة . الشكر : نشر [15]

---

(١) على السالف : سقطت من ت (٢) ت : الحاس (٣) أ : أو يقال
(٤) ت : الشهوات (٥) ت : عزوب (٦) ألا (٧) ما تملك : ساقطة من ت
(٨) ت : استدركت في أعلى السطر (٩) استدركت في اعلى السطر (١٠) ت : على
(١١) ت : الانزعاج (١٢) أ : عند عز (١٣) ت : حسن
(١٤) ت : السكون (١٥) ت : بشر

التفضل ، بنعت التذلل : الشكر : ان تذكر احسانه بنعت الاستكانة ، الشكر : صرف [1] النعمة في وجه الخدمة . الشكر : الاقرار بالافضال على وجه الاعظام والاجلال .

باب الذكر : الذكر : نطق القلب بنعت الغيب ، بيان [2] الفؤاد [3] بصدق الاعتقاد، استهتار [4] الاسرار باسم الجبار ، امتلاء القلب من المذكور واستيلاء الاسم على الضمير ، اندراج [5] الذاكر في مذكوره واصطلام السراير عند ظهوره .

باب الفكر : الفكر : تعرف القلب لما اشار اليه الابّ [6] ، بعث [7] الاحكام بنفي الاوهام . نطق[8] الضمير بنوع من التقدير . ارتياب[9] القلب لانتفاء[10] الريب [11] . تَطلّبُ [12] السر بادارة الذكر .

باب العبودية : العبودية : معانقة الامر ومقارنة الذكر [13] ، رفض الاختيار بصدق الافتقار . ترك التدبير ورؤية التقصير [14] اداء[15] ما عليك وشكر ما اسدى [16] اليك . العبودية : حسن القضاء وترك الاقتضاء .

باب المجاهدة : المجاهدة : بذل المستطاع في امر المطاع . المجاهدة : ان لا تدع ميسوراً الاّ بذلته ولا تترك ما موراً الاّ نازلته . ويقال [17] : ان لا تعرج على تقصير ولا تفرط في مامور . او يقال : بذل الجد في القصد [18] وصدق الجهد في العهد[19] . او يقال :خلع الراحة وان يكسر من القلب جماحه [20] .

باب البكاء : البكاء : عرق القلب خجـلاً من الذنب ، انعصار [21] الـكبد لهجـوم

---

(١) ت : عرف (٢) ت : الذكر بيان (٣) ساقطة من ت

(٤) ت : الذكر إستيثار (٥) ت : الذكر اندراج

(٦) ت : تعرف لما أشار اليه القلب (٧) أ : بحث (٨) ت : الفكر نطق ...

(٩) أ : ارتيا (١٠) أ : لانتفا ، ت : لانتها (١١) ت : الرب

(١٢) ت : طلب (١٣) ت : ومفارقة الزجر (١٤) رفض ... التقصير : سقطت كلها من ت

(١٥) ت : العبودية اداه . أ : ادا (١٦) سقطت من أ . في ت : ما هو اسدى

(١٧) ت : المجاهدة ان لانصر ح .. (١٨) ت : العقد

(١٩) ت : وصدق الجهد (٢٠) او يقال .. جماعة : سقطت من ت (٢١) ت : انحصار

الكمد ، ترشح الحدق [1] لتمكن الحُرق . جريان الروح اذا ذابت لهيان القلوب اذا غابت ، عبرات تتبرج من فؤاد يتوهج .

باب الدعاء : الدعاء : لسان الافتقار لشرح الاضطرار ؛ شفيع الحاجة وجحد اللجاجة [2] ؛ الدعاء : وسيلة المستنجح وذريعة المستفتح ؛ طلب المراد بتعب [3] الفؤاد ؛ تَطلُّب كشف [4] الغمة بتطلب [5] موضع النعمة [6] .

باب التواضع : التواضع : قبول الحق بحسن الخلق ، التواضع : ترك الصول والتبري من القوة والحول ؛ الاستكانة لله وترك الاستهانه بحق الله ، محافظة الامر ومجانبة الوزر ؛ رؤية التقصير في عين التوقير .

باب الجوع : الجوع : تصفية الصفة لمن اراد المكاشفة [7] . الجوع : قهر جند الشره بدارس لطف الشره [8] ، غذاء الروح وشفاء القلب المجروح ، « تخليص الصفاء عن اسرار العطاء » [9] . الجوع : بلغة السالك ونصرة الهالك .

باب الصمت : الصمت : فقد الخاطر لوجد [10] حاضر ؛ سقوط النطق لظهور الحق ؛ انقطاع اللسان عند رَوح [11] العيان ؛ ذهاب العبارة عند مفاجأة الزيارة ، بهت [12] القلب تحت [13] كشف الغيب .

باب الاستقامة : الاستقامة : وقوف [14] بلا انتفاء وعكوف على الصفاء ؛ اقامة على

---

(١) ت : المرق (٢) ت : و جحها النجاجه (٣) ت : بنعت (٤) ت : لكشف
(٥) أ : يتطلع . واعلى السطر يتطلب . ت : مطلع (٦) ت : القسمة
(٧) أ : ان يكاشفه (٨) قهر ... الشره : ساقطة من ت
(٩) العبارة يكتنفها الغموض ففي أ : « تخليص الصفـا عن اشر » وفي ت : « تخليص الصفا عن اسرار العطا »
(١٠) ت : يوجد (١١) ت : لوح : ولعلها اصح
(١٢) ت : لهب (١٣) عند (١٤) ت : وقوب

بابه بايثار محابّه [1] ؛ بذل الروح على السُدَّة [2] وتبديل [3] الروح بالشدة ؛ ان لا تنصرف بالكرامة ولا تلتفت الى الملامة [4] ؛ اتمام [5] الصحبة بدوام الكربة .

باب الحزن : الحزن : تقبض [6] السر لمفاجأة [7] الامر ؛ انكسار الفؤاد لفوت [8] المراد ؛ انحسار النشاط وقلة الاختلاط ؛ سقوط البهجة وهجوم همّ [9] بلا فرجة [10] ؛ زوال قوة القلب لدوام وارد الكرب .

باب الارادة : الارادة : توديع الوسادة [11] ، الارادة : ان تحمل من الوقت زاده ؛ الارادة : ان يألف سهاده ويهجر رقاده . الارادة : لوعة تهوّن [12] كل روعة ، الارادة : اهتياج اللب وانزعاج القلب .

باب التقوى : التقوى : التحرز من المخاوف والتشمر في الوضايف ؛ التقوي : حفظ الحواس وعد الانفاس ؛ التقوى : تنزيه الوقت من موجبات المقت ، التقوى : حفظ الامر وترك الوزر ، والتقوى : الاحتماء من [13] مساخط المولى .

باب الخوف : الخوف : ارتعاد [14] القلب لما تحمل من الذنب ؛ الخوف : ان يترقب العقوبة ويتجنب عيوبه ؛ الخوف : رعشة السر [15] لما قصر في الامر ، الخوف : توقع [16] البلا عند ذكر الخطا ، الخوف : انزعاج السريرة لما تحمل [17] من الجريرة .

باب الرجاء : الرجاء : توقع الكرم بشاهد الندم ، الرجاء : سرور الفؤاد بحسن الميعاد الرجاء : تطلع الانعام مع توقع الانتقام ، الرجاء : ترويح القلب لضمان الغيب ، الرجاء : رؤية الموعود بعين التوحيد .

---

(١) ت : بجابه (٢) ت : الشده (٣) ت : تبذيل (٤) ت : بالملامة

(٥) ت : ابهام (٦) ت : يقبض (٧) ت : لمباحاة (٨) ت : لقرب

(٩) سافطة من ت (١٠) ت : مرجة (١١) ت : الزيادة (١٢) ت : نسكن

(١٣) ت : عن

(١٤) ت : أرتقاب ، وكل ما جاء بعدها الى : الخوف توقع البلاء .. ساقط من ت

(١٥) استدركت الكلمة على الحاشية (١٦) ت : يوقع (١٧) ت : محمل

باب الرضا : الرضا : ان لا ترجح العطاء على البلاء ، الرضا : تسوية السر بين الحلو والمر ، الرضا : نفي المعارضة وترك المفاوضة [1] ، الرضا : تلقي المهالك بوجه ضاحك ، الرضا : شهود المحبة بعين المنّة .

باب الاخلاص : الاخلاص : عمل بغير خلاص ، الاخلاص : فقد رؤية الاشخاص ، الاخلاص : تصفية العمل من الخلل ، الاخلاص : صون الاعمال عن شهود الاشكال . الاخلاص : افراد الخدمه واسقاط التّهمة [2] .

باب الصدق : الصدق : ترك الملاحظة بدوام المحافظة ؛ الصدق : نفي المساكنة وترك المداهنة ، الصدق : استواء السر والجهر ، الصدق : ان لا يزوغ في عهده ولا يزيغ عن حده [٣ أ] ، الصدق : سلوك [3] النهج بترك العوج .

باب الرياء : الرياء : ملاحظة الاشكال في الاعمال ؛ الاستبشار برؤية الاغيار ؛ الرياء : سهولة الطاعة بمشهد [4] الجماعة . الرياء : السرور بالثنا مع الاصراء على الخطا [5] ، الرياء : سقوط النشاط في الخلا وزوال المشاق في الملا .

باب الاعجاب : الاعجاب : استنكار الطاعة ودعوى الاستطاعة [6] الاعجاب : تذكار العمل ونسيان الزلل ، الاعجاب : العمى عن نوبة التوفيق وترك اخذ النفس بالتحقيق ، الاعجاب : رعونة البشرية والعمى عن معرفة [7] الربوبية ، الاعجاب : حجاب القلب عن لطف الرب .

باب الفقر : الفقر : اختيار العدم على اقتناء النعم [8] ، الفقر : الانس بالمعدوم

---

(١) « الرضا : نفي ... المفاوضة » سقطت من أ

(٢) الاخلاص : صون . . الخدمة : سقطت من ت (٣) ت : سكون

(٣ أ) زاغ زوغاً مال وأمال ، وزاغ يزيغ زيغاً وزيغاناً مال والزيغ الشك والجور عن الحق . القاموس المحيط . القاهرة ١٩٥٢ ج ٣ صفحة ١١١

(٤) ت : في مشهد

(٥) في أ مع الاسرار بالخطا ، ت : « السرور بالسامع » وبقية الكلام سقطت من ت . والتصحيح من حاشية أ (٦) الاستطابة (٧) معونه

(٨) أ : اختيا ؛ ت : اجتنا العدو من افشا . والتصحيح من حاشية أ

والوحشة من المعلوم ، الفقر : التجرد عن الحراك والتفرد عن الاملاك ، الفقر : التخلي عن عطائه والتحلي ببلائه ، الفقر : التلذذ بالافلاس ووشم القلب بالياس .

باب النعمة : النعمة : ما قطعك عن العلايق وجمعك بالحقايق ، النعمة : ما اسلاك عن دنياك وادناك من مولاك ، النعمة : ما لايوجب ندماً ولا يعقب ألماً ، النعمة ما لا يشغلك عن قلبك ولا يقطعك عن ربك ، النعمة : ما لا يُقسّي [1] القلب ولا يُنسي الرب.

باب الاستدراج : الاستدراج : تواتر [2] المنّة بغير خوف الفتنة ، انتشار الذكر دون [3] خوف المكر ، التمكين من المُنْيَة والصد [4] عن البغية [5] ، تعليل رجاء [6] وتأميل [7] بغير وفاء . الاستدراج : ظاهر مغبوط وسر بالاغيار [8] منوط .

باب الدعوى : الدعوى : اظهار الرعونة ونسيان المعونة ، الدعوى : خروج النفس بالقحة [9] وان لا يترك مقابحه [10] ، الدعوى : الافتراء وترك [11] الحياء . الدعوى : التوسع في الكلام لقلة [12] الاحتشام ، الدعوى : لسان منطلق [13] وقلب منطبق [14] .

باب البلاء : البلاء : سمة [15] الولاء ، فمن تمّ بلاؤه صحّ [16] ولاؤه [17]. البلاء : عطية لأهل الخطية . البلاء : تحفة من الحق [18] وزلفة لأهل [19] الصدق . البلاء : مطية الأحباب وعطية المصاب . البلاء : تأديب للأغيار [20] وتقريب للأخيار .

باب حسن الخلق : الخلق : تحمل المؤن بتقلد المنن. الخلق: كفّ الأذية وحمل البلية [21]. الخلق : الاسعاف للعافي [22] وترك [23] الانتصاف من الجافي . الخلق : الشكر لمن حرمك

---

(١) أ : تقسى (٢) ت : هو تواتر (٣) ت : دوسك (٤) ت : والصدق
(٥) ت : النعمة (٦) ت : بقليل برها (٧) ت : وتاميل نفي . وما بعدها سقط منها
(٨) ت : بالاعتبار (٩) ت : بالحجة (١٠) مفايحه (١١) ت : وقلة
(١٢) ت : بقلة (١٣) ت : ينطبق (١٤) ت : مفترق (١٥) نسبة
(١٦) ت : وصح (١٧) ت : ولاه (١٨) ت : الحزن (١٩) ت : لاهل
(٢٠) ت : الاغيار . الاخيار (٢١) ت : وتحمل الخليه (٢٢) ت : للحافي
(٢٣) سقطت من ت

والعذر ممن [1] ظلمك . الخلق : تفضلٌ بلا تمدّح وتشربٌ بلا ترشح [2] .

باب الحياء : الحيا تذويب الحشا تحت كشف المولى . الحيا : خجلٌ [3] عما صنعه واسفٌ على ما ضيعه [4] . الحيا : دوام [5] الحشمة لما ترك من الحرمة . الحيا : انقباض القلب عما [6] يسخط الرب . الحيا : استشعار الخجلة لما قارف من الزلة .

باب المراقبة : المراقبة : اطراق السريرة والحياء من ارتكاب الجريرة أو يقال [7] : محافظة الأوقات بملاحظة [8] الاسامي والصفات [9] ، أو يقال [10] : اجتماع القلب لاطلاع الرب، أو يقال [11] : محاباة [12] السراير [13] بمراعاة الخواطر. أو يقال : تحققٌ بربوبيته [14] وتخلقٌ بعبوديته .

باب المعرفة : المعرفة : سمو اليقين [15] عن حد التلقين، أو يقال : زوال البرهان لكمال العيان . المعرفة : دثور الريب لظهور [16] الغيب المعرفة : سقوط الوهم لوضوح الاسم . المعرفة : هجوم الأنوار [17] على الأسرار . المعرفة : كشف لايدركه وصف ونعت لا يُخلقه [18] كيف .

باب التوحيد : التوحيد [19] : سقوط الرسم عند ظهور الاسم ، التوحيد : فناء الأغيار [20] عند ظهور [21] الأنوار . التوحيد : تلاشي الخلايق عند ظهور الحقايق . التوحيد : زوال النسبة وذهاب القربة والغيبة . التوحيد : فقد رؤية الأغيار عند وجدان [22] قربة الجبار .

---

(1) ت : لمن (2) ت : وتسرب بلا رشح أ : شرب (3) ت : بخجل
(4) أ : في الحاشية « ضيع من الخدمة » (5) ت : ام (6) ت : لما
(7) ت : ويقال . وما بعدها استدرك على الحاشية الى « او يقال اجتماع »
(8) أ : للاحظة . ت : بملاحظتي (9) ت : الصفاه (10) ت : ويقال
(11) ت : ويقال (12) أ : حماماه . ت : محاياه (13) سقطت من أ
(14) أ : بروبته (15) أ : النفس (16) أ : بظهور (17) ت : الاسرار
(18) ت : يدركه ، هكذا في أ (19) ت : باب التوحيد هو « فناء الاغيار »
(20) ساقطة (21) ت : طلوع (22) ت : وجود

باب التصوف : التصوف : الوفاءبالعهود ثم الفناء عن كل معهود ، التصوف : السكون بحكم وقتك ثم الخروج عن نعتك . التصوف : ذهاب الكدر وزوال الغَيَر . التصوف : أخذٌ بوثيقه وقيامٌ بحقيقه . التصوف : عهد غير منقوض وحال غير مرفوض .

باب الهيبة والتعظيم [١] : الهيبة : انخلاع الاوصال لشهود الجلال . التعظيم [٢] : اجلال الحق باقلال [٣] الخلق . الهيبة : تحير القلب عند كشوفات الرب . الهيبة : انخناس الوصف عند بوادي الكشف . والتعظيم : جمع الاسرار بنعت [٤] الانكار . الهيبة : قهر يرد بغتة ، وكشف يقع فلتة .

باب القربة : القربة : زوال الحس واضمحلال النفس . القربة : ارتفاع المسافة وانقطاع المخافة. القربة : اسبال الوصف واكمال الكشف . القربة : دنوٌ لابتحديد ومحوعند توحيد . القربة : إحداقُ [٥] التولي عند أوقات التجلي [٦] .

باب المحبة : المحبة : حالة لا تعبر عنها مقالة [٧] . المحبة : استيلاء المحبوب على السر واستهتار القلب بدائم [٨] الذكر . المحبة : العمى عن الغيب غيبة وعن الغير غَيرة . المحبة : فناء في المحبوب وامتحاء [٩] عن كل منسوب . المحبة : استواء الحضور والغيبة وارتفاع البعد والقربة .

باب الشوق : الشوق : توهج القلب الى لقاء الرب . الشوق : اهتياج الوجد عند احساس البعد . الشوق : هيجان السر لفقدان [١٠] الصبر . الشوق : تعطش القلوب الى لقاء المحبوب . الشوق : عدم القرار لبعد المزار .

باب السماع : السماع : فهم [١١] ما كوشف [١٢] به من البيان [١٣] ، والارتفاع [١٤] عن

---

(١) ساقطة من ت (٢) ت : والعظيم (٣) ت : باجلال

(٤) ت : لنعت وكل ما جاء بعد « الانكسار » ساقط الى « باب القربة »

(٥) ت : اخلاق (٦) ت : التخلي (٧) ت : لاتعبر بقاله (٨) ت : بدوام

(٩) ت : وامتحان (١٠) أ : بفقدان . ت : لفقد (١١) ت : ما فهم

(١٢) ت : كشف (١٣) ت : اللسان (١٤) ت : الارتقا وربما كانت كذلك

الوهم الى روح العيان[١] . السماع : سفير الحق بما اظهره [٢] من الحق . السماع : تعريف[٣] باشارة وتوقيف بامارة [٤] . السماع : داعي الغيب عند [٥] دواعي الريب . السماع : قوت الروح بقوة اللوح .

باب القبض والبسط : القبض والبسط : هما نعتان بهما بقاء القلب أوفيهما بقاء الحب [٦] . ويقال : القبض عن الأغيار والبسط بالمبار [٧] . القبض للأرواح والبسط بالارتياح . القبض عن الاشكال والبسط بنعت الحال . القبض صدود منه [٨] والبسط شهود له .

باب الجمع والفرق: الفرق : بعاد منه ، والجمع انفراد به [أواتحاد به] [٩] . الفرق [١٠] : شهود الخلق ، والجمع : طلوع الحق . الفرق : بقاء النفس والجمع فناء الحس [١١] . الفرق : لكي يعبد ، والجمع لكي يُشهد ، الفرق : بقاء الرسم ، والجمع ظهور الاسم .

باب الأنس : الأنس : عيش السر من غير ملاحظة البر ، الانس : حياة القلب بنسيم القرب . الانس : برد الحياة بوداد[١٢] المداناة ، الانس : وجد الحبيب لفقد [١٣] الرقيب . الانس : ذوق الوصول[١٤] فوق المأمول .

باب الهمة : الهمة : تنزيه القصد عما [١٥] له ضد أوندّ [١٦] . الهمة : سموّ الافكار الى علو الاقدار[١٧] . الهمة : ترقي الاسرار عن مساكنة الاغيار [١٨] الهمة : شرف الطلب والأنفة من [١٩] كل أرب . الهمة : الاسراع الى المعالي والنزاع الى شرف المعاني .

---

(١) أ : البرهان ، الا ان الكلمة الصحيحة استدراك في الحاشية (٢) ت : ظهر
(٣) ت : تقريب (٤) ت : باثاره (٥) أ : عن والتصحيح من الحاشية
(٦) ت : لقا الحبيب
(٧) هكذا في أ . وفي ت : بالمنار وربما كانت:القبض للاغيار والبسط للاخبار ؛ والا فالجملة لا معنى لها
(٨) ت : له (٩) غير واردة في أ ولعل الناسخ قد زادها في ت لانها لا تتفق مع آراء القشيري
(١٠) ت : الجمع ، شهود الحق والفرق شهود الخلق (١١) الجمع فناء الحس : ساقطة من ت
(١٢) أ : بوجد ، وعلى الحاشية : بوجود (١٣) أ : بفقد (١٤) ت : دون الوصل
(١٥) ت : عن ما (١٦) ت : وند (١٧) ت : القرار
(١٨) الجملة : الهمة ترقي . . الاغيار : ساقطة من ت (١٩) ت : عن

باب المشاهدة : المشاهدة : شهود العين بلا إين . المشاهدة : قيام الذات وسقوط الذات . المشاهدة : شهود الغيب بسقوط الريب. المشاهدة : ظهور بدثور [١] . المشاهدة : وجود بلا حدود .

باب الفراق : الفراق : تعذيب [٢] الاحباب وتغييب الالباب . الفراق : تفريق بين القلب والبهجة وتحريق الروح والمهجة [٣] . الفراق : عين تصيب الوصلة وقتل [٤] بغير مهلة . الفراق : تكدير صافي الوصل ونذير داعي [٥] القتل . الفراق : خطب عظم ينزل بكل حر كريم .

باب الوصال : الوصل : ليس فوقه [٦] موهوم لكنه نادر قل ما يدوم لحظات [٧] . الوصال : سريع الارتحال [٨] ، الوصل : شفاء [٩] الحشا من داء [٩] الضنا . الوصل : غذاء [٩] الروح ودواء [٩] كل قلب مجروح . الوصل : الوداد بتصديق ماسبق من الميعاد.

قال الله تعالى « جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب » [١٠] ذكر جنته الوصلة وعدها بالغيب لأهل الجنة وسترها عن اوهام الأخيار بلفظ الجنة . وبالله الحول والقوة والمنة والحمد لله وحده [١١] .

---

(١) ت : بسرور أ : يثبور (٢) ت : تقريب (٣) الفراق تفريق.. المهجة : سقطت من ت

(٤) ت : وقيل (٥) ت : تدبير دواعي (٦) ت : قدمه

(٧) الى هنا تنتهي نسخة أ (٨) شريعه والارتحال

(٩) الهمزة في كل كلمة مهموزة محذوفة فاثبتها في الرسالة دون الاشارة اليها

(١٠) سورة مريم : ٦١

(١١) نسخة ت : افقر عباد الله واحوجهم اليه ذي (كذا) الزلل والتقصير شعبان بن اسمعيل الزرعي الشافعي عفا الله عنه

وفي الحاشية « بلغت المقابلة بالزاوية الموصلية بجوار سيدي صهيب الرومي وسيدي حسان بن ثابت رضي الله عنهما »

٤ — القصيدة الصوفية :

بسم الله الرحمن الرحيم . . وبه نستعين

قال الشيخ الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى [١] :

١ ـ	بحمد الله افتتح المقـــالا	وقد جلَّت اياديه تعـالى
٢ ـ	واعقب بالصلاة على المعلّى	على كل الورى شرفا وحالا
٣ ـ	وقفت على معـــاني ما سألتم	من التوحيـد اذكره ارتجـالا
٤ ـ	بنظـــم لا مخيل بالمعـــاني	ولا بسـط فيورثكم مـلالا
٥ ـ	ســـاسعفكم بربي مستعينا	أؤمل ان يجنبني الضـــلالا
٦ ـ	حكمنا بالحـدوث لـكل شيء	وجـــدناه تغيّير واستحالا
٧ ـ	تدلُّ [٢] المحدثات على قـديم	يُحَصِّلُها ولم يقبل زوالا
٨ ـ	قـــدير عالم حي فريد [٣]	سميـــع مبصر لبس الجـــلالا
٩ ـ	ولاستحقاقه هذي الأسامي	صفات يستحق بهـا الـكمالا
١٠ ـ	فلا يحـــويه قطر او مكان	ولا حد فيستدعي مثـــالا
١١ ـ	وراءً او [٤] مقـابلة وفوقاً	وتحتاً او يمينـا او شمـالا
١٢ ـ	تقـــدّس ان يكون له شبيه	تعـالى ان [٥] يظن وان يقـالا

---

(١) في الاصل : تعال (٢) فدل (٣) مريد

(٤) و (٥) لن

١٣ ـ ولا جسم يماثل محدثات مؤلفة قصاراً او طوالا

١٤ ـ يراه المؤمنون بغير شك ولم يوجب له وصفاً محالا

١٥ ـ وما القرآن مخلوقاً حديثا وفي انزاله باد وقالا

١٦ ـ ولو في ملكه ما لم يُرده لكان لنعت عزته انتقالا

٢٧ ـ ويخلق فعلنا خيراً وشراً [١] سداداً او فساداً او خبالا

١٨ ـ وقدرتنا لئن صلحت بخلق وحاولنا الجواهر فاستحالا

١٩ ـ بل الافعال والاكساب منا امارات فدع عنك المحالا

٢٠ ـ وليس الكسب موجب مايلاقي ولا لجزاء مولانا اعتلالا

٢١ ـ فلا قدر ولا في الدين جبر بلى[٢] كسب شرحت به المقالا

٢٢ ـ ولم يخرج عن الايمان عبد بدون الكفر لم يُحسن فعالا[٣]

٢٣ ـ ولله العزيز يحق ملك بعيد من تكلُّفه الفعالا

٢٤ ـ وارسل بالهدى رسلاً كراماً لهم برهان صدق قد توالى[٤]

٢٥ ـ وخص محمداً بعلو قدر وعز قد كساه به جلالا

٢٦ ـ واعطاه من افضال ومجد واوصاف حميدات خلالا

٢٧ ـ شفاعة امة وكمال دين ومعراجاً وما في ذاك نالا

٢٨ ـ اذا رام الخطيب له بيانا اصاب لبسط قالته مجالا

٢٩ ـ فكان الشمس والباقون بدراً وكان البدر والباقي هلالا

٣٠ ـ فمهَّد للورى شرفا قويماً ولم يترك لاهام مقالا

٣١ ـ وبين ان افعالا حراماً وافعالا مباحاً او حلالا

٣٢ ـ وللخيرات قد وعد العطايا ومن يعص الاله يذق وبالا

---

(١) قشرا

(٢) فلا

(٣) في الاصل : نصالا

(٤) توالا

٣٣ ـ فلما ان مضى ترك البرايا على بيضاء من درر تلالا

٣٤ ـ وبعد وفاته الصديق ثاني وفاروق تعقبه ولالا

٣٥ ـ وذو النورين بعدهم علي هم الخلفاء والباقون لالا

٣٦ ـ فلا تذكر صحابته بسوء ودع ما قد جرى ودع السؤالا

٣٧ ـ وخالف كل مبتدع تصدى لتشبيه وتعطيل وقالا

٣٨ ـ وجانب كل منتحل ضلالاً ومن يختار رفضاً واعتزالا

٣٩ ـ وقل انا مؤمن وبفضل ربي ارى منه التجاوز والنوالا

تمت القصيدة بعون الله وحسن توفيقه والحمد لله رب العالمين .

محمد الفهمي الموصلي

محمد صديق الجليلي

هو الاديب الشاعر الكاتب محمد الفهمي بن عبد الله بك بن يونس افندي بن يحيى بك ابن محمود بك بن طه افندي بن يونس افندي بن طه افندي بن علي اغا محضرباشي الموصلي .

وابن عم العلامة صالح السعدي والاديب قاسم الحمدي ولدي يحيى افندي سلام اغاسي (مدير التشريفات) بن يونس افندي بن يحيى بك محضر باشي [١] .

ولد في الموصل في حدود سنة ١١٩٥ هـ وتوفي فيها في حدود سنة ١٢٥٠ هـ .

درس على شقيقه رئيس العلماء الشيخ نور الدين علي افندي بن عبدالله بك في مدرسة جامع الحاج حسين باشا الجليلي (جامع الباشا) وتخرج عليه في سائر العلوم .

وفي حدود سنة ١٢٢١ هـ سافر الى بغداد حيث نزل فى مدرسة الوزير علي باشا والي بغداد ، ثم عين مدرساً ومهذباً لسعيد بك ابن سليمان باشا الكبير والي بغداد السابق فمكث مدة في هذه الوظيفة ثم عاد بعد ذلك الى الموصل .

ولما وجهت ولاية بغداد سنة ١٢٢٨ هـ للوزير سعيد باشا سافر المترجم اليها مرة ثانية وفي نيته الدخول في خدمة الوزير تلميذه السابق الا ان الوزير ضرب صفحاً عنه ولم يلتفت اليه فعاد المترجم الى الموصل وبقي ملازماً لخدمة والده الشيخ [٢] .

بعد وفاة والي الموصل الوزير عبد الرحمن باشا بن عبدالله بك الجليلي وجهت ولاية الموصل في صفر سنة ١٢٣٨ هـ للوزير يحيى باشا بن نعمان باشا الجليلي [٣] فاستخدم نخبة ممتازة من ادباء الموصل وكتابها في حكومته فعين شقيقه الاديب

محمد اسعد باشا كتخدا ، والاديب الكبير عبد الباقي افندي العمري معتمداً ، والاديب قاسم الحمدي وغيره من الادباء كتاباً في ديوان الانشاء وعلى رأسهم العلامة صالح السعدي رئيساً للديوان .

وقد واختار الكتخدا محمد اسعد باشا الاديب محمد الفهمي مستشاراً له ومعتمداً، فسارت امور الولاية على خير ما يرام وبقي ملازماً الوزير يحيي واخاه خمس سنوات الى اوائل المحرم من سنة ١٢٤٣ هـ عند ما عين يحيي باشا قائداً في جيش الشرق للدولة العثمانية وحوّل الى ولاية اطنة ، فوجهت ولاية الموصل للوزير عبد الرحمن بن محمود باشا الجليلي (٤) .

وفي اواخر ولاية الوزير يحيي حدثت مجاعة كبيرة في الموصل وسائر المناطق المجاورة لها نتيجة انحباس الامطار فلم يحصد اهل الموصل ولا فلاحو المناطق المجاورة ومزارعوها ثلاثة مواسم متوالية للسنين ١٨٢٥ و ١٨٢٦ و ١٨٢٧ م الا ما ندر مما ادى اخيراً الى مجاعة كبيرة في الموصل وسائر المناطق المجاورة وزاد في الطين بلة ،توارد الالوف من الجياع الى المدينة من القرى القريبة والبعيدة والجبال واعراب البادية فاتخذ الوزير التدابير اللازمة وبذل جهوداً عظيمة للتخفيف من ويلات تلك المجاعة فامر بانشاء الافران العديدة في اماكن متفرقة من المدينة ،وجلب ما امكن جلبه من الحبوب من ديار بكر بواسطة الاكلاك نهراً ،وذبحت المواشي بكثرة زائدة للتعويض عن النقص في المواد الغذائية الاخرى خففت تلك الاجراءات والتدابير الكثير من الويلات ،الا ان النكبة كانت عامة شاملة واعظم بكثير من سائر الامكانات والتدابير المبذولة لمعالجتها والتغلب عليها فمات كثير من الناس جوعاً ، وهاجر البعض الى بغداد وانحاء اخرى ، الا أن معظمهم كانوا من الغرباء والمهاجرين ، لان اهل الموصل وسائر فلاحيها ومزارعيها قد اعتادوا منذ القديم ـ وقد علمتهم تجارب ومناخهم الجاف ـ على الاحتفاظ بكميات احتياطية كافية من الحبوب وخزنها في بيوتهم لوقت الحاجة اليها في مثل هذه الظروف للاكل والبذور ، لذلك لم تكن اثار تلك المجاعة شديدة بالنسبة للمدينة (٥) .

ولما كان داود باشا والي بغداد يطمع بالسيطرة على الموصل استغل محنتها هذه فاوعز سراً الى بعض اغوات الجيش الانكشاري فيها وحرضهم على القيام بثورة ضد واليها يحيى باشا بحجة تقصيره في مكافحة المجاعة فاستجابوا له فثاروا في اواسط شعبان من سنة ١٢٤٢ هـ (اذار ١٨٢٧ م) مما اضطر الوزير يحيى الى مغادرة الموصل مع اتباعه الى بغداد . ونهب المتمردون دار الوزير ودار اخيه محمد اسعد باشا ودار معتمده عبد الباقي افندي العمري وغيرهم ، وقدعلمت الدولة بنوايا داود باشا هذه واشعاله نار تلك الفتنة في الموصل الا انها سكتت عنه لان الظروف لم تكن تساعدها على محاسبته .

وبعد ان بقي الوزير يحيى مع اتباعه ثلاثة اشهر ونصف الشهر في بغداد ووصول التعليمات والاوامر اللازمة من استانبول عاد الوزير الى الموصل في اوائل ذي الحجة بعد أن قتل قسماً من رؤوس تلك الفتنة وابعد الباقين الى بغداد فاقاموا في الكرادة في خيام نصبت لهم هناك الى حين صدور العفو عنهم وعادوا الى الموصل [٦] .

وفي سنة ١٢٤٣ هـ وبينما كان الناس في الموصل مستبشرين بسقوط الامطار الكافية وجودة الموسم ، داهم الموصل وباء الطاعون الذي وصلها مع بعض القوافل التجارية القادمة من حلب، وكان الوباء المذكور قد انتشر اول الأمر في دمشق ،في الاشهر الاخيرة من سنة ١٢٤٢ هـ وفتك فيها فتكا ذريعاً وقد توفي من اثره الشيخ خالد النقشبندي فجر الجمعة ٨ حزيران سنة ١٨٢٧ م ١٣ المصادف لذي القعدة سنة ١٢٤٢ هـ ،ثم تسرب الوباء الى حلب ومنها الى الموصل واستمر يفتك فيها (من اواخر رجب الى اواخر ذي الحجة من سنة ١٢٤٣ هـ الموافق لاواخر شباط الى اواخر حزيران سنة ١٨٢٨ م)[٧] .

وممن توفي فيهذا الوباء فيالموصل الاديب محمد سعيد بن جرجيس الجوادي، والواعظ الموصلي الشهير ، والشيخ يوسف الخياط، المعروف بالواعظ وبالرمضاني والد الاستاذ الشيخ علاء الدين على الموصلي الرمضاني استاذ الآلوسي الكبير في بغداد .

وفي هذه السنة، ١٢٤٣ هـ، هرب من الموصل الى بغـــداد الشاعر الموصلي الشهير عبد الغفار الاخرس عند ما أمر والى الموصل الوزير عبد الرحمن باشا إلقاء القبض عليه لشغبه عليه، ولم يفده الهرب فقد القي القبض عليه في بغداد وحبس بأمر من داود باشا تلبية لرجاء والي الموصل، فلبث في السجن بضعة اشهر، قال الاخرس لمن لامه وشمت به عند حبسه في بغداد :

اقول للشامت لما بـــدا يكثر بالتعنيف والشين
اليس يكفيني فخاراً وقـــد اصبحت في قيد وزيرين [٨]

وكان الاخرس عنـد هربه من الموصل شاباً في حدود الثانية والعشرين، لذلك لا نجد له في مجموعات الموصل ومخطوطاتها الا بعض قصائده الركيكة لانه لم يكن قـــد نضج بعد .

وفي اليوم التـاسع من شـوال سنة ١٢٤٤ هـ (١٣ نيسان ١٨٢٩ م) اغتيل والى الموصل الوزير عبدالرحمن باشا بن محمود باشا الجليلي، نتيجة مؤامرة دبرها بعض اغوات الجيش الانكشاري، وعلى الاثر اجتمع علماء الموصل واعيانهـــا وامراء الجيش في دار الحكومة لانتخاب خلف له وبعد المداولة اجمعوا على ترشيح الاديب محمد امين باشا نجل الحاج عثمان بك الحيالى الجليلي، وحرروا محضراً بذلك وبعد تأييد والى بغداد داود باشا ارسل المحضر المذكور الى استانبول، حسب العادة فوجهت الدولة ولاية الموصل الى محمد امين باشا ووصل الفرمان الخاص بذلك الى الموصل في اوائل المحرم سنة ١٢٤٥ هـ .

وعندها دخل المترجم محمد الفهمي في خدمة الوالي وسارت الامور على ما يرام وقد حاول بعض الاغوات الانكشاريين القيام بفتنة جـــديدة مما اضطر والى الموصل الى ابعادهم خارج المدينة، فذهب المتمردون الى تلعفر واخـذوا بجمع الاعوان وانضم اليهم بعض الاعراب في البدو الراغبين بالنهب والسلب، وفي اوائل جمادى الاولى من سنة ١٢٤٥ هـ (تشرين الثاني ١٨٢٩ م) وصل المتمردون بجموعهم الى ابواب المدينة وعندها انقسم

الجيش الموصلي الانكشاري على نفسـه فانضمت بعض فرقه الى المتمردين ولازمت باقي الفرق تأييدها للوالي فنشب قتال عنيف في شوارع الموصل بين الفريقين دام ٢١ يوماً مما اضطر الوالي محمد امين باشا اخيراً على مغادرة الموصل باتباعه الى بغداد فكانت فتنة شعواء سببهاطماع الانكشاريين التي لا تقف عند حد واعتيادهم على التمرد والشغب، وشغبهم المستمر هو الذي أدى الى ابادتهم في استانبول من قبل السلطان محمود خان الثاني في واقعة يوم الجمعة ١٠ ذي القعدة سنة ١٢٤١ هـ (١٦ حزيران ١٨٢٦ م) تلك المذبحة التي تسمى في التاريخ العثماني بالوقعة الخيرية حيث ابيد فيها تلك الفرق الانكشارية التي كانت ترابط في العاصمة من الجيش .

هذا واستشهد في فتنة انكشاريي الموصل هذه كل من العلامة فخر الدين الحاج عثمان الحيائي الجليلي والد الوالي والعلامة تقي الدين صالح السعدي رئيس ديوان الانشاء وعثمان افندي بن نعمان بن عثمان الدفتري العمري وغيرهم ، ونصب المتمردون قاسم افندي بن حسن افندي العمري متسلماً للبلد [٩] .

وعند وصول اخبار هذه الفتنة الى الدولة اصدرت اوامرها الى داود باشا بقتـل قاسـم افندي العمري وجماعته الانكشاريين وإعادة الوالي محمد امين باشا الى منصبه في الموصل وارسلت الاوراق مع ساعي البريد الخاص (اغا التتر) ، وعند وصول اغا التتر الى الموصل اوجس المتمردون خيفة من مجيئه وايقنوا بحمله اوراقاً تتعلق بحياتهم ، وعند ما كان اغا التتر مستغرقاً في النوم تلطفوا وفتحوا حقيبته الجلدية وسـرقوا منها الاوراق الخـاصة التي تقضي بقتلهم ثم اعادوهـا كما كانت ، وفي الصباح واصل اغا التتر سفره الى بغـداد وعند وصوله وفتحه حقيبته امام داود باشا تفقد تلك الاوراق فـلم يجـدها وعندها علم الجميع بما حدث [١٠] .

وهكذا بقيت الموصل مـدة سنة ونصف السنة بدون حكم شرعي، الى اوائل ذي القعدة من سنة ١٢٤٦ هـ (نيسان ١٨٣١ م) حيث وصل الموصل الحاج محمد علي رضا

باشا لاز اوغلو ، والي حلب مع جيشه ، وهو في طريقه الى بغداد ، لعزل واليها داود باشا .

وكان على رضا باشا قد طلب من الدولة عند تكليفه بهذه المهمة ان يفوض اليه امر ولايتي الموصل وديار بكر موقتاً ، وان يلغى امر الاعدام الصادر سابقاً بحق قاسم افندي العمري وتعينه والياً للموصل فوافقت الدولة على طلبه وعلى ذلك حولت الوزير يحيى باشا الجليلي الذي كان والياً على ديار بكر الى اماسيا ، بعد ترفيعه وتخويله لقب الوزير الكبير ، فآل أمر الولايتين المذكورتين الموصل وديار بكر الى علي رضا باشا (١١) .

وارسل علي اللاز قاسم العمري قائد حملة الى بغداد ورافق تلك الحملة عبدالباقي العمري ، وبعد أن اخفقت تلك الحملة وقتل قائدها قاسم افندي العمري في سراي بغداد يوم ٢ محرم ١٢٤٧ هـ (١٣/٦/١٨٣١ م) كما مفصل في كتب التاريخ تمكن عبد الباقي العمري من الفرار والعودة الى الموصل مع فلول تلك الحملة (١٢) .

وفي رمضان سنة ١٢٤٧ هـ وجه علي رضا باشا ولاية الموصل الى محمد سعيد باشا بن ابراهيم بك آل ياسين المفتي ، وفي جمادى الاولى سنة ١٢٤٨ هـ وجهت ولاية الموصل للوزير يحيى باشا الجليلي مرة ثانية فاتصل المترجم بخدمته .

وفي رمضان سنة ١٢٤٩ هـ عزل يحيى باشا عن ولاية الموصل وارسل الى تكفور طاغ على بحر مرمرة (١٣) ثم استدعي الى العاصمة وعين عضواً في مجلس الشورى للدولة (شوراي دولت) ووجهت ولاية الموصل مرة ثانية الى محمد سعيد باشا آل ياسين المفتي الى اواخر سنة ١٢٥٠ هـ . حيث وجهت ولاية الموصل الى محمد باشا اينجه بيرقدار البارطيني ، وكان اول عمل قام به هو القضاء على اغوات الموصل الانكشاريين فابادهم بمذبحة شبيهة بمذبحة المماليك في بغداد ولم ينج منهم سوى سليمان اغا الذي تمكن من الفرار الى بغداد والحصول على وثيقة بالابقاء على حياته من علي رضا باشا (١٤) .

هذه اهم الاحداث التي عاصرها المترجم ذكرناها باختصار لاعطاء فكرة عن العصر الذي عاش فيه .

شعره :

للمترجم شعر كثير الا انه فقد بفقدان ديوانه ، وقد تمكنا من الاطلاع على قصائده الثلاث في مدح الوزير يحيى ،التي اثبتها له عبدالباقي العمري في كتابه « نزهة الدنيا فيما ورد من المدائح على الوزير يحيى » الاولى ومطلعها :

فتى ضيعته اهله واقاربه   وما هي والايام الا عقاربه

والثانية ومطلعها :

لا يبلغ الغاية القصوى من الرتب   الا الذي نال اعلاها بلا طلب

والثالثة ومطلعها :

فؤاد لا يقر له قرار   وقلب بالصبابة مستطار

وتخميس البردة ـ ولدينا نسخة منه ـ وهو انفس التخاميس ومطلعه :

يا من اراه بقلب بات في سدم   ودمعه بين منهل ومنسجم

لم ادر علة ما ابديت من الم   «أمن تذكر جيران بذي سلم

مزجت دمعاً جرى من مقلة بدم»

ومقطوعة في مدح الاديب محمدامين باشا الجليلي والي الموصل وفيها كثير من الصنعة[١٥].

ومما تجدر الاشارة اليه ان المرحوم المطران سليمان الصائغ الموصلي في الجزء الثاني من كتابه « تاريخ الموصل » قد نسب قصائد المترجم الثلاث المذكورة سهواً الى محمد فهمي العمري فقد التبس عليه الامر لتشابه الاسمين فجاءت ترجمته لمحمد فهمي العمري في كتابه المذكور مشوهة لهذا السبب[١٦] ، واليك الآن بعض الابيات من قصيدة المترجم الاولى المنوه عنها اعلاه :

فتى ضيعته اهله واقاربه   وما هي والايام الا عقاربه

اذا ما قضى نحباً وحان منونه   فلم يبكه الا بنوه وصاحبه

وليس له ذنب سوى ان كفه   تفك قيوداً للعفاة مواهبه

ولي في الورى من كل فعل جميله   ومن كل قول في الانام اطايبه

ويغلبني من ذي الجهالة جهله واغلب ذا فهم اذا ما اغالبه
واني من الاحرار لست بأول اصابته من صرف الزمان مصائبه
فهذي طباع الدهر فالليث موثق بقيد من البغضاء والكلب صاحبه
ولا زلت من عصر الشبيبة والصبا يحــاربني دهري فلا واحاربه
وقائلة لم ليل حالك حالكا وكفك صفراً وافتقارك لازبه
فقلت لها قد احوجتني فصاحة وفضل ومن كيد العشيرة غالبه
جزى الله عني كلهم خير ما جزى به ظالماً ، شر الخليفة حاجبه
يرون اكتساب المال خير سجية وان الفتى المفضال من هو كاسبه
ولا يبلغ العلياء حر وماجد مقل وان الندب من هو جالبه
أ اطلب مال دون من ومنحة فهيهات لا والله ما انا طالبه
ولا زلت مذ يأتي الغنى فاعافــه يعاتبني حظي بــه واعاتبه
اذا قدمتني همـــة لمرامها تؤخرني من كل امر عواقبه
فان قصارى المرء خطب وانما على غرة سهم المنية صائبه
وهل ينفع الدنيار اذ ذاك والغنى وقــد ندبته حيث ولى نوادبه
وما الرزق الا قسمة لا بحيلة وكسب ويأتي كيفما خط كاتبه
فيحرم ذو كيس ويرزق عاجز ومن غالب الاقدار فالله غالبه
وقد يشرب الكأس امرؤ وهو غافل ويمنع من شرب الذي فيه ساكبه
وقد يجمع المال البخيل لغيره وذاك على حفظ الوديعة نائبه
ولا زلت ارعى كل نجم وطالع لاحظى بسعد فيها واراقبه
وما حيلة الندب الكريم وان يكن كمي اصطبار والزمان محاربه
فمن قارع الايام بالصبر سيفه فلا بد يوماً ان تفل مضاربه
ومن صارع الاسد الضراغم ساعة فلا بد ان يلقى على الارض جانبه

ومن قاوم الصم الجلاميد متنه — فلا وهنا من ان تكل مناكبه
ولكنني والحمد لله صابر — ومحموده صبري لدي عواقبه
فاي كريم في الزمان فارتجي — واي مليح في الورى فالاعبه
فقد ذهب الدهر الخؤون باهله — ولم يبق الا اشعب ومناسبه
واني نسيت المكرمات واهلها — وقد نسجت دون الخيال عناكبه
يهيجني تذكار فضل واهله — كما هيجتني غادة الحسن كاعبه

الى هنا ينتهي الشاعر من بث شكواه ثم ينتقل بعد ذلك الى الغزل ثم يتخلص بالمديح . الى هنا نكتفي والحمد لله اولاً وآخراً .

محمد صديق الجليلي

الحواشي

١) شجرة نسب اسرة آل محضر محضر باشي في الموصل (مخطوط) .

٢) نزهة الدنيا فيما ورد من المدائح على الوزير يحيى لعبد الباقي العمري (مخطوط) الاوراق ١١١ ـ ١١٦ .

٣) سجل انساب الاسرة الجليلية وترجم ولاة الموصل منهم بقلم محمد صديق الجليلي (مخطوط).

٤) المصدر رقم (٢) والمصدر رقم (٣) وديوان قاسم الحمدي (مخطوط) .

٥) مذكرات المطران بولص دانيال الموصلي (مخطوط) وكتاب رحلات الى العراق للسر واليس بدج ترجمة فؤاد جميل . صحيفة ٢٨٣ .

٦) مجموعة قصائد عبدالباقي العمري باللغة العامية (مخطوط) وتاريخ العراق بين احتلالين لعباس العزاوي جلد ٦ الصحائف ٢٩٧ ـ ٣٠٢ .

٧) المصدر رقم (٥) المخطوط والمطبوع وترجمة الشيخ خالد النقشبندي لابن عابدين الدمشقي وتاريخ العراق بين احتلالين .

٨) ديوان الاخرس صحيفة ٤٢٩ والمصدر رقم (٣) .

٩) مخطوطة في بعض حوادث الموصل في مكتبة المرحوم ناظم العمري ولدينا نسخة منها وديوان عثمان الحيائي (مخطوط) وديوان محمد امين الوفائي الجليلي (مخطوط) والمصدر رقم (٣) .

١٠) تاريخ الموصل للمطران سليمان الصائغ جلد ١ صحيفة ٣٠٥ .

١١) المصدر رقم (٣) وكتاب سجل عثماني جلد ٤ صحيفة ٦٤٤ وتاريخ العراق بين احتلالين للعزاوي جلد ١ الصحائف ٣٠١ـ٣٠٩ . وتاريخ بغداد لسليمان فائق .

١٢) ترجمة عبد الباقي العمري بقلم محمد صديق الجليلي (مخطوط) .

١٣) المصدر رقم (٣) وكتاب سجل عثماني جلد ٤ صحيفة ٦٤٤ .

١٤) سالنامة الموصل لسنة ١٣١٠ هـ . صحيفة ٤١٠ـ٤١٢ .

١٥) مجموعة شعر مخطوطة في مكتبة محمد صديق الجليلي .

١٦) تاريخ الموصل للمطران سليمان الصائغ الموصلي جلد ٢ صحيفة ٢٣٣ ـ ٢٣٧ .

النصرة في اخبار البصرة

تأليف | (القسم الثاني ـ تتمة) | تحقيق

أحمد نور الانصاري

الدكتور يوسف عز الدين

الفصل الثالث

فاما ما يزيد في التعمير للاراضي ، التي فيها آثار العمران : فرجوعها الى بقية من غرسها سابقاً ، ويوظف[1] له النصف من الثمار . ليباشر حراثة الارض، وحفر الانهار ، والسواقي ، والا ما دامت الفلح تأكل الربع منه جميع مقاطعة الدواسر ومقاطعة شط العرب والزين ، لم تزل في نقصان شيئاً فشيئاً . وعلى حسب الظاهر بعد كم سنة لم يحصل منها نصف ما يحصل الآن. لان الانهر والسواقي درست ولم تزل كل سنة يهلك منها جملة نخيل فان كان هذا الامر ما اختارت رجال الدولة العلية فيوظف[2] على كل جريب من هذه المقاطعات دراهم معلومة، بعد تملك من يلتزم ذلك بثمن معين معلوم . واما الاراضي الخالية عن التعمير الصالحة للزراعة ، فمن جهة القبلة والشمال .

(حماية البصرة من الفيضان) :

فاول شرط من اسباب التعمير سد الجزائر عن ماء الموح[3]، وبعد ذلك تحفر انهار تتسلط على هذه الاراضي التي طولها مسير نحو عشر ساعات وعرضها ثلاث ساعات ،

(١ و ٢) في الاصل يوضف

(٣) الموح الفيضان ـ وتأتي بمعنى الاراضي التي غمرها الفيضان او الشاطيء ويغني المغني :

شفته بمشي للموح الموح ورواچـه تـرد الروح

الذي مقابلة[1] مقاطعات البصرة . واما مقاطعات المنتفك فسير نحو عشرين ساعة ، وقبل ذلك لما كان يسـد ماء الموح عليه مزارع كلية للمنتفك ، ورعاياهم ، مع انه ما زرعوا معشار الاراضي الصالحة . فبعدحفر الانهر لهذه الاراضي وتسلط الماء عليها يوظف[2] على كل جريب شيئاً معيناً ، ويحصل من يستقر ويعمر فيها ويحصل منها عايدات كلية، واما ما يجلب العمران لداخل مدينة البصرة وجلب الافاقية من اقاصي البلدان :

(استتباب الامن) :

فاولها الامنية على النفس والمال ، من تسلط السراق باخذ المال ليلاً ، وبعض احيان اذا تيقظ[3] صاحب البيت قتل واخذ ما في بيته، وذلك ما يحصل الا بالتفات تام من حضرة متصرف البصرة، بان يشرط، على من يجعله تفكجي باشي[4] ـ الذي هو بيده[5] العسوس وامر العامة ـ ان ما انتقض من اهل البلد من سكنة البيوت المبنية بالطين والبيوت المبنية بالقصب ، يؤخذ منه، بعد ان يمكنه من عسكر يختارهم صالحين لهذا التجسس ، معروفين الطبائع والاطوار، والتهديد التام والانتقام العام، ولا ينطق المومى اليه حفظه الله بلفظة من سلف ضرر يوضح[6] لمن اشتكى اليه، انه سرق بيته بل يستحصل حقه على حسب التنظيم .

(العدل والمعاملة الحسنة للعمال) :

والثاني مما يجلب سائر الافاقية المترددين ، حسن المعاملة، وهي معلومه لدى الخاص والعام . والامر الاكيد على جميع العملة الا يكلموا افاقياً الا بلين الكلام ، ولا يزعج بلفظ كلب او خنزير او ترس[7] .لان هذه الالفاظ نفّرت خلقاً كثيراً[8] من المترددين، وتوجهوا لمقاطعة كعب وتركوا مقاطعات البصرة ، وممن سكن البصرة من الحمالين والبنائين والسقائين، وتصدر على

---

(١) في الاصل مقابلت (٢) في الاصل يوضف (٣) في الاصل تيقض

(٤) تفك كلمة تركية معناها بنادق ومفردها تفـكة ويراد به حسب النص رئيس العسس

(٥) في الاصل بيه (٦) في الاصل غير واضحة وقد تـكون يوبخ اي يوبخ الشاكي

(٧) ترس ـ كلمة شتم بالغة التركية (٨) في الاصل خلق كثير

هؤلاء بعض السُّخر ، وعلى الفلاحين والفوادين ، ويهربون بعـد ذلك ، والا كان لهم نية الاستقامة لولم يذيقوا (كذا) هذه التكاليف . فاذا حصل للافاقية حسن معاملة والتفات من والي البصرة، وبلغهم الامنية في المال والنفس والعرض ،انجلبت اغلب اهالي الافاق التجار وغيرهم لسكنى البصرة ،مثل ما سكن سابقاً الشيخ احمـد بن رزق وتفرعت منه تجاراً وحواشي، وقد كان له امثال[1] في تجار عتوب[2] البحرين بكثرة المال. وتركوا البحرين لفتنة وقعت بين شيوخها في هذه السنين ، وتفرقت تجارها في جزر بحر فارس وبنادرها[3] والا لو وجـدوا ولاة البصرة شاع فيهم حسن الالتفات لما اختاروا على البصرة غيرها، وفيهم اعني هذه التجار من هو يجاري الشيخ احمد بن رزق بالمال،لو وفق الله، الشائعة ـعن معاملات سكنة البصرةـ حسنة ، لكان من اول انتقالهم من البحرين ليردوا الى البصرة ، وكذلك لو شاعت العدالة وحسن الشفقة مع الكل لكان بقية التجار الهاربة من البصرة للكويت ، ومسكت والهند، رجعوا باجمعهم الى البصرة. لانها كثيرة المياه العذبة والثمار الحسنة وانواع المكاسب موجودة فيها، حتى هواها يطيب ويحسن اذا انسد الموح عنها .

ومن اسباب التعمير سد الموح الساري نفعه للاجساد والثمار .

(احترام العلماء وفتح المدارس) :

ومما يزيد في العمران توقير اهل العلم وبناء مدرسة او مدرستين ، ويوظف[4] لها ما يكفي المدرس والطلبة الافاقية ، ليقصد البصرة من الافاق من له اوفى المام الاشغال بالعلم، لان اكناف البصرة وما يليها من اهل البنادر لهم تشوق الى طلب العلم ، وكثير ما يأتون ، فاذا رأوا من يعيلهم ليس له وظيفة[5] على التدريس ، اخذوا على انفسهم ورأوا مدرسهم الذي اعالهم بعض السنين او الاشهر مكلوفاً بنفسه ضنك المعيشة ، تفرقوا وهم

---

(١) في الاصل امثالا (٢) العتوب ــ بنو عتبة

(٣) البنادر جمع بندر وهو الميناء وفي الخليج بندر عباس وبندر بوشهر .

(٤) في الاصل يوضف (٥) في الاصل وضيفة

ميئوسون [1] فاذا رأوا انه موظف استقر وطابت نفوسهم ، الى ان يذكروا طرفاً من العلوم الشرعية .

(انصاف المظلوم ومنع الاعتداء) :

ومن المنافع السارية للعمران انصاف المظلوم ، من الظالم [2] ، واعطاء كل ذي حق حقه ، من غير محاباة [3] ، على طبق الواقع ، وعدم السماع لكل من اشتهر بالتعليمات ومخاتلات عباد الله ،

ومن الاسباب للتعمير تصفية العساكر الموظفة عن الاختلاط باجلاف الناس والمخالفين، وضبط عدد الصالح منهم بالوجه الحقاني ، كي لاتغادر كبراؤهم [4] الدولة العلية بأخذ مال من غير مقابلة عدد ، لان كبراءهم [4] اعتلوا بالمخالطة والمغالطة ويأخذون اجرة المائة ،وما عندهم نحو خمسين مثلاً ، وذلك من التغافل والمداهنة من المتصرفية .

وكذا من اسباب التعمير واستقلال الرعية بمكاسبهم منع اراذل العساكر الموظفة [5] عن الدخول في بساتين الرعايا ،لان بدخولهم يتلفون الثمار، بأخذها ويقطعون بعض الأصال ، ومن اجل ذلك اغلب اهل البساتين وبعض اهل الخضروات تركوا حرفة الزراعة ،من اجل ذلك وحذراً من ان تقع فتنة اخرى فاذا منعوا بالحكم النافذ الذي لم تعقبه رخاوة زادت الميوات [6] وكثرت الخضروات ، ورخصت اسعاره وسرى نفع الزراعة للملاكين والزراعين، وسرى نفع الرخص لسكنة البلد عامة .

(تطهير الانهار) :

ومما يجلب النفع لعامة اهل البلد تصفية الانهار المتخللة في الاكناف، المتفرعة عن نهر العشار مع تنقية العشار وحفره .

---

(١) في الاصل ميسونون

(٢) في الاصل « انصاف الظالم من المظلوم » .

(٣) في الاصل محابات

(٤) في الاصل كبرائهم

(٥) في الاصل الموضفة

(٦) الميوه ـ الفاكهة وجمعها ميوات ـ فواكه

(الوالي الممتاز) :

وخلاصة الامر: يكون مجموع ذلك الوالي الصافي الذهن كثير الدهاء، فوجوده على هذه الصفة هو السبب الا كبر،وشرط الوالي ان يكون عفيفاً متديناً مطيعاً لله ولسلطانه الاعظم ، فاذا عرف انه عصى الله فلا شك انه يعصي سلطانه ، ومن شروط العفة ان نفسه تحب معالي الامور ، وتكره سفسافها . ومن معالي الامور ان يقنع بما فرض له سلطانه ، وان لا يمد نظره لاموال رعيته وان يكون عفيفاً لم تمل نفسه الزكية لمخالطة من نفسه الدنية ، للمشروبات المحرمة ، ولمخالطة المرد والقينات . فاذا وجدوا والياً بهذه الصفات الحسنة فلا شك ان رعيته اغلبهم يحذون[1] حذوه ، اذ معنى كلمة شاعت[2] في الالسنة (الناس على دين ملوكهم) ظاهر المعنى وعليه العمل . كما شاهدناه وجربناه ، اذ كل وال اشربت فيه طبيعة ترى اغلب حاشيته ومجالسيه يتجاهرون بافعاله، ولا يتحابون ، من ذلك فنسأل الله ان يصلح ولاتنا ، وان يجعل هذه الصفات الحميدة المار ذكرها ، في حضرة[3] متصرفنا المنيب ، الذي هو للقلوب السليمة حبيب ، وقد شاهدنا وتفرسنا في حضرته المنيبة ، فوجدناه بحراً لا يجارى، وقسورة لا يقابل، ومتنسكا لايدانى ، ذا[4] رأى صائب متجنباً جميع المعابث، عفيفاً تقياً نقياً لا تأخذه في الله لومة لائم ، يفك حق المظلوم من الظالم ، لا يحابي ولا يداهن في الحقوق ، مع شفقة عمت الصالح من الخاص والعام .

اللهم وفقه لمرضاتك ، ومرضات سلطاننا الاعظم ، الذي بوجوده قام الدين والدنيا ألا ثم ، متعنا بطول حياته ، وبطوله في مرضاته ، هذا ما الزم تعريفه وهو بعض من كل فالمأمول الصفح من التقصيرات ، والعمل بالواجبات ، وبالصالحات للعمران .

نمقه العبد الضعيف احمد نور بن محمد شريف الانصاري القاضي بمدينة البصرة سابقاً تحريراً سنة ١٢٧٧ ١١ في ل . بلغت مقابلته برجب ٢١ سنة ٣٠٧

---

(١) في الاصل يحذوا
(٢) في الاصل شاعة
(٣) في الاصل حضرت
(٤) في الاصل ذو

في ولعبه [illegible] شيئ وكل الصبر [illegible] فيرون باقباله ولا يتجاوزون

من ذلك [illegible] الله [illegible] ولا نشأ ان يجعل هذه الصفات لحيث [illegible]

ذكرها في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وقد هنا هنا

ولقد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ابدا [illegible] [illegible] جميع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

مع شفقة [illegible] الصالح من الخاص والعام [illegible] [illegible] [illegible]

سلطان الاعظم الذي [illegible] [illegible] الدين والدنيا [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] في هذا الفن [illegible] [illegible] [illegible]

فالمأمول [illegible] [illegible] [illegible] الاحباب [illegible]

[illegible] [illegible] العبد الضعيف احمد بن محمد شريف

[illegible] [illegible] بمدينة البصرة [illegible]

[illegible]

شروح وتعليقات

١ — الكلمات الاجنبية والمصطلحات

هذه شروح وتعليقات على ما ورد في المخطوطات من كلمات غامضة او اصطلاحات لم يألفها الناس واعلام بعدت عن الذهن المعاصر أردت فيها ايضاحها باقتضاب وتركيز لإن بعض الاعلام تحتاج الى صفحات طويلة وبعضهم يحتاج الى دراسات مفصلة ليست هـذا مكانها وفاتني امور لم اقدر على الوصول اليها وشرحها والرجوع الى اصولها . ولم اقدر على تبين بعض الأسر والالفاظ والكلمات فتركتها عسى ان استدركها في المستقبل إن تجلت امامي الحقيقة وظهرت مستبهمات ما كنت أراه غامضاً .

ماء الموح :

تحدثت سلنامة البصرة عن ماء الموح بانه من العوارض الطبيعية فقالت : يتكون من مياه الاهوار الواقعة في غرب البصرة وهو الذي يجعلها مستنقعاً لا تصلح لشيء . وعند ما يجف اكثر ماء الموح يعتدل جو البصرة ، ويتراوح عمقه ما بين خمسة سنتمترات الى المتر الواحد ، وقد احتمى اهل البصرة منه بسداد واستفادوا منه فزرعوا النخيل[١] . مستفيدين من المياه الكثيرة .

الجريب :

كلمة عربية قديمة وتعادل عند اهل البصرة مساحة من الارض تساوي ٣٩٦٧م٢ وقد

(١) بصره ولايتي سالنامه‌سي دفعة ٣ سنة ١٣١١ ﻫ ص ٦١ و ٧٠ .

كانت ضريبة الجريب متباينة تماماً وتقاس بموازين مختلفة حتى جاء مدحة باشا فوضع نظام الضرائب على حسب الجريب وحسب جودة ارضه وقابليته الزراعيـــة وقسمها على ثلاثة انواع :

النوع الاول يستوفى منه ١٨٠ غرشاً

النوع الثاني يستوفى منه ١٥٠ غرشاً

النوع الثالث يستوفى منه ١٠٠ غرش

ثم وضعت الدولة ٣ ٪ على الجريب ضريبـــة المعارف واضافت اليه ٦ ٪ باســـم تجهيزات حربية موقته حددتها بست سنوات عنـد محاربتها اليونان فأصبحت ضريبـــة الجريب :

للنوع الاول ١٩٦ر٥ غرشاً

وللنوع الثاني ١٦٣ر٥ غرشاً

وللنوع الثالث ١٠٩ر٠ غروش

وبعد الاحتلال البريطاني للبصرة حولت الغروش الى روبيات هندية واعتبرت الليرة العثمانية ١٤ر٤ روبية فأصبح رسم الجريب :

للنوع الاول ٢٨ر٥ روبية

للنوع الثاني ٢٢ر٧ر٣ روبية

للنوع الثالث ١٥ر١٠ر٣ روبية

وسعر الروبية ٧٥ فلساً ، وبقي هذا الرسم مفروضاً حتى صدر قانون الاستهلاك سـنة ١٩٣٣ فألغيت بصدوره كل الرسوم [1] .

---

(١) اصول التبعات ص ١٨ و ١٩ .

الفرسه :

القرش جزء من الليرة الذهب العثمانية لان الدولة العثمانيـة كانت تتعـامل بالليرة الذهب وبالمجيدي الفضة ويعادل المجيدي عشرين قرشاً .

ولم يثبت سعر المجيدي فقد كان يتأثر بسوق الفضة . لذلك كانت هناك اسعار خاصة في السوق تزيد فيه قيمة الليرة على سعرها الرسمي وقـد بلغت في وقت من الاوقات مئة واربعين قرشاً .

وكان القرش الرسمي يسمى صاغاً أي صحيحاً وغير الرسمي يسمى الرائج وهو ربع القرش الصاغ وسماه اهل البصرة متليك[1] او الجرك (الذي فيه عيب) وقد وجدنا عدة اسماء لعملات في سوق العراق منها :

اقچة :

كل عشرين منها تعادل بغدادياً واحـداً وكل ثمانية بغداديات تعادل قرشاً واحـداً والقرش يساوي مئة وستين اقچة [2] .

المحمدية :

تساوي (١٢) اقچة نسبة الى السلطان محمد (١٦٠٢ م)

القرش الاسدي في بغداد يساوي (١١٠) اقچات

وكان الشامي يسمى قرشاً قبـل ضرب الليرة العثمانية الذهب زمن محمد رشاد ويقال له القرش الرومي وبقي اسـم الشامي شائعاً في البصرة وانحائها في المعـاملة ولا سيما في معاملة التمور من دون وجوده في الايدي ويعادل كل شامي ٩ قروش ونصف القرش حتى سنة ١٩١٤ [3] .

(١) واطلق لفظ متليك على العملة المعدنية أحياناً (٢) مباحث عراقية جـ ٢ ص١٧١ وما بعدها .

(٣) مباحث عراقية ص ٢٠٩ والعراق بين الاحتلالين ج (٧) ص ٢٣٨ خبر من جريدة الزوراء العدد ١٢٨٧/٤٥ عن القرش الشامي .

القرسه العين :

او الرومي ويعادل مئة وخمسين قرشا في المعاملة [1] .

اللك :

مئة الف في اصطلاح ذلك الزمن وهذا اليوم خلاف لما جاء في كتب اللغة فان فيها عشرة ملايين من حساب المولدين [2] .

العتوب :

هم بنو عتبة عدة عشائر منهم آل خليفة وآل صباح وآل ابن علي واصلهم من عنزة [3] .

الزبارة :

اول من نزل الزبارة وعمرها الشيخ احمد بن رزق ورغب الناس في السكن الى قربه لجوده وعدله وفضله ونشأت تجارة اللؤلؤ فيها ثم جاءها الشيخ محمد بن خليفة من الكويت واقام مع جماعته وبنى فيها قلعة لحماية حكمه ، وقد حكم العشائر سنة ١١٨٢ هـ توفي في مكة المكرمة سنة ١١٩٧ هـ وكان من العلماء وبعد ذلك اتسع حكم آل خليفة فعم البحرين [4] .

متسلم :

كلمة عربية استعملت ايام الحكم العثماني لنائب الحاكم في السنجق (اللواء)

---

(١) وقد ورد في مباحث عراقية جـ ٢ ص ١٧١ و١٧٢ و ٢٥٩ و ١٩١ اسماء نقود متعددة غريبة تدوولت في اسواق العراق والكاتب يعتمد على امانته وعلى رجاحة عقله وقوة تمييزه ولزيادة الفائدة يمكن مراجعة للمصادر الموجودة في تاريخ النقود العراقية .

(٢) مباحث عراقية جـ ٢ ص ٢٧١

(٣) في لغة العرب العتوب هم أعراب عتبة ونسبهم في التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية ص ١١٧ و ١١٨

(٤) مباحث عراقيه جا ص ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٩ . وسبائك العسجد ص ١٩ والتحفة النبهانية ص ١٢٢ ــ ١٢٨



نقود عثمانية

او في الإيالة عندما تتبع عدة إيالات باشا واحد وتعني وكيل الوالى او نائبه الذي يعينه الوالى نفسه واحياناً تعينه الحكومة المركزية وهو حاكم اداري للمدينة [١].

كولد :

كلمة تركيـــة معناها المملوك الذي أعتق وغالباً ما يكون ىن اصل جركسي وجمعها كولمند ، لاحظ تاريخ المماليك في بغداد [٢] .

تفكجي ـ تفنكجية :

كلمة تركية حامل البندقية تابع الجيش المسلح النظامي المحلي . [٣]

الميرميران :

كلمة ايرانية وهي درجة من درجات الباشوات تقع تحت رتبة الوزير وبيك البيكات (بكلر بكى) . [٤]

بويوريلدى (بيورلدى) :

كلمة تركية ومعناها بالمجهول (تفضل) بكذا عن الكلام عوضاً عن قيل للتكريم ، وقد خصت الكلمة ببعض الاوامر الكتابية التي كان يصدرها الصدر الاعظـــم والوزراء والولاة وامثالهم في الدولة العثمانية وبما يعلقه هؤلاء من الاوامر التي تقدم من الشعب وعلى العرائض والتقارير والرســائل التي يقدمها الموظفون التابعون لهم . وفي مباحث عراقية عدة نماذج مترجمة الى اللغة العربية . [٥]

الفوار :

هو العـــامل الزراعي الذي يفد الى البصرة ايام جني الحاصل ويلقط ما يتساقط من التمر على الارض ويجمعه في مقابل اجر يتفق عليه مع المالك ويكون في الاغلب عينياً [٦] .

ويسميه سكان لواء ديالى اللاقوط لانه يلتقط التمر من الارض بعـــد قصه وجنيه

---

(١) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث تأليف لونسكرك ص ٣٤٧ ومباحث عراقية ج ٢ ص ٢٠ .

(٢) تأليف سليمان فائق ويلاحظ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ص ٣٤٧ .

(٣) مباحث عراقية ج ١ ص ٣٣ ولونسكرك ص ٣٤٦ .

(٤) مباحث عراقية ج ٢ ص ٣٥٧ و ٣٧٧ لونسكرك ص ٣٤٨ .

(٥) مباحث عراقية ج ٢ ص ١٦٢ ولونسكرك ص ٣٤٥.

(٦) اخبرني بهذا مشكوراً الاستاذ المحامي ابراهيم العقيل .

٢ — اعلام واسر

محمد منيب باشا :

احد حكام الاتراك ارسل سنة ١٢٧٧ هـ الى البصرة من قبل والي بغداد نامق باشا[١] لحكم البصرة [٢] حكماً مباشراً ، بعد أن كان يتولى حكمها شيوخ المنتفك الذي اخرجوا منها . فسادت سطوة الدولة ووحدت الضريبة واعتبرت الجريب وحدة لاستيفائها [٣] .

وفي اواخرعام ١٢٧٨ هـ عين رئيساً لمجلس الاعمار في بغداد ، وعهد اليه مهمة بناءالسداد في الجزائر لتخليص البصرة من ضرر المستنقعات [٤] . وقد مدحه عبدالغفار الاخرس بقصيدة تقديراً لاعماله مطلعها :

هنيت هنيت بالاقـدام والظفر	فاسلم ودم سالماً بالعز وافتخر
ومنها : بعثت للبصرة الفيحاء تحفظها	بصارم البأس من احداثها الغير

(١) حكم مرتين : المرة الاولى سنة ١٢٩٦ هـ (١٨٥٢ م)وحكم المرة الثانية ١٢٧٨ هـ (١٨٦٧ م) مدة سبع سنوات

(٢) بقيت البصرة تابعة لبغداد حتى سنة ١٢٨٨ هـ ثم انفصلت عنها وربطت بالاستانة واخذ السلطان يرسل اليها المتصرفين مباشرة ، لاحظ مختصر تاريخ البصرة تأليف علي ظريف الاعظمي ط بغـداد ١٩٢٩ ص ١٥٢

(٣) بدأت الدولة بأخذ الضريبة على النخيل على حساب الجريب منذ سنة ١٢٨٢ هـ ثم ربطت اكثر مقاطعات البصرة برسم الجريب في سنة ١٢٨٦ هـ وفوضت في السنة نفسها اكثر الاراضي الاميرية ببدل المثل راجع مختصر تاريخ البصرة ص ١٥٣ و ١٥٤

(٤) التحفة النبهانية فيتاريخ الجزيرة العربية (٩) البصرة ط ٢ القاهرة ١٣٤٢ هـ ص٣١٣ تاليف محمد النبهاني ، والعراق بين احتلالين جـ ٧ ص ١٣٨ و١٣٩ لعباس العزاوي معتمداً على جريدة الزوراء العدد ٥٦٨/١٢٩٢ هـ

طهرتها من فســاد كان يكنفها ولم تدع باغياً فيها ولم تذر [1]

وله قصيدة اخرى في مدحه لم تنشر في الديوان منها :

قرت البصرة عيناً بالذي حل بالبصرة بالشهر الحرام

حسنت احوالها وانتظمت لو تراهابعد هذا الانتظام[2]

وفي هذه الفترة اديرت البصرة من الدولة ادارة مباشرة بعد أن قضت الدولة على داود باشا آخرحاكم مملوك ، وقد زارالبصرة مدحة باشا ، وطبقت عليها ادارة الولايات فأصبحت إيالة ومن توابعها القرنة والمنتفق والعمارة ونجد والكويت والهفوف والقطيف وقطر [3] .

وقدكتبت هذه المذكرة لهذا المتصرف فيشوال١٢٧٧ ه لرسم صورة واضحة عن حياة البصرة وما تحتاج اليه من الاصلاح ، وظهر اثر هذه المذكرة وشرع في اصلاح احوال البصرة اذ ساوى بين الضرائب بعد التفاوت الذي لمسناه في نص المذكرة .

عبد الواحد باش اعيان البصرة :

من الاسرة العباسية المعروفة فيالبصرة ولد سنة ١٢١٦ ه (١٨٠١ م) وتعلم علىالشيخ عثمان بن سند وسافر الى بغداد واتصل بداود باشا ، ومنحه سيفاًمذهباً مرصعاً بالاحجار الكريمة ، وقد اصبح باش اعيان البصرة بعـد وفاة والده سنة ١٢٤٧ ه بامر صادر من والي بغداد علي باشا اللاز ، وصحب الوالي عندما فتح البصرة والمحمرة سنة١٢٥٣ه (١٨٣٧ م) وكان له اثر في حياة البصرة الفكرية ، اذكانت داره نادياً من نوادي الفكر والادب وقد مدحه عبد الغفار الاخرس بقصيدة اولها :

لـكل زمان ايها الشيـخ حاتم وانك فينا اليوم لا شك حاتم

وقد توفي سنة ١٢٦٨ ه (١٨٥١ م) في زمن متصرف البصرة معشوق باشا ، وارّخ وفاته محمد سعيد التميمي البغدادي بقوله :

---

(١) الطراز الانفس ص ١٧٤ – ١٧٦

(٢) مخطوطة شعر الاخرس ص ٣٠

(٣) بصره ولايتى سالنامه سي العدد ٣ سنة ١٣١١

شيخ هوى في النشأتين مراده وبعصره قد كان اكرم ماجد
ومذ استعان بماجد قد ارخوا ساد الجنان الشيخ عبد الواحد[1]

آل الزهير :

اسرة عربية اصلها من قبيلة ربيعة من بلد العارض في نجد ، هاجرت عندما انتشرت الدعوة الوهابية ، واول من هاجر منها يحيي بن سليمان بن محمد الزهير وولداه يوسف وسليمان وحلوا في الزبير وبنوا لهم بيوتاً من القصب . ولما استقر يحيي ومن معه من العشائر فيها اخذت تتسع ، ثم ذهب الى بغداد واعانته الدولة مالياً على بناء سور للمدينة ، فبناه سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٧ م) في عهد الوالي سليمان باشا وزودته الدولة بعض الاسلحة للدفاع عن الزبير وصد الموجة الوهابية ، ثم اصبح شيخاً واتسع نفوذه [2] ولما توفي يحيي سافر ابنه سليمان الى حلب وبقي يوسف الذي لمع اسمه . ثم اخذت بعض القبائل العربية تهاجر الى الزبير ففي عام ١٢٤٠ هـ (١٨٢٦ م) جاء الشيخ ابراهيم بن ثاقب فاسندت اليه مشيخة الزبير وتولاها من بعده ولده محمد . وكان من جراء ذلك ان ظهرت منافسة بين البيتين العربيين في سبيل الرياسة ادت الى تدخل الشيخ حمود الثامر وقتل يوسف الزهير سنة ١٢٥٠ هـ وولي محمد بن ثاقب المشيخة بعده[3] ثم قتلت الدولة محمد بن ثاقب رمياً بالرصاص [4] .

---

(١) باش اعيان البصرة ومعناها رئيس الاعيان لقب غلب على اسرة عبد السلام الكوازي العباسي عندما منحت الدولة العثمانية ، زمن السلطان احمد خان الثاني سنة ١١١٨ (١٧٠٦م)، هذا اللقب للشيخ عبد اللطيف بن الشيخ ساري بن الشيخ عبد السلام الثاني واصبح اللقب وراثياً وللارشد منهم .

وللمترجم ترجمة مفصلة في تاريخ الاسرة العباسية تأليف الشيخ عبد القادر العباسي المخطوط وله ترجمة اخرى في اعيان البصرة للشيخ عبد الله باش اعيان ص٧ طبعه الشيخ جلال الحنفي في بغداد سنة ١٩٦١ وبراجع الاعلام للزركلي جـ ٤ ص ٣٢٥ .

(٢) التحفة النبهانية البصرة(٩) ص ١٢٣ و ١٢٤ و ١٢٥ ويلاحظ الجزء العاشر ففي الجزءين تفصيل واف للمستزيد وتاريخ الكويت لحسين خلف الشيخ خزعل جـ ١ ص ٩٣ .

(٣) تاريخ الكويت السياسي جـ ١ ص ٨٥ و ٨٦ وسبائك العسجد ص ٩١ .

(٤) التحفة النبهانية ص ١٢٥ و ١٢٦ وتاريخ الكويت السياسي جـ١ ص ٩٦ وتذكره بعض المصادر بانه محمد بن ثاقب بن وطبان .

وقد جرت من اجل الرياسة عدة معارك بين القبائل العربية ، وكانت السلطة العثمانية تتدخل لفض النزاع وتعيد الامن الى نصابه وتسيطر على الجميع وتغرم القبائل وشيوخها وتنهب دور الخاسرين . (١)

وفي عهد عزيز اغا اسندت المشيخة الى علي بن يوسف الزهير ، وتولاها بعده اخوه عبدالرزاق ١٢٤٧ هـ (١٨٣٣) م . وقتل من رجالهم صبراً ليحكم آل ثاقب الذين استولوا على اموال آل الزهير فهرب سليمان بن عبدالرزاق الزهير الى الكويت واجاره الشيخ جابر الصباح فأهدى اليه مقاطعة الصوفية وبعد ان قضت الدولة على نفوذ آل ثاقب ونهب الجند داره ، عاد سليمان الى المشيخة (٢) . وتاريخ هذه الاسرة جدير بالدراسة

وتنتشر اسرة الزهير في الكويت والمملكة العربية السعودية والبصرة ، ولعبد الغفار الاخرس عدة مدائح في آل الزهير (٣) .

ولا نخرج من معارك الاسر العربية الا بالاسى والحزن لان في اختلافهم تركوا الدولة تتدخل في شؤونهم، وتقاتل العشائر العربية فيما بينها ادى الى فرض غرامات عليها تذهب الى الدولة ، وادت الحروب وحصار الزبير او البصرة الى بؤس وشقاء سكانها وقتل العرب وتشريدهم ليحكم واحد من الشيوخ (٤) .

داود باشا :

احد ولاة بغداد الذين تركوا اثراً كبيراً في حياة العراق الادبية والفكرية وقد كانت

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٥ تاريخ الكويت ص ٩٨ ودوحة الوزراء ففيها عدة امثلة ومختصر مطالع السعود ص ١٥٠

(٢) تاريخ الكويت السياسي ج ١ ص ٩٨ و ١٠١ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٥ و ١٠٦

(٣) سبائك العسجد ١٩١ ومباحث عراقية ١٤ ــ ١٧ والتحفة النبهانية في كثير من المواضع وتاريخ المماليك ص ٧٧ بصدد مصاحبة صالح جلبي الزهير لعلي باشا اللاز وتاريخ المنتفق في كثير من المواضع .

(٤) لما جيء بعبد الرزاق الزهير الى الشيخ عيسى امير المنتفق اراد ان يفتدي نفسه فقال له : ياطويل العمر احمران لايجتمعان دم احمر وذهب احمر فأختر احدهما ، ان اردت سفك دمنا فها نحن جميعاً بين يديك وان اردت الذهب فماهدنا على الامان ونحن نعطيك ما تشاء ، وكاد ان يقبل الفدية ولكنه عورض من ولدي علي الثامر فأخذت الاسرة خارج البلدة وقتلت صبراً ... !! التحفة النبهانية ج ١٠ ص ٨٠ وما بعدها .

له مواهب فذة وقابلية ممتازة وكان يقتدي في اعماله بمحمد علي باشا الكبير ويريد ان يكون دولة عربية في العراق وقد بذل جهداً كبيراً في تحقيق هذا الامل ، غير ان العوامل التي ساعدت محمد علي باشا في مصر لم تكن مواتية له في العراق ، فقضى الطاعون والدولة على جيشه وعلى مشاريعه واخذ اسيراً الى الاستانة ثم عفي عنه وتوفي في المدينة المنورة. ولنا بحث عن حياته يمكن مراجعته وفيه معلومات عن عتق اسرته لم تذكرها المصادر العربية التي ترجمت له ، وقد اعتمدت فيها على وثائق باللغة الكرجية [1] .

عزيز اغا متسلم البصرة :

لم نجد ترجمة لهذا المتسلم ولا لغيره من موظفي هذا العهد ورجاله ،غير اننا وجدنا اخباره منتشرة في كتب التاريخ نستخلص منها : انه احد حكام البصرة في عهد داود باشا وقد تولى المتسلمية سنة ١٢٤٠ هـ ودام حكمه الى سنة ١٢٤٧ هـ [2]

وورد ذكره عند ما عين داود باشا عقيل بن محمد بن ثامر شيخاً على المنتفك بدلا من حمود وزوده الاسلحة والذخائر ، ولم يرق الامر الشيخ حمود فاعلن الثورة على الدولة واتصل ببني كعب وسلطان مسقط السيد سعيد ،وجمع الجموع وحاصر البصرة سنة ١٢٤٢هـ (١٨٢٦ م) فدافعت البصرة عن نفسها دفاع الابطال مع قبائل عقيل النجادة ثم خرج المحاصرون وهاجوا جموع حمود وانتصروا عليهم [3]

وورد ذكره في الخصام القائم بين آل الزهير وآل ثاقب باعتباره ممثل الدولة .

---

(١) داود باشا ونهاية المماليك في العراق بحث نشر في مجلة كلية الآداب سنة ١٩٦٠ ثم طبع منفرداً سنة ١٩٦٧ مع الوثائق ، وتراجع المصادر التي اعتمدنا عليها في كتابنا (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) المطبوع سنة ١٩٥٧ .

وقد اصدر بعد ذلك الدكتور عبدالعزيز نوار رسالة ماجستير جادة بعنوان (داود باشا والي بغداد) طبعت في القاهرة سنة ١٩٦٨ وخير مصدر عن داود باشا ، مطالع السعود

(٢) مختصر تاريخ البصرة ص ١٥٠ و ١٥١

(٣) التحفة النبهانية (المنتفق) ص ٨٥ (البصرة) ص ٣١٠ وتاريخ الكويت السياسي ج١ ص ٧٦ وما بعدها و٩٦ وما بعدها ، وبصدد قبائل المنتفق يراجع اربعة قرون من تاريخ العراق وتاريخ المنتفق للاستزادة .

وتذكر التحفة ان الحصار استمر شهرين ، وان المتسلم فاوض سلطان مسقط سراً وهدده بنفوذ الدولة وبطشها ، ففت في عضد المحاصرين وضعفت قوة ابني حمود (ماجد وفيصل) ونجت البصرة مما بيت لها ، بعد ان قرر المحاصرون اباحتها ستة ايام [1] وبقي في المتسلمية حتى جاء علي باشا اللاز الى الحكم فعزله وعين بدلاً منه عبد القادر باشا [2] .

وقد ذكر سليمان فايق أن المتسلم عزيز اغا بقي في الحكم خمس سنوات وفر الى المحمرة ثم الى ايران بعد عزله [3]

لم يذكره ان ابن الغملاس [4] في كتابه مع انه ذكر الحوادث التي حدثت في عهده ، وقد ذكر احد المؤرخين بانه بنى جامعاً في البصرة [5] .

آل الفداغ :

اسرة عربية المحتد هاجرت من بلدة حرمة في منطقة (السدير) . وقد ورد ذكر سليمان وعبد الله في خبر موجزه : لما تولى عقيل بن محمد بن ثامر أمر المنتفق ١٢٤٢ هـ (١٨٢٧) كاتبه أهل الزبير لضم الزبير الى حكمه ، فكتب عدة عرائض الى داود باشا موقعة من اهل الزبير تأييداً لهذا الطلب ولاسباغ الشرعية عليه ، وقد ورد اسم سليمان الفداغ وعبد الله الفداغ مع الموقعين على هذا الطلب ، ثم اسند أمر الزبير الى الشيخ عقيل [6] . فتألم آل الزهير حكام الزبير من الامر واتصلوا بالمتسلم عزيز آغا ، فهدد عبدالله وسليمان ثم سجنهما وفرض على سليمان فدية كبيرة ، فتدخل امير الكويت لتخفيفها فأنزلت الى النصف

---

(١) التحفة النبهانية قسم البصرة ص ٣١٠ و ٣١١

(٢) تاريخ بغداد ص ١٩٠

(٣) مختصر تاريخ البصرة ص ١٥١

(٤) ولاة البصرة ومتسلموها لابن الغملاس ص ٧٢ و ٧٣ .

(٥) اعيان البصرة ص ١٧ و ٢٤ . ويقول علي ظريف الاعظمي ان عزيز اغا جدد بناء مسجد بدر فسمي باسمه ، مختصر تاريخ البصرة ١٥١ . ويلاحظ التحفة النبهانية ج ٩ ص ٣٠٨

(٦) تاريخ الكويت السياسي ج١ ص ٩٨ — ١٠١ لزيادة التفصيل .

فدفعها سليمان الفداغ [1] ويبدو ان سليمان كان من الأثرياء لان المتسلم فرض ٩٠ الف قرش على ثلاثة من التجار هم يوسف الزهير (٤٠) الفاً وسليمان (٣٠) الفاً وخالد بن رزة (٢٠) الفاً [2].

وقد كتب لي الدكتور داود الفداغ من البصرة مشكوراً يقول :

إن اسرة الفداغ من قبائل شمر بنجد ، وقد رحلت عنها سنة ١١٩٣ هـ عند ما حاصر سعود بلدة الحرمة ودمرها وأمر بابعاد المناوئين له من اهاليها ، وقد ارتحل عنها اناس كثيرون منهم آل فداغ . وقد نزل قسم منهم في الزبير وبقي القسم الآخر في نجد في بلدة الجمعة .

اما سليمان وعبدالله الفداغ مع اخويهما ناصر وسلطان فهم اولاد حمد بن سلطان بن محمد الفداغ وقد كانا من أهل الثراء ، وقد عاصرا والي بغداد داود باشا ومتسلم البصرة عزيز اغا حوالي (١٢٢٠-١٢٤٠ هـ) وقد لعبا دوراً هاماً في النزاع على المشيخة في الزبير ضد عائلة الزهير وخصوصاً الشيخ سليمان الزهير وكانا على علاقة طيبة بالشيخ جابر آل صباح امير الكويت . اما والدهما حمد بن سلطان فقد عاش في الكويت ويعتقد بأنه عاد الى الجمعة بنجد وتوفي فيها .. [3].

وقال عنهم ابراهيم فصيح الحيدري انهم بيت تجارة وثروة وعز ... واصلهم من نجد واعتبرهم من البيوت القديمة المندرسة الآثار [4]. واخبرني الاستاذ عبد القادر باش اعيان بأن ذرية سليمان الفداغ تلقب بالسنعوس .

محمد رشيد باشا :

عين والياً على بغداد سنة ١٢٦٨هـ [5] ويسمى بالكوزلكي اي صاحب النظارات ويبدو

(١) مباحث عراقية ج ١ ص ١٤

(٢) رسالة من الاستاذ عبد القادر باش اعيان

(٣) رسالة خاصة كتبها لي مشكوراً الدكتور داود الفداغ

(٤) عنوان المجد ص ١٦٨

(٥) لاحظ سالنامة بغداد العدد ١٧ طبعة سنة ١٣١٢ هـ ص١٥٤ فقد ورد ان محمد رشيد باشا حكم خمس سنوات و ١٧ يوماً . ونصت بعض اعداد السلنامة على ١٧ يوماً

ان الوالي كان يضع نظارات على عينيه وكان مشيراً لفيلق الحجاز والعراق[1] وقد اعتبر لونكرك عهده عهد استقرار نسبي بالقياس الى عهد الوالي السابق نامق باشا واعتبره من الولاة المصلحين فقد سعى في اعمال عمرانية وسار بسياسة حكيمة ترمي الى توسيع الاصقاع المستوطنة وتزيد الواردات بسبب توسع الاراضي المزروعة واصلاح حال القبائل تدريجياً[2] وجعلهم خاضعين لانظمة الدولة وقوانينها ، ومن اصلاحاته تنظيف الاقنية وشق الترع وتأليف شركة بواخر مساهمة مع تجار البلد ١٢٧٢ هـ (١٨٥٥م) وطلب باخرتين سماها بغداد والبصرة [3] واوصى ان تجلب آلات زراعية وما تحتاج اليه من ادوات من اوربا [4] . وقد رأى ضرورة سيطرة الدولة على القبائل وشيوخها ، وكانت ابرز عقبة امامه مشيخة السعدون التي انهكت قوى الولاة فقسمها واخذ منها اجزاء جعلها تحت سيطرة الدولة المباشرة [5] .

وقد اثنى سليمان فائق عليه وافرد له قسماً من كتابه واعتبر القبائل العربية الثائرة في المنتفق عصاة أدّبهم هذا الوالي (واخذ رؤساءهم وامراءهم اسراء ونهب اموالهم ومواشيهم) ولما اخضعهم (أشرقت شمس سلطة الحكومة على كافة انحاء العراق)[6] ويعجب لونكرك بهذا الوالي الذي تمكن بموارد شحيحة من حل ازمات بلد متأخر بحكمته وتساهله وسعة عقله وخير ما ظهر على هذا الوالي النزاهة ومكافحة الفساد العام الذي كان قد استشرى في العراق

(١) مباحث عراقية ج ١ ص ٧٤ اعتمد على تاريخ المماليك قبل طبعه

(٢) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث تأليف لونكرك ص ٢١٧ و ٢٧٨

(٣) المصدر السابق ص ٢٨٠

(٤) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٧ ص ٢٢٢

(٥) مباحث عراقية ج ١ ص ٧٤ لم يكن محمد رشيد باشا اول من بدأ بعملية تقليص مشيخة المنتفك الواسعة التي كانت تشمل بادية العراق كلها تقريباً من اليمامة الى البصرة وشط العرب كله والعمارة انما تولاها عدة ولاة من قبله حتى بقي لواء المنتفق وحده تاريخ (المنتفق ص ٩ و ١٠) الحاشية بقلم علي الشرقي ومختصر تاريخ البصرة ص ١٥٣ والتحفة النبهانية (البصرة) ص ٣١١

(٦) تاريخ المنتفق تأليف سليمان فائق ترجمة محمد خلوصي الناصري ص ٣٠

والرشوة والاختلاس في ادارة الحكومة وحقق للدولة الموارد التي لم تحقق زمن اسلافه فصدر الحبوب الى الحجاز ... غير انه لم يوفق في السير في اصلاحاته لان الدولة كانت تطالبه بالمال لانشغالها في حرب القرم [1] .

وقد عدد له مؤلف التاريخ المجهول عـدة مساوئ فقال (ان الكلام على ظلم الوزير محمد رشيد باشا وتجاوزه الحدود مما لا يحصى [2]) . أما لونكرك فيقول :

وقد كتب له أن يموت في بغداد بعد مضي خمس سنوات انقضت بالحكم النزيه الصارم الحر دون ان يشاركه احد في مجهوده الحقيقي الذي بذله في حل مشكلاته [3] .

آل السعدون :

هذه اسرة لها أثر واضح في تاريخ العراق ولم يدرسها باحث دراسة مفصلة عميقة وتشكل دراستها جزءاً من تاريخ العراق المهمل الذي ابتعد عنه الدارسون لصعوبته وتشعبه وهى من الأسر العلوية التي هاجرت من الحجاز في أوائل القرن العاشر وحكمت المنتفق، تنسب الى جدها سعدون بن الشريف محمد وينتهي نسبها الى الامام زين العابدين [4] وقد اتسعت رقعة امارتها وانتشر نفوذها حتى اصطدم هو والنفوذ العثماني، وعند ما شعرت الدولة بقوتها اخذت تقتطع اجزاءها بالتدريج فأخذت البصرة وتوابعها وسوق الشيوخ . ولما عين محمد رشيد باشا سنة ١٢٦٨ هـ اقنع منصور باشا بأخذ السماوة من امارته وعينه قائم مقام على المنتفق [5] وفي ١٢٧٧ هـ اخذت أبو الخصيب والعمارة . وبقيت المنتفق امارة

---

(١) اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، لونكرك ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ تاريخ المنتفك ص ٢٩

(٢) العراق بين احتلالين ج ٧ ص ١١١ والصفحات التي تليها

(٣) حكم خمس سنوات و ١٧ يوماً ـ سلنامة بغداد العدد ١٥ تاريخ المنتفق ص ٢٧ ولونكرك ص ٢٦٩ وقد حكم ما بين ١٨٥١ ؛ الى ١٨٥٦ راجع حكومات بغداد لعبد الحميد العلوجي

قال الاستاذ شاكر صابر الضابط جاء اسمه في سجل عثماني (رشيد محمد باشا) وكتب عنه ما يلي :

هو مملوك خسرو باشا وكان ضابطاً وارسل الى اوربا للدراسة وعين برتبة لواء في المدفعية ورقي الى فريق مدفعي وعين عضواً عسكريا في (دار الشورى) وفي محرم سنة ١٢٦٤ منح رتبة مشير وفي ذى القعدة من السنة نفسها عين والي بغداد ومشير العراق والحجاز وقد توفي في محرم سنة ١٢٧٤ وقد كان اديباً ماهراً في الكتابة حسن السمعة وصاحب ثروة وقد خلف ولداً (سجل عثماني ـ تذكرة مشاهير عثمانية تأليف محمد ثريا ج ٣ ص ٣٩٣ المطبعة العامرة سنة ١٢١١ .

(٤) مباحث عراقية ج ١ ص ٤ التحفة النبهانية ج ١٠ المنتفق ص ٤٦ بصدد نسب الاسرة

(٥) ذكرى السعدون لعلي الشرقي اول كتاب جمع شيئاً مفيدا عن هذه الاسرة طبع سنة ١٩٢٩ لاحظ الصفحات ٨ ـ ٢٦ وتاريخ المنتفق لسليمان فائق له تجاربه الخاصة به والتحفة النبهانية

اومشيخة ، ولما جاء مدحة باشا حولها الى متصرفية وعين لها الموظفين واصبحت ارض الامارة السعدونية اميرية سنة ١٢٨٦ هـ . فتحول الشيوخ الى موظفين، وقد اسس ناصر باشا مدينة الناصرية بعد ان عين متصرفاً لها . ومما ساعد الولاة على السيطرة على الاسرة تفرق ابنائها واشتعال نيران الحروب فيما بينها ، وكانت المقاطعة توضع في المزايدة [١] .

ومن اطرف ما يذكر عن آل السعدون انهم اول من فكر في تأسيس حكومة عربية تعيد مجد العرب ، ولعل هذه الفكرة هي التي بعثت فكرة اللامركزية في البصرة فيما بعد وللاسرة فضل في رد الفرس عن العراق اكثر من مرة ، وقد حاربت الوهابيين عدة مرات بقيادة حمود الثامر السعدون [٢] .

وقد جاء ذكر عدد من اعلامهم في هذا البحث هم عيسى الذي حكم سنة ١٢٣٤ هـ وبقي في دست الامارة ربع قرن ، ومنصور الذي حصل على الباشوية ، وناصر الذي حصل على الرتبة نفسها [٣] . وبندر الذي اخذ منه جزءاً من اراضي المنتفك

الشيخ حبيب :

هو الشيخ حبيب الله الكازروني احد المتصوفة المعاصرين لوالي البصرة سنان باشا الذي كان والياً على البصر سنة ٩٥٩ هـ (١٥٥١ م) هـ وقد وقف الوالي عليه املاكاً كثيرة قبل تركه البصرة ، ثم وقفها الشيخ حبيب على ابنته وقد تزوجت من اسرة الرديني وبقي الوقف يستفيد منه الورثة حتى آل الامر به الى التصفية وقد الغي سنة ١٩٥٦ م

---

(١) مباحث عراقية فيه نماذج من المزايدات جـ ٢ ص ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٧٠ وراجع تاريخ المنتفق ص ٥٥

(٢) براجع المصادر المارة الذكر ففيها تفصيل واف ومباحث عراقية ص ٢ و ٥٧ و ٧٤ و ٧٥ و ٨١ و ٨٦ ٢٨٢ و التحفة النبهانية (المنتفق) من ص ٦٦ وما بعدها و ج ٩ (البصرة) من ص ٣٠٣ ومختصر تاريخ البصرة ص ١٤٨ .ومختصر مطالع السعود

(٣) عين ناصر باشا والياً على البصرة في سنة ١٢٩٢ وجعلها ولاية بعد أن كانت متصرفية وعزل في سنة ١٢٩٤ وعادت البصرة متصرفية سنة ١٢٩٧ مختصر تاريخ البصرة ص ١٥٤

وما تزال للشيخ حبيب مقبرة معروفة [1] .

آل الرديني :

وتنسب هذه الاسرة الى الامام علي زين العابدين بن الامام السبط ابي عبدالله الحسين ويقول الدكتور هاشم بركات (الرديني) ان اجدادهم استوطنوا العراق قبل أن يستوطنوا البصرة ، لان من اجـدادها الامام محمد الجواد والامام علياً الهادي ...

وقد انتشرت الاسرة في الهند فقد توفي السيد احمد بن السيد محمد في الهند سنة ١١٣٢هـ كما توفي غـيرهم فيها وتوفي في مصر السيد ابراهـيم الرفاعي سنة ١٠٩٩ هـ ، ومن الهند جاءت جماعـــة الى العراق ، وحل السيد ابراهيم الرديني في ابي الخصيب ودفن فيها وقبره معروف ، ويرجع وصول هذه الاسرة الى ٢٥٠ سنة . وللاسرة مريدون يعقدون حلقات ذكر الله . وقد اشتهر من الاسرة محمد بركات فتسمى ابناؤه به [*] ومحمود الرديني هو الجد الخامس للجيل الحالي . [2]

ويوضح الامر الاستاذ عبدالقادر باش اعيان فيقول ان الشيخ ابراهيم جاء الى البصرة سنة ٩٢٥ ـ ٩٢٧ م (١٥١٩ ـ ١٥٢٠ هـ) وتوفي سنة ٩٤١ هـ ١٥٣٤ م وهم سادة حسينيون وقد بنى الشيخ عبدالسلام الثاني العباسي سنة ١٠١١ هـ ١٦٠٢ م قبـــة على ضريح الشيخ ابراهيم [3]

ومحمود الرديني ولاه الشيخ ثويني بن عبدالله امر البصرة فحماهـا من بني كعب فقـال فيه عثمان بن سند :

ارادت بنو كعب هواناً لاهلها	وقد كحلت عن عصل انيابها الحرب
وما بلغوا فيـــها المراد لانه	لقاطنها درع وعن ضدهـا عضب

---

(١) ولاة البصرة ومتسلموها لابن الغملاس ص ٥٦ واعتمدنا على معلومات الاستاذ عبد القادر باش اعيان والسيد عامر الحاج عبدالرحمن الـكامل الذي اعتمد على الحجج الشرعية للاوقاف الردينية .

(٢) رسالة تفضل بها علينا الدكتور هاشم بركات من الـكويت في ١٩/ ٣/ ١٩٦٩

(٣) معلومات تفضل بها علينا الاستاذ عبدالقادر باش اعيان .

وقد توفى سنة ١٢٢٩ هـ[١] وقال صبغة الله الحيدري عن ابناء الاسرة انهم من البيوت الرفيعة لهم شرف وسيادة وفضل ومجد [٢] .

آل كنعان :

وهم من بنى تميم التي تسكن العراق وايران ، ففي ايران تسكن الاهواز والمحمرة وعبادان ، وفي العراق تسكن البصرة وما حولها وقد كان الشيخ محمد الكنعان في قسم ايران ، وكان اخوه الاكبر كنعان المحمد رئيساً على عشائر بني تميم في البصرة .

وقد كان محمد الكنعان يسكن كوت الزين في العراق ، وما تزال المشيخة في هاتين المنطقتين لهذه الاسرة .

ومن هذه الاسرة الشيخ سلمان الكنعان المتوفى سنة ١٩٣٨ م وخلفه اخوه منصور الكنعان وقد قام مع احد اولاد الشيخ خزعل بثورة مسلحة خلال الحرب العالمية الثانية آملاً إعادة سطوة الإمارة العربية وتأسيس حكم عربي الا انه لم يوفق في مسعاه .

ويتولى المشيخة الآن عبدالرزاق الكنعان [٣].

آل النقيب في البصرة :

اسرة هاشمية ينتهي نسبها الى احمد الرفاعي[٤] وقد برز منهم في الطريقة في المئة الثانية من الالف الثاني السيد مهدي الرفاعي نقيب البصرة وهو الذي بنى الزاوية الرفاعية الصغرى في بغداد، ونسبت له كرامات ،وعاش مئة وعشرين سنة وتوفي سنة ١٢٠٠هـ ودفن في البصرة في السبيليات ،ومنهم السيد عبدالرحمن بن السيد طالب الذي برز في المئة الثالثة من الالف الثاني وله صلة نسب بنقيب مندلي ، وقد توفي في البصرة سنة ١٢٩١ وارخ وفاته عبد الغفار

---

(١) سبائك العسجد ص ٦٦ — ٦٩

(٢) عنوان المجد ص١٦٦ (٣) رسالة خاصة وصلت إلي من الشيخ عبدالرزاق الكنعان ،مشكوراً

(٤) اسنى مطالب الاريب في مدائح السيد طالب باشا النقيب تأليف يوسف زاده علي بن سليمان طبع في القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

الاخرس بقوله : [١]

يوم به قد قيل ارخ مضى الى ربه النقيب [٢]

ومنه ينحدر السيد طالب باشا النقيب ، السياسي المعروف الذي كان وزيراً للداخلية في اول الاحتلال البريطاني [٣]، وكان طموحاً ،فادى طموحه الى نفيه الى الهند ،واسرة النقيب من الاسر التي اثرت في الفكر وتحتاج الى دراسة مفصلة .

آل رزق :

من الاسر العربية النجدية القديمة التي سكنت البصرة قال ابراهيم فصيح الحيدري عن ابنائها : انهم بيت مجد وفضل وتجارة وخير ... صارت ديارهم بلاقع [٤]

وقد كتب عثمان بن سند عن احمد بن رزق كتاباً باسلوب القرن التاسع عشر في مدح الرجل ومعاصريه ، لا يخرج الدارس منه بشيء واضح سوى نثر مسجّع ، وشعر مقفى من ذلك قوله : « فلما اكملت المقالة ، ورشحت التمثاله ، واطلعت بدور الجلاله ، في خلال تلك الهاله ، واسرجت نورهذه الذباله ، من انوار تلك الغزاله ، انصت القوم، ولم يفه احد بلوم ، فعلمت اجماعهم على فضله ، وان من عارض لا يعبأ بنقله ، فأيقظت نائم الهم ، واشحذت كليل العزم ، وارعفت انوف اليراع ، واسجدتها في محاريب الدفاع ووشيت برود الاشعار ، وحركت سواكن الافكار . لنشر ما انطوى من الآثار ... » [٥]

وخلاصة ما قاله :

انه مهما اطنب فهو مقصر في ذكر جداول كرمه ، وانه غني، وفاق الملوك والتجار كرما ،

---

(١) مطلع القصيدة : قبر به سيد شريف تدفع في مثله الكروب

(٢) تنوير الابصار في طبقات السادة الرفاعية الاخيار ، لابي الهدى الصيادي ، طبع ١٣٠٦

(٣) يقول ارنولد واسن في كتابه (بلاد ما بين النهرين) ترجمة الاستاذ فؤاد جميل« ما كان طموحه ليقل عن تأسيس اقليم عربي مستقل يكون هو على رأسه .. » ص ٥٠ ويعلق المترجم بصدد مطامح السيد طالب بان صديقه (فلبي) قال عنه « كان هدفه التاج العراقي دون لبس ومواربة ... » ص ١٠٢ من الحاشية ويمكن مراجعة كتاب سليمان فيضي ـ في غمرة النضال ـ بهذا الصدد .

(٤) عنوان المجدس ١٦٨ (٥) سبائك المسجد ص ٩

وهو الجوهر الفرد في عصره . وانه سيد علوي ولد في الكويت وبدا عليه الكرم وهو في العاشرة، ولم يبق صفة لمشهور الا الصقها به، سماحة وفصاحة وفتكا وصدقا. ولا يخرج الباحث بشيء تأريخي منظم واضح ، وفي الكتاب ذكر لمن عاصره وذكر لاصحابه ومن ساعده واكرمه وقد توفى سنة ١٢٢٤ ورثاه الكاتب شعراً ونثراً [١]

والشيخ احمد اول من نزل الزبارة وعمرها ورغب الناس في سكناها وتبارى العرب في السكن بجواره لشهرته بالكرم وجاء بعدها من الكويت الاسرة الحاكمة الحالية [٢]

علي باشا الكتخدا

تمثل فترة هذا الوالي وحياته صورة من اجلى صور العراق في ظل الحكم الفوضى والاضطراب وضعف الحكام ، وهي صورة بقيت تتكرر دهراً عندما تضعف سيطرة الدولة .. وقد ارتبط اسمه باسم الوالي الشهير سليمان باشا فقد كان كتخداه الذي كان يعول عليه ويعتمد على قوته في الحروب ، واوصى له بالولاية والحكم وزوجه ابنته [٣].

ولما توفي سليمان باشا اختير علي باشا وكيلاً للولاية وكتب بذلك الى الاستانة لاستصدار فرمان بتعيينه والياً [٤] ولم يرق الامر لاحمد اغا رئيس الانكشارية فقام بثورة ونهب اسواق بغداد وحرق جانباً من السوق ونهبت البيوت [٥] .

ثم تمكن علي باشا من السيطرة على الموقف وفر احمد اغا والتجأ الى دار من

---

(١) المصدر السابق ص ١٠ ــ ١٣

(٢) التحفة النبهانية ص ١١٩ و ١٢٠ ويلاحظ مباحث عراقية ج ١ و ٢

(٣) الكتخدا معاون الوالي وهي كلمة فارسية اصلها كدخدا وسميت في زمن الاتراك محرفة كهيه مباحث عراقية ج ٢ ص ٣٨٨ ومختصر مطالع السعود ص ٣٦.

(٤) مباحث عراقية ج ٢ ص ٩٧ و ج ١ ص ٥٤ ومختصر مطالع السعود

(٥) مباحث عراقية ج ١ ص ٥٦ و ٥٧ . ودوحة الوزراء ص ٢١٨ ــ ٢٢٢

دور معارفه والقى القبض عليه وجيء به قدام علي باشا[1] في ١٢ جمادى الاولى سنة ١٢١٧هـ ولما قتل نهبت داره وهدمت، وخرجت النساء هاربات على وجوههن، وصودرت جواريه [2] وقد قضى خمس سنوات حافلات بالاحداث والثورات وقد قتل في داره وهو قائم يصلي سنة ١٢٢٢ هـ (١٨٠٧ م) [3] .

آل الطباطبائي :

من اسر البصرة الشريفة النسب وجدها الاعلى ابراهيم بن طباطبا كان نقيب الاشراف في مصر وقد ظهر منهم عدة علماء افاضل في الكويت ومنهم جماعة تسكن الزبير والكويت وايران ومنهم السيد محمد بن السيد حامد مفتي البصرة [4] الذي مدحه الاخرس ومن ذلك قوله :

اهاج الهوى برق اغار وانجدا	ارقت عليه الدمع مثنى وموحدا
وبت وفي قلبي لهيب كناره	تضرم في جنح الدجى وتوقدا
تذود الكرى عن مقلتي عبراتها	فتشرق فيها العين والقلب في صدى

وينتقل الى المديح بعد مقدمة غزلية طويلة بقوله :

(١) يذكر أحد الكتاب وصفاً لالقاء القبض عليه وكيف سار في الطريق الى الوالي وهو (حافي القدمين مكشوف الرأس بهيئة الموت وامامه ووراءه خلق لاتعداد لهم ولما وصلوا به الى السراية بين يدي علي باشا المذكور قام وضربه بالقدارة ضربتان (كذا) وأمر بتقطيعه فسحبوه من السراية الى وسط الميدان وكل يضرب بالسيوف والخناجر وحصلت نهايته التعيسة ...) مباحث عراقية جـ ١ ص ٥٧ دوحة الوزراء ص ٢١١ ليت شعري لو انتصر هل كان امر علي باشا يختلف عن نهاية احمد اغا ؟! ومن المفيد للباحث مراجعة كتاب الاخ الدكتور الفاضل علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث طبع في بغداد سنة ١٩٦٩ . فقد عالج هذه الفترة بنظرة اجتماعية جديدة .

(٢) مباحث عراقية جـ ٢ ص ٩٩ و جـ ١ ص ٥٧ ولاحظ غرائب الاثر .

(٣) سالنامة بغداد ومختصر تاريخ بغداد ص ٢١٤ و ٢١٥ وتاريخ المماليك ص ٣٥ قال انه قتل في اواسط جمادى ١٢٢٢ وقد ورد ذكره وتفاصيل عن حياته في اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ويراجع سبائك العسجد ص ٨١ . ولم تؤيد المصادر علي ظريف الاعظمي بانه قتل سنة ١٢٢١ .

ورد في سجل عثماني مايلي : جركسي الاصل وهو صهر سليمان باشا وكتخداه حارب في الاحساء سنة ١٢١٢ ومنح رتبة الوزارة وعين والياً على بغداد والبصرة سنة ١٢١٩ وقد قتل في ٢٤ جمادى الآخرة سنة ١٢٢٢ وعمره خمس واربعون سنة ودفن في المدرسة التي انشأها وكان اديباً فاضلا وواليا جريئاً . جـ ٣ ص ٥٥٤ ، ترجمها مشكوراً الاخ الكريم شاكر صابر الضابط .

(٤) عنوان المجد ص ١٦٧ واعيان البصرة ص ١٣ .

وأني متى ما شئت ان انل الغنى　　وابلغ آمالي مدحت (محمدا)
فتى من قريش لم تجد ما يسره　　سوى ان تراه باسطاً للندى يدا [1]

ومن هذه الاسرة الشاعر السيد عبدالجليل بن ياسين البصري (١١٩٠ - ١٢٧٠ هـ) وله ديوان طبع في بومبي سنة ١٣٠٠ هـ [2] وطبع في مطبعة نبات باسم الحل والخليل - ديوان السيد عبد الجليل - وفي المقدمة ترجمة مقتضبة عن حياة الشاعر ، والديوان فيه مختلف انواع شعر هذه الفترة وفيه محسنات لفظية وهو من الشعراء العراقيين القلائل الذين مدحوا سعود بن عبد العزيز ، ومدح الوهابيين بقوله :

وظاهرت دين الله بالبيض والقنا　　وبرهانك القرآن والسنة الغرا
الى ان اعاد الله دين محمد　　على حاله تلقى به المصطفى سرا
ولم تهمل الدنيا اذا الدين ظاهر　　لحزت سنا الدارين دنيا مع الاخرى [3]

ويظهر اثر الفكرة السلفية في شعره عندما يسخر من الذين يلتمسون الخير من القباب والدعوة بوساطة الاولياء وتقديم النذور - وهي فترة مرت بالعراق عندما كان الجهل مخيما علية ، وابتعد المسلمون عن جوهر الدين الاسلامي - فقال :

يعدون للضراء قبة ميت　　كما طلبوا منها نتاج العقائم
فهم بين موم بالركوع لسيد　　وآخر يعنو وجهه للبهائم
ومن بين داع هاتف باسم شيخه　　يروم به نفعاً ودفع العظائم
يقرب للمقبور قربان ربنا　　ويجهد في تسليم نذر الكرائم
ويدفع عين الحاسدين باعظم　　ويرجو لدى الحمى عقود التمائم
وقد طمست اعلام سنة احمد　　وقد زاد سلطان الهوى والمآثم [4]

وهو شاعر من شعراء العراق الذين لم يدرس ولم يلتفت اليه باحث مع ان له خطرات اجتماعية ووثبات فكرية ينفرد بها بين كثير من شعراء العراق المعاصرين له .

---

(١) الطراز الانفس ص ١٥٨ وما بعدها .

(٢) اعيان البصرة ص ٢ المصادفة (١٧٧٦م - ١٨٥٣ م) مباحث عراقية ج ١ ص ١٩٢ وقال عنه انه كان تاجراً يتجر باللؤلؤ وقد اورد المؤلف رسالة ارسل بها الشاعر من البحرين الى نعمة الله عبود في حلب مكتوبة باللغة العامية وفيها جوانب تاريخية مهمة .

(٣) ديوان السيد عبد الجليل ص١٤ . والدر المنتثر ص١٥١ وحديقة الورود

(٤) الديوان ص ١٧.

علي باشا اللاز

عهدرضا علي باشا اللاز هو العهد الذي ارتبط فيه العراق بالدولة العثمانية مباشرة، وبعد أن كانت تحت سيطرة المماليك ثلاثاً وثمانين سنة (١١٦٣ ـ ١٢٤٦ هـ) (١٧٥٠ ـ ١٨٣٠ م) فبعد أن قوي داود باشا نفسه اعلن استقلال العراق سنة ١٢٤٥ هـ وخلع طاعة السلطان محمود خان الثاني[١] فارسل عليه علي باشا لعزله والقبض عليه وقدسخر داود باشا من الجيش القادم ولـكن الاقدار كانت اكثر سخرية منه فقـد فتك الطاعون في اهل بغداد وجيش الوالي وفاض نهر دجلة وطغى على المدينة، وتوالت عليه المصائب فمكن لعلي باشا الدخول في بغداد واعادة سيطرة الدولة العثمانية، ولولا هذه المصائب لـكان تاريخ العراق قـد تغير تغيراً كلياً.[٢]

والواقع إن العراق كان مستقلا استقلالا ادارياً وكان إمارة كبيرة او إيالة واسعة وكان من يتولاه يمنح لقب الوزير ويصبح الحاكم المطلق في شؤون إدارته[٣].

وبعد أن تمكن الوالي علي باشا من السيطرة على العراق قضى على المماليك بابادتهم والفتك بهم ولم ينج منهم الا القليل[٤]. وفي عهده سارت السفن البخارية في دجلة ومدت الاسلاك التلغرافية ونظم البريد وبدل الزي الرسمي بالطربوش بعد أن كان العمامة بأمر من محمد الثاني

---

(١) مختصر تاريخ بغـداد ص ٢٢٨ وما بعدها ويلاحظ ماكتبه لونكريك ص ٢٣٥ و ٢٤٨ ومصادر دراسة المماليك وفي حديقة الورد وصف للطاعون وعدد الموتى.

(٢) ورد في مختصر مطالع السعود عنه هو علي باشا الطربزوني من وزراء الدولة وشعرائهـا عين مهرداراً ومتسلماً ثم وجهت اليه رتبه مدير الاصطبل وارسل قائم مقاماً الى حلب وفي سنة ١٢٤٠ اصبح والياً ووزيراً عليها.

(٣) مختصر تاريخ بغدادص ٢٣٣

(٤) المصدر نفسه ص٢٣٦

ودام حكم هذا الوالي ١٢ سنة ثم عزل سنة ١٢٥٨ م [1] .

عبد الله بن عيسى بن ابراهيم :

من اسرة ريحان آل إبراهيم النجدي من اهالي (ثرمده بالوشم) وقد هاجر ريحان الى الكويت في اوائل القرن الحادي عشر الهجري . وما زال لهذه الاسرة املاك في البصرة وهم منتشرون في بغداد وامريكا والكويت . وقد ذكر النبهاني ابراهيم بن عبدالله آل ابراهيم الذي كان شيخاً على الزبير قبل الحرب العظمى الاولى الذي اقرته السلطات شيخاً عليها [2] ، واغلب افراد الاسر تجار لؤلؤ يسكنون بومبي وقد اثرت صناعة اللؤلؤ اليابانى في تجارتهم وعطلتها ولهم صلة قربى مع آل الصباح [3] .

خاشيك الارمني :

احـدى الاسر الارمنية التي لها املاك في البصرة في كوت الشيخ وهو الجد الاعلى (لسارة الزنكنية) التي اشتهرت بالغنى والجمال ولها قصة مشهورة في تاريخ العراق مع ناظم باشا والي بغداد اصبحت اسطورة يتناقلها اهل بغداد وقد ذهبت اكثر املاكها وماتت اخيراً [3] .

---

(١) سلنامة بغداد سنة ١٣١٨ هـ مختصر تاريخ بغداد ص ٢٣٨ وورد سهواً بان علي باشا حكم ١١ لانه تولى الحكم سنة ١٢٥٧ وعزل عنها سنة ١٢٦١ وهو لا يتفق مع السالنامة التي اعتمدنا عليها ولونكريك ص ٢٦١ . وقد ورد في سجل عثماني : انه من طرابزون وانه من اتباع احمد باشا اللاز ومن شعراء الدولة العثمانية ووزرائها انتقل في عدة وظائف مثل متسلم مغنيسيا ومدير كمرك ازمير ووجهت اليه رتبة مدير الاصطبل العامر سنة ١٢٤٤ هـ وكتخدا والي حلب رؤوف باشا سنة ١٢٤٥ ثم وجهت اليه رتبة الوزارة وولاية حلب ثم أصبح والياً على ديار بكر ولما جاهر داوود باشا بالرغبة بالاستقلال سنة ١٢٤٦ ارسل للقضاء عليه ولما وفق اسندت اليه ولاية بغداد ثم ولاية شهرزور وفي ١٢٥٨ نقل الى ولاية الشام وعزل في ذي القعدة سنة ١٢٦١ وقد توفى في رمضان سنة ١٢٦٢ ودفن الى جوار بلال الحبشي وخدم الدولة خدمة لا تنسى ، سجل عثماني ـ تذكرة مشاهير عثمانية ج ٣ ص ٥٦٨ وحاشية مختصر مطالع السعود ص ٢ و ٣ اورد له نموذجاً شعرياً باللغة التركية .

(٢) التحفة النبهانية (البصرة) ص ١٢٠

(٣) التحفة النبهانية ج ٩ ص ٣١٣ واعتمدنا على معلومات الاستاذ عبد القادر باش اعيان .

آل السويط :

جدهم جاسر من سكنة بلدة حرمة من قرى مقاطعة السدير في نجد هاجر الى الزبير حوالي القرن العاشر الهجري ، ومن هذه الاسرة جماعة تسكن في الكويت والبصرة .[1]

درويش اغا :

كان متسلماً في البصرة سنة ١٢٤٨ هـ ١٨٣٢ م من قبل علي رضا باشا اللاز خلف عزيز اغا بعد ما هرب الى ايران بعد سقوط داود باشا [2] .

آل مبارك :

من اسر نجد من (الحريملة) هاجرت الى الزبير في القرن العاشر الهجري ومنهم عبد الرحمن المبارك آل راشد وقد ورد ذكر الاسرة في محاربة الوهابية ، وجاء ذكر عبد الرحمن في الخصام الذي قام بين آل الزهير وآل ثاقب [3] .

آل عبد الرزاق :

من الاسر العربية التي هاجرت من السدير من قرية العطار من قرى نجد الى الكويت وامتدت صلاتهم التجارية الى البصرة وما زالت هذه الاسرة في الكويت وقد ذكر عثمان ابن سند ثلاثة من اعلامهم هم ابراهيم وعبدالوهاب وسالم ووصفهم بالجود والكرم ومدحهم بشعره [4] .

تاريخ عجيب

من يلق نظرة سريعة على قائمة حكام العراق ما بين ١١٧٥ هـ الى ١٢٤٦ يلاحظ إلحوظة

---

(١) التحفة النبهانية جـ ٩ ص ٣١٣ واعتمدنا على معلومات الاستاذ عبد القادر باش اعيان .

(٢) تاريخ الكويت السيامي جـ ١ ص ١٠٣ والتحفة النبهانية (البصرة) ص ٣١٣

(٣) التحفة النبهانية ص ٨٢ وتاريخ الكويت السيامى جـ ١ ص ٨٨ و ٩٩ و ١٠٠ و ١٠٢

(٤) سبائك العسجد ص ٩٦ـ ٩٩

غريبة في تاريخ العراق فان عــدد الحاكمين قد بلغ اثني عشر والياً قتل منهم سبعة ولاة وعزل اثنان دون قتل ومات واحد بعد ستة اشهر من تعيينه وعزل واحد دون قتل وثار اهل بغداد على واحد وعزل واحد بعـد حرب ولم يمت حتف انفه غير سليمان باشا الكبير . ومنهم من لم يقض سنة واحدة في الحكم حتى جاء علي باشا اللاز فتوطد الحكم العثماني [1] .

اسم الوالي	سنة حكمه	سنوات الحكم			النتيجة
		يوم	شهر	سنة	
١ ـ علي باشا (الايراني)	١١٧٥	ـ	ـ	٢	حبس واعدم
٢ ـ عمر باشا	١١٨٦	ـ	ـ	٩	عزل وقتل
٣ ـ مصطفى باشا	١١٩٢	ـ	ـ	٦	عزل وقتل
٤ ـ عبدي باشا	١١٩٠	٨	ـ	ـ	عزل
٥ ـ عبد الله باشا	١١٩٢	ـ	٦	ـ	مات
٦ ـ حسن باشا	١١٩٢	١٢	٦	ـ	ثار عليه أهل بغداد
٧ ـ سليمان باشا الكبير	١١٩٣	ـ	ـ	٢٤	توفي
٨ ـ حافظ علي باشا	١٢١٧	ـ	ـ	٥	قتل غيلة
٩ ـ سليمان باشا الصغير	١٢٢٢	ـ	ـ	٣	عزل وقتل
١٠ ـ عبدالله باشا	١٢٢٥	ـ	ـ	٣	قتله بنو المنتفق
١١ ـ سعيد باشا	١٢٢٨	ـ	ـ	٤	عزل وقتل
١٢ ـ داود باشا	١٢٣٢	ـ	ـ	١٤	عزل
١٣ ـ علي باشا اللاز	١٢٤٦	ـ	ـ	١٦	نقل

(١) يلاحظ سالنامة بغداد ص ٢٠٧ العدد السادس عشر ١٣١٨ هـ .

٣ — البصرة والهند

لما كان الصحفي الهندي السيد ديوان بريندرانات [١] في بغـداد تحدثت معه عن صلة البصـرة بالهند وان جماعة من البصـريين تسكن بومبي فقال ان للبصرة اثراً في الادب الشعبي الهندي ولا سيما البنجاب فقد كانت مثابة التجـــار والبحارة المغامرين ، لانها كانت مدخل العالم بالنسبة للهند ، وقد اثرت البصرة في الفكر الهندي واعتبرها رمز العالم وزادت شهرتها بعد الحرب العالمية الاولى ويؤكد اثرها انتشار ثلاثة رموز عربية هي الجمل والسفينة الشراعية والنخيل .

وقد كانت الهند تتحدث باقاصيص السندباد البحري وتذكر دائماً البصرة مع اغفال بغـــداد لان البصرة كانت املاً في الثروة والغنى ، واليها يسافر الزوج والحبيب ليعود على اسرته بالثراء .. وكانت مدعاة حزن الزوجة وبكاء الحبيبة وكل امانيها ان يعود الحبيب اليها بعد غيابه ، وقد اشتهرت اغنية بالبنجابية [٢] معناها :

عـد من البصرة يامن	ترك الاهـل طـويلا
اسأل الله من البصر	ة تـأتينـا عجـولا

(١) Dewan Berindranath

(٢) كروطنا ول پھيرا

اولبصرے جانے واليا

مين نام جپان تمان تيرا

اولبصرے جانے واليا

وهنـاك اغنية اخرى يغنيهـا عادة الرجال ، تصف اسفاراً قامت بها امرأة غير محترمة وقد زارت هذه المرأة كل اقطار العالم . لان الاسماء التي تذكرها هي اسماء مدن هندية وباكستانية والبلد الاجنبي الوحيد الذي ذكرته في مغامراتها ذكراً فـكاهياً هو البصرة . تقول جكني وهو اسم هذه المرأة عن البصرة : ـ

هـــذه البصرة ما اجـ   مل من فيهـا النسـاء [1]
كقطـــاع الملح والسكـ ... ـر يشـــفي كل داء

وهناك بيتان آخران معروفان [2] معناهما :

هــذه البصرة ما اجـ   مل من فيهـا رجـــالا
ولقد صـيرتهم طبـــ   ـلا لهم كنت الحبـــالا

وعلى الرغم من البعد السياسي بين العراق والهند والقرون العديدة فقد بقيت البصرة حية في المأثورات الشعبية في البنجاب وبقي اسمها شائعاً كما كان قبل مئات السنين .

اعاننا مشكوراً على فهم المعنى سيادة الاخ محبوب احمد سفير الهند في بغداد .

(۱) بصرے دیاں سوہنیاں کڑیاں
لون دیاں ڈلیاں گڑ دیاں پڑیاں

(۲) بصرے دے سوہنے گبرو
میں جنیاں بنایا ڈبرو

المصادر

١ ـ احوال البصرة — ابراهيم فصيح الحيدري[١] — بغداد ١٩٦١

٢ ـ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، لونكرك — ترجمة جعفر الخياط ط ٣ « ١٩٦٢

٣ ـ اسنى مطالب الاريب في مدائح السيد طالب باشا النقيب — يوسف زاده علي بن سليمان — القاهرة ١٣٢٢هـ

٤ ـ اصول التبعات واحكامها في البصرة — سليمان فيضي — البصرة ١٩٤٦

٥ ـ الاعلام — خير الدين الزركلي — ط الثانية

٦ ـ اعيان البصرة — عبد الله باش اعيان تحقيق جلال الحنفي — بغداد ١٩٦١[٢]

٧ ـ الباز الاشهب — ابراهيم الدروبي — بغداد ١٩٥٥

٨ ـ البصرة العظمى — سليمان فيضي — بغداد ١٩٦٥

٩ ـ البصرة في ادوارها التاريخية — عبد القادر باش اعيان — بغداد ١٩٦١

١٠ ـ بلاد ما بين النهريين ارنولد ولسن — ترجمة فؤاد جميل — بغداد ١٩٦٩

١١ ـ بلوغ المرام في مناقب آل شيخ عبد السلام — ياسين باش اعيان العباسي
مخطوطة في مكتبة آل باش اعيان في البصرة

١٢ ـ تاريخ الامم والملوك — الطبري — المطبعة الحسينية القاهرة

١٣ ـ تاريخ بغداد سليمان فائق — ترجمة موسى كاظم نورس — بغداد ١٩٦٢

١٤ ـ تاريخ السعدون — عبد الله الناصر — النجف ١٩٤١

١٥ ـ تاريخ العراق بين احتلالين جـ ٧ — عباس العزاوي — بغداد ١٩٥٥

---

(١) ذكر سهواً بانه تأليف فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري ، وهو جزء من عنوان المجد يبدأ من ص ١٥٨ من المطبوع .

(٢) اصل المخطوطة (اشياخ البصرة) نسخة منه في مكتبتي الخاصة بخط سليم الانصاري .

١٦ ـ تاريخ الكويت السياسي ج ١ ، حسين ال الشيخ خزعل، بيروت ١٩٦٢
١٧ ـ تاريخ المنتفق وضع سليمان فائق ترجمة محمد خلوصي الناصري بغداد ١٩٦١
١٨ ـ تاريخ نجد محمود شكري الآلوسي القاهرة ١٣٤٧ هـ
١٩ ـ تاريخ النقود العراقية لما بعد العهود العباسية عباس العزاوي بغداد ١٩٥٨
٢٠ ـ التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية محمد خليفة النبهاني ط٢ القاهرة ١٣٤٢ هـ
٢١ ـ التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة الدكتور صالح احمد العلي بغداد ١٩٥٣
٢٢ ـ تنوير الابصار في طبقات السادة الرفاعية الاخيار: ابو الهدى الصيادي مصر ١٣٠٦
٢٣ ـ الجاحظ ـ حياته ـ آثاره الدكتور محمد طه الحاجري القاهرة ١٩٦٢! م
٢٤ ـ حديقة الورود (مخطوطة) عبد الفتاح الشواف (نسخة منه في مكتبتي الخاصة)
٢٥ ـ حكومات بغداد عبدالحميد العلوجي بغداد ١٩٦٢
٢٦ ـ الحياة الادبية في البصرة الدكتور احمد كمال زكي دمشق ١٩٦١
٢٧ ـ داود باشا ونهاية المماليك في العراق يوسف عز الدين
مقال نشر في مجلة كلية الآداب سنة ١٩٦٠، ثم نشر منفرداً بغداد ١٩٦٧
٢٨ ـ الدر المنتثر في رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر علي علاء الدين الآلوسي
تحقيق جمال الدين الآلوسي وعبدالله الجبوري بغداد ١٩٦٧
٢٩ ـ دوحة الوزراء تأليف الشيخ رسول الكركولي ترجمة موسى كاظم نورس بيروت(؟)
٣٠ ـ ديوان عبد الجليل البصري عبد الجليل ياسين مطبعة نبات المصري
٣١ ـ ذكرى السعدون علي الشرقي بغداد ١٩٢٩
٣٢ ـ زاد المسافر ولهفة المقيم والحاضر عبدالقادر باش اعيان العباسي بغداد ١٩٥٨م
٣٣ ـ سبائك العسجد عثمان بن سند بمبي ١٣١٥
٣٤ ـ سجل عثماني ـ تذكرة مشاهير عثمانية محمد ثريا ، المطبعة العامرة ١٣١١
٣٥ ـ سلنامة البصرة
٣٦ ـ سلنامة بغداد

٣٧ ـ الشعر العراقي في القرن التاسع عشر يوسف عز الدين الطبعة الاولى بغداد ١٩٥٨
« الثانية القاهرة ١٩٦٥

٣٨ ـ الطراز الانفس عبد الغفار الاخرس الاستانة ١٣٠٤هـ

٣٩ ـ العقود الجوهرية في مدائح الحضرة الرفاعية احمد عزة باشا العمري مصر ١٣٠٦ هـ

٤٠ ـ عنوان المجد في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد
ابراهيم فصيح الحيدري بغداد ١٩٦٢

٤١ ـ غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر ياسين العمري الموصل ١٩٤٠

٤٢ ـ في غمرة النضال سليمان فيضي بغداد ١٩٥٢

٤٣ ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث جـ ١ الدكتور علي الوردي بغداد ١٩٦٩

٤٤ ـ مباحث عراقية جـ ١ يعقوب سركيس بغداد ١٩٤٨

٤٥ ـ مباحث عراقية جـ ٢ » » » ١٩٥٥

٤٦ ـ مختصر تاريخ البصرة علي ظريف الاعظمي بغداد ١٩٢٧

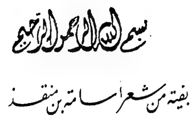
٤٧ ـ مختصر تاريخ بغداد علي ظريف الاعظمي بغداد ١٩٢٦

٤٨ ـ مخطوطة شعر الأخرس تحقيق يوسف عز الدين بغداد ١٩٦٣

٤٩ ـ مطالع السعود (مخطوطة) عثمان بن سند (نسخة منه في مكتبتي الخاصة)

٥٠ ـ المماليك في بغداد سليمان فائق، تعريب الارمنازي بغداد ١٩٦١

٥١ ـ ولاة البصرة ومتسلموها ابن الغملاس منشورات البصري بغداد ١٩٦٢



مصطفى حجازى

تقديم

أسامة بن منقذ شاعر مجيد ، وبطل من أبطال الإسلام تردد اسمه مقروناً بالبسالة والنصر إبّان الحروب الصليبية في بلاد الشام ، وإذا كانت نشأته قد غلبت عليها الشجاعة والفروسية حتى لقد مضى الجانب الأكبر من حياته في الجهاد ، وبرزت الناحية الحربية من شخصيته واضحة في تاريخه، فإن ذلك ينبغى ألا يصرفنا عن شخصيته العلمية والأدبية، وعن شاعريته القوية ، فقد حفظ القرآن في طفولته ، وكان والده يحضر الشيوخ الكبار ليعلموه هو وإخوته ، فسمع الحديث من الشيخ الصالح علي بن سالم السِّنْبسيّ ومن غيره ، وحدّث ، وسمع منه الحافظ ابن عساكر ، وعبدالكريم بن محمد السمعاني ، والحسن ابن هبة الله بن صصرى ، وغيرهم ، وكان يؤدّبه أبو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة (٥٠٣ هـ) وقرأ النحو على ابي عبدالله الطليطلي النحوي ـ وكان سيبويه زمانه ـ وأولع بحفظ الشعر وروايته ، حتى روى الذهبي في تاريخ الإسلام عن السمعاني أن أسامة قال له : « إني أحفظ أكثر من عشرين الف بيت من شعر الجاهلية » ودرس البلاغة وجلس لتدريسها فيالمدرسة الحنفية بدمشق، وألّف فيها كتابه « البديع » في نقد الشعر ،

وقد بدا أثر ذلك واضحاً في جزالة شعر أسامة وفي مصنفاته الأدبية ، ولا سيما لباب الآداب « والبديع في نقد الشعر » ، « والمنازل والديار » [1] .

ولقد قُدّر لي أخيراً أن أعنى بتحقيق كتابه الأخير « المنازل والديار » فوجدت في ثناياه ، وفي جملة أخبار أسامة التي جمعتها من مصادر مختلفة أشعاراً له لم ترد في ديوانه الذي طبع في القاهرة سنة ١٩٥٢ بتحقيق الدكتورين احمد بدوي وحامد عبد الحميد .

ولما كان أكثر هذا الشعر قد عثرنا عليه في كتاب آخر لأسامة هو « المنازل والديار » ونسخته الوحيدة بخط أسامة ، فانه يبدو لنا أن شيئاً كثيراً من شعر أسامة قد ضاع ، « فابن خلكان » (ت ٦٨١ هـ) يحدثنا أنه رأى ديوان شعر أسامة بخطه ، وكان في جزأين ، ويذكر اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) أنه رأى ديوان أسامة في جزأين كذلك .

ومهما يكن من قول أسامة في مقدمة ديوانه « انه عاد إلى شعره فمحّصه ونخله وخلّصه ، وانه أثبت في الجزء المنشور ما حصل منه ، على الاختصار لا على الاختيار فإن ذلك تواضع من أسامة يحمد له ، تشهد بذلك هذه الأبيات التي تلته ، ففيها يقول : ـ

كلما رددت في شعرى النظر	بان ضعف العى فيه وظهر
ليس يرضيني ولا يمكنني	جحد ماقد شاع منه واشتهر
فاجيل الفكر في تقليله	فإذا قلّ اختصرت المختصر
وبه فقر إلى ذي كرم	إن رأى ما فيه من عيب ستر

واذا كان من حق اسامة ان يختصر من شعره ما شاء فان من حق القارىء العربي والدارس لشعر أسامة ان يطلع على كل شعر أسامة ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ومن ثم فان ما نقدم في هذه الصفحات من شعر اسامة الذي لم ينشر من قبل إسهام بجهد متواضع من أجل هذه الغاية ، والله الموفق .

(١) نشر معهد الشعوب الآسيوية بمسكو مصورة هذا الكتاب سنة ١٩٦١ م ، وقد قمت بتحقيقه والتعليق عليه ، ووضع فهارسه ، والتقديم له ، وقام بنشره المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٨ .

قافية الباء

ديار خلت من أهلها وتوحشت   فليس بها مرعى لعين ولاخصب[1]

علاها البلى حتى تعفت رسومها   وانكرها طرفي فاثبتها القاب

* * *

قلت [2] :

أشتاق أهلي وأوطاني وقد مُلكت   دوني وافنى الردى أهلي واحبابي

فاستريح إلى رؤيا القبور ففي   أمثالها حل إخواني وأترابي

ولست أحيي حياة استلذ بها   من بعدهم ولحاق القوم أولى بي

* * *

قافية الدال

قال [3] :

ما فيك لي سلوة يامصر عن بلد   في أهله الفضل والإقدام والجود

* * *

قال [4] :

مع الثمانين عاث الضعف في جَلَدي   وساءني ضعف جسمي واضطراب يدي

---

(١) المنازل والديار / ٤٩ ب (مصورة نشر معهد الشعوب الآسيوية بموسكو سنة ١٩٦١ م)

(٢) في المنازل والديار (١١٢٣) ذكر اسامة بيتين لعلي بن الجهم هما :

يشتاق كل غريب عند غربته   ويذكر الاهل والجيران والسكنا

وليس لي وطن امسيت اذكره   الا المقابر اذ كانت لهم وطنا

فعقب عليها بقوله : « قلت ، لي ابيات تنظر الى هذا المعنى وهي : ...

ثم اورد هذه الابيات . ولم اجدها في ديوانه المطبوع ولا في مصدر آخر .

(٣) هذا البيت في المنازل والديار ضمن ابيات اربعة ورد منها في ديوانه ثلاثة ابيات وقبله في الديوان ٦٥ والمنازل (١٢٧ ب) :

هب ان مصر جنان الخلد ما اشتهت النفوس فيها من اللذات موجود

ما ذا انتفاعي اذا كانت زخارفها   موجودة وحبيب النفس مفقود

وبعده فيها : وما الحياة لمن بانت احبته   رضى ولا هو في الاحياء معدود

(٤) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٠ ص ٢٣٠ ـ ٢٣٧ و ٣٠٥ ـ ٣١٦)

إذا كتبت فخطي جد مضطرب ... كخط مرتعش الكفين مرتعد

وإن مشيت وفي كفي العصا ثقلت ... رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً ... من بعد حطمي القنا في لبدة الأسد

وقال :

حتى تعـود رباك حـا ... لية مُفَوَّفَةَ الوهـاد [1]

.... عاداتهـا رد الأمـو ... ر من الصـلاح الى الفساد

* * *

قافية الراء

وقال [2] :

سل المدائن عمن كان يملكها ... هل آنست منهم من بعدهم خبرا

فلو أجابتك قالت ـ وهي عالمة ... بسيرة الذاهب الماضي ومن غبرا ـ:

أرتهم العبر الدنيـا فما اعتبروا ... فصيرتهم لقوم بعـدهم عبرا

* * *

وقال [3] :

تقول لي الاشواق : هذي ديارهم ... فقلت : نعم ، لكنها منهم قفر

وما كنت أهوى الدار إلا لأهلها ... وبعـدهم لاجاد ساكنها القطر

فما الدار تلك الدار بعد قطينهـا ... ولا الدهر فيها بعدهم ذلك الدهر

* * *

ديار الهوى حيى معالمك القطر ... وإن لم يدع إلا تذكرك الدهر [4]

---

(١) هذان البيتان من مقطوعة عدتها تسعة ابيات في المنازل والديار (١٦٧ أ) ولم يردا في القصيدة برواية الديوان ص ٦٠ وقبل البيت الاول في الديوان :

فلامطرنـك من دمـو ... عي ما ينوب عن الغـوادي

وقبل البيت الثانى فيه :

وصروف هذا الدهر تطـ ... رق بالحـوادث او تغـادي

(٢) المنازل والديار ١٣٢ ب . (٣) المنازل والديار ٤٩ب . المنازل والدبار ص(٥٠/١

عهدتك أفقاً للسعود وساكنو ربوعك في أرجائك الأنجم الزهر
وعصرهم فصل الربيع نضارة فهل يرجعن لي ذلك الزمن النضر
إذا مر في فكري الديار وأهلها فيالي من وجد يجدده الذكر
إذا اوحشتني وحدتي بعد فقدهم ولهت كأني قد أصابني السحر
فكيف التسلي والتأسي فيهم ولا عوض عنهم ولا عنهم صبر
لقد ساءني الدهر الذي سرني بهم وما ظلموا ساءوا قصاصاً بما سروا

وقال [1] :

يادار غيرك البلى وتحكمت فيك الخطوب ومحت الآثار
أصبحت تعرفك القلوب توهماً ويصد عنك الاعين إلانكار
لم يبق منك الدهر رسماً ماثلا ينبي بأن هناك كانت دار
لهفي على الزمن القصير قطعته بك ، إن ايام السرور قصار
لم يبق منه سوى جوىً متسعر في القلب يذكي ناره التذكار

* * *

وقال :

بنو منقذ ما انقذوا من زمانهم وكم انقذوا من مرهق وأسير [2]
أجاروا على الايام فاضطغنتهم وما استمسكوا من جورها بمجير
فلم يبق منهم غير حيٍ كميت أخي حسرة ما تنقضي وزفير
فقد اقفرت منهم ديار عهدتها غياثاً لملهوف وذخر فقير
وما اقفرت من ساكن بل من العلى ومن نائل هامي السحاب غزير

* * *

لا جاد ربعك من ديار اقفرت من اهلها صوب الغمام الماطر [3]

---

(١) المنازل والديار ١٦٥ أ (٢) المنازل والديار ٥٠ أ (٣) المنازل والديار ٥٠ ب

لم يبق منك الدهر الا حسرةً للذاكرين، وعبرة للناظر
ياحسن أول ذلك الدهر الذي قد كان فيك، وقبح ذاك الآخر

* * *

وقلت [1] :

انظر منازل آل منقذ .إنها عظة اللبيب وعبرةٌ للناظر
كانوا بها في نعمة محروسة بمكارم، وذوابل، وبواتر
ما رامها ملك ولا ذو قدرة إلا انثنى عنها بقلب طائر
متلهفاً ما اسطاعها، ومن الذي يلج العرين على الهزبر الخادر
فأصابها قدرٌ فأهلك من بها وأعاد شامخها كرسم داثر
فاذا ذكرتهم عرتني حسرة تمرى سحائب دمعي المتبادر

* * *

قافية الضاد

نظرت إلى دار الأحبة قفرة وقد كان فيها العز والكرم المحض [2]
فلما رأى صحبي عليها تلددي [3] ودمعى بكى بعض وعنفني بعض
وقالوا: أفق، للارض تبكي؟ فقلت: لا ولكنني ابكي لمن وارت الارض

* * *

وقال [4] :

أعاضني الدهر من رؤياكم نظري اثاركم وبرغمي ذلك العوض
ثم استقال فقد اضحت موانعه دون التداني من الآثار تعترض

(١) (كتاب المنازل والديار ص ٢٠ أ و ب) وقدم لها فيه بقوله (وهذا شيء من شعري في هذا المعنى بعد ما اصابنا من الزلازل ما أصابنا) ولم ترد في الديوان المطبوع .
(٢) المنازل والديار (١٦٧ أ) (٣) التلدد : كثرة التلفت يميناً وشمالا دهشا وحيرة
(٤) المنازل والديار ١٠٧ ب .

فقل لمن يمنع الحل المباح غدا ... توفي ـ وحقك ـ ما أصبحت تقترض

* * *

وقال [1] :

تطامن إذا أنكرت دهرك إنما ... يفوز بخفض العيش من عاش في خفض

وكن كالذباب إن راى الريح عاصفاً ... تلاصق من خوف الاذية بالارض

قافية العين

وقلت [2] :

ياليت ان ديارنا كانت كذا ... طورا تفرقنا وطوراً تجمع

لكنها درست وأوحشها الردى ... من أهلها فهي القفار البلقع

لا يرتجى لهم إياب جامع ... لشتاتهم حتى يضم المجمع

* * *

قافية الغين

وكتب إلى أخيه [3] :

عجمتني الخطوب حينا فلما ... عجزت أن تطيق مني مساغا

لفظتني وسالمتني فقد عا ... د حذاري أمناً وشغلي فراغا

واخو الصبر في الحوادث ان لم ... يلقه الحين مدرك ما أراغا [4]

* * *

قافية الفاء

إذا انا شارفت الديار تحدثت ... بمكنون أسراري الدموع الذوارف [5]

وماذا انتفاعي بالديار وقربها ... إذا أقفرت من كل من انا آلف

---

(١) المنازل ١١٨ ب . وللمعنى غريب على خلق أسامة الذي عرف بالاباء ، الا أن يكون ذلك دعوة منه الى السياسة والدهاء في بعض المواقف ، أو حيثما يشتد جور الحكام .

(٢) المنازل والديار ص : ٨ أ (٣) التاريخ الكبير لابن عساكر ٢ـ٤٠٣ ولم يرد في ديوانه شعر من هذا الروى (٤) اراغ الشيء طلبه وأراده . (٥) المنازل والديار ٤٩ ب

قافية القاف

وقلت [1] :

هــذي منازلهم عفت وتفرقوا ... فسل المنازل عنهم ، ماذا لقوا
تخبرك ان الارض قد وارتهموا ... وأبت لهم أن يسمعوا او ينطقوا
وبقيت بعـــدهم لهـمّ فادح ... وكآبـة تضني وخطب يطرق
ارجو اللحاق بهم ، ودون لحاقهم ... باب من الأجل المؤقت مغلق
فإذا نهاني عن رجـاء لقـائهم ... يأسى ، هفـا قلب إليهم شيق

* * *

قافية الـكاف

وقال [2] :

يقول صحابي : قد أطلت وقوفنا ... على الدار مسلوب الأسى والتماسك
أفي كل دار قد عفت انت واقف ... تروى ثراها بالدموع السوافك
كأنك في رسم الديار « مُتَمِّمٌ » ... وفيما عفا من ربعها« قبرُ مالك [3] »
فقلت : نعم هذي ديار عهدتها ... بها معشري مثل النجوم الشوابك
أصابهـم ريب الزمان فأصبحت ... قفـــاراً وهم ما بين ناءٍ وهالك

* * *

قافية اللام

وقال [4] :

سقى دارهم هامي الغمام وهامله ... ونوّر ذاوي الروض منها وذابله

---

(١) المنازل والديار ص ١٩ أ

(٢) المنازل ١٦٥ ب

(٣) يشير الى قول تمم يبكي أخاه :

وقالت أتبكي كل قبر لقيته ... لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك !
فقلت لها : ان الأسى يبعث الاسى ... دعيني فهـذا كله قبر مالك

(٤) المنازل والديار ١٦٥ أ

وعاد بها طيب الليالي التي خلت وغبطة عيش قد تقضت غياطله

منىً يتمناها على بعد نيلهـــا كذوب الأماني ذاهب القلب ذاهله

وبعض الأماني ضلّـة وإذا انقضت أواخر دهر كيف تثني أوائله

ديار بها صاحبت شرخ شبيبتي أجادِدُه [1] طوراً وطوراً أهازله

أروح إلى لهو الصبي ونعيمـه وأغـدو على ليث كمي أنازله

عهدت بهـا عين المهادون حجبها أسود الشرى يلقى الردى من تنازله

وسرب ظباء تحجب الشمس دونه وتحجب عن طيف الخيال عقائله

وكل أخي باس كريم تخاله ـ اذا ما انتدى ـ سيفاً جلته صياقله

فـلم يبق مما كان إلا ادّكاره وحسـرة قلب لا تقر بـلابله

وكنت أرى ما سرني غير زائل ويخطيءُ نهج الحزم من هو جاهله

فما كان إلا الطيف يحسب في الكرى يقيناً فإن بان الكرى بان باطله

وقال [2] :

إلى الله أشكو روعتي لمنازل خلت ، وجوى قلبي لأهل المنازل

ســـيوفي إذا ما نازلتني ملمةٌ خصومي إذا خفت الردى ومعاقلي

مضوا سلفاً قبلي،ولم أحظ بعدهم من العيش والعمر الطويل بطائل

* * *

وقال [3] :

يعنفني في الدار صحبي على البكا فياويح قلبي من خلي وجاهل !

---

(١) فك التضعيف ضرورة يريد أجاده بمعنى (بادله جد الامور خلاف هزلها ، وهو استعمال لم يسمع ، ولم تذكره المعجات ، والذي فيها هو جاده في الامر : حاقه وخاصمه فيه .

(٢) كتاب (المنازل والديار ص ١٩ أ وقدم لها فيه بقوله : « وهذا شيء من شعري في هذا المعنى بعد ما اصابنا من الزلازل ما أصابنا . ولم ترد في ديوانه .

(٣) المصدر السابق (٢٠ أ) ولم يردا في الديوان المطبوع .

وقالوا : أتبكي للمنازل ؟ : قلتُ : لا　　　ولكنما أبكي لأهل المنازل

* * *

وقال [1] :

يقولون: قداعولت في الدار، ماكفى　　　وليس على ربع عفا بمعوّل

وكم قدرما تبقى الدموع إذا جرت　　　على كل ربع أو على كل منزل

فقلت : نعم هذي ديار عهدتها　　　عرين أسودي في الخطوب ومعقلي

فقد اصبحت قفراً وفرق شملهم　　　حوادث دهر بالفراق موكّل

سأبكيهم أو يمزج الدم أدمعي　　　فينهل سمطاً كالجمان المفصّل

* * *

وكتب في رسالة الى ابنه «مرهف» يطلب منه عصا من آبنوس، وكان مرهف حينذاك مؤمّراً بمصر من قبل صلاح الدين [2] :

أريد عصاً من آبنوس تقلني　　　فإن الثمانين استمادت قوى رجلي

ولو بعصا موسى اتقيت لآدها　　　ـ على ما بها من قوة ـ حملها ثقلي

ولكن تمنينا الرجاء بباطل　　　وكم قدر ما ترجى المنايا وكم تملي

إذا بلغ المرء الثمانين فالردى　　　يناجيه بالترحال من جانب الرحل

قافية الميم

وقلت من قصيدة [3] :

نعم هـذه الاطلال قفر كما ترى　　　فما عذر أجفاني اذا لم تفض دما ؟

ولليوم اعددت الدموع وصنتها　　　وما يستجم الدمع إلا ليسجما

---

(١) المنازل والديار ١٦٦ ب .

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد ١٠ ص (٢٣٠ ـ ٢٣٧ و ٣٠٥ ـ ٣١٦) .

(٣) المنازل والديار (٦٩ ب) نشر معهد الشعوب الآسيوية بموسكو سنة ١٩٦١ .

وفي منزل الاحباب عذر لذي الهوى		فلا لوم إلا أن تجور وتظلما

* * *

وشكوتما — من وقفة		فيه — الكلالة والملامه[1]

* * *

قال أسامة : قرأت على حائط مسجد بمنك هذا البيت مفرداً :

تجنبت غشيان الديار وليس في		تجنبها بعد الفراق ملام

فأجزته بهذا البيت وكتبته تحته :

وما كنت أهوى الدار إلا لاهلها		على الدار بعد الظاعنين سلام[2]

* * *

وقال[3] :

يا دار أنت التي كان الجميع بها		وكان في ربعك الولدان والحشم

فكنت للضيف والعافين مرتبعاً		يقتادهم نحوك الإكرام والكرم

أصبحت قفراً وأضحى اهلك افترقوا

أيدي سبا ، وانثنت عن قصدك الهمم

ما اعجب الدهر ! عيش الناس اجمعهم

— إن سرهم صرفه أو ساءهم — حلم

وقال :

هذي ديار بني أبي ومعاشري		قفر عليها وحشة وظلام[4]

---

(١) المنازل والديار (١/٢١) في مقطوعة مطلعها :

ان لم تطقا يوم رامه		ان تسعدا فذرا الملامه

وهي في ديوانه ٩٧ ما عدا هذا البيت ، وترتيبه الثالث في رواية المنازل والديار .

(٢) المنازل والديار (٥٨ ب) .

(٣) المنازل والديار ١٦٦ أ .

(٤) المنازل والديار ٤٩ ب .

درست محافظة لهم وتوحشت ... من بعدهم وتعفت الأعلام

فإذا مررت بهم فقل متمثلاً ... « يا دار ما فعلت بك الايام »[1]

* * *

وقال[2] :

قل للذي فقد الأحبة وانثنى ... يسقي منازلهم دموعاً تسجم :

ماذا وقوفك في الديار مسائلاً ... عن أهلها ، ومتى يجيب الأبكم ؟!

سل عنهم صرف الزمان فإنه ... بهم من الدار المحيلة أعلم

أفناهم ريب المنون وهذه ... آثارهم عظة لمن يتوسم

هي شيمة الأيام : كفٌّ تبتني ... ـ مذ كانت الدنيا ـ وكف تهدم

وإذا رأيت محسدين فقلما ... ترجيهم الأيام حتى يرحموا

وترى تقلب هذه الدنيا بنا ... وكأننا فيها سكارى نوم

* * *

وقال :

يا دار لو روّت محولكِ أدمعي ... لسفحتها بك أو يمازجها الدم[3]

لكن دمع الحزن يحسب قطره ... ماءً بَرَوداً ، وهو جمرٌ مضرم

واذا رأيتك قفرة من معشري ... وبني أبي ـ وهم لعمرك ماهمو ـ

فكأنني عاينت حفرة مالك ... وكأنني ـ وجداً عليك ـ متمِّم

* * *

وقال[4] :

هذي منازلهم وأنـ ... ـت بها معنىً مغرم

---

(١) عجز البيت لأبي نواس وهو صدر بيت وعجزه : « ضامتك والأيام ليس تضام » .

(٢) المنازل والديار (١٩ ب) .

(٣) المنازل والديار ١٦٦ ب) .

(٤) المنازل والديار (٢١ ـ ١) .

فاسفح دموعك في ثرا ها أو يخالطها الدم
واسأل بهم صرف الزما ن فانه هو أعلم
يخبرك أن القوم قد قدموا على ما قدموا
وغداً نخيِّم حيث حلـ (م) لوا في القبور وخيموا

* * *

وقال :

يا منزلاً كان فيه العز مقترناً بالسيف، والمال مقروناً الى الكرم[1]
من خاف جوراً وعدماً ثم لاذ به لاقى الأمانين من جور ومن عدم
أفنت حماتك أحداث الزمان فيا لله من فتكها بالأسد في الأجم !
أعيت مناواتهم غلب الملوك إلى أن جاءهم قدر قد خط بالقلم
(فأصبحوا لا ترى إلا مساكنهم[2] كأن ما خوّلوه كان في الحلم
ولم تدع منهمو إلا حديثهم كما تحدث عن عاد وعن إرم
فيا لقلبي لأحزان أكاتمها عليهم ، ولدمع غير مكتتم

* * *

وقال :

دار على قلل الجبال تفجرت فيها بحار فضائل ومكارم[3]
فيها الندى والجود حقاً لا الذي كنا نحدث عن سماحة حاتم
وفوارس جمعوا المكارم والعلى لين التواضع في قلوب ضراغم

---

(١) كتاب (المنازل والديار) ص ٢٠ ب

(٢) اقتباس الآية الكريمة (تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى الا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) الأحقاف ٢٥

(٣) المنازل والديار ١٦٦ أ و ب

أفنـاهم ريب المنون فلم يـدع منهم سوى ذكر لحلم الحـالم

* * *

وقال [1] :

نافستني صروف دهري في الفو ز بـبرّ الآبـاء في الرجـم

لو كنت أسـطيع أن أزورهما مشـياً على الراس لا على القـدم

بادرت أمشي الى ثرى جـدثي أعز أهـلي عليّ كالقلم

لـكن بمصر قبرٌ ، وفي شـيـ زر قبرٌ وداري بمنتأى العجم

والظلم في الارض مانعي كلـ (م) ل ما أبغيه ، حتى زيارة الرمم

وما ظننت الذي لقيت من الدنيا تراه عينـاي في الحـلم [2]

* * *

قافية النون

وقال [3] :

إذا قلت هذا حين ألقي عصا السرى دعاني إلى الترحال ظلم وعدوان

* * *

---

(1) اورد اسامة في المنازل والديار (٢٢٣ خ) أبياتاً أنشدها الاصمعي لأم معدان الانصارية منها .

لا يبعد الله فتياناً رزئتهم بانوا لوقت مناياهم فقد بعدوا

اضحت قبورهم شتى وتجمعهم زو المنون ، ولم يجمعهم بلد

ميت بمصـر وميت بالعراق وميت بالحجاز منايا بينهم بدد ..

ثم اتبعها قوله : لي ابيات تشبه معنى هذه الابيات ، وهي شرح حال صحيحه لا على مذهب الشعراء ، وذلك أني سر بي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له : وكتب براً » فآسفني ماحرمته من زيارتهما ، وشتات شملنا أحياء وامواتاً ، فقلت : ثم أورد الابيات.

(2) هذا البيت ينظر الى معنى قول ابن دريد في المقصورة :

لو كانت الاحلام ناجتي بما ألقاه يقظان لاصحاني الردى

(3) اورده في المنازل والديار ١/١٢٦) في مقطوعة من أربعة ابيات هذا آخرها ، والثلاثة التي قبله في ديوانه المطبوع ١٠٥

إذا بكى لديار باد ساكنها ... ذو وحدة ساءه في داره الزمن [1]

بكيت أهلي وأوطاني وآسفني ... أن ليس لي بعدهم دار ولا سكن

أخنى الزمان على قومي وملك أو ... طاني سواي ، فلا أهل ولا وطن

ولم تدع لي المنايا مشتكى حزن ... أبثه كمدي إن عادني حزن

وقال [2] :

دار سكنت بها كرهاً وما سكنت ... نفسي إلى سكن فيها ولا شجن

والقبر أرفق لي منها واجل بي ... إن صدني الدهر عن عود الى وطني

* * *

وقال [3] :

واوحشتي في الدار لما أصبحت ... موحشة من الظباء العين

كانت عريناً وكناساً فاغتدت ... مقفرة الكناس والعرين

تقارن الاسد بها عين المها ... والدهر قطاع قوى القرين

فأصبحت كما ترى ليس بها ... إلا دواعي الوجد والحنين

---

(١) المنازل والديار (٥١ / ١)

(٢) في المنازل والديار ١٢٨ ب . وقدم لها بقوله :
قلت وقد نزلت بصور في دار ابن أبي عقيل ، وكتبها على بعض الرخام

(٣) المنازل والديار (١٦٦ ب) .

باب الكتب

تاريخ واسط
إستدراك وتوجيه

الدكتور مصطفى جواد

بعد تقديم التحية والاحترام أقدم لكم شكري على نسخة تاريخ واسط الذي عهدتم بتحقيقه الى الاستاذ المحقق الزميل كوركيس عواد على سبيل المساعدة والاستاذ كوركيس من خير من تولوا ويتولون هذا التحقيق وأمثاله فقد بذل جهداً تحقيقياً حسناً في إخراج الكتاب مع أنه من أعسر الكتب الخطية واكثرها جفافاً والتفافاً ، وقد طالعته من أوله الى آخره على جفافه ، جرياً مني على عادة ألفناها وعرفناها في قراءة المخطوطات المطبوعة أول مرة من كتب الادب والتاريخ ، وقد وجدت أموراً في التعليق والنصوص ، تستحق التنبيه والتوجيه وإن كانت قليلة فأحببت الاشارة اليها وذكر صحيحها ومستقيمها لأن الكتاب لم يحل على لجنة ، كما كان المجمع قرره من تعليماته ، والعضو المجمعي مهما بلغ ، وأنا من الاعضاء ، لايستطع بلوغ الكمال فيما يحقق وينشر ، بمساعدة المجمع أو بغيرها ، فينبغي أن يعين بعض اعضاء المجمع بعضاً في مثل هذا الموضوع لكي يسلم المجمع من

معرة المؤاخذة والتعقيب والتثريب فأقول على حسب ترتيب الصفحات لا على حسب أهمية التنبيه أو التوجيه :

١ — ورد في الصفحة ٥٤ من متن الكتاب قول مسروق العشار : « إن كان لنا معك شيء فأعطيناه » . والصواب « فأعطناه » لأنه أمر من تُعطيناه ، فهو مبني على حذف حرف العلة عند نحاة البصرة .

٢ — ورد في الصفحة ٤٩ « مجراة الأسلمي » وفي الفهرست ص ٣٥٦ « مجراة الاسلمي » . والصواب الذي علمناه في هذه التسمية « مَجْزَأة » قال صفي الدين الخزرجي في خلاصته تذهيب الكمال ـ ص ٣١٦ ـ « من اسمه مجزأة بفتح أوله وإسكان الجيم وفتح المعجمة والهمزة مجزأة بن زاهر الاسلمي الكوفي ... » . وهذا واضح .

٣ — وورد في الصفحة ٥٤ « حدثنا شعبة عن أبي بشر بن عباد بن شرحبيل قال...» . والصواب « عن أبي بشر عن عباد بن شرحبيل » . لأن الحديث مرفوع الى عباد بن شرحبيل وهو من الصحابة ، وهو الذي حكى الخبر الخاص بالسُنَّة لا أبو بشر ، وذلك واضح في الكتاب .

٤ — وورد في الصفحة ٥٧ « إن أبي أسيف — والأسيف الرقيق » وقد فتح المحقق ياء الأسيف فجاء على وزن « أفعل » لا على وزن « فَعِيل » الذي هو الصحيح ، فالصواب « أسِيف » ، كرقيق كما في لسان العرب وغيره ، وهو من مادة « أس ف » .

٥ — وجاء في الصفحة ٦٣ « نهى رسول الله — ص — عن الدُّباء والحنْتم والنَّقير والمزفّت » . فقال المحقق في الحاشية : « الحنتم : شجر الحنظل » . وهذا صحيح من حيث اللغة ولكن للحنتم معنىً آخر وهو « الجرة الخضراء » أو الخزف الأخضر وهذا هو المعنى المراد في الكتاب مع الاواني التي حُرم فيها الانتباذ اي اتخاذ النبيذ ، ولا محلّ للحنتم بمعنى شجر الحنظل ، ولا قول في تحريم الحنظل وشجرته في السنة النبوية . فالمسألة شرعية لا يجوز التهاون بها .

٦ — وورد في الصفحة ٩١ من الحديث النبوي الشريف « ونهانا عن المُثْلَة » ، وقد ضبط المحقق الكلمة الاخيرة بفتح الميم وضم الثاء ، وقال في الحاشية : « المثلة : العقوبة والتنكيل ج المثلات » . وليس ذلك بمراد في الخبر وإنما المراد المثلة على وزن الفرقة، قال المبارك بن الاثير في النهاية : « فيه أنه نهى عن المثلة ، يقال مثلت بالحيوان أمثل به مَثْلاً . إذا قطعت اطرافه وشوهت به ، ومثلت بالقتيل إذا جدعت أنفه او أذنه أو مذاكيره أو شيئاً من اطرافه والاسم المثلة » . وقال الفيومي في المصباح المنير : «والاسم: المثلة على وزان غُرفة . والمثلة بفتح الميم وضم الثاء العقوبة » . فالمثلة كالغرفة هي المنهي عنها في الشريعة ، والمثلة أي العقوبة غير منهي عنها . وهذا من الامور الشرعية فلا يصح إهمال التنبيه عليه .

٧ — وجاء في الصفحة ٩٤ « أنا ورجل من قومي لم يُسلم بعد » . والصواب « لم نسلم بعد » أراد نفسه وصاحبه ، يدل على ذلك قوله بعده « فأسلمنا وشهدنا مع رسول الله — ص — ... » . ولعله من غلط الطبع الذي لم يصلح .

٨ — وجاء في الصفحة ٩٦ « إني شيَّعتك حباً لعمر بن الخطاب — رضي — فما كنت لازراك عليه شيئاً » . فقال المحقق في الحاشية : « يقال زرى عليه زرياً وزراية : عابه وعتب عليه » . ولا محل لهذا الفعل وتفسيره هناك ، فهو تصحيف « لأرْزأك » بالهمز ، يقال « رَزأه يرزَؤه شيئاً رزْءاً ورزءاً ومرزئة أي نقصه إياه » وهو المراد ، ألا يرى أنه عدّاه بنفسه الى مفعولين مع أن الفعل الذي ذكره المحقق لايتعدى إلا بحرف الجرّ ؟ .

٩ — وجاء في الصفحة ١٠٠ « فقال: رأيتُ لعزيمة عدو الله حقاً ولم ترَ لامير المؤمنين ولا لي حقاً » وقد أسند الفعل للمتكلم والصواب إسناده الى المخاطب ، وبهذا الاسناد يتحقق الذنبُ على المخاطب ولا يجوز غيره .

١٠ — وورد في الصفحة ١٠٢ « وكان ما علمت من صالحي سيئات أهل بيته قراءة

للقرآن وتحدّياً للخير » . والمقام مقام مدح وثناء حسن ، فالصواب « شباب أهـله » و« تحرياً للخير » أي تطلباً له، لا تحدياً له والعياذ بالله منه .

١١ — وورد في الصفحة ١٢٨ « وهى تقصع بجَرّتها » يعني ناقة رسول الله ـ ص ـ فقال المحقق : « الجرة بالفتح ما يخرجه البعير من بطنه ليمضغه ثم يبلعه » . وفي هـذه الحاشية نقصان أحدهما أنه لايشعر القارئ بأن لهذا اللفظ بهذا المعنى لغة أخرى، والآخر هو ذكر اللغة الضعيفة وترك اللغة الفصيحة ، فالفصيـح هو « الجرة » بوزن القطعة ، وأما الجرة بالفتح فهي لغة ضعيفة جداً لايلتفت اليها .

١٢ — وورد في الصفحة ١٢٤ « عن ابن عباس ـ رضي ـ قال : أمرنا أن نبني المساجد حماً والمدائن شرفاً » . هكذا ورد (حما) والصواب « جُمّاً » جمع أجم استعاره من الحيوان الأجم الذي لايظهر قرنه للعين ، قال العلامة الزمخشري في الفائق ١ : ٢١٣ « ابن عبـاس ـ رضي ـ أمرنا أن نبني المساجد جماً والمدائن شرفاً » الجم التي لا شُرَف لها من الشاة الجماء وهي خلاف القرناء . والشرف التي لها شرف » .

١٣ — وجاء في الصفحة ١٣٧ « فان لا تراه فانه يراك » . والصواب « فان لا ترَهُ » بالجزم وهذا بديهي . ومثله ما ورد في الصفحة ١٥٣ « فلا تبالي ألّا تسمعه من غيري » . والصواب « فلا تُبالِ ... » بالجزم .

١٤ — وجاء في الصفحـة ١٦٠ « أي الطعـام كان أحب الى بشر بن مروان ؟ قلت : الثريد . قال : فانه كان أحب الى عبيد الله بن زياد ؟ قلت : الشواء » . فعلق المحقق في الحاشية « في هامش ح قول الناسخ : كذا الاصل ولعله : قال فما كان أحب » . واكتفى المحقق بقول الناسخ الذي هو بعيد عن التحقيق ، والصحيح ان الاصل هو « فأيه كان أحب الى عبيد الله » . وقد تصحفت « فأيه » إلى « فانه » وهذا واضح جداً .

١٥ — وجاء في الصفحة ١٦١ « كسر غلام من بني عبد الله بن دارم رباعيتي » بتشديد الياء الاولى من « رباعيتي » والصواب تخفيفها ، قال الفيومي في المصباح المنير :

« والرباعية بوزن الثمانية : السن التي بين الثنية والناب والجمع رباعيات بالتخفيف أيضاً » .

١٦ — وورد في الصفحة ١٦٧ « حدثني رجل من كندة أن تميم الداري حج ماشياً ». والصواب « أن تميماً » لانه من الأسماء المصروفة ولم يرد هنا في غير النثر ، والظاهر أن الكتاب وقع مرة الى ناسخ جاهل أو نساخ جهلاء .

١٧ — وورد في الصفحة ١٦٩ « حدثنا أحمد بن محمد بن أبان قال : سمعت أبي يقول : اشترى عطاء أبا عوانة يكون مع امه يزيد وكان يريد يطلب وأبو عوانة يحمل كتبه والمحبرة » . فقال المحقق تعليقاً على الكلمة المهملة « كذا بالاهمال ثم إن العبارة لا تخلو في جملتها من تشويش » . وليس في العبارة تشويش وإنما فيها تصحيف في لفظتين وصوابها « اشترى عطاء أبا عوانة يكون مع ابنه يزيد ، وكان يزيد يطلب ، وأبو عوانه يحمل كتبه والمجرة » يعني أن عطاءاً اشترى المملوك أبا عوانة ليكون خادماً لابنه يزيد ، وكان ابنه يزيد يطلب العلم ويختلف الى الشيوخ فكان أبو عوانة يحمل كتبه ومحبرته .

١٨ — وورد في الصفحة ١٨٣ قول النبي ـ ص ـ : « وإن أعتى الناس على الله ثلاثة : من قتل في حرم الله تعالى أو قتل غير قاتله أو قتل بدحل الجاهلية » هكذا جاء « دحل » بالحاء المهملة وهو تصحيف « ذحل » بالذال المعجمة ، قال المبارك بن الاثير في النهاية : « الذحل : الوتر وطلب المكافأة بجناية جُنِيَتْ عليه من قتل وجرح ونحو ذلك ، والذحل : العداوة أيضاً » . فالعتو على الله إذن في قتل إنسان انتقاماً منه لما فعل في عصر الجاهلية ، لأن الاسلام يَجبّ ما قبله من الجرائم ونشر العفو العام .

١٩ — وورد في الصفحة ١٩٥ « رأيت أبا الليث الخراساني بطرسوس يعزّي » . هكذا بالياء والصواب بالألف على البناء للمجهول ، لأن الناس كانوا يُعزونه من العزاء أي الصبر والسلوّ ، ألا ترى ما جاء بعده وهو قوله « قلت : ما شأنه ؟ قالوا : فاتته الصلاة في الجماعة » ، فقد عزي عن فوت الصلاة .

٢٠ — وورد في الصفحة ٢٠١ « كتبتُ لأبي كتاباً . فقال : عرضته . قلتُ : لا .

قال : لم تكتب » . فعلق عليه محقق الكتاب « عرض الكتاب : قرأه عن ظهر قلب » .
ولم يذكر مصدر هذا التفسير كما فعل غالباً، والذي في لسان العرب « عرضت الكتاب وعرضت الجند عرض العين إذا أمررتهم عليك ونظرت ماحالهم » . وجاء فيه ايضاً «ويقال: عرض الكاتب [تعريضاً] إذا كتب مثبجاً ولم يبين الحروف ولم يقوّم الخط ... » .

والمعنى الاول جائز فكأنه قال : هل قرأته مرة ثانية ؟ وجاء في معجم دوزي « والعرض عند المحدثين هو قراءة الحديث على الشيخ » . ولو كان الانسان يحفظ كل كتاب يكتبه عن ظهر القلب لعَسُرت أمور الحياة ، ومع هذا فالمهم المرجع اللغوي .

٢١ — وورد في الصفحة ٢٩٥ ، لعلك ترد حيراناً عن حيرته أو سكراناً عن سكرته » هكذا بالتنوين والصواب « حيران وسكران » لأنهما ممنوعان من الصرف ، وهو من فعل النساخ الجاهلين ، كما ذكرت آنفاً .

٢٢ — وجاء في الصفحة ٢١٧ « إبراهيم بن زكريا » . ولم يحل المحقق بترجمته على كتاب من الكتب ، مع أن الكتاب كما قال هو كتاب محدثين وحديث ، وقد ذكره مؤلف لسان الميزان قال : « ابراهيم بن زكريا الواسطيّ ... قال الخطيب في الرواة عن مالك : ضعيف . وذكره أسلم بن سهل بن بحشل [1] في تاريخ واسط ولم يتعرض لكونه سكن البصرة فدل على أنه غير العجلي المتقدم ، وذكر أنه خرج الى اليمن فمات بها [2] » .

٢٣ — وجاء في الصفحة ٢١٨ « عن مالك بن مغول قال : كنت في المسجد مع طلحة والزبير ، فدخل منصور بن المعتمر فبدأ بزبير وكان أكبرهما فقال : ابن بنت رسول الله ـ ص ـ قد أظلنا ـ يعني زيد بن علي رضي الله عنه ـ .. » . والخبر يدل على أن الرجلين المذكورين ليسا بطلحة والزبير الصحابيين المعروفين لتأخر عصرهما عن عصرهما ، ثم ورد في الصفحة ٢٤٠ « كنت نازلاً في الحي مع طلحة وزبير ... » . فعلق المحقق على زبير « كذا ما في الاصل » ولم يشر الى ورودهما في الصفحة ٢١٨ ولا حقق شيئاً من أمرهما .

---

(١) الصواب حذف « ابن » الثانية . (٢) لسان الميزان « ١ : ٥٩ » .

٢٤ — وورد في الصفحة ٢٣٢ « قلت يارسول الله ، أوصني . قال : استح من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك » ، هكذا ورد الفعل « استح » وعلق عليه المحقق « الاصل استحي » . ولم يعتمد في تغيير الاصل على عمدة لغوية مع أنه هو الصواب لانه لغة الحجاز ولغة القرآن الكريم ، قال الفيومي في المصباح : « وحَيِيَ منه حياءاً بالفتح والمدّ ... واستحيا منه وهو الانقباض والانزواء ، قال الاخفش : يتعدى بنفسه وبالحرف فيقال : استحييت منه واستحييته ، وفيه لغتان إحداهما لغة الحجاز وبها جاء القرآن [١] بياءين ، والثانية لغة تميم بياء واحدة » ، ومعلوم أن النبي ـ ص ـ حجازي وأنه يأخذ بلغة القرآن ، فالاصل هو الصحيح هنا ، ويجب ان تلحق ياء ثانية بالمضارع فيكون « كما تستحيي [٢] » .

٢٥ — وفي الصفحة ٢٣٥ « ونساؤهم يخرجون متخصرات الى شجرة في الجنة » . ولعل الأصل « يخرجن » . فسها الناسخ .

٢٦ — وجاء في الصفحة ٢٣٩ « عن أبي هريرة قال : كان رسول الله ـ ص ـ إذا عطس خمّر وجهه وغض بها صوته » . فقال المعلق المحقق : « خمّر وجهه : غطاه بالخمار والخمار كل ما ستر ومنه خمار المرأة ... ومنه العمامة ... » .

وقد أهمل ذكر مرجعه اللغوي وهو يذكره كثيراً ، وفي نهاية ابن الاثير « في الحديث: خمّروا الاناء وأوكوا السقاء ، التخمير : التغطية ، ومنه الحديث أنه أتي بإناء من لبن ، فقال: هلّا خمّرته ولو بعود تعرضه عليه » . وفي المصباح « خمرت الشيء تخميراً :غطيته » وقال ابن فارس في المقاييس : « الخاء والميم والراء أصل واحد يدل على التغطية والمخالطة في ستر ... والتخمير ، التغطية » .

---

(١) في سورة البقرة « ان الله لايستحيي أن يضرب مثلا ما » ولكن الخط القرآني استغنى بالكسرة عن الياء فجاءت « لا يستحي » .

(٢) وورد في الصفحة ٢٨٢ « ان الله لايستحي من الحق » من حديث النبي ـ ص ـ والراجح ضبطه « لا يستحيي » .

وجاء في لسان العرب : « والتخمير : التغطية ، يقال : خمِّر وجهك وخمر إناءك » ، ثم قال : « والخمار للمرأة ، وهو النصيف وقيل الخمار ما تغطي المرأة بـه نفسها وجمعه أخمرة وخُمْر وخمُر » . ثم قال : « يمسح على الخف والخمار . أرادت بالخمار العمامة لان الرجـل يغطي بها رأسه كما أن المرأة تغطيه بخمارها » . وقال المطرزي في المغرب : « الخمرة: المسجدة وهي حصير صغير قد رما يسجد عليه سميت بذلك لانها تستر الارض عن وجه المصلي وتركيبها دال على معنى الستر ومنه الخمار وهو ما تغطي به المرأة رأسها » .

ولم أجد قول المحقق إلا « في المعجم الوسيط » وليس للمعجم الوسـيط مرجع لغوي يُطمأن اليه ولا أحال هو عليه ، والحديث لايحتمل ذلك لان الخمار شيء معلوم مخصوص لا يكون عاماً بل يستعار أحياناً وتقيد استعارته وتحد .

٢٧ — وورد في الصفحة ٢٥١ « يحيى بن رزيق بن ابراهيم أبو زكريا » بتقديم الراء على الزاي من الاسم الثاني ، وكان قد جاء في الصفحة ٧٣ « يحيى بن رزيق » كذلك ، وورد في الفهرست ـ ص ٣٦٥ ـ يحيى بن رزيق ، والصواب « زريق » بتقديم الزاي على الراء ، قال الذهبي في المشتبه ـ ص ٢٢٣ ـ : « ويحيى بن زريق امام جامع واسط في تاريخ بحشل » . وهذا لا يحتاج الى نقاش .

٢٨ — وجاء في الصفحـة نفسها « يعقوب بن ابراهيم بن حير المادراني » فعلق عليه المحقق قوله : « كذا ما في الاصل بحروف مهملة ولعله الماذرائي نسبة الى ماذرايا : قريـة من قرى البصرة . معجم البلدان ٣ : ٣٨١ » . وليس ذلك بصحيح ولا كانت الاحالة صحيحة ، قال ياقوت : « ماذرايا : مثـل الذي قبله [١] إلا أن الياء هنا في موضع النون هناك . قال تاج الاسلام أبو سعد : هي قرية بالبصرة ينسب اليها الماذرائيون ... قلت : وهذا فيه نظر والصحيح ان ماذرايا قرية فوق واسط من اعمال فم الصلح مقابل نهرسابس والآن قد خرب اكثرها ، أخبرني بذلك جماعة من اهل واسط . وقد ذكر الجهشياري في

(١) قبله « ماذران » .

كتاب الوزراء قال : استخلف احمد بن اسرائيل وهو يتولى ديوان الخراج للحسن بن عبد العزيز الماذرائي من طسوج النهروان الاسفل . وهذا مثل الذي ذكرنا » . وجاء في مراصد الاطلاع « ماذرايا مثل الذي قبله الا أن الياء هاهنا في موضع النون ، قيل : قرية بالبصرة . قال : والصحيح قرية فوق واسط من عمل فم الصلح مقارب نهر سابس وهي من طسوج النهروان الاسفل » .

ثم ان محقق الكتاب قد كان ترجم هو وزميل له كتاب « بلدان الخلافة الشرقية » للسترانج ، وجاء في الترجمة ـ ص ٤٤ ـ أن كوت العمارة الحالي هو في موضع ماذرايا ، وكرر المؤلف ذلك في ص ٥٧ ثم قال في الصفحة ٨٤ : « وقد كانت أسفل كوت العمارة » . ولم يعلق على ذلك انها كانت من قرى البصرة ، فالصواب ان ماذرايا من مدن النهروان .

٢٩ — وورد في الصفحة ٢٧٠ « فلوَدَدْت » بفتح الدال الاولى ، والصواب كسرها لان الفعل من باب « فرح » ولم يرد فيه وجه آخر اعني لغة اخرى حتى يتجوز فيه ، ان تأكيد المحقق للضبط اكد الغلط ، والا فقد ورد في الكتاب غلط مطبعي لايحاسب عليه لانه ظاهر ، كما في ص ٢٦٩ « عن أبي الزبير = عن ابن الزبير » وفي ص ٢٦٩ « يا امي المؤمنين = يا امير المؤمنين » وفي ص ٢٥٧ « ابي بكر = أبو بكر » وفي ص ٢٤٩ « ابن عمرة = ابن عمر » وفي ص ٢٤٦ « قال = قالت » وفي ص ٢٣٦ « ينقر = ينقز » وفي ص ٢٣٤ « ولد = ولداً » وفي ص ١٦٦ « تكفيه = تكفه » و « معبد = معبداً » وفي ص ١٢٩ « قاضي = قاض » وفي ص ١٠٣ « جنبتما = جنبتما » وفي ص ٩٠ « ثماني = ثمان » وفي ص ٩١ « منصور = منصوراً » .

٣٠ — وورد في الصفحة ٢٩٥ « العنيف مسعود ابوشتكين العرى » . وفي الصفحة ٢٩٦ « جمال الدين ابو علي الحسن بن مسعود ابوشتكن » . فالنص الاول صوابه « العفيف انوشتكين » وقد يكون العزي أو غيره ، والنص الثاني هو « انوشتكين » ايضاً بالنون ، فانه من الاعلام المشهورة على هذه الصورة في الاسماء التركية ، من ذلك « انوشتكين »

صاحب خوارزم [1] .

٣١ — وورد في الصفحة ٣٠٣ « وناوله الخ جميع الكتاب » ورد ذلك في سماعات الكتاب واجازات سماعة فقال المحقق « كذا ما في الاصل » . وترك الكلمة على اهمالها والصواب « وناوله الشيخ » وهي الاجازة بالمناولة ، كأن يقرأ التلميذ على الشيخ قسماً من الكتاب ثم يناوله الكتاب بدفتيه فيكون له الحق في روايته عنه كله وهي اجازة المناولة ، كما ذكرت آنفاً المعروفة في مصطلحات المحدثين .

٣٢ — وورد في الصفحة ١٨٣ « فقال رسول الله ـ ص ـ : أيما رجل عاهر امرأة بأمة لا يملكها أو واقع امرأة من قوم آخرين .. » . وفي الحديث تصحيف وتصويبه في النهاية ولكن المحقق لم يراجعها وقد جاء فيها « ايما رجل عاهَرَ بحُرة أو امة » .

٣٣ — وجاء في الصفحة ٢٧٣ « حدثنا حفص بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر ابن قدامة بن موسى بن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون ان عمر بن الخطاب ـ رضي ـ وهو على راحلته على ثنية الارانه من العرج فضغطت راحلته راحلة عثمان في عمرة اعتمرها رسول الله ـ ص ـ قال : عثمان : اوجعتني يا غلق الفتنة ... » . فعلق محقق الكتاب على « الأرانه » قوله : « كذا ما في الأصل والعبارة مشوشة » . ولم يفعل شيئاً ، والذي أراه هو ان تكون الجملة في الاقل « ... عن موسى بن قدامة بن مظعون عن عمه عثمان بن مظعون ان عمر بن الخطاب ـ رض ـ [ادرك عثمان] وهو على راحلته على ثنية آرة من العرج فضغطت ... » .

اما قولنا « عن موسى بن قدامة بن مظعون » فلأنه قال بعده « عن عمه عثمان بن مظعون » . واما زيادة « أدركه » فلما ورد في كتب اخرى ، قال ابن الفوطي : « غلق الفتنة الفاروق ابو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي القرشي امير المؤمنين . عن قدامة ابن مظعون ان عمر بن الخطاب ادرك عثمان بن مظعون وهو على راحلته ، وعثمان على راحلته

(١) اخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسيني « ص ١٩٦ » .

على ثنية العرج فضغطت راحلته راحلة عثمان [1] ... » . واما وضع « آرة » مكان الارانة فلأن عرّام بن الاصبغ السلمي ذكر أنها بالقرب من العرج . وقد يجوز ان تكون الفقرة محتاجة الى اصلاح آخر اي انها غير « آرة » ولكن آرة اقرب الالفاظ مما ورد .

٣٤ — وورد في الصفحة ٢٧٩ « عن ابن عمر ان رسول الله - ص - نهى عن قتل الجنان » . فقال المحقق في الحاشية : « جنان الناس جماعتهم ، تستر الداخل فيها : المعجم الوسيط » . ومعلوم ان الاسلام نهى عن قتل كل انسان بغير حق ولا قود ، فما معنى ان ينهى النبي — ص — عن قتل الجماعة ، والاسلام قد قرر ذلك في القرآن ؟ وهذا الشرح خطأ لان الجنان الوارد في الحديث مكسور الجيم مشدد النون وهو جمع (الجان) قال الزمخشري : « الجان مسيخ الجن ... ويجمع على جِنّان ونظيره غائط وغيطان وحائط وحيطان ، ومنه الحديث في كسح زمزم : ان العباس قال : يا رسول الله ان فيها جناناً كثيرة ، ومنه حديث آخر : انه نهى عن قتل الجنان التي تكون في البيوت [3] » . وقال المبارك بن الاثير : « وفيه انه نهى عن قتل الجنان وهي الحيات التي تكون في البيوت واحدها جان وهو الدقيق الخفيف [4] » .

٣٥ — وجاء في الصفحة ٢٨٧ « عن ابي زيد بن احطب (كذا) قال : كانت لي بضع عشرة شاة فكنت احلبهن فاقتحم اتاني من لبنهن ، فاقتحمت اتاني من لبن احداهن فالتفتت اليّ ... » . فقال المحقق في الحاشية تعليقاً على « أتاني » ما هذا نصه « كذا ما في الاصل » . كأن الجملة خالية من التصحيف الا في هذه الكلمة ، والصواب « فكنت احلبهن فأفعم إنائي من لبنهن ، فأفعمت يوماً إنائي من لبن « إحداهن » . اي ملأته حق الملء ، وأتاني تصحيف « إنائي» .

---

(١) تلخيص مجمع الآداب « ج ٤ القسم الاول ص ١١٧٧ » .

(٢) كتاب « اسماء جبال تهامة وسكانها « ص ١٩ » .

(٣) الفائق « ١ : ٢١٩ » ،

(٤) النهاية في « جنّ » .

٣٦ — وورد في الصفحة ٢٩٨ « وكتب مرجى بن أبي الحسن بن هبة الله بن سقيرة القزاز» . وسقيرة تصحيف « شقيرة » بالقاف ، قال ابن الفوطي : « عفيف الدين ابو الفضل مرجى بن ابي الحسن بن هبة الله ابن شقيرة الواسطي المقرئ [1]. . » .وذكره شمس الدين الجزري ايضاً بصورة « شقيرة » في طبقاته « ٢ : ٢٩٣ » وفي طبقات القراء للذهبي « ابن شقير » . وهو تصحيف ، وقد كنت نقلت السماع الذي ورد فيه اسمه من آخر تاريخ واسط هذا وأصلحته ، ولكن محقق الكتاب لم يقف عليه [2] .

٣٧ — وورد في الصفحة ٢٩٣ في السماع ان بعض المزورين كشط اسم « مظفر » بن ابي القاسم بن ابي الفرج بن الجوزي وكتب مكانه « حسين بن ابي الفرج » . وحصر المحقق موضع الكشط بين قوسين ونبه على ذلك ، ثم ورد في الصفحة ٣٠٠ ما هذا نصه «وكاتبه السيد الاجل زين الدين ابو المظفر الحسين بن علي بن عبد الرحمن بن الجوزي » . ورد ذلك كأنه الاصل السالم من كل تغيير ، فيحار القارئ ايهما الصحيح ولا يعلم اكشط الخط ام لا ؟

هذه الملاحظات لاحظتها في أثناء قراءة واحدة سريعة للكتاب في أثناء مرضي الشديد ومن هذه الملاحظات ما يستوجب الاصلاح السريع ولذلك حررت ما حررت لترَوا رأيكم فيه وأنا اعهد في المحقق الفاضل من رحابة الصدر وحب الحقائق العلمية ، وتوخي الفوائد ما يشجع كل صديق له وشفيق عليه على التنبيه والتوجيه ، والله تعالى الموفق للصواب .

مصطفى جواد

---

(١) تلخيص مجمع الآداب« ج ٤ القسم ١ ص ٤٣١ » .

(٢) التلخيص « ج ٤ ص ٥٣٢ الحاشية ص ٥٣٢ » .

نعي العلامة الدكتور مصطفى جواد

عضو المجمع العلمي العراقي

اذاع المجمع العلمي العراقي النعي التالي :

ينعى المجمع العلمي العراقي ببالغ الحزن والأسى عضوه العامل العلامة الجليل واللغوي الكبير ، والمؤرخ الثبت الدكتور مصطفى جواد .

لقي ربه عشية الاربعاء اليوم الثامن من شوال سنة ١٣٨٩ هـ الموافق للسابع عشر من كانون الاول سنة ١٩٦٩ م

فإلى الامة العربية عامة ، والى مجامع اللغة والهيئات الثقافية بخاصة نتقدم بجليل التعزية وجميل المواساة داعين الله الكريم ان يتغمد الفقيد برحمته وان يجزيه افضل جزائه وان يعوض الامة مارزئته بفقده .

وانا لله وانا اليه راجعون .

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين
رئيس المجمع العلمي العراقي

برقيات التعزية والاجابة عليها

من مجمع اللغة العربية في القاهرة :

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي ـ بغداد

هزنى النبأ الفاجع من الاعماق، واني اذ أنعى الزميل المغفور له الدكتور مصطفى جواد الى المجامع اللغوية والعلمية بالوطن العربي أنعى فيه زميلا عزيزاً وعالماً مقتدراً واديباً فذاً فباسمي وباسم زملائي ـ اعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ـ أتقدم بأخلص التعزية سائلا الله سبحانه أن يتغمد الفقيد برحمته ورضوانه وان يلهمنا فيه الصبر والعزاء .

الدكتور طه حسين

الجواب :

سيادة الدكتور طه حسين رئيس مجمع اللغة العربية — القاهرة

تأثركم بالنبأ الفاجع هزّ مشاعر العراقيين جميعاً ، وتوجيهكم النعي الى مجامع اللغة العلمية والادبية بوفاة المغفور له الدكتور مصطفى جواد تعبير صادق ووفيّ بما للرجل من مقام كريم في الاوساط العلمية والادبية .

وان المجمع العلمي العراقي اذ يتلقى بتعزيتكم جميل المواساة ليستشعر الاسى البالغ في افتقاد علم من اعلامه ، كان له بمشاركته أفضل الزاد وأكرم العون .

فباسمي وباسم زملائي اتقدم لسيادتكم بالدعوة المخلصة في ان يبارك الله وجودكم ويسعدكم ، ولزملائكم الاعلام اجزل الشكر .

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

من مجمع اللغة العربية بدمشق :

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي – بغداد

علمنا ببالغ الاسف والحزن بنبأ وفاة العلامـة الجليل الدكتور مصطفى جواد عضو مجمعكم العامل واللغوي الـكبير والمؤرخ الثبت . الخسارة كبيرة لا تعوض، والخطب جلل. باسم مجمع اللغة العربية بدمشق وباسمي اقدم التعزية الاخوية الخالصة لـكم ولاسرة الفقيد سائلا المولى ان يتغمد الفقيد العظيم برحمته ، وان يعوض الامة العربية خير العوض .

الدكتور حسني سبـح

الجواب :

سيادة الدكتور حسني سبـح رئيس مجمع اللغة العربية — دمشق

نشكركم وزملاءكم اعضاء مجمع اللغة العربيـة على تعزيتنا بوفاة المغفور له عضو مجمعنـا العامل الدكتور مصطفى جواد ، والخطب ـ كما نوهتم ـ جـلل ، والخسارة عظيمة ، وبم يعوض الفذ في أمته ، والنادرة في محيط لغتها .

اعاننا الله واياكم على جليل ما رزئت العربية ، وهيأ لها ما يسد الثلم ويرأب الصدع .

ومن زملائي اعضاء المجمع العلمي العراقي واسرة الفقيد الـكريم خالص الشكر .

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين

بيان عضوية المجمع العلمي العراقي

١٩٦٣ - ١٩٦٤

الاسم : مصطفى جواد

محل الولادة وتاريخها : بغداد محلة القشل سنة ١٩٠٩ أو سنة ١٣٢٨ هجرية

تاريخ اختياره للعضوية : سنة ١٩٤٩

العنوان : بغداد الوزيرية بيت سلوى أو كلية التربية

اللغات التي يحسنها : العربية والفرنسية والانكليزية

الدراسة	محل الدراسة	سنتها	شهادتها
١ — الابتدائية	المدرسة الجعفرية بالكاظمية	١٩٢٠	شهادة الصف الرابع
٢ — الثانوية	دار المعلمين الابتدائية	١٩٢١ - ١٩٢٤	
٣ — الدراسة الخاصة	لا عبرة بها		

الدراسة العالية

١ — الاستماع في كلية الآداب بالجامعة القاهرية

٢ — إعداد الدكتوراه الأدبية في كلية السوربون من جامعة باريس ١٩٣٤ - ١٩٣٩

الدورات والمؤتمرات والإيفادات العلمية

١ — إيفاد لحضور الاحتفال بذكرى ابن سينا بطهران وآخر لحضور احتفال بذكرى نصير الدين الطوسي في ...

٢ — إيفاد لحضور ذكرى الإمام الغزالي بدمشق وآخر لمؤتمر الآثار بلبنان وسورية

٣ — إيفاد لمؤتمر المجامع العربية بالقاهرة

٤ —

الجمعيات والنوادي والمجامع

١ — عضو مراسل للمجمع العلمي العربي بدمشق

٢ —

٣ —

الوظائف والأعمال	المحل	السنة
١ — مدرس في المدارس الابتدائية منذ سنة ١٩٢٤		١٩ / /
٢ — ... في المدارس المتوسطة منذ سنة ١٩٣٥		١٩ / /
٣ — كاتب تحريرات في وزارة المعارف ... التاريخية الذكورية		١٩ / /
٤ — استاذ في دار المعلمين العالية ببغداد ١٩٤٠		١٩ / /

٥ — ملاحظ فني في مديرية الآثار ... التاريخ ١٩٤٢

٦ — رجوعه إلى أستاذية دار المعلمين العالية المسماة اليوم كلية التربية إلى اليوم

الترجمات:
كتاب ألف ليلة وليلة [illegible]
تاريخ بغداد [illegible]
المخطوطات المنشورة
١- كتاب الحوادث
٢- الجامع المختصر لابن الساعي
٣- تكملة إكمال الإكمال
٤- لسان [illegible]
٥- مختصر [illegible]
٦- تلخيص معجم الألقاب
٧- الفتوة لابن المعمار

الكتب والنشرات	اسم المؤلف	محل طبعه	سنة طبعه
١ - الدولة العباسية في آخر عصورها وشرح اطروحة الدكتوراه في السوربون ولم تزل مخطوطة بالفرنسية			
٢ - دليل خارطة بغداد مع الدكتور أحمد سوسة		طبع بغداد بنفقة المجمع العلمي العراقي	
٣ - تاريخ الباحث اللغوي بالعراق		طبع البصرة بنفقة معهد الدراسات العربية العليا	
٤ - سيدات السلاطين العباسية، والرسائل في الأدب العربي، تاريخ العرب للصف الثاني المتوسط			

المقالات العلمية عنوان المقالة	محل نشرها	السنة
١ - [illegible]	لغة العرب	١٩٢٨
٢ - اللغة العامية العراقية	〃 〃	١٩٣٠
٣ - [illegible]	〃 〃	١٩٣٠
٤ - [illegible] والدراسات العربية	〃 〃	١٩٣٠
٥ - [illegible]	〃 〃	١٩٣٠
٦ - [illegible] الدراسات العربية	〃 〃	١٩٣٠
٧ - [illegible]	〃 〃	١٩٣١
٨ - [illegible]	〃 〃	١٩٣١
٩ - [illegible]	〃 〃	١٩٣١
١٠ - [illegible]	[illegible]	١٩٣٢

[illegible] مجلة المجمع العلمي العراقي [illegible]

المحاضرات العامة اسم المحاضرة	محل القاها	التاريخ
١ - الفتوة وأطوارها [illegible]	المجمع العلمي العراقي	
٢ - المصطلحات العلمية في اللغة العربية	[illegible] بلبنان	
٣ - تطور اللغة العربية	[illegible]	
٤ - [illegible] العلمي	جامعة طهران	
٥ - [illegible]	〃 〃	
٦ - [illegible] في إيران	〃 〃	...

معلومات أخرى

[illegible] الباحث في اللغة [illegible]
[illegible] في بغداد [illegible]

توقيع العضو

« فهرس المجلد الثامن عشر »

من مجلة المجمع العلمي العراقي

المقالات

تصويبات

الخطأ	الصواب	الصفحة	السطر	المجلد
افتتاح قناة السويس سنة				
١٨١٩	١٨٦٩	١٨٣	١٧	السادس عشر
جزاهم الله جميعاً خير الجزاء (حاشية) تنقل الى آخر الحاشية		١٩٠	—	» »
معنا	معناها	٢٠٤	٢٠	» »
تدوولت	تداولت	٣٠٦	١٨	السابع عشر
ثفسه	نفسه	٣١٢	٢٣	» »